الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر 02 ـ أبو القاسم سعد الله

معهد الآثـــــار

رقم التسجيل: .....

الرقم التسلسلي: .....

تطـور العمـران الإسـلامـي بـولايـة بـسـكـرة

خنقة سيدي ناجي نموذجا - دراسة تـاريخية أثرية عمرانية -

أطـروحـة

مقدمـة لنيل شهادة دكتوراه علوم في الآثار الإسلامية

إعـــداد:
كريم الطيـب

إشراف الأستاذ الدكتور:
صالح يوسف بن قربة

تاريخ المناقشة: ــ/ــ/ 2018

أعضاء لجنة المنـــاقشة

الإسم واللقب	الدرجة العلمية	الجامعة	الصفة
أ.د إسماعيل بن نعمان	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر -2-	رئيسا
أ. د صالح يوسف بن قربة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر -2-	مشرفا ومقررا
أ. د حنفي عائشة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر -2-	عضوا
د. ليلي مرابط	أستاذ محاضر	جامعة الجزائر -2-	عضوا
د. فاضل وردة	أستاذ محاضر	جامعة الجزائر -2-	عضوا
د. صلاح هدوش	أستاذ محاضر	جامعة بـاتنة -1-	عضوا
د. حليم سرحان	أستاذ محاضر	جامعة المسيلة	عضوا

السنة الجامعية: 2017/ 2018

باسم الله الرحمان الرحيم

((والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا

تستخفونها يوم ظغنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها

واو بارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين))

صدق الله العظيم

الآية 80: سورة الأنعام

الإهداء

إلى ذكرى والديا رحمة الله عليهما وإلى زوجتي الغالية وأبنائي الأعزاء إسلام، آية، زكريا، رقية وأسيل وجميع أفراد عائلتي أهدي هذا العمل....

كريم الطيب

شكر وعرفان

اشكر الله أولا وأخرا على أن يسر لي إنهاء هذا البحث، كما اتقدم بالشكر والتقدير للأستاذ المشرف الأستاذ الدكتور صالح يوسف بن قربة، والذي تتبع هذا العمل المتواضع عبر مراحله المختلفة منذ كان فكرة إلى ان أصبح على هذه الصورة، توجيها وارشادا وتصحيحا، ورغم ارتباطاته الكثيرة فلم يبخل علينا بكل ما يملكه من علم وبوقته الثمين وإلى الله ثم إليه يرجع الفضل في إخراج هذا البحث على هذه الصورة.

المختصرات:

جزء: ج.
دون تاريخ: د ت.
الشركة الوطنية للنشر للتوزيع: ش. و. ن. ت.
صفحة: ص.
مجلد: مج
طبعة: ط.
تحقيق: تح
عدد: ع.
المؤسسة الوطنية للكتاب: م، و، ك.
Atlas archéologique de l'Algérie. A.A.A :
L'architecture musulmane d'occident. : A.M.O
entreprise nationale de livre: E.N.A.L
centre de la recherche anthropologique préhistorique : C.r.a.p.e
sans date : S.D
tome. : T
office des publications universitaires. : O.P.U
- Revue Africaine. : Rev. AF

مقدمـــــــة

- **مقدمـــة**

الإنسان ومنذ بداية شعوره بأهمية البناء (أي بأهمية وجود مأوى يأوي إليه) هربا من قسوة الظروف البيئية المحيطة به في البداية، وسعيا الى الاستقرار في مكان ثابت لاحقا، قام باستخدام المواد المتوفرة في البيئة التي يعيش فيها لفعل ذلك. وقد استمر في استخدام المواد المحلية المتوفرة في إنشاء التجمعات السكانية وفي تطوير تقنيات تستخدم هذه المواد وتراعي ظروف البيئة المحيطة به. وقد تطور فن العمارة عبر مختلف حقب التاريخ بفعل الإرادة الإنسانية، التي عبر عنها الفرد أو الجماعة، لذا تعتبر إرادة القوى البشرية المحرك الأساسي والمباشر للتفاعل الجدلي، بين المادة الخام وتحولاتها اللاحقة إلى مبان جميلة. وقرنا بعد قرن، تراكمت الحلول المعمارية ذات الكفاءة العالية والمعالجة الذكية والنتائج الإبداعية لتحافظ على خصوصية المكان الذي أقيمت فيه. هذه الحلول التي وظفها التراث العمراني عبر قرونه المديدة حتى كاد المنتج النهائي أن يكون بمستوى يصعب تكراره يقول المعماري الشهير حسن فتحي " لقد أدت الخبرات التي تراكمت عبر آلاف السنين إلى تطوير لأنماط بناء قليلة التكاليف توظف فيها المواد المتوفرة محليا والقدرة على تهيئة المناخ الملائم .... وكانت هذه العمارة على درجة عالية من التعبير الفني " [1]

ازدهرت المدينة العربية في بلاد العرب والمسلمين بفضل جهودهم الصادقة في تنمية مدن البلاد التي فتحوها، بالإضافة إلى ما شيدوه من مدن جديدة أضيفت إلى رصيد المدن القائمة، حيث اختاروا لها المواقع المتميزة وأضافوا إليها من فنونهم المختلفة والمتعددة في شتى المجالات ، سار التطور العمراني للمدينة العربية عبر التاريخ وحتى أواخر القرن التاسع عشر بشكل منتظم قائم على احترام عاملين أساسيين هما مكان العبادة والسكن، حيث أبدع المسلمون في تخطيط المدينة الإسلامية كما أبدعوا في دراسة الفراغ وطريقة ملئه بالحيز المعماري المتكامل الذي يفي بالأغراض المادية والجسدية للإنسان المسلم كما يفي بالأغراض المعنوية والروحانية، فالبنيان المتلاصق والمتواصل في المدينة الإسلامية يعبر عن تضامن الأمة الإسلامية ورفض التعالي والشموخ،

[1] فتحي , حسن ،" الطاقات الطبيعية والعمارة التقليدية " ،بيروت ,لبنان، 1988،ص212.

عملا بالعقائد والأخلاق الإسلامية، وفكرة التواصل والتماس في المدينة الإسلامية الخاضعة لمبدأ التضامن والممثلة في السنة النبوية الشريفة تمثل الجسد الحي، بينما يمثل المسجد القلب النابض والممثلة لهذا الجسد فهو بيت الله. وتعمير المسجد من أفضل القربات إلى الله حيث يقول سبحانه وتعالي﴿ إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوات وآتي الزكاة ولم يخش إلا الله فعسي أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾[1] ويقول النبي صلي الله عليه وسلم((من بني لله مسجدا ولو كمحص قطاة بني الله له بيتا في الجنة))[2]،ولكن مع بدايات القرن العشرين ونتيجة الزيادة المطردة للسكان والخلل البين في التوزيع السكاني والمكاني ومع التطور التكنولوجي الهائل في كافة المجالات والغزو الحضاري الفكري الغربي اختلفت الأسس والمعايير التخطيطية القائمة بالمدن العربية وحلت محلها مقاييس أخرى غيرت من شكل مجتمع المدينة العربية الاسلامية.

المتفحص لتسلسل المدن التاريخية الجزائرية من شرقها إلى غربها، ومن شمالها إلى جنوبها يلاحظ كثرتها وتنوعها من حيث الموقع والأهمية، ورغم هذا فإن الدراسات العمرانية والأثرية اقتصرت على مدن دون الأخرى سواء عن قصد أو غير قصد. ولأن المناطق الشمالية من الجزائر حظيت بالدراسة والوصف من قبل المؤرخين والرحالة والجغرافيين. فقد بقيت منطقة الصحراء رغم شساعتها واحتوائها على مخزون أثري وثقافي كبيرين بعيدة وبشكل كبير عن الدراسة والبحث من قبل الباحثين والمهتمين.

يهدف البحث إلى محاولة تتبع مراحل تطور العمران الاسلامي بولاية بسكرة من خلال دراسة بعض المعالم الأثرية الإسلامية دراسة تاريخية أثرية عمرانية. وكنموذج ركزنا في هذه الدراسة على عمارة بلدة خنقة سيدي ناجي

1.أهمية الموضوع:

شهدت ولاية بسكرة، تعاقب حضارات متعددة، ساهت بطريقة او اخرى في تطور منطقة الزاب والتي بدورها ساهمت في تطور المناطق المجاورة لها. وأبرز هذه الفترات تلك التي تعود للفترة الإسلامية وعلى سبيل المثال لا

[1] الآية 18: سورة التوبة

[2]

الحصر، الحمادية والعثمانية والشواهد المتمثلة في المعالم التاريخية والمواقع الأثرية سواء كانت عمارة دينية او مدنية وحتى العسكرية التي خلفتها بالمنطقة. حيث تعد العمارة مظهرا مميزا يتمثل في نمط القصور المنتشر بالولاية وأبرزها بلدة خنقة سيدي ناجي التي ساهمت بشكل كبير في نمو المنطقة وما جاورها حضاريا وعمرانيا. كما ان الدور الذي لعبته المنطقة (ولاية بسكرة) وخاصة بلدة خنقة سيدي ناجي، بمكوناتها المعمارية سواء مسجد سيدي المبارك أو السرايا او زاوية عبد الحفيظ الخنقي. في بلورة الحياة السياسية والاجتماعية إضافة للحياة العلمية، الثقافية والدينية، وقد تجاوز ذلك إلى المناطق المجاورة وحتى خارج الوطن (المناطق الغربية للتراب التونسي).

لا شك أن عمارة خنقة سيدي ناجي والمواقع المخصصة بالذكر لها أهمية تاريخية وأثرية، إذ تعد بحق شواهد أثرية هامة، تعبر عن مظاهر تطور العمران الإسلامي بالمنطقة بسبب مقاومتها الظروف الطبيعية القاسية التي تسود المنطقة، والتي تتميز بمناخها الصحراوي، وكذا الظرف التاريخية والتحولات السياسية التي شهدتها المنطقة على مر الفترات التاريخية. كما أن الطابع العمراني والزخرفي لهذه المواقع، مازالت تحافظ على شكلها رغم مرور زمن طويل على إنشائها.

2. أسباب اختيار الموضوع:

يهدف البحث إلى دراسة تطور العمران الإسلامي بولاية بسكرة دراسة أثرية تاريخية عمرانية من خلال نموذج عمارة خنقة سيدي ناجي ويمكن حصر أسباب اختيارنا لهذا الموضوع فيما يلي:

- احتواء ولاية بسكرة على العديد من الحواضر والقرى والقصور والتي تمثل نموذج حي للعمارة الإسلامية الصحراوية بكل مكوناتها المعمارية والعمرانية.
- عمارة خنقة سيدي ناجي، نموذج عمراني قاوم الظروف المحلية القاسية مع مر الزمن.
- هذه العمارة لم تحظ بدارسة معمقة تتماشي مع المقاييس المعاصرة.

- الدراسات الأثرية وحتى التاريخية في الفترة الإسلامية حول المنطقة أو الجنوب الشرقي ككل، مازالت قليلة وتحتاج إلى الإثراء. كما أن المؤرخين والرحالة وغيرهم ممن كتبوا أو مروا بالمنطقة، تعد كتاباتهم سطحية ولا تكاد تذكر المنطقة إلا من الجانب الوصفي البسيط.
- شهدت المنطقة استشهاد حوالي ثلاثمائة من الصحابة والتابعين، وبذلك فالمنطقة لا تقل أهمية دينية وتاريخية عن باقي مناطق العالم الإسلامي.
- التحسيس بضرورة الاعتناء بهذا الصرح الأثري الكبير وإبراز القيمة التاريخية والأثرية والمعمارية للعمارة الإسلامية الصحراوية بالجزائر.
- إبراز عمليات التشويه التي طالت هذه العمارة (المعالم الأثرية) بسبب عمليات الترميم العشوائية التي أجريت عليها، والتي غيرت الكثير من الملامح الزخرفية والمعمارية الأصلية.
- محاولة استنباط الأسس والمعايير التخطيطية الكامنة في هذا التراث، والتي يمكن الاستفادة منها في تخطيط المدينة الجزائرية المعاصرة، من حيث تلبية حاجة المجتمع وتوافقها مع بيئة المناخية بعيدا عن التقليد الممسوخ لكل ما هو غربي.
- سد النقص الذي تعاني منه الدراسات الأثرية الجزائرية بشكل خاص، والمكتبة العربية بشكل عام في مجال العمارة الصحراوية. وعمارة منطقة الزاب هي واحدة من تلك الدراسات التي لم تحظ بقسط وافر من الدراسة والتحليل، على الرغم مما يميز عمارتها من عناصر معمارية وفنية فريدة من نوعها.
- الإهمال واللامبالاة التي تعاني منها معظم القصور الصحراوية بحجة أنها فقدت وظيفتها في نظر البعض، وإحساسنا بالمسؤولية تجاهها من أجل تقديم الحد الأدنى من المجهود الممكن للتعريف بهذه الكنوز التراثية، ولفت الأنظار إليها لتقديم حلول مناسبة توقف اندثارها المطرد.
- قلة البحوث والدراسات الأكاديمية التي تتناول هذه العمارة، وخاصة جانب مواد وأساليب البناء رغم أهميته الكبيرة. ما جعل تبني هذا الموضوع والرغبة في إضافة شيء في هذا المجال أمرا ملحا.

- تعاملنا المباشر مع العمارة الصحراوية وطد العلاقة معها وكرس حب الاطلاع أكثر عن مكنوناتها، مما جعل المبادرة لموضوع كهذا أمرا طبيعيا

- التعرف على مواد وأساليب البناء والإنشاء في العمارة الصحراوية التقليدية من جوانب متعددة على الواقع الفعلي والمنهجي لكل ما يتعلق بالمواد المستعملة في الإنشاء بهذه العمارة والأساليب المتنوعة التي انتهجها الإنسان في استخدامه لهذه المواد. وبما تقدمه من معلومات وحقائق علمية فهي تساهم في تكوين أرضية جيدة، وتقدم صورة واضحة لكل المهتمين بهذا المجال الذي يستحق الاهتمام والعناية.

- المساهمة في تنشيط السياحة الدينية بالمنطقة في إطار التعريف بهذه العمارة والمعالم التي تحتويها.

وللوصول لغايات البحث فقد تم العمل على تحقيق جملة من الأهداف الخاصة بالدراسة وأهمها:

- التعرف على المنهج الإسلامي في مجال العمران الاسلامي، من خلال فهم قيمه الأصيلة المحددة له

- تقديم بيانات ومعلومات علمية وفنية ذات قيمة لمختلف فئات ومستويات المهتمين بالموضوع.

- استعراض للهيكل العام للمدينة في المنظور الإسلامي، من حيث استعمالات الأراضي بها والنسيج العمراني لها والعناصر العمرانية المكونة لها. والعوامل المؤثرة على تخطيطها.

- رسم صورة واضحة تغطي النواحي النظرية والعملية للجانب المادي للعمارة وهو الإنشاء في العمارة التقليدية الصحراوية بمنطقة الزيبان. وذلك بتحليل هذا الجانب ووصفه وصفا دقيقا والتعرف على المشكلات والصعوبات الفنية من أجل تذليلها والتغلب عليها.

- تقديم خلفية علمية مناسبة يمكن الاعتماد عليها في هذا المجال سواء في إجراء تدخلات تقنية على القصور أو القيام ببحوث ودراسات أخرى.

- تقديم توصيات واقتراحات يمكن استثمارها في النهوض بالقصور وتأهيلها والاستفادة منها، وبالتالي تطوير قطاع الآثار كرافد اقتصادي وثقافي مهم.

- الإسهام بهذا الجهد(البحث) المتواضع في رفد المكتبة الأثرية والعلمية، ومحاولة سد ثغرة في هذه الناحية ومعالجة النقص الكبير في هذا الموضوع.

3. إشكالية البحث:

أن دارسة العمران الإسلامي بولاية بسكرة(إقليم الزاب)، تحتاج إلى عمل وجهد متواصل للباحثين المهتمين بالعمران الإسلامي الصحراوي على أمل توضيحه و دراسته، تحتوي ولاية بسكرة على العديد من الآثار التي تعود لفترات سابقة عكست التطورات التي عرفتها خلال الحقب التاريخية المتعاقبة، فدخلت مواد إنشائية و أنماط عمرانية جديدة تتناسب مع التغيرات التي شهدتها الولاية، غير أنه لم يبق من آثار الفترات السابقة إلا البعض على اعتبار أن إنسان المنطقة أقام مراكز عمرانية على الأنقاض والمخلفات السابقة، واستعمل المواد الإنشائية القديمة في البناء والتشييد، واستمرت العملية على هذا النهج لفترات طويلة، وبقيت لدينا مجموعة من المخلفات والمنشآت للقصر الصحراوي داخل الواحة تشكل نموذجا فريدا من نوعه تعاني من الإهمال وهجر السكان لها مما جعلها عرضة للاندثار والزوال ،لذا وجب علينا دارسة هذه البقايا وتتبع أصل نشأتها والمؤثرات التي أثرت فيها وتبيان قيمتها فحاولنا تحقيق ذلك من خلال تتبع تطور العمران الإسلامي بالولاية، كما سعينا جاهدين الإجابة على سؤال جوهري يمثل إشكالية البحث، هي الكشف عن مكونات هذه العمارة و كذا البحث في العلاقة الموجودة بين عمارة خنقة سيدي ناجي، و الفن المعماري الإسلامي وخاصة العثماني،(التأثر والتأثير) وكيف انعكس ذلك على العمارة والعمران بولاية بسكرة .

والبحث محاولة للإجابة على مجموعة من التساؤلات التي تؤلف في مجملها إشكالية البحث، وتتمثل هذه التساؤلات في:

- ماهية خصائص العمران الإسلامي وخاصة الصحراوي وكيف نشأ بالمنطقة؟
- دراسة المواد المختلفة المستخدمة في العمارة الصحراوية وخصائصها، وكيف يتم الحصول عليه وإعدادها.

- توضيح حدود التماثل والاختلاف في عمارة القصور الصحراوية من حيث مواد وأساليب البناء بين مختلف الجهات والمناطق بولاية بسكرة والأسباب الموضوعية التي أدت لذلك.
- رسم خريطة أثرية للمعالم العمرانية وتقديم صورة واضحة عن المسائل النظرية والعملية من خلال تبيان أصول العمران العتيق وأهميته، للعمران الإسلامي الصحراوي بولاية بسكرة العلمية والأثرية. ما المقصود بمصطلح الزاب ودلالته الجغرافية؟ وما هي العوامل التي ساهمت في نشأته وتعميره؟
- مدي تأثير الفاتحين العرب المسلمين على النمط العمراني في المنطقة؟
- مدى الترابط والانسجام بين المنطقة والسلطة العثمانية؟
- ماهية المكونات المعمارية والعمرانية وكذا العناصر الزخرفية المستعملة في عمارة الخنقة؟
- . كيف صمدت هذه المواقع والمعالم الأثرية، الظروف الطبيعية المحلية القاسية دون غيرها؟
- ما هي الأساليب المتبعة في البناء والإنشاء باستخدام هذه المواد؟ وما مدى وملاءمتها للمواد المستعملة واستجابتها لاحتياجات السكان؟
- كيف أثرت وتأثرت عمارة الخنقة بعمارة وعمران ولاية بسكرة؟
- ما هي المواد المختلفة المستخدمة في العمارة المحلية الصحراوية؟ وما هي خصائصها، وكيف يتم الحصول عليه وإعدادها؟
- مدي تأثر العمارة المحلية بالعمارة العثمانية والتونسية؟ كيف؟ ولماذا؟
- كيف استغل الانسان الخنقي الموارد المائية وطوعها لحاجاته الحياتية؟
- ماهي العناصر السكانية المكونة للمجتمع الخنقي؟

وللإجابة على هذه التساؤلات، ونظرا لاتساع الموضوع تم تحديد الإطار المكاني للبحث بمنطقة الزاب وبالتحديد ولاية بسكرة بالجزء الشرقي الشمالي من الصحراء الجزائرية، فقد كانت هذه المنطقة من أكثر مناطق الصحراء مأهولة بالسكان منذ القدم حيث تمثل همزة وصل بين الشمال والجنوب، كما تمثل همزة الوصل أيضا بين

الشرق والغرب باعتبارها نقطة تقاطع طرق القوافل وتتشكل منطقة الجنوب الشرقي للجزائر من أربعة أقاليم هي الزيبان، وادي ريغ، حوض ورقلة ووادي سوف. ويختلف تصنيف هذه الأقاليم عن التقسيم الإداري الحالي، لكن اعتبار الأقاليم المذكورة هو الأقرب إلى الواقع طبيعيا وبشريا وتاريخيا. ونلاحظ في كل من هذه المناطق انتشار شبكة من القصور القديمة والتي تعود لفترات مختلفة من الزمن لكنها تحمل طابعا عمرانيا متماثلا سواء في التخطيط واستغلال الفراغات أو في مواد وأساليب البناء. وفي محاولة للإلمام ببعض من هذه الجوانب تناولنا مثالا كنموذج للبحث، وتمت من خلال ذلك دراسة ما يتعلق حدود التماثل والاختلاف في العمارة وكذا بمواد البناء المستعملة والأساليب المتبعة، وعليه تم اختيار ولاية بسكرة وتحديدا خنقة سيدي ناجي كنموذج.

أما الإطار الزماني للبحث فيتحدد بالتطور التاريخي للقصور بولاية بسكرة نماذج الدراسة ويشمل بالخصوص الفترة التي تلي الفتوحات الإسلامية، وبالتحديد القرن السابع عشر ميلادي الموافق للقرن الحادي عشر هجري أي الفترة العثمانية حتى العصر الحديث، وهي الفترة التي شهدت تطورا عمرانيا كبيرا، مع التطرق كلما اقتضى الأمر إلى الفترة القديمة التي لا زالت بعض آثار عمارتها بادية للعيان.

4. منهج البحث:

وقد عولج موضوع البحث من خلال محورين رئيسين:

أولهما: خصص للدراسة النظرية التاريخية وتتضمن تاريخ الأثر، وتنطلق من الأثر نفسه كمصدر مادي في دراسة الخصائص المعمارية والفنية، واستنتاج الحقائق التاريخية .لمحة عن مناخ المناطق الصحراوية، وذلك لكي نستطيع دراسة ما يناسب البيئة الصحراوية من الأنماط العمرانية ومقارنتها ببعضها للوصول إلى نمط البناء الأمثل وقد أثبتنا فيه بالأدلة التاريخية والاثرية، أن منطقة بسكرة وخاصة الزاب الشرقي قد شهدت مراحل تاريخية زاخرة بالأحداث المهمة ساهمت في بلورت النشاط السياسي، خاصة منطقة سيدي ناجي إبان العهد العثماني، كما أن المنطقة تعد بحق منطقة مقدسة لما احتوته من قبور شهداء الفتح على رأسهم عقبة بن نافع الفهري، وأبو مهاجر دينار. كما أبرزنا الإسهامات والتأثيرات التونسية وكذا العثمانية، على عمارة الزاب عموما وعمارة خنقة سيدي ناجي خصوصا.

ثانيا: خصص للدراسة الميدانية أو العلمية، ونعني بها الدراسة التحليلية الوصفية للأثر نفسه من ناحية الشكل والموضوع ودراسة المعالم الأثرية معماريا وعمرانيا وأثريا، من خلال توضيح أنماطها ومميزاتها وعناصرها المعمارية والفنية الزخرفية وكذا مواد وأساليب البناء.

بالإضافة إلى ذلك فقد اهتممنا بالناحية الوظيفية، التي تأخذ في الاعتبار وظائف المبني والعناصر المعمارية التي تكونها، وجميع أنواع العناصر المعمارية الأخرى.

وقد اقتضت طبيعة الموضوع وما تم تحصيله من مادة خبرية هيكلة الدراسة إلى بابين رئيسين:

خصصنا الباب منها لولاية بسكرة دراسة عامة للمنطقة كمدخل تمهيدي للدراسة بالتطرق لمختلف الجوانب النظرية والمفاهيم المتعلقة بالموضوع وهي العمارة، الصحراء، العمران الإسلامي. ثم تطرقنا لعرض نظري للعمارة الصحراوية من خلال أنماطها وخصائصها بشكل عام، وكذلك نماذج لبعض القصور بالولاية وما تحتويه من عمارة مدنية ودينية.

خصصنا الباب الثاني لدراسة خاصة لبلدة سيدي ناجي محل الدراسة. حاولنا أن نرسم خلالها كلا من الإطار الطبيعي لمنطقة خنقة سيدي ناجي، من خلال تحديد الموقع الجغرافي للدراسة واستعراض المعطيات الطبيعية المتنوعة لها، والإطار التاريخي بالتطرق للأحداث التاريخية العامة التي مرت وأدت إلى صياغة هويتها الثقافية. ثم عرجنا على وصف عام لنموذج العمران الإسلامي بالمنطقة للتعرف على أهم السمات المعمارية والعمرانية التي تميز العمارة التقليدية بها.

ولتبسيط الدراسة، اعتمدنا على التنوع في مناهج البحث خاصة وأن مجاله يعرف بحيويته وتداخله مع مختلف العلوم ألا وهو علم الآثار. وقد اعتمدنا على التنوع والمزج بين المنهج الإخباري لسرد حقائق وأحداث تاريخية، والمنهج الوصفي الأثري لوصف العناصر المعمارية والزخرفية الموجودة في المعالم الأثرية المخصصة للدراسة. بالإضافة إلى **المنهج المقارن** لإبراز مدي التأثير والتأثر في الناحية المعمارية بين النماذج المدروسة وبعض النماذج من العمارة الإسلامية، بالإضافة إلى **المنهج التحليلي الإخباري** عن طريق تحليل المعطيات والنتائج المستخلصة. ومن أجل بلوغ الأهداف ا لمسطرة في البحث، وبالنظر لمقتضيات وطبيعة الموضوع فقد تم إتباع **المنهج الوصفي**

التحليلي منهجا عاما للدراسة، حيث تم التطرق لمختلف جوانب البحث بالوصف العلمي الممنهج مع محاولة البحث عن نواحي التنوع والاختلاف من خلال المقارنة بين النماذج المدروسة، بالإضافة إلى تقديم التفسيرات اللازمة كلما تتطلب الأمر ذلك. واستكمالا لمتطلبات المنهج المتبع فقد اعتمدنا في جمع المعلومات على الوسائل التالية:

- الملاحظة البسيطة المنظمة: فقد سمحت لنا الزيارات المتكررة إلى مختلف جهات المنطقة على التعرف عن كثب على مختلف النواحي المعمارية والعمرانية التي تمتاز بها، من خلال المعاينة الميدانية للبناءات أو آثارها، وكذا أخذ القياسات. فكثير من المعلومات سواء عن مواد البناء أو أساليبه قد جمعناها بهذه الطريقة. كما أمكننا الاطلاع عليها بصورة مباشرة من الربط بين الواقع وما حملته الوثائق والدراسات التي اطلعنا عليها والفهم الجيد لها.
- المقابلات مع السكان المحليين: حيث سمحت لنا بالتقرب أكثر من هم والاستفادة من أفكارهم ومعلوماتهم التي اعتمدنا عليها كثيرا في بعض الجوانب التي تهم الموضوع.
- الصور الفوتوغرافية: وهي تكمل الملاحظة وتدعمها، واستعمال هذه التقنية يساعد في تقريب الصور ة للقارئ، كما يساعد في عملية الملاحظة والتحليل والمقارنة.
- الوثائق المكتوبة المختلفة: وأهمها المصادر الرئيسية، وكذا بعض المراجع المتخصصة والمجلات والأطروحات. إلى جانب المخططات والجداول التقنية التي تحصلنا عليها من بعض الهيئات المختصة.

5. الدراسة التحليلية لاهم المصادر والمراجع:

- **ففي الجانب التاريخي:**

اعتمدنا في بحثنا على مجموعة كبيرة من المصادر العربية، الجغرافية والتاريخية وجعلنا منها مصدر أساسي للبحث في جزئه النظري، وقد زودتنا بأسماء مراكز التجمعات السكانية بولاية بسكرة (إقليم الزاب) أنواعها وتركيبها العمراني وخصائص مواقها، ومن أبرزها نجد:

- **فتوح مصر والمغرب** ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن عبد الله، (ت257 ه) تحقيق: عبد المنعم عامر ج1 الهيئة، العامة لقصور الثقافة، القاهرة، دون سنة نشر سجل لنا بإسهاب عديد الأحداث التاريخية التي شهدها الزاب، خصوصا سير عمليات الفتح الإسلامي على يد عقبة بن نافع، وأبو المهاجر دينار، وحسان بن النعمان، وتكمن مواطن ضعف هذا الكتاب أنه زودنا بوصف مختصر لعمران المنطقة مع بداية الفتح، دون أن يفصل في أسماء المدن والقرى وسماتها العمرانية.
- **سلوك المالك في تدبير الممالك** ابن أبي الربيع شهاب الدين أحمد بن محمد، (ت 272ه). تحقيق: عارف أحمد عبد الغني، دار كنان، دمشق، ط1 1996 تكمن أهمية هذا الكتاب في أنه من أوائل الكتب العربية التي تتحدث عن الفكر العمراني الإسلامي وتصور العرب، بدءا من الفرد وانتهاء بالرئيس، والمسلمين قيام الدولة وأركانها فهو كتاب نادر في موضوعه، اعتمدناه في توضيح ما يجب مراعاته في بناء المدن، مثل شروط اختيار مواقعها، كما بين نقاط أساسية يجب الأخذ بها عند تخطيط مواضعها، ووضح لنا السبل التي يحقق بها الإنسان أمنه ويحمي بها خيارته
- **المسالك والممالك** -ابن خرداذبة أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله، (ت حوالي272 ه). تقديم: محمد مخزوم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.1988، يعطينا تفصيلا عن تسمية الز اب في العربية وغير ها من اللغات مثل الفارسية وأقسامه وخصائصه الجغرافية والعمرانية، وطرقه ومسالكه وخيارته.
- **البلدان**-اليعقوبي أبو العباس أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح (ت4 28 ه)، تحقيق: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002. تناول هذا المصدر القيم موقع إقليم الزاب وحدوده، وأهم مدنه، وتركيبتها العمرانية والاجتماعية، وخصائصها الاقتصادية.
- **صورة الارض**. النصيبي. القاسم محمد بن علي الموصلي الحوقلي البغدادي (ت367 ه)، ،1ج، 2ط، دار صادر، بيروت، دون سنة نشر. قدم لنا الأقاليم والبلدان والمسافة بينها، وطبائع الشعوب ونوادر الناس و غرائبهم، ووصف لنا صورة الأرض ومقدارها في الطول والعرض، وزودنا بوصف جغرافي وعمراني لإقليم الزاب:

أحواله الجوية، وأماكن وجود الماء سواء التي كانت في الطرق أو في داخل المدن، وسواء كانت أنهار أو عيون ابار والمدن والقرى والحصون، والطرق، والجبال، وموقع البساتين، أو والآثار التاريخية القديمة.

- . **تاريخ إفريقية والمغرب** -الرقيق القيرواني أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق النديم، (ت 425هـ) تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني. للنشر والتوزيع، القاهرة ،1994 يعتبر هذا المصدر مهم لما حواه من معلومات عن الفتح الإسلامي لإقليم الزاب وعصر الولاة، وأهم المدن في هذه الفترة، ورغم حرص الرقيق القيرواني على تسجيل وتدوين أنه ورد في كتابه تواريخ بعض الأحداث مخالف لما ذكرته المصادر إلا، الأحداث التاريخية التي سبقته.

- .**المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب:** البكري أبي عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمر الوائلي الأندلسي، (ت 487 هـ) ، وهو جزء من كتاب "المسالك والممالك". تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت،2003م، وهو من أغنى المصادر الجغرافية التي اهتمت بالوصف ألفه حوالي 1078هـ/460 الدقيق للمدن دون إغفال تاريخها وخصائصها وظروفها الاقتصادية والاجتماعية، أفادنا في تقديم مدن الزاب وطرقها ومسالكها وتخطيطها العمراني ومحاصيلها وخيارتها ومواردها، وعلى الرغم مما عرف عن البكري من الدقة في نقل الخبر أنه لم يمدنا ببيانات مضبوطة عن إلا الموضع الذي دفن فيه عقبة بن نافع عقب استشهاده في تهودة، كما أنه افتقد إلى التأريخ الدقيق لتأسيس المعالم العمرانية خاصة المساجد والأسوار ومواد وتقنيات بنائها.

- **كتاب الاستبصار في عجائب الامصار**. مؤلف مجهول، (توفي في القرن السادس الهجري)، تحقيق: سعد زغلول عبد. الحميد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985ووصف أغلب مدن الزاب معتمدا على ما قدمه البكري مع، زودنا بمادة جغرافية أثرية بعض الإضافات خصوصا التفريق بين المدن الأزلية والقديمة والمحدثة، كما أفادنا في تدوين بعض الأحداث التاريخية مثل الفتح الإسلامي للازب، وحدد لنا حدود هذا الإقليم وميزاته الجغرافية وعلاقته بالمسالك التجارية.

- **القسمة وأصول الارضين**. أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر الفرسطائي النفوسي، (ت محمد تحقيق: بكير بن محمد الشيخ بلحاج و صالح ناصر، المطبعة العربية، غرداية، 1997 اعتمدناه كونه مصدر فريد من مصادر فقه العمارة الإسلامية، يعالج مسائل فقهية بشكل مفصل، ويحدد حقوق الناس وواجباتهم نحو بعضهم في المجالين الريفي والحضري من وجهة نظر الشريعة الإسلامية، وهو غني بالمعلومات والبيانات عن القصور الصحراوية من تخطيط الشوارع وبناء المنازل والبيوت والأسوار والخنادق ، احترام الساحات وحفر الآبار ، وحقوق الأشجار والنخيل والسواقي والشوارع والطرق المؤدية إليها. من سلبيات هذا المصدر لاحظنا في كلام، في مسميات الطريق كبير لمؤلف خلطا فنجده مرة يذكر السكة والشارع ثم الطريق، في آن واحد، وتارة أخرى يذكر الزقاق الأزقة النافذة أو غير النافذة وهكذا يسود هذا الاضطراب والخلط في جميع كتابه، الشيء الذي صعب مهمتنا في بحث الجوانب العمرانية.
- **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**-الإدريسي الشريف أبو عبيد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحمودي الحسني، (ت ه560)، مكتبة الثقافة. الدينية، مصر، دون تاريخ نشر. يعتبر الإدريسي من أشهر الجغرافيين بسبب تأليفه لهذا الكتاب الذي خلص من كتابته ه، جمع فيه معلومات تاريخية وجغرافية وعمرانية عن عديد المدن والحصون في 548سنة دون أن ينسى ضبط أسماء مدن إقليم الزاب وخصائصها والمسافات، مختلف نواحي الأرض بينها وبين المدن والأقاليم المجاورة لها، وعرفنا بظهيرها الاقتصادي.
- **معجم البلدان** -ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبد الله بن عبد الله الرومي البغدادي، (ت626 ه)، الأجزاء: الأول والثالث والسادس، تحقيق: محمد أمين الخانجي، دار صادر، بيروت،1977 ل يعتبر من أوسع وأكبر المعاجم الجغرافية العربية، زودنا بمعلومات كثيرة عن إقليم الزاب، من نواحي متعددة جغرافية ولغوية وأدبية وتاريخية، بالإضافة إلى ذكر المذاهب والعلماء واستخدمنا بشكل كبير الأجزاء الأول والثالث والاربع لصلتها الكبيرة بمدن بحثنا,

- **الروض المعطار في خبر الأقطار**-اميري أبو عبد الله محمد عبد المنعم الحميري (ت 710 ه)، تحقيق ،إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، 1984قدم وصفا دقيقا لموقع إقليم الزاب وخصائصه الجغرافية ومراكزه العمرانية ونشاطاته الاقتصادية ومسالكه التجارية
- **تقويم البلدان** -أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد، (ت732 ه)، تحقيق: رينود وماك كوكين ديسلان دار صادر بيروت، ودون سنة نشر، يعد هذا الكتاب نوعا من كتب الأزياج الموسعة التي قدمت جداول مقسمة حسب الأقاليم قدم لنا مادة، تصف أهم الظواهر الجغرافية وبالخصوص المدن وتحدد أطوالها وعروضها علمية قيمة حول مصطلح الزاب من ناحية التسمية والموقع والخصائص الجغرافية والعمرانية.
- **افاضة قداح الآداب و فيض العباب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب**- ابن الحاج النميري أبو القاسم إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم، (ت768ه) تحقيق: محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1990، وهو كتاب خصصه مؤلفه لوصف رحلة السلطان المريني أبي عنان فارس إلى تونس، برسم إعادة توحيد المغرب الإسلامي تحت راية واحدة على خطى والده أبي الحسن علي بن عثمان، واحتوت الرحلة معلومات في غاية الدقة عن أهم قصور الزاب وخصائص مواقعها الجغرافية وسماتها العمرانية وأهميتها الاقتصادية والأضرار التي لحقت بها جراء الحملة العسكرية المرينية وعكست لنا مدى تراجع منحنى العمران بالمنطقة.
- **كتاب العبرودیوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربرومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر.** ابن خلدون عبد الرحمن ابن محمد أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي، 15(ت 8ه) الجزأين الأول والسابع، دار ابن حزم، بيروت، 2003، يعتبر سجل لتاريخ الزاب وأحداثه السياسية وحروبه، والذي يعد مصدرا مهما بالنسبة للمنطقة، فقد عاش فيها أي منطقة الزاب وألف جزءا من مقدمته فهو يعطينا صورة واضحة على الفترة الزيرية وكذا الهجرات الهلالية التي مرت بالمنطقة، وظفنا بشكل كبير الجزء الأول منه ؛ لتعريف العمران وأنواعه وأحكام بناء المدن وشروط إختطاطها، "المقدمة "المعروف بالإضافة إلى الجزء السادس الذي حددنا

من خلاله الإطار الجغرافي للازب وأهم أقسامه ومدنه و قصوره وقراه، في حين زودنا الجزء السابع بمعلومات عن فتح الزاب وتوزيع القبائل ان المنطقة والأقاليم المجاورة لها مثل وادي ريغ. وواقع عمر، ها به انتشار وشروط اختيار مواقعها، كما بين نقاط أساسية يجب الأخذ بها عند تخطيط مواضعها، ووضح لنا السبل التي يحقق بها الإنسان أمنه ويحمي بها خيارته.

- **بدائع السلك في طبائع الملك** -ابن الأزرق أبو عبد الله محمد الأندلسي (ت896 ه) ، تحقيق: محمد عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، دون مكان نشر، 1977 اعتمدناه في تبيان الفكر العمراني الإسلامي وشروط اختيار مواقع المدن تخطي مواضعها.
- **"معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان".** وأبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ كذلك الاستعانة بكتب النوازل للإجابة عن بعض هذه التساؤلات، كنوازل (الونشريسي) و(البرزلي) و(ابن سحنون) صاحب المدونة،
- **وصف إفريقيا الجزأين الأول والثاني**-الوازن أبو علي الحسن بن محمد الفاسي الزياني المعروف بالأسد الإفريقي، (ت944ه)، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، دون سنة نشر. من أهم كتب الجغرافيا التي وفرت تدقيقات جغرافية حول بلاد المغرب الإسلامي عامة ومناخه وخصائص شعوبه وأخلاقهم، قدم لنا الكتاب معلومات هامة حول موقع إقليم الزاب وخصائصه المناخية وأزلية مدنه كل واحدة على حدي مثل بسكرة، الدوسن، طولقة، والبرج.
- **ماء الموائد المشهور بالرحلة العياشية**- أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي المغربي المالكي، (ت1090 ه) ، تحقيق: سعيد الفاضلي ، الإمار ات العربية المتحدة ، دار السويدي للنشر والتوزيع ، سليمان القرشي .2006 و يعتبر هذا المصدر ديوان علم وأدب وسجل تاريخ وكتاب أخبار وآثار، زودنا بمعلومات هامة عن الصحراء ومسالكها ومدنها وقراها وقلاعها وأسواقها ومساجدها ومناخها وآبارها ووديانها وسباخها، وعرف بإقليم الزاب خلال سيطرة الأتراك وما رافقه من تخريب عمران المنطقة ، كما وصف المصدر بعض مساجد

وأضرحة ومدارس بسكر ة ، و بين اجحاف في خراج ارضيه الخصبة ومحاصيله الزراعية المتنوعة، ووضح الطرق و الاربطة بين مدنه، وقدم ترجمة بعض الأعلام والعلماء والأولياء الصالحين. اما من سلبياته لهذا الكتاب إلا ورغم الإيجابيات الكثير ة أنه لم يذكر الأقسام المعمارية المكونة لمدارس الزاب خاصة مدرستي سيدي خالد وأولاد جلال، كما لم يزودنا بقياسات دقيقة فيما يتعلق بمسجد سيدي عقبة بن نافع.. فقد اعتمدنا على الرحالة الورتلاني الذي مر بالمنطقة وذكرها بإسهاب مقارنة ببقية المصادر، وقد أعطتنا صورة عن الحياة الثقافية وحتى الاجتماعية للمنطقة.

وفضلا عن هذه المصادر، حاولت بعض المصادر الجزائرية رفع الغبار عن معالم المنطقة حيث استفدنا من بعض المراجع والدارسات والأبحاث الحديثة التي خدمت الموضوع نذكر منها:

- **أبحاث ودارسات في تاريخ وآثار المغرب الإسلامي وحضارته** الأستاذ الدكتور بن قربة صالح يوسف. دار الهدى، عين مليلة، 2011 م تناول مواضيع وقضايا متنوعة عن المظاهر الحضارية لبلاد المغرب الإسلامي، وقد استفدنا كثيرا من الفصل الأول للباب الأول حول آثار عقبة بن نافع في المغرب الأوسط (الضريح والمسجد) وما احتواه من دارسة وصفية تحليلية لقبر ومسجد عقبة بن نافع من وجهة نظر تاريخية وأثرية، إضافة إلى الفصلين الثالث والاربع من الباب الثالث اللذان من خلال مصادره استه ومظاهر اشكاليه العمران الصحراوي و خصصهما للحديث عن العمران الإسلامي المغربي خصوصا كتاب القسمة وأصول الأرضين لمؤلفه أبو العباس أحمد بن محمد الفرسطائي، ويحوي الكتاب على مجموعة من المخططات التي تخدم موضوعنا مثل مخطط مسجد سيدي عقبة وأشكال بعض القصور الصحراوية. تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الإسلامي "دارسة. تاريخية وأثرية"، منشورات الحضارة، الجزائر،2009 حول مظاهر ازدهار الحياة الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية،زودنا بمعلومات خلال العصر الحمادي، مثل الهجرات العربية الهلالية لإقليم الزاب ونتائجها وأهم الثورات والتحولات الاقتصادية والعمرانية التي رافقتها. والاستاذ رشيد بورويبة الذي أشار في دراساته الأثرية لجامع عقبة بن نافع وكذا الأستاذ محمد عقاب في دراسته لباب طبنة التذكاري.

- **اما بالنسبة للمراجع والدراسات الأثرية:**

فقد اعتمدت علي مجموعة من الدراسات والأبحاث الاجنبية، أهمها الدراسات الفرنسية (G.Marçais) في كتابه(L'architecture Musulman d'occident, ed Art et Métiers graphique, paris, 1954.) , إضافة لكتابه L'art de l'Islam, Presse universitaire de France, Paris ,1962 و أعمال (استيقان جزال) في الأطلس الأثري، وكذا التحريات الأثرية الميدانية التي تمت على يد البعثات العلمية والعسكرية الفرنسية خلال القرن 19م والنصف الأول من القرن20م في كل من الجزائر وتونس وتتمثل في الدراسات التي قدمها كل من (جون باراداز) الذي ربط دراسته بموضوع الري في المناطق الشبه صحراوية-بما فيها الزاب- بالليمس الروماني ودراسة (جون بيربونت) حول الري الروماني بالشرق الجزائري ودراسة سولينياك التي خصصها لدراسة المنشآت المائية في الفترة الإسلامية و(w. Marçais) و (Gustaf. Mercier) في المجلة الإفريقية و (H. Simon) في المجلة الأثرية لقسنطينة هذه الدراسات التي اهتمت بمسجد عقبة بن نافع بشكل كبير بالإضافة (Gauvet, - Commandant), Les Marabouts ,Petits monuments funéraires et natifs du nord de l'Afrique. Revue Africaine,N°64, Année 1923.

أما الرسائل الجامعية التي اهتمت بالمنطقة أهما أطروحة دكتوراه الدرجة الثالثة في الآثار الإسلامية قدمها عبد العزيز شهبي تحت عنوان "مساجد الزاب ووادي ريغ" وتعد بحق أولي المحاولات الجادة التي حاولت نفض الغبار عن المعالم الأثرية الإسلامية في منطقة وادي ريغ والزاب. أما خنقة سيدي ناجي فلم نجدها تذكر في هذه الدراسات.

- **المراجع التاريخية:**

اعتمدنا فيما يخص الجزء الخاص بخنقة سيدي ناجي على دراسة منشورة للأستاذة كريمة بن حسين حول خنقة سيدي ناجي إبان العهد العثماني في المجلة المغاربية، بالإضافة إلى كتاب

"kitab Aàyane el maghariba " (أعيان المغاربة) من تأليف "(Marthe.et Edmond Gouvion) والذي يؤرخ للأسر الكبيرة في الجزائر، والتي كانت لها مكانة كبيرة، الصادر 1920م. كما اطلعنا على مجموعة من المقالات والأطروحات والرسائل بلغات مختلفة نذكر منها:

-عمارة علاوة. الهجرة الهلالية وأثرها في تغيير البنية الاجتماعية لبلاد الزاب.

ALKAM A Djamel: la Patrimoine ksourien, la ville et le Désert Mémoire et Trace – le Bas Sahara " Algérien, éditions karthala et ireman, 2005". حيث احتوى البحث على دارسة تحليلية للنسيج العمراني لبعض القصور الصحراوية و الزابية مثل قصري شتمة وخنقة سيدي ناجي. إضافة الى بعض المقالات الأثرية التي وردت في المجلة الإفريقية نذكر منها بالخصوص الدراسة التي قدمها كل من القائد الفرنسي (توشار) و(طورسي)حول أهم المنشات المائية في واحة كل من الخنقة وليانة و بادس ودراسة السيدة (الكي) لواد العرب الخ ومقال لـ (Gustave. Mercier) في المجلة الأثرية لقسنطينة 1915تحت عنوان : Khanguet sidi Nadji, " quelques inscriptions arabes inédites". والجدير بالذكر أن هذه المراجع اعتمدت على مصدر واحد للتأريخ للبلدة وأسرة سيدي المبارك، وهو الكناش العائلي وهو ملك لأسرة بن حسين ورغم محاولتنا الاطلاع عليه إلا أننا لم نتمكن من ذلك.

أما ميدانيا فقد استعنا أثناء تتبعنا لمواقع بقايا المنشآت المائية، على السكان المحليين والذين أفادونا كثيرا في تتبع مختلف مواقع منشآت الري بخنقة سيدي ناجي.

- **الخطـة:**

وقد قسمت البحث الى مقدمة وبابين وتسعة فصول وخاتمة وثبت للمصادر والمراجع وفهارس للأعلام والامكنة وملحق للخرائط والصور والاشكال الموضحة للمتن:

مقدمة: عرفنا من خلالها موضوع البحث وأهميته ودوافع اختياره وأهدافه واهم الإشكاليات المتعلقة به مع تبيان منهجية الدراسة واهم المصادر والمراجع المعتمدة.

الباب الأول: معنون **بمظاهر العمران الإسلامي بولاية بسكرة** خصصناه لدراسة عامة نظرية وتطبيقية لبعض بلدات الولاية الشرقية والغربية ويتألف من تمهيد وأربعة فصول.

الفصل الأول: عبارة عن مدخل عام يشتمل على الإطارين الجغرافي والتاريخي لولاية بسكرة مع إعطاء لمحة عن العمارة الصحراوية وتاريخ نشأة العمارة الإسلامية في بلاد المغرب الإسلامي واهم مصادر دراستها وأنماطها.

الفصل الثاني: الموسوم بنشأة العمران الإسلامي بولاية بسكرة: تناولنا فيه نبذة تاريخية مختصرة عن مراحل تطور العمران الحضر. بشكل عام ودراسة المنهج الإسلامي وأثره على العمران من حيث القيم العقائدية والسياسية والاجتماعية .... الخ. كما تطرقنا الى الاتجاهات التخطيطية المستقاة من تخطيط المدينة العربية الإسلامية. وحاولنا في هذا الفصل تتبع مظاهر العمران الإسلامي بولاية بسكرة والعوامل المؤثرة على عليه وكذا معرفة العمارة الصحراوية وأنماطها من حيث الشكل ومن حيث الوظيفة وكذا خصائصها.

الفصل الثالث الموسوم بالعمران الإسلامي بالمنطقة الشرقية لولاية بسكرة: تناولنا فيه نماذج من العمران الإسلامي في الجهة الشرقية من ولاية بسكرة، وتحديدا بلدة سيدي عقبة بلدة لقصر وبلدة بادس وذلك بالتطرق لنشأة وتأسيس هذه البلدات(القصور)، والمظاهر العمرانية الدينية والمدنية الموجودة بها.

اما الفصل الرابع المعنون بالعمران الإسلامي بالمنطقة الغربية لولاية بسكرة: تناولنا فيه نماذج من العمران الإسلامي في الجهة الغربية . وتحديدا بلدات سيدي خالد، أولاد جلال، طولقة و ليشانة وذلك بالتطرق لنشأة وتأسيس هذه البلدات (القصور) والمظاهر الدينية والمدنية الموجودة بها.

تناولنا في الباب الثاني: الدراسة التطبيقية لعمران خنقة سيدي ناجي يحتوي على تمهيد ومدخل عام تاريخي وجغرافي حول بلدة خنقة سيدي ناجي، وهي نظرة مختصرة عن جغرافيتها وتاريخها وقد وزعنا المادة العلمية على خمسة فصول.

مدخل تاريخي وجغرافي تم التطرق فيه للظروف التاريخية والسياسية التي كانت وراء تأسيس وظهور خنقة سيدي ناجي. أما الجانب الجغرافي فتم التطرق فيه لجغرافية المنطقة والخصائص المناخية التي تميزها.

الفصل الخامس تحت عنوان **عمارة خنقة سيدي ناجي الدينية:** تطرقنا فيه للدراسة الوصفية المعمارية والزخرفية الموجودة في القصر. وركزنا على مسجد سيدي المبارك والأضرحة الموجودة بداخله بالإضافة للمدرسة الناصرية التي لعبت دورا كبيرا في المنطقة والشرق الجزائري، وحتى التراب التونسي دراسة أنماط الاضرحة والمقابر الموجودة بالبلدة.

الفصل السادس: تحت عنوان **العمارة المدنية بالخنقة** تطرقنا فيه للدراسة الوصفية المعمارية والزخرفية للمعالم المدنية، وركزنا على الخطط السكنية بالقصر وتوزيعها على مختلف التكوينات بالمنزل الخنقي. ودرسنا كنموذج السرايا او منزل آسرة بن حسين ومنزل سيدي عبد الحفيظ الخنقي وكذا الساحات والشوارع المكونة للقصر.

الفصل السابع: تحت عنوان **المنظومة المائية** خصصنا هذا الفصل لدراسة مصادر المياه المعتمدة في الزاب الشرقي من أمطار وآبار وعيون وأودية، وتناولنا فيه الإجابة عن أصل هذه المنشآت. ثم تناولنا بالدراسة للمنشاة المائية في خنقة سيدس ناجي، والذي سيتم فيه الوقوف على مصادر وموارد استغلال المياه بهذه المنطقة، وطرق الاستفادة منها واهم التقنيات المستخدمة لحل مشكل النقص والفيضان والتبخر المائي وعمق مياه الطبقة الجوفية للمنطقة.

الفصل الثامن: مواد الإنشاء وأساليب البناء تناولنا مواد البناء المستعملة في العمارة ا لتقليدية الصحراوية. وهي مواد طبيعية بسيطة متوفرة بالمنطقة ولا تخرج في مجملها عن الطين والحجر والخشب. وتطرقنا إلى خصائص كل مادة وطرق استعمالها وأهم الاستخدامات التي تدخل فيها والأساليب المتنوعة التي اتبعها سكان المنطقة في تشييد مبانيهم. وذلك من خلال التقنيات والطرق المتبعة في مختلف العناصر الإنشائية والمعمارية كالجدران، التسقيف، الفتحات العقود وغيرها من العناصر. وهي أساليب تكونت من خلال خبرة أجيال من البنائين. وخاضعة بشكل أساسي لظروف البيئة والإمكانيات المتاحة لاستخدام مواد البناء المحلية المتوفرة.

الفصل التاسع: المجتمع الخنقي تناولنا فيه مكونات المجتمع الأساسية واهم الأنشطة والحرف التي كان الإنسان الخنقي يزاولها ودورها الاقتصادي والحركة التجارية خاصة وان المنطقة كانت تشهد حركية تجارية كبيرة بين الجهة الشرقية للجزائر وتونس باعتبارها ممر قوافل الحجيج

ختمنا بحثنا بحصيلة من النتائج المتوصل إليها من خلال الدراسة النظرية والتطبيقية للموضوع وقد خرجنا من هذه الدراسة بنتائج علمية نرجو ان تكون لبنة في العمارة والعمران الصحراوي

جزء خاص بالأشكال والخرائط والصور: لاستكمال الدراسة وتوضيح وتوثيق الموضوع لجأنا لاستخدام جملة من الملاحق المتمثلة الأشكال والخرائط والصور ومجموعة من المعطيات والإحصائيات والبيانات ثم ختمنا البحث بخاتمة ضمناها خلاصة النتائج التي تحصلنا عليها خلال الدراسة، وأردفناها ببعض التوصيات والمقترحات التي نعتقد أنها جديرة بالاهتمام من أجل النهوض بهذا الجانب من تراثنا والاستفادة منه بأوجه عديدة.

وكما لا يخلو عمل من الصعوبات والعوائق، فقد واجهتنا خلال إعداد البحث جملة من العقبات. ولعل أهمها ما يرتبط دائما بمثل هذه الموضوعات، وهو قلة المراجع الأكاديمية. فالمراجع القليلة تتناول مواد وأساليب البناء بالإيجاز الشديد وهي إما مراجع تاريخية أو غير متخصصة في الموضوع، مما جعلنا نستعين كثيرا بالمعاينة الميدانية والمقابلات التي أجريناها مع السكان لجمع المعلومات. ومن النتائج المباشرة لهذا العائق مشكلة التأريخ من أجل تتبع تطور نشأة العمران الإسلامي بالمنطقة. ومن الصعوبات التي اعترضتنا كذلك ما تعرضت له القصور من تغير طابعها الأصيل سواء بسبب الدمار الذي خلفه الإهمال. أو بسبب إدخال مواد وأساليب البناء الغريبة عليها. مما جعل البحث عن العينات الأصيلة أحيانا صعب المنال. بالإضافة لكل هذا، هناك صعوبة التوفيق بين سعة الموضوع.

وقبل انهاء هذا الملخص لا يسعني الا ان أتقدم بالشكر والتقدير لأعضاء للجنة المناقشة والمشرف على ما بذلوه من وقت في قراءة هذا العمل المتواضع. كما لا يفوتني ان أتقدم كذلك بالشكر الجزيل الى كل من قدم لي يد

المساعدة من قريب او بعيد واخص بالذكر أساتذة معهد الاثار بجامعة الجزائر" 2" ومركز الأرشيف بقسنطينة والمعهد الوطني لعلوم الاثار للتراث بالمملكة المغربية.

البــاب الاول

الدراسة النظرية (ولاية بسكرة)

الفصــل الاول:

مدخل عام

(تاريخي وجغرافي حول ولاية بسكرة)

- تمهيد

أولا: الإطار الجغرافي.

1. الموقع الفلكي

2 - الموقع الجغرافي

3 - المناخ

4. الإطار الطبيعي والجيولوجي

ثانيا: الإطار التاريخي.

1. منطقة بسكرة في فترة ما قبل التاريخ والتاريخ القديم.
2. منطقة بسكرة في العصر الاسلامي.

ثالثا: المظاهر الاقتصادية

رابعا: الفتح الإسلامي لبلاد المغرب.

خامسا: مصطلح الزاب ومدلوله الجغرافي.

1. الزاب لغة.
2. الزاب اصطلاحا.

سادسا: دور القبائل العربية في المنطقة.

- خلاصة.

- **تمهيد**

يعد الطراز المعماري والعمراني ميزة من مميزات المجتمعات الإنسانية ونتاجا للتفكير لديها ينم عن عادات وتقاليد ومبادئ تلك المجتمعات فمن عاداتهم وحاجياتهم ومتطلباتهم وإمكانياتهم المادية والاقتصادية تنبثق الطرز المعمارية والعمرانية الخاصة بهم. لقد أثرت الظروف التاريخية المتعاقبة التي مر بها العالم الإسلامي منذ تأسيس الدولة على يد الرسول ص إلى غاية تراجعها وانحسارها وضياع بعض أقاليمها مؤقتا أو بصفة دائمة كما هو الحال في الأندلس على الإنتاج العمراني والمعماري خاصة وعلى الفنون عامة ومثلت المدن الإسلامية التي بناها المسلمون صورة صادقة للحضارة الإسلامية من بخاري و سمرقند في شرق العالم الإسلامي إلى فاس ومراكش من غرب العالم الإسلامي حيث اختار المسلمون المواقع المميزة و أضافوا إليها فنونهم المختلفة والمتعددة في شتي المجالات حيث تميزت هذه المدن باتجاهات تخطيطية وعمرانية كانت وليدة احتياجات وظروف سكانها ولم يكن حينها علم التخطيط معروف بمفاهيمه ونظرياته المعاصرة ومن بين الحضارات المعمارية الكبرى تبدو العمارة الإسلامية أكثر تميزا وبالمقارنة مع حضارات أخرى كحضارة الفراعنة واليونان والرومان نجد عمارة الفراعنة في أهرامها ومعابدها عمارة متجهة نحو السماء في حين اهتم اليونان بالجسم الإنساني الذي كان موضوعا رئيسا في عمارتهم أما بالنسبة للعمارة الرومانية فكانت عمارة مباني ذات طبيعة اجتماعية مدنية تهتم بالشأن الدنيوي اليومي واستفادت الحضارة الإسلامية من ثمرات الحضارات التي سبقتها دون أن يؤثر ذلك في أساسيات الفقه المعماري لهذه المدن عرف العالم الإسلامي ابتداء من القرن الثاني إلى الرابع الهجري تطورا عمرانيا كبيرا ويعد تأسيس المدن أبرز سماته وقد أصبح بعضها يمثل أكبر مدن العالم[1].

[1] ألح الباحثون الغربيون الذين درسوا المدينة الأوروبية في العصور الوسطى كثيرا على القوة الخلاقة لمدن الغرب دون أن يهتموا بدور المدن في الحضارات الأخرى بينما تفطن ف.برودال (F.Broudel)إلى غياب اهتمام المؤرخين والباحثين الأوروبيين بالمدن الأخرى التي وجدت في الحضارة الإنسانية خلال العصور الوسطى، وأشار إلى أن الباحثين الأوروبيين قد بالغوا في وصف قوة الإبداع لمدن الغرب مع سوء تقييمهم لمدن أخرى غير أوروبية انظر :
Annales,ESC,N4,1970,p829

وقيل إن المجتمع الإسلامي هو مجتمع مدن[1]،كما يلاحظ أن التطور العمراني للعالم الإسلامي، قد حدث خلال فترة ازدهار الحضارة الإسلامية واعتمد أساسا على الازدهار الاقتصادي الذي يكاد ينحصر في تلك الفترة على النشاط التجاري وهو النشاط الذي يكمن وراء تطور المدن وانتشار شبكة المسالك التجارية البرية والبحرية معا[2].وفي هذا الصدد أشار ابن خلدون إلى العلاقة بين العمران والازدهار الاقتصادي حيث قال "ومتى عظم الدخل والخرج اتسعت أحوال الساكن ووسع المصر"[3].وكان للمدن المغربية دور بارز في المبادلات التجارية بينها وبين بلاد السودان، بسبب ارتباطها بشبكة من المسالك التجارية ببلاد السودان. فكانت القيروان بداية الانطلاق، و سجلماسة بوابة بلاد السودان في المغرب.

تحتوي ولاية بسكرة على ارث تاريخي واثري يتمثل في القرى والحواضر والقصور التي شكلت الرصيد الثقافي للمنطقة وهي تعد مصدرا مهما لمعرفة تطور العمران الإسلامي من خلال التمازج الذي حصل بين البيئة والإنسان مما ولد عمارة محلية خاص بالمنطقة لها مميزاتها العمرانية والمعمارية أثرت علي البيئة الاجتماعية للإنسان البسكري ودراسة حدود ومجالات التأثر والتأثير بين العمارة المحلية والخارجية وسنحاول في هذا الباب تحديد العديد من المفاهيم والمصطلحات التي لها علاقة بالبحث وتتبع مراحل ظهور العمران الإسلامي بالولاية اعتمادا علي المصادر المتوفرة ودراسة بعض النماذج العمرانية بالمنطقة سواء بالجهة الشرقية أو الغربية أو الشمالية أو الجنوبية للولاية .

أولا: الإطار الجغرافي. (الخريطة 01)

تتميز مدينة بسكرة بموقعها الجغرافي الممتاز والهام، فهي تعد حلقة وصل بين التل والصحراء، وأكثر تحديدا

[1] الحبيب الجنماني: **المغرب الإسلامي، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في القرنين (3و4هـ الموافق ل 9م و10م)**، الدار التونسية للنشر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1978، ص14.

[2] الحبيب الجنماني :المرجع السابق: ص14.

[3] ابن خلدون عبد الرحمان: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج2، المقدمة دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1992، ص219.

بين الجنوب الشرقي الصحراوي، والشمال الشرقي التلى للقطري الجزائري[1].تمتد بمحاذاة الحدود الجزائرية التونسية شرقا وجبال الأوراس في الشمال، التي تعتبر حاجزا طبيعيا يفصلها عن التل، أما القسم الجنوبي فتغطيه الكثبان الرملية المتقطعة بشط ملغيغ وواحات واد سوف، ووادي ريغ. بذلك تأخذ مكانا لا يستهان به في السفوح الأوراسية الجنوبية، كما تتمتع المنطقة بشتاء معتدل، حيث لا يقل معدل الحرارة في شهر جانفي عن 11درجةمئوية أثناء النهار، غير أن صيفها شديد الحرارة حيث تزيد أثناء النهار في كثير من الأحيان عن 35 درجة مئوية. مناخها جاف خال من الرطوبة لا سيما في فصل الصيف[2]، أما الأمطار فهي قليلة وغير منتظمة وغالبا ما يقل معدلها عن 200 ملم سنويا.

1. الموقع الفلكي: (لوحة 1، صورة ا):

تقع مدينة بسكرة على خط طول 42°و5 دقائق شرقي غرينيتش وخط عرض 27° و39 دقيقة شمالا[3].وذلك على خط طول 5 درجات شرق خط غرينتش ودائرة عرض 34.5 درجة شمالا.

2.الحدود الجغرافية لولاية بسكرة: (خريطة2)

يقع المجال الولائي لبسكرة جنوب الشمال الشرقي الجزائري، يحده من الشمال ولاية باتنة ومن الشمال الشرقي ولاية خنشلة ومن الجنوب ولاية الوادي ومن الغرب والجنوب الغربي ولاية الجلفة ومن الشمال الغربي ولاية المسيلة. وتتربع بسكرة على مساحة إجمالية تقدر بـ 80.21671 كلم^2.

[1] Jean. **despoi:(la bordure saharienne de l'Algérie orientale)** Revue Afriquane1942 p197l

انظر أيضا :دائرة المعارف الإسلامية ص ص 637/636 " بسكرة واحة ومدينة جنوبي الجزائر في إقليم قسنطينة، وهي على خط طول5درجات و42 دقيقة شرق غرينتش، وخط عرض39درجة و27 دقيقة شمالا، وعلى سفح جبل أوراس. ترتفع 428 قدما عن سطح البحر، وهي أهم واحة بين واحات الزيبان، والواحة تمتد ثلاثة أميال على طول وادي بسكرة"

[2]Masque Ray :**Le Djebel Chachar Revue Afriquane**, TXXIII, Alger 1879, pp69, 70

[3]Gsell. (S.T) :L'ATLAS Archéologique d'Algérie feuille n°48.195- Syndicat, Biskra et la Sahara constantinois, imprimerie Algérienne, Alger, 1921, pp3،7.

3. التضاريس:

تتكون تضاريس الولاية من:

تتمركز أساسا بشمال الولاية وتحتل مساحة هامة وتتمثل في سلسلة الأطلس الصحراوي وتمتد سهولها على محور شرق غرب والمتمثلة في سهوب لوطاية، الدوسن طولقة وسيدي عقبة. وتقع الهضاب في الناحية الغربية من الولاية تشمل كل من دائرتي أولاد جلال وسيدي خالد. وتشمل المنخفضات الناحية الجنوبية الشرقية للولاية أهمها شط ملغيغ.

4.المناخ:(جدول رقم 1،2،3)

يلعب المناخ دورا أساسيا في تأسيس المدن أو القصور وكذلك في نموها وتطورها فكلما كان المناخ مساعدا على المعيشة زاد ذلك في الاستقرار والتطور والعكس صحيح كما انه يتحكم في توجيه الشوارع والأزقة والبيوت وحتى في اختيار مواد البناء لذا كان لازما علينا أن نفهم المناخ السائد في منطقة جبال "عمور" حتى يتسنى لنا تفسير بعض المظاهر في مجال العمارة والبناء، ومن هنا نسلط الضوء على ثلاثة عناصر ألا وهي الحرارة والأمطار والرياح.

تعرف ولاية بسكرة مناخا شبه جاف ذو شتاء بارد وجاف، وصيف حار وجاف، أما تساقط الأمطار فيعد نادرًا على مدار السنة، وأقصى كمية تسقط في شهر سبتمبر (أمطار الخريف) وتكون غزيرة متسببة في انجراف التربة، أما بالنسبة للكمية القليلة فتسجل خلال فصل الصيف بين شهر جويلية وأوت.

يتميز مناخ مدينة بسكرة الذي يمتد بامتداد العمران و تبعية امتداد الأنشطة العمرانية، التي تؤثر في درجة حرارة الهواء، الرطوبة النسبية و سرعة الهواء، حيث أن درجة حرارة الهواء العمرانية تزيد عن درجة حرارة الهواء الإرصادية في الفترة الصيفية من 75.0 م° إلى 71.2 م°، أما فيما يخص الرطوبة النسبية للهواء فإن الرطوبة النسبية العمرانية تنقص عن الرطوبة الإرصادية بـ 64.3% إلى أن تزيد عنها بـ 14.2%، و عن سرعة الهواء العمرانية التي تنقص عن سرعة الهواء الإرصادية بـ 89.1 م/ ثا إلى غاية92 م/ ثا آم تزيد عنها إلى أن يبلغ

الفارق بينهما 37.1 م/ ثا، و هذا الفارق بين عوامل المناخ العام و عوامل المناخ المحلي يرجع إلى مرفولوجية المدينة التي تتمثل في:

- ✓ **مساحة المدينة**: تبلغ مساحة مدينة بسكرة 4736 هكتار بامتداد حوالي 6860 م في الاتجاه الشرقي الغربي، وحوالي 7840 م في الاتجاه الشمالي الجنوبي.
- ✓ **الهيكلة العمرانية**: تندرج تحتها النظام الشبكي للطرقات والنظام التجزيئي وبالنسبة لمدينة بسكرة فهي متنوعة وتتمثل في الأنماط التالية:

- النمط التقليدي:
  - بناء ذاتي غير مخطط (نمط عشوائي)
- النمط الاستعماري
  - البناء الذاتي المخطط (تجزئة)
  - نمط السكنات الجماعية
  - النمط القصديري

5.المظاهر الاقتصادية: بحكم موقعها الجغرافي في البلاد (منطقة الجنوب) تعرف الولاية مجالاً جويًا يتسم بوجود أربعة مناطق مختلفة وهي:

الجهة الجنوبية منطقة الجبال والهضاب العليا وتضم دوائر القنطرة لوطاية جمورة، مشونش، حيث نلاحظ وجود عدة إمكانيات أهمها منجم هام من الملح مستغل من قبل مؤسسة وطنية مختصة. .سد منبع الغزلان: قدرة التخزين به 55 مليون م^3. أما السياحة والصناعات التقليدية بسفوح الأوراس، مضيق القنطرة، شرفات غوفي وفخار مشونش.

أما المنطقة الغربية (أو ما يعرف بالزاب الغربي) وتغطي كل من الدوائر طولقة، اورلال، حيث تعد السهول والهضاب غنية بأراضيها الفلاحية المياه وتغلب عليها زراعة النخيل تنتج أجود أنواع التمور دقلة نور حيث تضم أكثر من مليون وأربعمائة نخلة منها 75.19% منتجة. أما المنطقة الشرقية (أو ما يعرف الزاب الشرقي)

وهي منطقة سهبيه تغطي دوائر سيدي عقبة وزريبة الوادي. وأخيرا المنطقة الجنوبية (أو ما يعرف الزاب الجنوبي الغربي) وهي منطقة ذات خصائص رعوية، تضم دوائر أولاد جلال وسيدي خالد، النشاط الرئيسي بها موجة نحو تربية المواشي وخاصة الغنم، بحيث تضم أكثر من 57% من مجموع رؤوس الأغنام في الولاية.

أما التركيب الفيزيائي والجيولوجي للمنطقة سنعتمد في وجهة نظرنا الجيولوجية على أهم ما كتب حول منطقة الزيبان نذكر من بينها دراسة "Ville1865.(M)"و"Choisy1885.(A)"و1924"(M) BRIVES وSavornin(N.J) " وسنختصر أهم ما جاء في هذه الدراسات والتي تناولت المنطقة، وسنبدأ دراستنا للجهة الوسطى والغربية لمنطقة الزاب فدراسة "BRIVES.(M)" تظهر أنه هناك حزام يحيط بمكان الدراسة ذو تكوين طباشيري يظهر في شكل تلال ذات وجهة شرق- غرب ومن أهمها تلة بسكرة وتلة جبل أم هنبال وتلال سدوري ومزيزو، وهذه التلال هي كلها عبارة عن نواة طباشيرية دنيا مفصولة عن طريق تقعرات عميقة، تتجه جنوب غرب وشمال شرق ثنية النعام (422م). وهذا الحزام الطباشيري ينخفض بسرعة، وأحيانا بشكل غير حاد مما يسمح بملاحظة ارتفاع الثنايا كما أننا نجد الطبقات الطباشيرية العليا في حلقات جبل الكبش، جبل طويلة، جبل حمارة. وفي هذه المنطقة تتواصل بنية الأطلس الصحراوي، في الأجزاء البارزة والكتلة الطباشيرية محدودة بتشكيل ثلاثي منخفض ومقسم بواسطة حلقات طباشيرية على شكل خطوط ضيقة أو هضاب شديدة الانحدار، وتظهر على الطبقات الدنيا ألوانا بيضاء كلسية-تكوين جبسي- تزيد أهميته وكثرته كلما توجهنا جنوبا، وإلى الجنوب الشرقي حيث أن أجزاءها السفلية صلصاليه جصية، أما أجزاءها العليا فيها طبقات جصية كثيفة ويعرف هذا التكوين الجبسي "بالدبداب" ،والذي يظهر على السطح كلما توجهنا باتجاه الدوسن وينتشر ويمتد هذا التكوين الجبسي في الوديان خاصة وادي جدي. وعلى العموم فإن أهم ما يميز هذه الجهة التحدبات باتجاه شمال جنوب، أين يؤدي تموجها إلى تحديد تقعرات عرضية تظهر بوضوح على جوانب الأودية كواد الرتم، واد قرارة...[1].

[1]Brives. (M), Bulletin de Service de la carte Géologique de l'Algérie, contribution à l'étude -Geohydrologique des Ziban et de l'Oued R'ir, Alger, 1924, p 120.

ويرى "Savornin "[1] أن استقرار هذه المنطقة يعود إلى الايوسين. وهي تنتمي تكوينا إلى"Néogène" الذي يسود منطقة الزاب وواد ريغ[2].

أما في جهة الزاب الشرقي فوقوعها تحت أقدام جبل الأوراس، جعله يختلف اختلافا كبيرا عن الزاب الغربي، وهذا بسبب عوامل التكوين التضاريسية وعوامل التعرية، ومن خلال نظرة عامة على التكوين الجيولوجي لهذا الإقليم نجد أن شماله الذي يغلب عليه الطابع الجبلي، تسودها طبقات مارنية" Marnes" كلسية ويليها منطقة يسودها البليوسين، الذي تتكون عناصره التركيبية من الصخور الحصوية المتماسكة"Poudingue"،و الصلصال الرملي "grès" والأتربة السمراء"Marnes Brunes". أما جنوبه يغلب عليه الطابع الصحراوي الذي يعود تكوينه إلى الزمن الجيولوجي الرابع الحديث، والتي يغلب عليها الرمال[3]. أما الجبال التي في شمال الإقليم ذات التكوين الكريتاسي، يغلب احتواءها على الكلس الأبيض السميك هذه الطبقات الصخرية التي تنحدر بشدة جنوبا تحت زاوية حادة، إلا بعض الاستثناءات حيث نجد بعض التموجات المحلية[4]. هذه الطبقات الصخرية تمثلها الجبال التي تمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، ممثلة في جبل أحمر خدو وجبل كرومة و تاكرومت الذين هم امتداد لجبال الأوراس.

أما في الشمال فقد تكون حوض عرضه حوالي 24 كلم ذو طبقات أرضية متقصفة ينتهي تحت قدم جبل زماري، ومن هذه القمة ذات التربة الكريتاسية التي تحد شمال الشريط البليوسيني، يمتد منخفض أرضي من الشمال نحو الجنوب تنزل الوديان من جبل ششار الذي يمتد نحو الجنوب الشرقي، وجبل أحمر خدو لتستقر هذه الوديان في الصحراء حيث يتجمع الطمي، والرواسب كنتيجة للتعرية الشديدة التي تتعرض لها

[1]Savornin (J), Les Territoires du sud de l'Algérie. Esquisse géologique et hydrologique, Alger, 1930, P63.

[2]يقع إقليم وادي ريغ في الشمال الشرقي من الصحراء الجزائرية في منخفض مستطيل الشكل طوله حوالي 160كلم ويتراوح عرضه بين 30 و40كلم يحد الإقليم من الشمال الزيبان حيث يبتدئ شمالا من عين الصفراء قرب بلدة أم الطيور وينتهي جنوبا بقرية قوق، حيث أن حدود الجنوبية مع ورقلة وبادية أسعيد أعمر، ومن الشرق وادي سوف وعرق الطيبات ومن الغرب مراعي أولاد نايل. وقد سماه ياقوت الحموي في معجم البلدان الزاب الصغير أو ريغ وسماه ابن خلدون في تاريخه بلاد ريغ أو أرض ريغ وهو الاسم الذي عرف به عبر تاريخه ومنذ نشأته. أما في الوقت الحاضر فيعرف بوادي ريغ كوادي سوف ووادي ميزاب ومن المعروف أن حوضه أو شط ملغيغ تصب فيه أودية الزاب. (الخريطة رقم 05). يرجع إلى قادري عبد الحميد، التعريف بوادي ريغ، منشورات وادي ريغ، ط1، الجزائر 1999.

[3] Ville. (M), Voyage d'exploration dans les Bassins du Hodna et du Sahara, Paris, 1865, P255.

[4]Choisy. (A), documents Relatifs à la Mission Dirigée au sud de l'Algérie, 1eme Volume, Paris, 1885, P262

الجبال من جراء هذه السيول[1].ولعل ما ينبغي الإشارة إليه هو اتفاق العلماء الجيولوجيين على أن المنطقة التي تشملها الصحراء الكبرى بما فيها إقليم الزاب كانت خلال الزمن الجيولوجي الرابع غزيرة الأمطار، وكان من نتيجة ذلك أن حفرت المياه في سطحها عددا من الوديان النهرية، التي مازالت بقايا كثير منها موجودة إلى الآن حيث تشتهر باسم الأودية الجافة[2]، ومن أشهر هذه الأودية الجافة، واد إغرغار الذي كان ينطلق من جبال الطاسيلي ليصب في شط ملغيغ بالإضافة إلى واد جدي وواد العرب وواد الأبيض، وهي كلها أودية الزاب قد جفت اليوم. ومن خلال نظرة سريعة على الجغرافيا الفيزيائية لإقليم الزاب الشرقي فإنها تظهر لنا قسمين مميزين:

- **القسم الشمالي**: (خريطة 3)

الذي ينحدر عموما من الشمال الشرقي باتجاه الجنوب الغربي الذي يمتد ابتداء من جبل ششار الذي يأخذ اتجاه الجنوب الشرقي، حيث نجد جبل أحمر خدو، ويغلب على هذا القسم الطابع الجبلي بشكل كبير، والذي تعتبر قممه الأكثر ارتفاعا، وهو بذلك يمثل الحدود الشمالية لمنطقة الزاب الشرقي فسلسلة جبال ششار تقدر أعلى قمة فيه بـ 1834م- هذه الكتلة تمثل الحدود الجنوبية للكتلة الأطلسية المائلة نحو الجنوب الشرقي إلى غاية نقرين بتونس- جبل برقة 1290م، جبل أحمر خدو1925م، وفي شماله يلتقي بجبال شليا أعلى قمة 2328م التي هي منبع الواد الأبيض، وكذلك جبال زلاطو التي يقدر ارتفاعها بـ 1898م ووراء هذه المرتفعات نجد سلسلة جبلية أقل ارتفاعا وهي جبل الخنقة 268م، جبل قشريش505م، وجبل غليس 602م، ويلاحظ عليها أنها ذات انحدار شمال جنوب غرب تنتهي عند حدود واحة بسكرة، وهي تعود إلى تكوينات الكريتاسي المتوسط والأعلى ذات الصخر الحصوي المتماسك في قممها والصلصال الجبسي في قواعدها[3].

---

[1]Savornin. (J), Op.cit.63 أنظر أيضا Choisy Op.cit. P 261 و Ville. (M), Op.cit., P 32.

[2]علي حامد سعيد: **مصادر المياه والنشاط الزراعي في إقليم المدن الثلاث**، المؤتمر الثالث عشر للآثار، الجماهيرية العظمى، طرابلس،01-07 أكتوبر 1995، مطبوعات الاليسكو، ص176.

[3] Choisy. (A), Op.cit., P 267.

- **القسم الجنوبي:**

ما يميز هذا القسم هو الانحدار التدريجي، من المرتفعات الشمالية إلى منطقة واسعة ومنبسطة بشكل كبير، بالرغم من وجود بعض التموجات الخفيفة ذات طبقات كثيفة جدا من الجبس، أو الكلس تغطي مساحات واسعة من منطقة الزاب الشرقي، وهي قليلة الارتفاع[1]، وهي تقريبا متشابهة متماثلة عند حدود السلسلة الأوراسية. حيث نجد ارتفاع واحات الزاب الشرقي كواحة مشونش390م أما سريانة التي يطلق عليها اسم (باب القرية) فارتفاعها 229م، أما قرطة (حقل قمح الجنوب) فيقدر بـ 233م، الذيبية (منطقة زراعة الشعير) 197م، الزريبة (بيت القرية) 184م، ليانة (باب المسجد) 223م، خنقة سيدي ناجي (دار الشيخ) 254م، بادس (المنطقة السفلى للقرية) 183م، الفيض (واد عامر) 41م دون مستوى سطح البحر، سيدي صالح (باب المسجد) 29م دون مستوى سطح البحر، سيدي عقبة (دار بلحاج) 44م دون مستوى سطح البحر[2].

إداريا يحدها من الناحية الشمالية الشرقية ولاية باتنة، ومن الناحية الشرقية ولاية خنشلة، أما من الناحية الشمالية الغربية ولاية المسيلة، ومن الناحية الجنوبية ولاية الوادي، ومن الناحية الجنوبية الغربية ولاية الجلفة.

يعتمد الري وتوافر المياه على الوديان(خريطة 4) التي تصب من الاوراس والمناطق الجبلية القريبة، منها وادي جدي الذي ينطلق من جبل مسعد بالقرب من الأغواط، ثم يشق كامل الزيبان ليصب بعد ذلك في شط ملغيغ، وكذا الوديان الشمالية الأخرى المنطلقة من الاوراس مثل: وادي عبدي ووادي الحي أو القنطرة، كلها تعبر وتصب في حوض منطقة بسكرة أماجنوبا فيأتيها وادي ريغ الذي ينطلق من الجبال والهضاب الصحراوية[3].

يقول عنها أحمد توفيق المدني" وتدعى ملكة الجنوب، وهي أشهر الواحات الجزائرية على الإطلاق، لها في الشتاء طقس معتدل يجعلها محط الرحال المتسوحين، حيث أن معدل حرارتها في أيام الشتاء تبلغ 15 درجة،

[1]Dubocq. (M), Ziban et de L'Oued R'ir, Paris, 1852, P 39- 40.

[2]Dubocq. (M): Ibid, P80.

[3]Ibid: p56

وأقصى ما تبلغه الحرارة في تلك الأيام هو 16درجة وأقله6 درجات، أما المطر فلا ينزل بها إلا بمعدل 175مليمتر في السنة. واحة بسكرة تمتد نحو 5كيلومترات يمين الوادي وتشمل 1400هكتار.... وبسكرة كانت قرية بربرية عتيقة."[1]

ثانيا: الإطار التاريخي:

تتميز مدينة بسكرة بموقعها الجغرافي الهام، الذي يعد حلقة وصل بين الجنوب الشرقي الصحراوي والشمال الشرقي التلى للقطر الجزائري، وقد عرفت هذه الأخيرة تاريخا طويلا مليئا بالأحداث عبر الفترات الزمنية المتعاقبة.

1. منطقة بسكرة فيما قبل التاريخ والعصر الروماني:(لوحة1، صورة ج،د،و)

لعل أول إشارة لمدينة بسكرة في المصادر المادية، يعود إلى العصر الحجري القديم الأسفل، حيث وردت الإشارة إلى شتمه التي عثر فيها على مستحثات وحجارة مقلمة، كذلك تمت الإشارة بعد ذلك، إلى موقع الهامل بالقرب من بوسعادة. أما إذا انتقلنا إلى العصر الحجري القديم الأوسط، فإن منطقة بسكرة ليست بعيدة عن الحضارة العاترية التي وجدت آثارها في المنطقة، ونفس الشيء يقال عن حضارة العصر الحجري اللاحق أو القد يم الأعلى والمتمثلة في الحضارة القفصية، فهي الأخرى متوافرة في المنطقة.

وتتمثل شواهد العصر الحجري الحديث، في رؤوس السهام الصحراوية التي وجدت بالمنطقة، أما عن بقايا فجر التاريخ في المنطقة فتتمثل في قبور بازيناس عين الحمارة المدرجة الواقعة بالقرب من أولاد جلال وكذا واد منقوب[2].

لم تبرز بسكرة كمدينة ذات أهمية اقتصادية وسياسية في العهد الروماني، بل اتخذت كحصن عسكري ضمن حصون خط الليمس، وأطلق عليها اسم فسيرا "vescera" التي تعني المحطة، ولعل أهمية المنطقة في تلك المرحلة هو موقعها بين الشمال والجنوب، فهي كما يعرفها الجغرافيون عبارة عن بوابة بين الصحراء و

[1] أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، دار المعارف ودار الكتاب، ط2، البليدة، الجزائر، 1963، ص ص185-186.

[2] G. Camps : la civilisation préhistorique de l'Afrique du nord et de Sahara, Ed Doin, Paris, 1974, p222

التل حيث كانت بمثابة محطة لهم. وكان الهدف من مد خط الليمس ذاك هو الحيلولة دون صعود البدو الجيتوليون نحو المناطق التلية التي كانت قد ترونمت، ولذلك تضمن الخط المشار إليه خناقا وأبراج حراسة وطرقا رئيسية على امتداد كامل الخط الرابط بين الشمال والجنوب(خريطة رقم5)، إضافة إلى مستعمرات أقيمت للجنود المسرحين ومراكز تجارية[1].في هذا الصدد يقول الباحث ستيفان غزال"st. Gsell"[2] أن الحي القديم الرئيسي كان يقع في الناحية الشمالية لوادي بسكرة، إضافة إلى وجود بقايا الحمامات والحجارة المصقولة التي استعملت فيما بعد في المباني الإسلامية إلا أنه يبدي بعض التحفظ فيما يخص أخذ تسمية "فسيرا" من "بيسينام"، ورأيه ربما يكون اسم بسكرة قد أخذ من اسم فسيرا"vessera" التي كانت تمثل أسقفية كاثوليكية تابعة للكنيسة المسيحية في نوميديا. كذلك حاول المؤرخ شارل تيسو "ch. Tissot " أن يجد تقاربا بين تسمية فسيرا و بيسينام التي تعني الحمام المعدني الذي استعمله الرومان، والذي يبعد عن المدينة الحالية حوالي6كلم[3].

وهناك من يرجح أن "Veskra" بالفينيقية تدل على مستودع للأسلحة أو على مرفأ مما يجعلها حقا مركزا بحريا وقاعدة للتوغل الاستيطاني الروماني في منطقة الزاب[4].

أما عن أصل تسميتها، فكانت وما تزال مشكلا مطروحا تتخلله ثلاثة آراء مختلفة:

الرأي الأول: مفاده أنها تعني المحطة التجارية.

الرأي الثاني: فينسبها إلى كلمة أدبيسران التي تعني المنبع المعدني نسبة إلى حمام الصالحين.

الرأي الثالث: المتعارف عليه والشائع لدي سكان المنطقة، هو أن بسكرة أخذت من كلمة سكرة نسبة إلى حلاوة وغزارة تمورها[5]. وبهذا فقد تبلورت كلمة بسكرة بين هذه الآراء.

---

[1]P. salama .les voies romaines de l'Afrique du nord Alger 1951 .pp ,22-30

[2]st ,Gsell ,atlas archeologique.F/N37.

[3]st .Gsell, Ibid .F/N37

[4]Ibid. F/N37

[5] Maguelonne (MJ) : monographie historique et géographique de la tribu des Ziban, Recueil des Notices et mémoires de Constantine, golime 44, Constantine 1910.pp213 – 214.

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الأرض كانت مأهولة منذ العصر الحجري بأقوام هم غير البربر كانوا يسكنون الكهوف والمغارات وكانت حضارتهم الحجرية دون حضارة معاصريهم من سكان الشمال ويقول الكثير من العلماء أن البرابرة الشقر الذين نجدهم في عدة نواح من البلاد إنما هم من نسل هذا العنصر الذي كان أول سلالة بشرية سكنت هذه الديار[1]، فالبربر هم أول من سكن هذه الأقطار.

إن عناصر البربر قدمت كلها مهاجرة من آسيا مخترقة مصر وليبيا. وأنها أمة مازيغ بن كنعان بن سام بن نوح، وهم أبناء عمومة العرب[2]. أما الجنس الذي يسكن مدنية بسكرة منهم فيعرف باسم مادغيس البتر ومعناها بوتروسن وهي كلمة يونانية وتعني الرعاة وهم أهل البادية وأصحاب المواشي الرحل وتجتمع فروعه في أربع قبائل كبرى والتي سكنت هذه المنطقة هي قبيلة لواتة وهي قبيلة عظيمة تفرع عنها كثير من الشعوب وهي تنتسب إلى ليوا الأصغر لها بطون سبعة، أهمها زناتة وأصلها إيزناتين ومعناها أبناء زناتة وهو اسم امرأة[3] أما في عهد

قرطاجنة فنجد أن مدينة بسكرة كانت ضمن الجزء الشرقي لنوميديا التي كانت تحت حكم الملك ماسينيسا 238 ق. م[4].

وعلاوة على ذلك يمكن الإشارة إلى أن المدينة في العصر الروماني أو على الأقل الحي الرئيسي القديم كان يقع في الجهة الشمالية لواد بسكرة على بعد حوالي 300 م من الطريق المؤدية إلى سيدي عقبة، إضافة إلى بقايا الحمامات والحجارة المصقولة التي استخدمت في أعمار المدينة الإسلامية الواقعة في الجهة الأخرى لنفس الواد والشيء الذي يدفعنا للقول أن الرومان استوطنوا هذه المنطقة، على الرغم من أن المدينة لم تكن آهلة

[1]Rinn (L.). Les origines Berbères, R.A. vol, 34, Année 1889.p276.

[2]ابن خلدون: المصدر السابق: ج3، صص124،459وج4، ص384.

[3]ابن خلدون: المصدر نفسه، ج6، ص ص134. 137.

[4] G sell (S.T) ; op.cit., feuille 48 n°9.

بالعمران، و جعلها مركزا للمراقبة، كما يستدل على وجود مفترق طرق رومانية إحداها تؤدي إلى "Thabudeos"تهودة والآخر إلى لمباز وهذا في حدود القرن 3م[1].

والجدير بالذكر أن البيزنطيين احتلوا الأوراس والحضنة ومنطقة سطيف سنة 539م غير أنهم لم يستقروا بالأوراس فاكتفوا باتخاذ الحصون لتدعيم وجودهم في الزاب وكانت بسكرة طبعًا ضمن هذا الحيز الجغرافي[2].

2.بسكرة في المصادروالنصوص التاريخية الإسلامية.

تطرق المؤرخون والرحالة العرب في كتاباتهم حول مدينة بسكرة، حيث يقول إسماعيل العربي[3] إنها ذكرت لأول مرة في المصنفات العربية في القرن التاسع الميلادي عند الحديث عن إخماد ثورة قام بها أهل الزيبان في وجه الأمير الاغلبي أبي عبد الله، وقد قضي على هذه الثورة قائده خفاجة.

وقد تم ذكرها بشكل دقيق من طرف عبيد الله البكري (ت487هـ) واصفا إياها " بسكرة كورة فيها مدن كثيرة وقاعدتها بسكرة، وهي مدينة كثيرة النخيل و الزيتون وأصناف الثمار، وهي مدينة مسورة عليها خندق، وبها جامع ومساجد كثيرة، وحمامات، وحواليها بساتين كثيرة، وهي في غابة كبيرة مقدار ستة أميال فيها أجناس التمور... الخ "[4]،ثم يردف البكري قائلا " وبسكرة علم كثير وأهلها على مذهب المدينة، ولها من الأبواب باب المقبرة وباب الحمام وباب ثالث... سكنها المولدون، وحولها من قبائل البربر،سدرا ته وبنو مغراوة أهل بيت بني خزر، وبنو مزني. وداخل مدينة بسكرة آبار كثيرة عذبة منها في الجامع ....وبها جبل ملح يقطع فيه الملح كالصخر الجليل ومنه كان عبيد الله الشيعي وبنوه يستعملون في أطعمتهم، و تعرف ببسكرة النخيل... و من مدنها جمونة ومدينة طولقة ومدينة مليلي ومدينة بن طيوس وهي من البنيان الأول، وشراب بسكرة من نهر كبير يجري في جوفها منحدر من جبل الأوراس، وقرية من قرى بسكرة تسمى ملشونة منها أبو عبد الله الملشوني

[1]Ibid.: voir : syndicat ; op.cit., pp 3, 5.

[2]Muller : notices aux indiques dans la Lybie intérieur édition de Ptolémée. S.d .pp.740 – 751.

[3] العربي إسماعيل: **الصحراء الكبرى وشواطئها**، الجزائر، 1983، ص148.

[4]أبو عبيد الله البكري: **المغرب في ذكربلاد إفريقية والمغرب "وهو جزء من كتاب المسالك والممالك"**، تحقيق دي سلان مكتبة الحكومة، الجزائر 1857، ص ص 52-53.

وابنه إسحاق عالمان يحمل عنهما العلم، سمع منهما أبو عبيد الله بن ميمون ومقاتل وغيرهما[1] أما صاحب الاستبصار[2] يصفها " وهي مدينة كبيرة و حواليها حصون كثيرة وقري عامرة وهي قاعدتها ولها غابة كثيرة النخل والزيتون وجميع الثمار وتعرف بسكرة النخل لكثرته بها".

كذلك من الجغرافيين الذين وصفوا وحددوا بسكرة جغرافيا، ياقوت الحموي (ت 626ه)[3]، فيقول "بسكرة بكسر الكاف وراء، هذه بلدة من المغرب من نواحي الزاب بينها وبين قلعة بني حماد مرحلتان، فيها نخل وشجر قصب جيد، بينها وبين طبنة مرحلة كذلك ضبطها الحازمي بقول: بسكَرة بفتح أوله وكافه. وهي مدينة مسورة ذات أسواق وحمامات، وأهلها علماء وعلى مذهب المدينة، بها جبل ملح يقطع منه كالصخر الجليل، وتعرف ببسكرة النخيل. قال أحمد بن محمد المروذي: ثم أتى بسكرة النخيل***قد اغتدى في زيه الجميل".

كذلك ابن سعيد المغربي(ت685ه)[4] حيث يذكر "بسكرة قاعدة الزاب، وهي بلاد نخل وزرع، ومنها تجلب أصناف التمر إلى حاضرتي تونس وبجاية، وهي حيث الطول أربع وعشرون درجة وخمس وعشرون دقيقة والعرض سبع وعشرون درجة ونصف".أما الإدريسي[5] فيذكر بسكرة في القرن الثاني عشر ميلادي بأنها كانت حصنا منيعا، وبها سوق وعمارة، وفيها أيضا من التمور كل غريبة وطريفة.إلا أن الحميري (ت أواخر القرن 9ه)[6]، يذكر بسكرة أنها " من بلاد الزاب بأرض المغرب، وهي قاعدة تلك البلاد، وهي كبيرة كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار، وعليها بساتين كثيرة، وهي غابة كبيرة مقدار ستة أميال. ومن التمر منها جنس يعرف بالكسبا وهو الصيحاني يضرب به المثل لفضله على غيره، وجنس آخر يعرف بالياوي أبيض أملس، وكان عبيد الله الشيعي صاحب القيروان يأمر عماله بالمنع من بيعه ويبعث ما هناك منه إليه، لطيبه وحسنه ...وتعرف هذه

---

[1] البكري: المصدر السابق، ص53.

[2] مؤلف مجهول: **الاستبصار في عجائب الأمصار**، تحقيق عبد الحميد زغلول، الدار البيضاء،1985ص173.

[3] ياقوت الحموي: **معجم البلدان**، المجلد 1، دار صادر، بيروت لبنان، ط2 1995، ص422.

[4] ابن سعيد المغربي: **كتاب الجغرافيا**، تحقيق إسماعيل العربي، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982، ص 126.

[5] الإدريسي الشريف: **وصف إفريقيا الشمالية والصحراء**، الجزائر 1957، ص64.

[6] محمد بن عبد المنعم الحميري: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان بيروت، ط2 1984، ص ص 113، 114.

البلدة ببسكرة النخل، ويشق غابة بسكرة نهر كبير ينحدر من جبل الاوراس يسقى بساتينها ونخيلها وهو نحو ستة أميال في غابة متصلة بالمدينة. وبسكرة دار فقه وعلم كثير وفيها العلماء وأهلها على مذهب أهل المدينة".

إضافة إلي جلال الدين عبد الرحمن السيوطي[1]المتوفى في سنة911هـ فيذكرها في كتابه (لب اللباب في تحرير الأنساب) "والبسكري بكسر الباء المنقوطة بواحدة وسكون السين المهملة وفي آخرها الراء هذه النسبة إلى بسكرة وهي بلدة من بلاد المغرب".و نجد البروشوي محمد علي الشهير "بابن سباهى زاده" [2]يقول "بسكرة بكسر الباء الموحدة وقيل بفتحها وسكون المهملة وكاف وراء مهمله وهاء. مدينة من آخر الثاني من الجريد قبالة الغرب الأوسط، وهي قاعدة بلاد الزاب، وبسكرة بلاد ذات نخيل وزروع كثيرة ومن بسكرة يجلب التمر الطيب إلى تونس وبجاية".

ومن المصادر المتأخرة التي تكلمت عن بسكرة العدواني الذي جاء في القرن الحادي عشر للهجرة الموافق للقرن السابع عشر ميلادي فيرجع اسم بسكرة إلى سكره[3].

إلا أن الحسن الوزان[4]في كتابه "وصف إفريقيا" فيعطينا وصفا دقيقا للمدينة وضواحيها وقراها وكذا الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية حيث يقول " مدينة عريقة أعيد بناؤها لما دخلت الجيوش الإسلامية إلى إفريقيا، وهي الآن عامرة كما ينبغي، وسورها من الآجر النيئ. أما السكان فمؤدبون، لكنهم فقراء لأن أراضيهم لا تنتج شيئا غير التمور. وقد تعاقب على حكم هذه المدينة رؤساء كثيرون، فكانت مدة خاضعة لملك تونس حتى وفاة الملك عثمان، فثارت حينئذ بإيعاز من إمامها الذي نصب نفسه أميرا عليها، ولم يستطع ملك تونس استرجاعها منذ ذلك الحين. تكثر فيها العقارب التي يقتل لسعها حالا، ولذلك يغادرها السكان في الصيف للإقامة في ممتلكاتهم خارجها إلى شهر نونمبر".

---

[1] جلال الدين عبد الرحمن السيوطي: **لب اللباب في تحرير الأنساب**، تحقيق أحمد عبد العزيز وأشرف عبد العزيز، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 1991، ص 128.

[2] البر شوي محمد بن علي الشهير بابن سباهى زاده: **أوضح المسالك في معرفة البلدان والممالك**، تحقيق المهدي الرواضية ط1، 2006، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ص ص 211،212.

[3] محمد بن محمد بن عمر العدواني: **كتاب في أخبار هجرة واستقرار بعض القبائل العربية مع ذكر أحوال والتقلبات السياسية والاجتماعية لمنطقة المغرب العربي وأصول بعض المدن والقرى**، تحقيق أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت لبنان، 1996، ص 301.

[4] حسن الوزان الفاسي: **وصف إفريقيا**، ج 1، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، 1983، ص 138.

وقد تعرضت المنطقة لهجوم المرينيين، قاده أبو عنان المريني بنفسه، ذاقت فيه المنطقة ويلات الخراب والدمار، خاصة طولقة وفرفار، ويوصف لنا النميري تلك الحملة وصفا دقيقا "فلما أعملت الجيوش المرينيةإلى الزاب نهضا وأنطفت نار الفتن التي أكل بعضها بعضا ونهبت عيون الاغماض وهجمت على تلك البلاد وتبسطت تلك الجهات إعتمالا في الجهاد."[1]ومن الرحالة الورتلاني الذي عاش في القرن...[2]الذي تحدث عن مدينة بسكرة بأنها "قاهرة عظيمة البنيان، غير أن المدينة القديمة قد خربت بسبب الفتنة التي وقعت بين سكانها وحكامها، حيث انقسموا على أنفسهم وأدخلوا الأتراك إليها، فشتتوا أهلها وفر أغلبهم إلى خارج المدينة، وقد بني فيها الأتراك برجين عسكريين: أحدهما داخل المدينة، والآخر خارجها على منبع المياه التي ترد إلى المدينة(شكل 2) كما ذكرها العياشي في رحلته للحج في طريق عودته[3].فالمدينة في المصادر التاريخية التي تطرقت لها، يتبين لنا أنها كانت كثيرة أسباب العيش، ثم تغير حالها إلى الأسوأ، ويبدو أن الحامية العثمانية لم تكن دائما على وفاق مع الأهالي[4].وقد لعبت دورا هاما بسبب مكانتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية، في تاريخ المنطقة كما أنها كانت تمثل قاعدة الزاب.

3. بسكرة في العصر الإسلامي:

ومع انطلاق الجيوش الإسلامية في القرن (1هـ/7م) لفتح بلاد المغرب(خريطة6) التي سبقتها عدة حملات استكشافية إلى أن تمكن الفاتح عقبة بن نافع الفهري في حملته الثانية في حدود (62هـ/682م) من فتح منطقة الزاب وفقا للمعطيات التاريخية[5]. ولا شك أن المنطقة عرفت انتعاشا واستقرارًا حضاريًا على عهد الولاة، ولما كانت المعلومات عن هذه الفترة شحيحة.

---

[1] ابن الحاج النميري: **فيض العباب" وإضافة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب "**دراسة وإعداد، محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1990، ص.436.

[2] حسين الورتلاني: **الرحلة "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار"**، ط1، بيير فونتانا، الجزائر، 1908،ص85.

[3] العياشي، ابن سالم: **ماء الموائد**، مخطوط محفوظ بالمكتبة العثمانية بطولقة، ج2، 1198هـ.1783م، أحمد ابن أحمد التونسي، د.ص.

[4] أبو القاسم سعد الله: **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، المجلد الخامس، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولي 2005م، ص.180.

[5] عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ط7، د.م.ج. الجزائر. 1994 ص ص. 119. 129.

غير إننا نرجح أن من أهم الأحداث الكبرى التي عرفتها لمنطقة تلك التي دونها المؤرخون عن الدولة الأغلبية (184هـ296هـ/800م .909م) حيث ذكروا الثورة التي نشبت ضد أبي عبد الله محمد الأغلبي الملقب بأبي الغرانيق سنة251هـ، لكن سرعان ما استسلمت بسكرة من غير مقاومة، ويرجع الفضل في ذلك إلى أبي خفاجة، الذي أسندت له مهمة القضاء على الثوار.

ويرجع سبب بعض القلاقل في هذه الفترة الزمنية من الحكم الأغلبي إلى نفور السكان من سوء معاملة للسلطة الحاكمة المتمثل في ظلم بعض ولاتها وجورهم. وقد قام بعملية القمع والزجر يومئذ إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب الذي عاش في بلاد الزاب وأهلها وذلك في (268هـ/881م) وقام بمثل ذلك أبو العباس بن إبراهيم بن الأغلب (276هـ/899م) فأوقع ببني بلطيط فقاتلهم وشردهم في البلاد، لكنه بعد حين قام بإصلاح ما خربه جيشه خلال هذه المناورات، ثم عاود الكر عليها أبو عبد الله بأمر أبيه إبراهيم بن أحمد فزحف عليهم في جيش عرمرم خلال سنة (288هـ/901م)[1]. وبعد ذلك سقطت بسكرة على يد محمد بن خزر الزناتي سنة (319هـ/931م)[2]. هذا دون أن ننسى دور بني الأغلب في إنشاء مدينة العباسية في إقليم الزاب سنة (239هـ/ 853م) على حسب ما ذهب اليه البلاذري[3]. هذه الإشارة تحفزنا على البحث والتنقيب عن هذه المدينة التي يمثل أنشاؤها في هذا الإقليم حدثًا سياسيًا وحضاريًا.

ويلاحظ أنه قبل سقوط الدولة الأغلبية بقليل، اشتد الصراع بين أبي عبد الله الشيعي ووالي طبنه على عهد زيادة الله بن عبد الله وربما انتشرت هذه التحرشات حتى شملت بسكرة وهي في نظري بداية لظهور عهد جديد ألا وهو عهد الدولة الفاطمية (296هـ.361هـ/ 909م .972م).

أما عن الفترة الفاطمية في منطقة بسكرة فالمصادر والمراجع التي تتكلم عنها فهي شحيحة جدًا، الأمر الذي جعلنا نميل للاعتقاد أن المدينة كانت مسرحًا للصراع الدائر بين الدولة الشيعية من جهة والثائر أبي يزيد مخلد بن كيداد بعد اعتصامه بجبل الأوراس على الأرجح بداية من سنة (332هـ/943م)، حيث بايعه أهل

---

[1] الميلي مبارك: **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، ج2، مكتبة النهضة الجزائرية، ج2، ص ص36، 47.

[2] ابن خلدون: **العبر**، المصدر السابق، ج6، ص 125، 174.

[3] البلاذري: **فتوح البلدان**، تحقيق رضوان، المطبعة المصرية الأزهر، القاهرة، 1932، ص234.

الجبل على نصرته للوقوف في وجه الفاطميين[1]. ومن هناك انتقلت المعارك حتى بسكرة، ويجدر بنا أن نشير إلى أن الفاطميين انتقلوا إلى بسكرة هربًا من صاحب الحمار عندما قام هذا الأخير بمحاصرة المهدية دار ملكهم[2].

هذا ويمكننا الاستدلال بما تركه الجغرافيون والرحالة في وصف المدينة بسكرة ومن ذلك ما أورده صاحب صورة الأرض بشأنها حيث يقول: "... ومن بسكرة إلى تهودة مرحلة ... وهي مدينة كثيرة النخيل والزيتون وهي مسورة عليها خنادق"[3]. ويضيف المقدسي[4] في هذا الصدد: "... الزاب مدينتها المسيلة ولها مقرة، طبنة، بسكرة، بادس تهودا طولقا جميلا بنطيوس أدنة أيشر"[5].

على الرغم من هذه المعلومات المقتفية والمبتورة المشار إليها خلال القرن (4هـ/10م) يمكننا الاستفادة منها لتحديد صورة واضحة المعالم عما كانت عليه من تقدم اقتصادي، مما يدعم الفكرة القائلة بأن بسكرة كانت منطقة عبور القوافل التجارية لاسيما أن الفاطميين كانوا يتزودون منها بالتمور، والحبوب، بل يستنزفون خيراتها[6] الأمر الذي يجعلنا نرجح بأن العمران بها كان ضعيفا مقارنة بالمدن الساحلية هذا على الأقل خلال الحكم الفاطمي. ولما غادر المعز لدين الله البلاد متوجها نحو الشرق سنة 361هـ، وجعل على بلاد المغرب أنصاره ومريديه من بني زيري (361 . 405هـ/972 . 1014م) الذين استقر لهم الأمر، وبسطوا نفوذهم في البلاد وضربوا العملة باسمهم، حينما مالوا إلى إقامة الدعوة للأمويين[7].

لابد من الاشارة هنا إلى المكيدة التي دبرها اليازوري وزير المستنصر الفاطمي، حينما أشار اليه بإرسال بني هلال بني سليم ورياح وزغبة الذين كانوا خطرا على الدولة الفاطمية بمصر، وذلك لإحداث القلاقل في بلاد

---

[1] مرمول محمد الصالح: **السياسة الداخلية للخلافة الفاطمية**، د.م.ج الجزائر، 1983، ص13.

[2] مايسة محمود داود: **المسكوكات الفاطمية بمجموعة الفن الإسلامي بالقاهرة**، دراسة أثرية وفنية دار الفكر العربي، مصر، د.ت، ص ص. 35،40.

[3] ابن حوقل النصيبي: **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة، د.ت، ص ص87 . 98.

[4] المقدسي أبو عبد الله: **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط2، ليدن 1909، ص221.

[5] المصدر نفسه، ص221.

[6] الصنهاجي أبو جهاد: **اخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم**، تحقيق وتعليق جلول أحمد لا بدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص14.

[7] بن قربة صالح: **المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد**، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986، ص ص دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 545.

المغرب وإزعاج المعز بن بلكين بعدما نزع الزيريون إلى ترك المذهب الشيعي والاستقلال بالحكم من دون اللجوء إلى الفاطميين، حيث سيرت حملة من الديار المصرية في حدود سنة 442هـ/1051م نحو بلاد المغرب ويلاحظ أن اليازوري كتب إلى المعز: "...فقد أرسلنا إليك خيولا، وحملنا عليها رجالا فحولا ليقضي الله أمرًا كان مفعولاً". حيث نزل هؤلاء الأعراب المتمردون بإفريقية أول الأمر إذ عاثوا في الأرض فسادًا لاسيما في برقة ونواحي قابس وتونس، وحينما اشتد الصراع مع الزيريين تخلى لهم المعز عن القيروان إلى المهدية فلحقوه إليها.[1] وقد زحف جمع من رياح إلى مسيلة ومنطقة الزاب، واندمجوا فيها وأصبحوا يدافعون عنها وكأنها منهم وهم منها.

وقد يستفاد من كلام البكري أن غنى المنطقة لاسيما في المحصول الزراعي دفع بني هلال للاستقرار بها، فقد أورد أن: "... بسكرة كورة فيها مدن كثيرة، وقاعدتها بسكرة، وهي مدينة كبيرة كثيرة وحمامات ... وحول بسكرة أرباض خارجة عن الخندق ... ولها من الابواب، باب المقبرة، وباب الحمام وباب ثالث ... وداخل مدينة بسكرة آبار كثيرة عذبة"[2]. وفي عهد بني حماد (405 . 547هـ/ 1014 . 1153م) كانت أسرة بني رمان ومن بعدها أسرة بني سندي تحكم بسكرة، ويشير ابن خلدون في هذا الصدد أنه: "كان لجعفر بن أبي رمان عليهم صيت وشهرة وربما نقضوا الطاعة لعهد بلكين بن محمد بن حماد صاحب القلعة في سنة 450هـ، وضبطوا البلد وامتنعوا ... ونازلتهم جيوش صنهاجة التي نظر الوزير خلف بن أبي حيدرة من صانع الدولة فافتتحها واحتملهم إلى القلعة فقتلهم بلكين جميعًا وجعلهم عظة لمن بعدهم وأصار أم الشورى لبني سندي من أهلها"[3].

أما خلال فترة المرابطين (472 . 539هـ/ 1079 . 1145م) فلا نعثر إلا على بعض الإشارات التاريخية التي لا يمكن تجاوزها والتي مفادها أن ابن غانية[4] هذا الثائر عاش بعد سقوط المرابطين وطالب بأحياء مجدهم حيث خرج في أتباعه ثم نهض إلى بسكرة حوالي سنة 497 هـ مثل ما ذكره ابن خلدون، حيث استولى عليها

---

[1] ابن الحاج النميري: المصدر السابق، ص545.

[2] البكري أبو عبيد الله: المصدر السابق، ص ص52. 53.

[3] ابن خلدون: **العبر**، المصدر السابق، ج6، ط بولاق 1284هـ، ص ص913. 914.

[4] الكعاك عثمان: **مراكز الثقافة في المغرب**، القاهرة، 1958، ص 74.

وقطع أيدي أهلها و" تقبض على حافظها أبي الحسن ابن أبي يعلى"[1]. غير أننا لا نجد معلومات مستفيضة حول ما يمكن أن نفسر به أحداث هذه الفترة الزمنية.

أما في فترة الموحدين 524هـ . 668هـ/ 1130 . 1269م، ينبغي القول أن صاحب المعجب ذكر لنا من جملة الأحداث التي ذاعت في بلاد المغرب الصراع المرير الدائر بين يحيى بن غانية والموحدين بقيادة وإلى بجاية أبو الحسن الذي خرج في جيش لم ير أحد مثله قط سلاحًا وعدة، والتقى الجمعان قرب قسنطينة، فانهزم الموحدون وقفلوا راجعين إلى بجاية، وتوجه يحيى إلى بسكرة معتصما بها، حيث دخلها ومثل بأهلها، وسجن عاملها أبا الحسن بن أبي يعلى، وذلك بعد سنة 597هـ ثم رجع إلى المهدية[2] ومن خلال ما سبق نستنتج بأنه كان يقطن ببسكرة حاكم موحدي يرعى شؤونها وشؤون منطقة الزاب زيادة إلى واد ريغ. أما بخصوص ما قاله الإدريسي فلا يعدو أن يكون وصفًا مقتضبًا، غير أننا لا يمكن الاستغناء عنه حيث يقول: "ومن نقاوس إلى حصن بسكرة مرحلتان، وهو منبع في كدية تراب عال وبه سوق وعمارة، وفيه أيضا من التمر كل غريبة وطريفة. ومنه إلى حصن بادس وهو في أسفل طرف جبل أوراس"[3] . ولما رجعت مقاليد الحكم إلى الحفصيين (625 . 943هـ/ 1229 . 1539م) خضعت بسكرة لهم، أما مشيختها فبقيت لبني رمان منذ سقوط الدولة الحمادية، وكان بنو مزني بقرية حياس قربها، حيث ملكوا بها بساتين النخيل والثمار، ثم انتقلوا إليها وانضم كبارهم في مجالس شورها، الأمر الذي جعل بني مزني يشتكون إلى سلطان تونس الذي كشف عن تعاطفه مع بني رمان لقدم عهدهم، مما زاد في حدة الصراع الذي أفضى إلى التقابل فيما بينهم في طرقات المدينة. هذا وقد ذكر ياقوت الحموي: "... وهي مدينة مسورة ذات أسواق وحمامات ... وبها جبل يقطع منه الضجر وتعرف ببسكرة النخيل"[4]. تنكرت الدنيا حتى عرفت منه بمعر فها[5] وأشار العبدري في الرحلة بالمغربية إلى إقامته

---

[1] ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص ص230، 232.231.

[2] المراكشي عبد الواحد: **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، الدار البيضاء، 1978، ص374.

[3] الإدريسي: المرجع السابق، ص 84.

[4] الحموي، ياقوت: المصدر السابق، ج1، ص625.

[5] لسان الدين ابن الخطيب: **أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام**، القسم الثالث، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، تحقيق أحمد مختار العبادي ومح مد إبراهيم الكتاني، نشر دار الكتاب الدار البيضاء 1964، ص56.

القصيرة بها دون أن يستفيض في الحديث عنها[1]. وهذا ما يجعلنا نرجح أن هذه الإمارة عاشت نحوا من قرن ونصف تخللها بنورمان بين فضل بن علي وابنه منصور ولم يعرف الزاب عصرًا كعصرها هناء ورغدة عيش لما كان عليه بنو مزني من حسن التدبير والإدارة، فقد أحسنوا معاملة الذواودة فاستعانوا بهم وعرفوا ما بالبلاط الحفصي من دساش فوصلوا أيديهم بزناتة التي لولا تطاحن دولتيها حتى ضعفتا ما سقطت هذه الإمارة في دور شيخوختها وخير ما نختم به حديثنا عن هذه الدولة أبيات للسان الدين بن الخطيب أرسلها إلى ابن خلدون وهو عند أحمد بن يوسف وهي[2]:

من أنكر غيثا منشـؤه في الأرض وليس بمخلفهـا

فبنان بني مزني مـزن تنهل بلطف مصرفهـا

مزن مدخل ببسكـرة يومًا نطقت بمصحفهـا

شكرت حتى بعبارتهـا وبمعناهـا بأحرفهـا

ضحكت بأبي العباس من الأيام ثنايـا زخرفهـا

والجدير بالذكر أن الصراع الذي كان قائما بين دول المغرب (الحفصيين، الزيايين و المرنيين)، جعل المدينة بؤرة الصراع بينهم تارة تخضع لدويلة وتارة تخضع لأخرى. هذا وننوه بأن بسكرة عند خروجها من سلطة الحفصيين بقيت نحو ثلاثة سنوات مستقلة وذلك قبل أن يستولي العثمانيين 920هـ . 1246هـ/ 1514م . 1830م الذين جاؤا إلى الجزائر لنجدتها من التحرشات الإسبانية التي أعقبت سقوط غرناطة في حدود (897هـ . 1492م) بدعوة من السكان الذين استنجدوا بالإخوة بارباروس لدفع العدوان المبارك من طرف الكاردينال فرانسسكو دوسيسنيروس وقد دحر العثمانيين الأسبان عن المنطقة ومنعوا التوسع الصليبي. وحينما زارها الورثلاني وجدها تتكون من: "عدة أحياء عديدة أشهرها باب الضرب و المسيد وسيدي بركات و قداشة وبكل حي منها يوجد مسجد مخصص للصلوات الخمس. هذا طبعًا في القرن (10هـ/16م) أما بسط

[1] العبدري، محمد: **الرحلة المغربية**، تحقيق أحمد بن حدو، نشر كلية الآداب الجزائرية. د. ت.

[2] لسان الدين ابن الخطيب: المصدر السابق، ص56.

السلطة التركية يدها على بسكرة فكان في حدود (1541م)[1]. وفي هذه الأثناء احتدم الصراع بين القبائل الصحراوية لنهب الواحات، وكان الوجود التركي بسيطا للغاية، فلكل قبيلة شيخها وفي مدينة بسكرة يقطن القائد أو شيخ العرب الممثل للباي بقسنطينة وسلطة هذا الأخير لا تكون ذات فاعلية إلا عندما يتحرك الجيش التركي وهذا قصد دعمه. وعندما ما زارها الوزان وجدها: "عامرة كما ينبغي وسورها من الآجر لا نيئ، أما سكانها فمؤدبون لكنهم فقراء لأن أراضيهم لا تنتج شيئا غير التمر"[2]. أما مارمول كاربخال فوجدها تحت نفوذ الأتراك فحسب[3]. أما العياشي فقد قال عنها: " وبسكرة من أعظم المدن وأجمعها لمنافع كثيرة مع توفر أسباب العمران فيها، قد جمعه بين التل والصحراء ذات نخيل كثير وزرع كثيف وزيتون ناعم وكتان جيد وماء حار في نواحيها وأرجاء متعددة يطحن بالماء ومزارع حناء إلى غير ذلك، وبالجملة لم أجد في البلاد التي سلكتها شرقا وغربا أحسن منها ولا أحسن ولا أجمع لأسباب المعاش"[4]. حاصل القول أن مدينة بسكرة بقيت بيد الأتراك حتى انقضاض فرنسا على الجزائر سنة1246ه/ 1830م، وبعد نزول الحملة الفرنسية حاول فرحات بن سعيد الاستقلال ببسكرة ولكن الأمير عبد القادر نجح في الاستيلاء عليها لتنصيب خليفة عليها بعد ذلك الحسن بن عزوز، وفي سنة1844[5]، استولى عليها الجيش الفرنسي بقيادة ابن الملك الدوق دومال وترك فيها حامية، ولكن الأهالي سيقضون على تلك الحامية ويقتلون رجالها ولم يستتب الأمر فيها للفرنسيين إلا بعدما شيدوا حصنا واتخذوها قاعدة عسكرية من قواعد الجنوب ووضعوها كغيرها من المناطق الصحراوية تحت الحكم العسكري المباشر(شكل 3).

ثالثا: الفتح الإسلامي لإفريقية والمغرب.

1.التعريف ببلاد افريقية والمغرب:

- **المغرب:**

[1] الورتلاني، حسن بن محمد: **المصدر السابق**، ص104.

[2] الوزان حسن بن محمد: **المصدر السابق**، ج2، ص138.

[3] .كاربخال، مارمول: **إفريقيا**، ترجمة محمد حجي ومحمد زنير محمد الأخضر وأحمد تو فيق وأحمد جلون، ج3، مطبعة المعارف الجديدة، 1984، ص168.

[4] .العياشي بن سالم: المصدر السابق، ج2، 1198ه. 1783م، أحمد ابن أحمد التونسي، د.ص.

[5] Syndicat ; op.cit. Pp : 5، 10.

المراد بلفظ المغرب هو كل ما يقابل المشرق من بلاد، وقد اختلف الجغرافيون والمؤرخون المسلمون في تحديد مدلوله. فجعله البعض يشمل بلاد شمال إفريقيا بالإضافة إلى اسبانيا الإسلامية (الأندلس) وجميع ممتلكات الإسلامية في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، مثل صقلية وجنوب إيطاليا وجزيرتي سردينيا وكورسيك وجزر البليار أو الجزر الشرقية. وتعتبر مصر أيضا من ضمن البلاد المغربية، باعتبارها القاعدة السياسية والعسكرية والثقافية لهذه المنطقة الغربية في الفترة الإسلامية الأولى.[1]

أما المراكشي[2] فيورد حد المغرب من ضفة النيل بالإسكندرية التي تلي بلاد المغرب إلى آخر بلاد المغرب، وحده مدينة سلا.

وينقسم الى: قسم من الإسكندرية إلى إطرابلس، وهو أكبرها وأقلها عمارة.

وقسم من إطرابلس وهي بلاد الجريد، ويقال أيضا بلاد الزاب الأعلى، ويلي هذه البلاد بلاد الزاب الأسفل وحدها مدينة تيهرت، ويليها بلاد المغرب وهي بلاد طنجة، وحدها مدينة سلا وهي آخر المغرب. وأول من جمع مصر والمغرب حتى طنجة هو معاوية بن أبي سفيان لمسلمة بن مخلد الأنصاري.[3]

أما الإصطخري[4]المعروف "بالكرخي" فيذكر أن المغرب نصفان يمتدان على بحر الروم، نصف من شرقيه ونصف من غربيه، فأما الشرقي فهو برقه وإفريقية و تيهرت وطنجة والسوس وزويلة وما في أضعاف هذه الأقاليم، وأما الغربي فهو الأندلس.

وأمام ازدياد الفتوحات الإسلامية زاد مدلول المغرب اتساعا، خاصة أيام العباسيين حيث صارت الشام ضمن بلاد المغرب، فالمسعودي يذكر أن العباسيين قسموا مملكتهم إلى قسمين وهما:

المشرق: ويشمل بلاد فارس وما يليها شرقا.

---

[1].ابن سعيد المغربي: **الجغرافيا**، تحقيق إسماعيل العربي، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982ص155

[2]ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص05

[3]ابن عذارى المراكشي: المصدر نفسه، ص21

[4].الإصطخري (المعروف بالكرخي): **المسالك والممالك**، تحقيق محمد جابر عبد العالي الحلبي، مطابع دار القلم، القاهرة،1981، ص33

المغرب: ويشمل الشام ومصر وإفريقية وما يليها غربا.

وأما المغرب، فيقصي القلوب ويوحش الطبع، ويطيش اللب، ويذهب بالرحمة، ويكسب الشجاعة[1].

وعلى هذا الأساس قسم هارون الرشيد مملكته على أبنائه الأمين والمأمون والمؤتمن[2].

كما حدد ابن خلدون المغرب بأنه قطر واحد مميز بين الأقطار" فحده من جهة المغرب بحر المحيط، وهو عنصر الماء وسمي محيطا لإحاطته بما انكشف من الأرض ...وأما حده من جهة القبلة والجنوب فالرمال المتهيلة الماثلة حاجزا بين بلاد السودان وبلاد البربر، ومن جهة الشرق بحر أهل القلزم المتفجر من بحر اليمن. وأما العرف الجاري لهذا العهد بين سكان هذه الأقاليم، فلا يدخل فيه إقليم مصر ولا برقة وإنما يختص بطرابلس وما ورائها إلى جهة المغرب في هذا العرف لهذا العهد"[3].

رغم هذه الاختلافات والتقسيمات السالفة الذكر، إلا أن المتفق عليه والشائع الآن، هو تحديد المغرب بالأرض الإسلامية الممتدة غرب مصر إلى المحيط الأطلسي، وهناك المغرب الإفريقي وهناك أيضا المغرب الأندلسي، وعلى هذا الأساس تعد مدينة الإسكندرية هي الحد الفاصل بين المغرب والمشرق، وقد تقلص مدلول مصطلح المغرب في وقتنا الحاضر وأصبح قاصرا فقط على بلاد شمال إفريقيا أو ما يسمى بالمغرب العربي الكبير.

- **إفريقية:**

قال قوم إنها إفريقية أي صاحبة السماء، وقال آخرون سمية بإفريقية لأن إفريقس بن أبرهة بن الرايش غزى نحو الغرب حتى انتهى إلى طنجة في ارض البربر،[4] و هو الذي بني إفريقية وباسمه سمية. وحدها من برقة شرقا إلى طنجة الخضراء غربا واسم طنجة موريتانية وعرضها من البحر إلى الرمال التي هي أول بلاد السودان وهي جبال عظيمة متصلة من الغرب إلى الشرق[5].

---

[1].المسعودي: **مروج الذهب ومعادن الجوهر** مراجعة كمال حسن مرعي، ج2، المكتبة العصرية بيروت لبنان، ص49

[2]المصدر نفسه: ج1، ص 70.

[3].ابن خلدون: **العبر**، المصدر السابق، مجلد 06، القسم الثاني، ص ص 114-118

[4]ابن منظور: المجلد3، دار صادر بيروت لبنان، ط2، حرف الراء، ص55. 56 (كلمة البربر تعني كثرة الكلام والجلبة باللسان وقيل: الصياح ورجل بربار إذا كان كذلك وقد بربر إذا هذى: قال الفراء: البربري الكثير الكلام بلا منفعة وقد بربر في كلامه بربرة إذا أكثر والبربرة الصوت وكلام من غضب وقد بربر مثل ثرثر.)

[5]البكري: المصدر السابق، ص 21.

وقد تحول هذا المصطلح مع مرور الزمن من التعبير عن منطقة جغرافية محدودة وهي شمال إفريقيا ككل ليصبح مدلول الكلمة يدل على القارة بمختلف تكويناتها وتركيباتها، وهي تعريب للكلمة اللاتينية "AFRICA"، التي أطلقها الرومان على هذا الإقليم الذي نظموا شؤونه بعد تخريبهم لقرطاجة (في بلاد تونس الحالية).

أما في الفترة الإسلامية، فكان يقصد بها المغرب الأدنى وكان يشمل تونس وبعض الأجزاء الشرقية من الجزائر، وكانت عاصمته مدينة القيروان أيام حكم الأغالبة، ثم المهدية أيام الفاطميين، ثم مدينة تونس منذ عهد الحفصيين إلى اليوم[1].

بعد ظهور الدين الإسلامي في مكة المكرمة بالجزيرة العربية ببعثة محمد بن عبد الله عليه الصلاة و السلام سنة 610م،و انتشاره بها استطاع الرسول صلي الله عليه وسلم أن يكون نواة لدولة إسلامية كانت عاصمتها المدينة المنورة، وبعد وفاته سنة11هـ (632م) تولى الخلافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فوطد أركان الإسلام في الجزيرة العربية وقضى على حركة المرتدين بها وأرسل الجيوش لفتح الشام و العراق و التي حققت انتصارات باهرة، وكان القائد عمر ابن العاص يلح على أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب أن يسمح له بالتوجه إلى مصر وفتحها ونشر الإسلام بها، و لذلك كان يعطي المبررات في الحصول علي الإذن من الخليفة بالفتح مخاطبا له "يا أمير المؤمنين تأذن لي في أن أسير إلي مصر فأنا إن فتحتها كانت قوة للمسلمين وهي أكثر الأرض أموالا وأعجزه عن وقتال[2]. واستجاب الخليفة إلي فكرة فتح مصر وعقد له سنة18هـ اللواء وأمره على 4000 رجل، ولما افتتحها أقام بها، ثم كتب إلى عمر يستأمره في الزحف على الإسكندرية فكتب إليه يأمره بذلك، فسار إليها في سنة21هـ واستخلف على مصر خارجة بن حذافة بن غانم بن عامر بن عبد الله بن عبيد بن عويش[3].ثم بعث إلى القرى التي حولها الخيل ليطأهم فبعث عقبة بن نافع الفهري وكان نافع أخ العاصي لأمه[4]. هذه الفتوحات شجعت عمرو بن العاص على المضي قدما وكتب إلى عمر بن الخطاب مرة أخرى يستأذنه في

[1] أحمد مختار العبادي: **تاريخ المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ص10.

[2] اليعقوبي: **كتاب البلدان**، نشر م.ج.جوية، ط2، بريل، ليدن، 1892م، ص ص101،102

[3] الحسن البلاذري: **المصدر السابق**، ص ص221-222.

[4] المصدر نفسه: ص 238.

غزو إفريقية بقوله: " إن الله فتح علينا أطرابلس وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل"[1]. وقد كانت خشية الخليفة على جند الإسلام والزج بهم في معارك في الأطراف القاسية تدفعه إلى التريث، فالصحراء الإفريقية الكبرى وهي أكبر صحاري العالم تمتد من البحر الأحمر شرقا "من صحراء مصر" إلى المحيط الأطلسي غربا "موريتانيا" ومن سواحل ليبيا إلى منخفض تشاد جنوبا، بمساحة سبع مليون كيلومتر مربع أي حوالي ربع مساحة القارة الإفريقية[2]. و لهذا كان رده على كتاب عمر" لا إنها ليست بإفريقية ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها لا يغزوها أحد ما بقيت"[3] .و مع اعتلاء عثمان رضي الله عنه الخلافة سنة24 هـ ندب الناس لغزوها، فخرج المسلمون في جيش عظيم فيهم من الصحابة و المهاجرين (مروان بن عبد الحكم وجمع كثير من بني أمية، وبشر كبير من بني أسد بن عبد العز و عبد الله بن الزبير بن العوام في عدة من قومه، وعبد الرحمن بن أبي بكر و عبد الله بن عمر بن العاص، و المطلب بن السائب و بشر بن أرطأة[4]. وعرفت الحملة بجيش العبادلة.

وقد انطلق العرب نحو الغرب محفزين بالانتصارات السريعة والمدهشة التي حققها رماتهم وفرسانهم ومهاريوهم الخفاف على القوات البيزنطية الثقيلة، و مدفوعين بالاطمئنان لموقف أهل مصر الذين كانوا يعتبرونهم محررين وضعوا حدا لظلم البيزنطيين وليسوا غزاة، كما أن تموينهم كان مؤمنا بسبب سيطرتهم على منطقة الفيوم[5].وأرسل أخاه من الرضاعة، عبد الله بن سعد بن أبي سرح والي مصر بعد عزل عمر بن العاص على رأس حملة اجتاز بها طرابلس، واستولى على سفن للروم كانت راسية على الشاطئ هناك والتقى بجيوش البيزنطيين في سبيطلة سنة 27 هـ[6]."SUFFTULA "ويعربها العرب سبيطلة التي كانت تحت سيطرة قائد

---

[1] ابن عبد الحكم: **فتوح إفريقية والأندلس**، تح، عبد الله أنيس الطباع، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1964، ص 33.

[2] مسعود الخوند: **الموسوعة التاريخية الجغرافية**، الجزء 11، طبع لبنان، 1996، ص 215.

[3] ا بن عبد الحكم: المصدر السابق، ص 03.

[4] ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص ص08-09.

[5] ثيري جاك: **تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى**، ترجمة جاد الله عزوز الطلحي، مصراته، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 2004، ص 32.

[6] ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص 09.

يلقب بالبطريق "patricius"واسمه جريجوريوس يسميه العرب جرجير[1].وكان ملكه ما بين أطرابلس إلى طنجة، وكان على خلاف مع هرقل والدولة البيزنطية استقل بولايته وعاصمتها قرطاجنة[2].وكانت من أكبر موانئ البحر المتوسط. فخرج عبد الله من مصر في 20 ألف رجل إلى إفريقية سنة 27 هـ أما جرجير فكان في 120 ألف[3]. وقتل القائد البيزنطي على يد عبد الله بن الزبير وانتصر المسلمون فيها.

وفي سنة 34 هـ غزا معاوية بن حديج إفريقية، وهي أول الغزوات إلى المغرب بعد موقعة سبيطلة، بسبب الفتنة وما أعقبها من حرب أهلية، فلما انتهت وخلصت الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان40هـ الموافق لـ 621م(عام الجماعة)، قرر إعادة فتح إفريقية وعهد بذلك الأمر إلى قائده معاوية بن حديج الكندي 45 هـ[4].وكان هذا الأخير عثمانيا. فبعث السرايا إلى مراكز البيزنطيين برا وبحرا وحقق انتصارات باهرة، غير أن هذا القائد لم يستمر طويلا لإخضاع إفريقية حيث عزل من طرف الخليفة معاوية، وتم تعيين القائد التابعي المشهور "عقبة بن نافع الفهري" وأقر معاوية بن حديج على مصر[5].وهذه هي الولاية الأولى لعقبة، وقد استمرت من سنة 50 هـ إلى 55 هـ الموافق 670م /675م.

ويقول أحمد مختار العبادي"[6] إن اختيار معاوية لعقبة كان اختيارا موفقا لأن عقبة يعتبر من أوائل المجاهدين في المغرب، إذ أنه دخل برقة مع ابن خالته عمرو بن العاص سنة 23 هـ وكان عمره وقت ذاك 14عاما، وشارك في والغزوات التي قام بها المسلمون في إفريقية. وتشير المصادر التاريخية إلى أنه في الوقت الذي كان فيه معاوية بن حديج يرسل السرايا إلى الأقاليم الشمالية الساحلية في سوسة وبنزرت وقابس، كان عقبة بن نافع يحارب في الصحراء في فزان، وودان، وما وراء الواحات الجنوبية. ويذكر أحمد مختار العبادي أن عقبة بن نافع كان طيلة ربع قرن رجلا مرابطا في سبيل الله لدرجة أن بعض الروايات جعلت منه بطلا

[1] ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص 35.
[2] ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص 35.
[3] ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص10.
[4] ابن عذارى المراكشي: المصدر نفسه، ص16.
[5] ابن عذارى المراكشي: نفسه، ص 19.
[6] أحمد مختار العبادي: المرجع السابق، ص ص38-39

أسطوريا بل قطبا عارفا مستجاب الدعوة. ويذكر حسن مؤنس[1]" إذا كانت معركة سبيطلة الخطوة العربية الأولى لفتح إفريقية، فإن ولاية عقبة بن نافع الفهري بقيادة الفتح في المغرب ما بين 50 و55هـ الموافق 670 م/675 م تعد الخطوة الثانية الحاسمة كما يقول إن طول مكوث عقبة في الفتح ربع قرن جعلته مغربيا عربيا وكان قائدا موهوبا ذا نزعة إسلامية بالغة العمق. و قد قام هذا الأخير بإنشاء مصر للمسلمين تكون مستقلة بأمرها عن مصر، واختار موقعا وسطا حسب ما تذكره المصادر التاريخية وسط البلاد إلى شمال سبيطلة سمية بالقيروان[2]، وهو معرب عن الفارسي وهو "عظم الجيش" وهو ما يصدق تمام الصدق على الغرض الأصلي من تأسيسها لأول مرة سنة50للهجرة 670م ونظرا لطول عهد عقبة بالمنطقة و بالسكان ولخبرته الطويلة ولكونه تشبع منذ زمن طويل بنواة مشروع ديني ثقافي، حضاري، سياسي، فقد افتتح عهده بتحديد استراتيجيته المستقبلية بقوله " إن إفريقية إذا دخلها إمام أجابوه إلى الإسلام، فإذا خرج منها رجع من كان أجاب منهم لدين الله إلى الكفر، فأرى لكم يا معشر المسلمين أن تتخذوا بها مدينة تكون عزا للإسلام إلى آخر الدهر ...فاتفق الناس على ذلك[3].

وفي اختيار الموقع، وتأسيس القيروان وكذا موضعها. يقول ابن عذارى[4] دائما" إني أخاف أن يطرقها صاحب القسطنطينية بغتة فيملكها، ولكن نجعل بينها وبين البحر ما لا يوجب فيه التقصير للصلاة فهم مرابطون ... وقال قربوها من السبخة فإن دوابكم الإبل، وهي التي تحمل أثقالكم، فإذا فرغنا منها لم يكن لنا بد من الغزو والجهاد حتى يفتح الله لنا منها الأول فالأول، وتكون إبلنا على وباب قصرنا في مراعيها آمنة من عادية البربر والنصارى. وبذلك فقد ارتكزت استراتيجيته على أمن المسلمين الفاتحين بالمقام الأول، وبني فيها أول ما بني

---

[1] حسين مؤنس: **أطلس تاريخ الإسلام**، القاهرة، ط1، مطابع تين واه، سنغافورة،1987 ص 134.

[2] الأسيدي الدباغ: **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي (839 ه)، تعليق إبراهيم شبوح، جزء 1، مطبعة السنة المحمدية مصر، 1968، ط2، ص8 " اختلف العرب في لفظ **القيروان** فقيل هي موضع اجتماع الناس والجيش وقيل محط ثقال الجيش وقيل هي الجيش نفسه والمعني متقارب ذكرتها المصادر التاريخية:

أنظر (الاستبصار ص197، الإصطخري ص34، البكري...) من المدن الأولي التي أسسها المسلمون علي يد عقبة بن نافع الفهري ما بين 50هـ /55هـ "هي أجل مدينة بأرض المغرب خلا قرطبة بالأندلس فإنها أعظم منها وهي المدينة التي كان يقيم بها ولاة المغرب وبها كان مقام الأغلب وبنيه إلى أن أزال ملكهم أبو عبيد الله المحتسب. وقال الواقدي سميت القيروان قيروانا لان العرب أقرت رحلها فيها. قال الأزهري القيروان معرب وهو بالفارسية كاروان وقد تكلمت به العرب قديما.

قال إمرء القيس: وغارت ذات فيرون***كأن أسرابها الرعال

[3] ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص19.

[4] ابن عذارى المراكشي: نفسه، ص20.

المسجد الجامع، واتخذ دار الإمارة وأذن للعرب باتخاذ الخطط". ودام ذلك خمس سنوات وأصبحت رابع الأمصار الإسلامية بعد الكوفة، البصرة، الفسطاط. ويقال إن اختيار موضع القيروان واختيار القبلة لمسجدها تداخل بين الأسطورة والواقع حيث تروي الأساطير، أن عقبة بن نافع عندما اختط المسجد ظل يحدث فيه البناء، وكان يصلي فيه وهو كذلك، فاختلف الناس عليه في القبلة فدعي الله عز وجل أن يفرج عنه فأتاه في منامه فقال له إذا أصبحت فخذ اللواء في يدك واجعله في عنقك فإنك تسمع بين يديك تكبير لا يسمعه أحد من المسلمين غيرك، فانظر الموضع الذي ينقطع فيه التكبير فهو قبلتك ومحرابك.

ويذكر بن عذارى[1] أن عقبة تبع التكبير حتى انقطع وركز لوائه وقال: هذا محرابكم فاقتدى به سائر مساجد المدينة، وأخذ الناس في بناء الدور والمساكن والمساجد، وكان دورها ثلاثة عشر ألف ذراع وستمائة ذراع حتى كمل أمرها.

وقد كانت القيروان قاعدة لمواصلة الفتح وعنوان للتيار السياسي الديني الجديد وعندما تم البناء أفصح عقبة عن أهدافه الحضارية بدعائه المشهور " اللهم أملأها علما وفقها وأعز بها الإسلام وامنعها من جبابرة الأرض[2]. واتسعت خطة المسلمين وقوي جنان من هناك من الجنود بمدينة القيروان، وأمنوا واطمئنوا على المقام فثبت الإسلام[3].ودام حكم عقبة أربعة أعوام[4].مثلما يذكر ابن عذارى المراكشي حيث ركز فيها على تثبيت دعائم المسلمين في إفريقية وجعل القيروان نقطة ارتكاز في سائر المراكز. إلا أن أمر العزل وتولية مسلمة بن مخلد الأنصاري على مصر وإفريقية، هذا الأخير الذي كافأ مولاه أبو المهاجر دينار وولاه إفريقية واكتفى هو بحكم مصر. وقد تركت حادثة العزل أثرا سيئا في نفسية عقبة ابن نافع، حيث تذكر المصادر التاريخية إساءة أبو المهاجر له، وبلغت أن أقدم أبو المهاجر على بناء مدينة جديدة تبعد عن القيروان بقرابة ميلين تدعى "تكروان" وأمر الناس بحر ق القيروان وعمل على إفساد ما قام به عقبة[5].

---

[1] ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص ص 20-21.

[2] الدباغ: المصدر السابق، ص7.

[3] محمد الخضري بك: **محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)**، ج1، دار التحرير للطبع والنشر، 1969، ص 115.

[4] ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص 21.

[5] ابن عذارى المراكشي: نفسه، ص 23.

كما تذكر المصادر التاريخية، أن أبا المهاجر خالف وصية مسلمة بن مخلد بأن يحسن العزل بعقبة ولكنه سجنه وأوقره حديدا".[1] و هذا من الخلل القديم الذي يئن منه المسلمون إلى حد الآن، فإن الخلف من الولاة كان، عوضا عن أن يستعين بآراء سلفه وتجاربه يجتهد في تصغيره وتحقيره حتى ينطفئ أسمه ويكون لهذا الخلف الذكر المحمود وحده. ولا يدري انه بهذا يقتطع من نفسه قوة كان يمكن الانتفاع بها[2].

وتذكر المصادر التاريخية أن عقبة صلى ودعا وقال: اللهم لا تمتني من أبي المهاجر دينار بن أمي دينار. وذهب عقبة إلى معاوية شاكيا إلا أن معاوية وافته المنية وبعد تولية يزيد سنة61هـ رده إلى المغرب. ويذكر بن عبد الحكم[3]أن عقبة بن نافع عاد سريعا بحنقه على أبي المهاجر حتى قدم إفريقيا فأوثق أبا المهاجر في وثاق شديد وأساء عزله وغزا به معه السوس وهو في حديد.

وفي الولاية الثانية لعقبة بن نافع للمغرب والتي كانت قصيرة في زمانها كبيرة في إنجازاتها العسكرية والروحية. رحل إلى بلاد الزاب، فسأل عن أعظم مدائنهم قدرا فقالوا مدينة يقال لها أذنه[4]ومنها الملك، وهي مجمع ملوك الزاب. وكان حولها ثلاثمائة قرية وستون قرية وكلها عامرة[5].وقاتل الروم في وادي المسيلة فهزمهم وقتلهم وذهب عز الروم وملكهم من الزاب إلى آخر الدهر[6].وقد امتدت هذه المرحلة من61هـ إلى63 هـ .ويقول في هذا الصدد حسن مؤنس[7]"وعقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري شخصيته تختلف عن كل ما رأينا في الفتوح حتى الآن من القادة والفاتحين إذ بينما كان هؤلاء رجال السياسة وحرب في المقام الأول كان عقبة أولا وقبل كل شيء رجل دينية وجهاد في سبيل الله فهو لا يهتم بمظاهر أو مراكز أو نتائج سياسية وإنما هو يجاهد في سبيل الله ولا ينظر لغير الله ولهذه الطبيعة الصوفية فيه نتيجتين واضحتان:

---

[1]ابن عبد الحكم: ، المصدر السابق، ص 58.

[2]محمد الخضري بك: المرجع السابق، ص116.

[3]ابن عبد الحكم :المصدر السابق، ص58.

[4]يذكرها البكري في كتابه المسالك والممالك ص328"وبلد أدنه بلد كثير الأنهار والعيون العذبة...وبينها بين المسيلة مرحلة"

[5]أبو إسحاق إبراهيم بني قاسم الرقيق :**تاريخ إفريقية والمغرب**، تحقيق عبد الله العلي الزيدان، عز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي بيروت لبنان، ط1990، ص 11.

[6]ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص 64.

[7]حسين مؤنس :**تاريخ المغرب وحضارته** من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر (من القرن 6 ميلادي إلى القرن 19 ميلادي، المجلد الأول، ج1، مطبعة العصر الحديث، بيروت لبنان، ط ١، ص 86.

- **الأولى:** أن حملته الكبرى التي وصل فيها إلى المحيط لم تكن مجرد غارة واسعة المدى بعيدة الصدى ولكنها رغم نهايتها الأسيفة خلفت نتائج إيجابية مباشرة وبعيدة المدى بمستقبل الإسلام والعروبة في المغرب.

- **الثانية:** أنه لقلة نظره إلى السياسة أو الكسب المادي قد تحول عند أهل المغرب إلى شخصية دينية جليلة تركت في نفوسهم أثرا عميقا وأظهرت بوضوح الجانب الأهم من النشاط العسكري الإسلامي.

وقد انتهت حملة الفتح الكبرى التي قادها عقبة بن نافع، والتي شملت المغرب الأوسط إلى الأقصى بكارثة تهوذه سنة 63هـ الموافق 682م، والتي استشهد فيها عقبة وأبو مهاجر ومن معهما على أيدي قوات التحالف البربري الرومي الذي تزعمه كسيله وأنصاره. والتي كان لها وقع أليم في نفوس المسلمين خاصة في مدينة القيروان.

ويقول أحمد المختار العبادي[1] في هذا الصدد " لم تكن لعقبة النظرة السياسية الهادئة التي كانت لأبي المهاجر بل كان رجلا عنيفا متشبعا بذلك الحماس الصوفي، الذي يدفعه إلى التماس الشهادة وبيع نفسه من الله، كما يقول. هو بنفسه وهذا الحماس الديني الشديد جعله يسخر من سياسة سلفه، ويستهين بقوة أصحابه، بل ويتعمد الإساءة إليهم ويواصل قوله إن مغامرة عقبة بن نافع لم تنجل عن أي كسب حربي إيجابي، إلا أنها في الوقت نفسه نبهت الأذهان في أقاصي المغرب إلى هذا الدين الجديد، ومهدت الطريق أما قادة المسلمين الذين سلكوا هذا الطريق فيما بعد.

ويتناول حسين مؤنس[2]واصفا نتيجة المعركة "هكذا كانت نتيجة حملة عقبة الكبرى ضياع إفريقية من يد المسلمين وكان هذا ثمنا باهظا ... ولكن الحقيقة أن إفريقية لم تضع على الإسلام فقد بقي البلد إسلاميا". وهكذا سقطت القيروان في قبضة كسيله، بعد أن غادرها زهير بن قيس البلوى إلى أطرابلس ولم يبقى في القيروان، إلا ضعاف القوم وبعد تولي عبد الملك بن مروان سنة 65 هـ[3].فقال لهم لا يصلح للطلب بدم عقبة من المشركين وكفرة البربر إلا مثله في دين الله فاتفق رأيهم على زهير بن قيس البلوى وقالوا: هو صاحب عقبة

[1] أحمد مختار العبادي: **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص40.

[2] حسين مؤنس: المرجع السابق، ص 95.

[3] ابن عذارى: المصدر السابق، ص 73.

وأعرف الناس بسيرته وتدبيره وأولاهم بثأره[1]فأرسل المدد إليه وأمره بالانتقام لمقتل عقبة. وانتصر زهير بن قيس في معركة ممس69هجري. وأثناء عودته إلى أطرابلس اعترضته قوة بيزنطية واستشهد ومعظم أصحابه في نفس السنة.

وتوقف الفتح العربي مرة ثانية لبلاد المغرب لعدة سنوات، لتأتي حملة حسان بن النعمان الذي عين واليا على بلاد المغرب من طرف عبد الملك بن مروان في سنة 73هـ/692م[2]. ليهزم في الحملة الأولى على يد الكاهنة، وكانت هذه الأخيرة قد ملكت إفريقية خمس سنين[3]. وانسحب إلى إقليم برقة[4]لينتظر خمس سنوات ويعاود الكرة سنة 80 هـ، واستغل حالة الفوضى بين البربر ليجهز جيشا ضخما إلى إفريقية وعند مدينة قابس*هزم الكاهنة ووطد حسان بن النعمان الحكم الإسلامي في بلاد المغرب. وعمل على استمالة البربر وقد استقامة له إفريقية فلا يغزو ولا ينازعه أحد[5] ليعزل سنة 86هـ ويعين التابعي المشهور موسى بن نصير، استطاع وهذا الأخير أن يوطد نفوذ المسلمين في المغربين الأدنى والأوسط توجه لمغرب الأقصى وأصبحت هذه البلاد كولاية تابعة للدولة الإسلامية. لم تدخل الجزائر الشرقية تحت نفوذ دولة بني رستم التيهرتية أو دولة بني سليمان الادارسة التلمسانيين لضعف نفوذهما، وإنما دخلت تحت نفوذ الأغالبة بتونس وكان يطلق عليها في ذلك العهد بلاد الزاب الأوسط[6]. وتحولت المنطقة بعد عقود من الزمن إلى مركز هام للثقافة العربية الإسلامية خاصة بحواضرها التاريخية.

ثالثا: مصطلح الـزاب ومدلوله الجغرافي.

---

[1]الرقيق: المصدر السابق، ص17.

[2]ابن عبد الحكم :المصدر السابق، ص62.

[3]الرقيق: المصدر السابق، ص 30.

[4]برقة :تقع علي مسافة 100كلم تقريبا شمال شرق مدينة بنغازي وقد أسست في عهد أركسيلاس الثاني رابع ملوك مدينة قورني الذي حكم بين سنتي 554/544 ق م، وقد أفتتحها العرب المسلمون سنة 22هـ /643م.ذكرها اليعقوبي في القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي في كتابه البلدان بقوله "مدينة برقة في مرج متسع وتربة حمراء شديدة الحمرة وهي مدينة عليها سور و أبواب حديد وخندق ...وحوالي المدينة أرباض يسكنها خليط من الناس "انظر ابن حوقل في كتاب صورة الأرض "تنفرد بتجارة القطران "ويذكرها الإدريسي في نزهة المشتاق انظر أيضا دائرة المعارف ص 555

*قابس: ذكرت في العديد من المصادر التاريخية والرحالة بأنها مدينة جليلة مسورة بالصخر الجليل من بنيان الأول ذات حصن حصين وأرباض وأسواق وفنادق وجامع وحمامات كثيرة وقد حاط بجميعها خندق كبير يجرون إليه الماء عند الحاجة فيكون أمنع انظر: الاستبصار ص189ومعجم البلدان الحموي.

[5]أبو إسحاق إبراهيم الرقيق: المصدر السابق، ص 34.

[6]رابح بونار: **المغرب العربي تاريخه وثقافته**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ط1981،2، ص32.

لا نعرف في واقع الأمر شيئا عن الزاب في الجاهلية، ولا في القرون الأربعة الأولى للهجرة، وقد تناولت الكثير من المصادر التاريخية مصطلح الزاب، واختلفت في ضبط مفهومه وتحديد إقليمه جغرافيا. فقد ذكر البكري[1]في كلامه حول كلمة "الزاب الزابيان مكسر الباء بعدها الياء أخت الواو، نهران أسفل الفرات، وربما سموها بما حولهما الزوابي، وعامتهم يحذفون الياء، فيقولون الزاب، كما يقولون للبازي باز وهي ثلاثة زواب: الزاب الأسفل وهي كورة الزوابي، والزاب أيضا هذا البلد المعروف المتاخم لإفريقية".

أما ياقوت الحموي[2] فيذكر في باب الزاب خمس مواضع وان مصطلح الزاب اسم لملك من ملوك الفرس القديم حفر هذه الأنهار بالعراق فسمية به وربما قيل لكل واحد منها الزابي (خفيفة الباء) والتثنية زابيان والجمع زوابي، كذلك جاء في لسان العرب[3]في حرف الزاي "الزابيان نهران بناحية الفرات وقيل في سافلة الفرات ويسمى ما حولها من الأنهار الزوابي وربما حذفوا الياء فقالوا الزابان والزاب كما قالوا في البازي باز".

كما جاء في القاموس المحيط[4] زاب زوبا أي انسل هربا والماء جرى، والزاب بالأندلس أو كورة، منها نهر بالموصل ونهر بالأربل ونهر بين موراء وواسط، ونهر بقربه، وعلى كل منها كورة وهما الزابان أو الأصل الزابيان والعامة تقول الزابان ويجمع حواليهما من الأنهار الزوابي وزاب ملك للفرس حفرها جميعها".

إلا أن ما جاء في دائرة المعارف الإسلامية[5] بخصوص اسم الزاب اسم رافدين من روافد نهر دجلة يتصلان به من الضفة اليسرى (الزوابي)أما في المغرب فتربطه بزابي (ZABI)، وهي مدينة رومانية في إقليم الحضنة كانت مقر أسقفية في القرن الخامس الميلادي.

---

[1] البكري: **المسالك والممالك**، تحقيق مصطفي السقا، ج 1، عالم الكتب، ط3، 1986، بيروت، لبنان، ص 692.

[2] ياقوت الحموي: **المشترك وضعا والمفترق صفعا**، دار عالم الكتب، بيروت لبنان، ط2، 1986، ص ص 329-330.

[3] ابن منظور: **لسان العرب**: المصدر السابق، المجلد 3، ص78

[4] الفيروز أبادي: **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، دار صادر، بيروت، لبنان، ط8، 1996، ص 122.

[5] خور رشيد زكي وآخرون: **دائرة المعارف الإسلامية**، المجلد 13، (باب حرف الزاي) ص ص 319-322

أنظر أيضا: سعاد سليماني: منشآت الري القديمة في منطقة الحضنة، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في الآثار معهد الآثار جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2005/2004.

" تقع هذه المنشأة المعروفة حاليا باسم بشليقة (Bechilga)، على بعد ثلاثة كيلومترات شرق مدينة المسيلة الحالية، لازالت آثارها منتشرة هنا وهناك، منها ما استغل في المباني بعين المكان ومنها ما نقل إلى المسيلة، تتراوح مساحتها ما بين 90و30 هكتار، كما أشار المؤرخ بروكوب: أنها فيما وراء مرتفعات الاوراس ببلاد موريتانيا الأولي (السطايفية)التي تحوي كل الصحراء الوسطي والتي تعرف بالحضنة، وربما من هنا استمدت زابي اسمها "

نستنتج من هذا كله، أن مصطلح الزاب يطلق على تلك المناطق المحصورة بين الأنهار والأودية، والتي تشكل روافد. وعادة ما تكون خصبة، مثل أراضي سواد العراق ما بين دجلة والفرات، وما يشابهها من حيث التربة والجغرافيا والنبات والمناخ في بلاد المغرب العربي. أي الأرض الخصبة الممرغة[1].

1.الـزاب اصطلاحا.

وفيما يتعلق بالزاب جغرافيا، فالأكيد أن المؤرخين والجغرافيين في القديم اختلفوا كثيرا في تحديد إقليم الزاب وأقسامه. فالبكري[2] يحدده جغرافيا بالمنطقة الجنوبية الشرقية للجزائر المتاخمة لتونس، ويمتد حتى شط الجريد وبرقة على الحدود التونسية الجزائرية وحتى الكتلة الأوراسية وجبال النمامشة بالجزائر، ومن بين مدنه طبنة، طولقة وتهودة والدوسن.

كذلك صاحب الاستبصار[3]فيعطينا وصفا أكثر شمولا" وهي على طرف الصحراء في سمت بلاد الجريد، وهي مثلها في حر هوائها وكثرة نخلها، وهي مدينة كثيرة ونظار واسعة وعمائر متصلة فيها المياه السائحة والأنهار والعيون الكثيرة ".

ويدرج ياقوت الحموي هذا الإقليم ضمن "الزاب" مدن بسكرة، توزر، وقسنطينة، وطولقة وقفصة، ونفزاوة، وبادس، وبلاد ريغ، على التخوم الصحراوية[4]. وبذلك فهو أوسع جغرافيا مما حدده البكري

أما ابن عذارى المراكشي[5]، فيحدد إقليم الزاب من بلاد الجريد حتى تيهرت ويقسمه إلى قسمين الزاب الأعلى، من إطرابلس إلى بلاد الجريد ويلي هذه البلاد بلاد الزاب الأسفل وحدها مدينة تيهرت. (خريطة7)

كذلك ابن خلدون[6] تطرق لحدود إقليم الزاب وأقسامه وصفا وجغرافية بما يلي "هذا البلد بسكرة، هو قاعدة وطن الزاب لهذا العهد، وحده من لدن قصر الدوسن بالغرب، إلى قصور تنومه وبادس في الشرق،

---

[1] عبد الحليم صيد: **أبحاث في تاريخ زيبان بسكرة**، مطبعة سوف الوادي، ط1، سنة 2000، ص3.

[2] البكري: المصدر السابق، ص692.

[3] مؤلف مجهول: الاستبصار: المرجع السابق، ص171.

[4] ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص326.

[5] ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ج1، ص5.

[6] ابن خلدون: **العبر**، المصدر السابق، المجلد 6، القسم الرابع، ص 510.

يفصل بينه وبين البسيط الذي يسمونه الحضنة جبل جاثم*من المغرب إلى المشرق إلى قبلة برقة. يعمر ذلك الحيل في محاذاة الزاب من غربيه بقايا عمرت من زناته، ويتصل من شرقيه بجبل أوراس المطل على بسكرة. وهذا الزاب وطن كبير يشتمل على قرى متعددة متجاورة جمعا جمعا يعرف كل واحد منها بالزاب، و أولها زاب الدوسن ثم زاب طولقة ثم زاب مليلة*. و زاب بسكرة، و زاب تهوذا، و زاب بادس، وبسكرة أم هذه القرى أما حسن الوزان[1] فقد كان تحديده لإقليم الزاب تحديدا دقيقا حيث يذكر انه "يقع هذا الإقليم في وسط مغازات نوميديا ويبتدئ غربا من تخوم مسيلة ويحده شمالا جبال مملكة بجاية ويمتد شرقا إلى بلاد الجريد التي توافق مملكة تونس وجنوبا إلى القفار التي تقطعها الطريق المؤدية من تقرت إلى وركلة وهذه المنطقة شديدة الحرارة رملية لا يوجد بها إلا يسر من الماء وقليل من الأراضي الصالحة لزراعة الحبوب، لكن عدد حدائق النخل بها لا تحصى. يشمل الإقليم خمس مدن وعدد كثير من القرى وهي بسكرة، البرج، نفطه طولقة، الدوسن"(خريطة8).

أما دائرة المعارف الإسلامية[2]، فقد جاء تحديد إقليم الزاب المنطقة التي حول بسكرة وطولها 125ميل من الشرق إلى الغرب، وما بين30إلى40 ميلا من الشمال إلى الجنوب "وهي سهل منبسط يتلاشى تدريجيا حتى يندرج في الصحراء، يحده شمالا المنحدرات الجنوبية للأطلس الصحراوي، و الاتصالات بينه وبين قسنطينة و الحضنة ميسورة بسبب الفتحات الطبيعية* الموجودة في السفوح الجنوبية للأوراس وفي جبال الزاب الواقع في الغرب أما مناخه فهو متأثر بالصحراء ولذلك فالمطر فيه نادر عارض لا يكفي في الأوقات العادية لزراعة

* جبل جاثم المقصود به جبل حاتم بالمسيلة.

* مليلة المقصود بها مليلي: قرية من قرى بسكرة بالقرب من طولقة تبعد عن مقر الولاية بـ30كلم

[1] الحسن الوزان الفاسي: **المصدر السابق**، ج1، ص138-139.

[2] دائرة المعارف الإسلامية: المصدر السابق، المجلد 3، ص 313. انظر أيضا: عبد المجيد حبة، تذكرة أولي الألباب بتاريخ بسكرة والزاب، مخطوط في زاوية طولقة، ص ص3 .6. - MAGUELONNE. J, Monographie Géographique et Historique de la tribu DES ZIBAN, Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département de Constantine, V44, Ed : Adolphe braham, Paris, 1910.

* الفتحات الطبيعية المقصود بها: فج القنطرة الذي يسمح بالمرور بين التل والصحراء ومازال حتى الوقت الحاضر الممر الرئيسي بين الشمال والجنوب الشرقي للجزائر

الحبوب، غير أن المياه المنحدرة من الجبال تقوم بري المزروعات الواحاتية في مواضع كثيرة تسقي أكثر من 800ألف نخلة".كما تطرق له الشعراء بالذكر[1].

الواضح مما سبق ذكره، أن إقليم الزاب:(خريطة9) هو تلك المنطقة الموجودة على السفوح الجنوبية لجبال الاوراس، والتي تتميز بالانبساط وتتصل شيئا فشيئا بالصحراء. يمتد من حدود المسيلة ونقاوس شمالا، إلى وركلة (وارجلين)* ووادي ريغ جنوبا، ومن الدوسن غربا إلى بادس شرقا، وتبعد مدينة بادس هذه عن بسكرة بنحو 130كيلومتر، ويمكن التمييز بين ثلاثة أجزاء من الزاب (خريطة10):

- الزاب الشرقي: بين سفح تلال أوراس وشط ملغيغ، ويضم سيدي عقبة، سريانه، اوماش، زريبة الوادي، و بادس وخنقة سيدي ناجي.
- الزاب الظهراوي أو (الزاب الشمالي): بين تلال الزاب ووادي جدي يضم بوشقرون، ليشانة، فرفار، طولقة، التي تعد قصبة هذا الجزء من الزيبان.
- الزاب القبلي أو (الجنوبي): ويفصله عن الزاب الشمالي شريط من الأراضي الرملية وسبخات، من قراه أولاد جلال، اورلال، الدوسن، مليلي[2].

ويذكر زهير الزاهري[3]وهو من الباحثين في تاريخ المنطقة (الزاب)

نقسم المنطقة إلى ثلاثة أقسام:

- الزاب الشرقي: الذي يمتد من أقدام الاوراس إلى شط ملغيغ.

---

[1] من هؤلاء الشعراء ابن هاني الأندلسي لجعفر أمير المسيلة قائلا: خليلي أين الزاب مني وجعفر.... وجنة عدن بنت عنها وكوثرا
وقال الحاج أبو عبد الله محمد بن أحمد المقري في حضرة أبي عنان المر يني:
دخلت بلاد الله شرقا ومغربا .... فلم تر عيني مثل بسكرة يبسا
أبي عنان المر يني بقوله:ويا قبح ما أسود القتام بوجهها.... فمذ غشي الأبصار لم تبصر الشمسا ورد
خسراه سحقا لابن هان لقد غوى.... بمدح بلاد الزاب إذا عدم الحسا.
انظر النميري: المصدر السابق، ص441.

* وركلة أو ورجلان وهي مدينة ورقلة الحالية.

[2] عبد الرحمن الجيلالي: **المرجع السابق**، ج2، ص56.

[3] زهير الزاهري :1908 -1999 "شاعر وباحث في التاريخ، لقب بعميد الملتقيات الجزائرية، ولد باليانة وتوفي بعنابة ودفن بمسقط رأسه له العديد من المحاضرات حول تاريخ الزيبان".

- الزاب الصحراوي: الذي يقع بين جبال الزاب ووادي جدي.
- الزاب الظهراوي*: المفصول عن السابق بواسطة حزام رملي وسهول رعوية[1].

خامسا. دور القبائل العربية من بني هلال في المنطقة:

شهدت المنطقة توافد العديد من الهجرات العربية عقب الفتح الإسلامي للمنطقة، أهما قبائل بني هلال التي تمت على دفعات، وتشير المصادر إلى أن توافدهم على المنطقة استمر نصف قرن تقريبا ومن أهم هذه القبائل "الاثبج". ويقول ابن خلدون[2] في هذا الصدد "كان هؤلاء الاثبج من الهلاليين أوفر عددا وأكثر بطونا، وكانت مواطنهم جبال أوراس من شرقيه"، وقد كانت لهم الحظوة والمكانة خاصة في العهد الحفصي، ويذكر ابن خلدون أن الدولة أقطعت لقبيلة كرفه من بطون الاثابج جباية الجانب الشرقي من جبل أوراس وكثير من البلاد الشرقية حيث كانت محلاتهم الصيفية حيث كانوا حربا لرياح وشيعة للسلطان"[3].

- **خلاصة.**

مما سبق نستخلص أن ولاية بسكرة تحتل موقعا جغرافيا أهلها لان تلعب دورا بارزا عبر مراحل التاريخ .يظهر ذلك جليا من خلال الأحداث التي شهدتها على مر العصور، فهي تربط الشرق بالغرب كممر حيوي للفتوحات الإسلامية والفارين من المشرق نحو المغرب آو العكس كرحلات الحج .أومن الشمال نحو الجنوب، باعتبارها منفذ حيوي بين الصحراء والتل، وبذلك ممر حيوي في التجارة بين دول الساحل جنوب الصحراء، خاصة تمبكتو والسودان الغربي زد على ذلك الإمكانيات الاقتصادية التي تحتويها سواء التمور أو الملح.....الخ.

أما في الفترات المتأخرة، وخاصة أثناء الفترة الاستعمارية. فقد كانت بوابة مهمة للاستعمار وتوسعاته ليس فقط في الصحراء، ولكن حتى إفريقيا مما لا يدع مجالا للشك ان الموقع الاستراتيجي لولاية بسكرة ساهم، ولا يزال يلعب ذلك الدور لحد الان.

---

*الزاب الظهراوي: المقصود به زاب طولقة.

[1]مجلة التاريخ: "أعمال الملتقى الوطني الأول لمراسلي مركز الدراسات التاريخية الصادرة عن المركز الوطني للدراسات التاريخية"، الجزائر العاصمة، النصف الثاني من سنة 1985، رقم 19، ص ص 73-78.

[2]ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ص27.

[3]ابن خلدون: العبر، المصدر السابق ، ص27.

الفصـل الثاني:

نشأة العمران الاسلامي بولاية بسكرة

تمهيد: نتناول في هذا الفصل لمحة عن تطور العمران الإسلامي بولاية بسكرة اهم مصادره و ركائزه

أولا: نبذة تاريخية مختصرة عن مراحل تطور العمران الحضري.

ثانيا: المنهج الإسلامي وأثره على العمران:

أ: القيم العقائدية

ب: القيم السياسية

ت: القيم الاجتماعية

ث: القيم الاقتصادية.

ثالثا: الاتجاهات التخطيطية المستقاة من تخطيط المدينة العربية الإسلامية

رابعا: مظاهر العمران الإسلامي بولاية بسكرة:

خامسا: العوامل المؤثرة على العمران الإسلامي بولاية بسكرة:

سادسا: العمارة الصحراوية وأنماطها:

1. **انواعها**

أ -من حيث الشكل

ب -من حيث الوظيفة

2. **خصائص العمارة الصحراوية**

- **تمهيد**

نتطرق في هذا الفصل لمفهوم العمران الإسلامي مراحل تطوره واهم مصادره وركائزه بولاية بسكرة بالإضافة لمفهوم العمران الصحراوي، خصائصه، أنواعه وتقسيماته باعتبار أن المدينة والمناطق المدروسة تنتمي لهذه المنطقة مناخيا وجغرافيا كما ندرس في هذا المجال مدى تأثير المنهج الإسلامي وأثره على العمران بالمنطقة إبراز العوامل المؤثرة على تخطيط المدينة العربية الإسلامية بشكل عام مع تتبع أهم الاتجاهات التخطيطية المستقاة من تخطيط المدينة العربية الإسلامية.

أولا: نبذة تاريخية مختصرة عن مراحل تطور العمران الحضري.

منذ أن بدأ الإنسان يحس بالحاجة إلى وجود مأوى يعيش فيه ولحد الآن فان هذا المأوى مر بمراحل عديدة من التطور. فبعد انتهاء الفترة التي كان الإنسان يعيش فيها في الكهوف وحتى انتقاله إلى العيش في وحدات سكنية بناها بنفسه، مرت هذه الوحدات البنائية بمراحل عديدة من التطور، حيث عاش الإنسان ولحد الآن مازال البعض يعيش في الخيام المصنوعة من خيوط القطن أو الصوف أو في أكواخ مقامة من أغصان الأشجار. وعندما انتقل الإنسان من مرحلة جمع قوته إلى مرحلة إنتاج قوته زادت متطلبات حياته فعمد إلى إقامة الحظائر للحفاظ على دوابه وإبله وإقامة المخازن لخزن فائضه الزراعي كي يأمن على غذائه. وبعد أن زاد تعداد افراد أسرته عمد إلى توسيع مساحة بيته، وعندما ازدادت محاصيله الزراعية عمد إلى تخزينها في بيوت الآلهة(المعابد) وبظهور المعبد وما حوله تأسست او بالأحرى ظهرت بوادر القرية بأبعادها المعمارية البسيطة التي منها نشأت وتطورت المدينة بأبعادها المعمارية الواسعة الكبيرة. ومن هذا وذاك بدأت (الثورة المعمارية الأولى) بالظهور وبدأت الشعوب تتنافس فيما بينها على إقامة القصور والمعابد والمؤسسات الدينية والدنيوية. وعندما زاد العطاء الزراعي أضعاف ما كان عليه وزادت الثروات جاء دور إقامة المدافن العملاقة والمزارات فأقيمت الأهرامات في بلاد وادي النيل والمقابر الملكية في بلاد وادي الرافدين وبلاد السند والهند والصين. وعندما توسعت المدينة وزاد عمرانها تنوعت مواد بنائها وأدخلت فيها عناصر تشكيلية جديدة لم يكن لها أي

أثر من قبل، وهكذا نرى أن الشعوب بازدياد ثرائها وتطورها الحضاري كان اهتمامها يزداد أيضا بالجانب العمراني وإقامة الصروح المعمارية واستخدام مواد بناء جديدة ومتنوعة أكثر من ذي قبل.

لقد كان اختلاف أساليب البناء والمواد المستخدمة في إقامة الصروح العمرانية[1]، راجع بشكل أساسي إلى اختلاف المناخ والبيئة الخاصة بكل منطقة من المناطق التي ظهرت بها الحضارات الإنسانية الكبرى. وهكذا نرى أن المواد المستخدمة في البناء كانت دائما مستمدة من البيئة المحيطة، حيث استخدم الإنسان الخامات والمواد الموجودة في المنطقة التي يعيش فيها مثل الحجر والطين والأخشاب والمعادن ...الخ.لهذا كانت الصروح العمرانية التي أنشأتها الحضارات القديمة أحد الأدلة التي تبين لنا النواحي الاقتصادية والاجتماعية التي عاشتها الشعوب التي أنشأت تلك الحضارات لأنها كانت نابعة من البيئة المحيطة التي عاشت تلك الشعوب في كنفها .

ثانيا: المنهج الإسلامي وأثره على العمران:

ليس منهج الدين الإسلامي متفرد وميسر فقط ولكنه أيضا ملائم للفطرة فهو المنهج الوحيد الذي يحقق كرامة الإنسان ويمنحه الحرية الحقيقية عن طريق التحرر الشامل من العبودية للناس لعبودية رب الناس، فهذا المنهج منظم لمختلف جوانب الحياة سواء للفرد أو المجتمع ككل. ويدعو المنهج الإسلامي إلى إتباع قيمه الأصيلة التي هي بالأصل الأسس التي أقام عليها الدين الإسلامي شرعه وهي القيم العقائدية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.

[1]" مصطلح العمران هو مصطلح حديث، أول ما أطلقه هو الإسباني (IldefoncioCerdá) حيث تحدث عن ضرورة إيجاد مصطلح جديد لم يستخدم بعد يعبر عن الأفكار الجديدة التي استخدمت في تهيئة المجال« *Je vais initier le lecteur à l'étude d'une matière complètement neuve, intacte et vierge. Comme tout y était nouveau IL m'a fallu chercher et inventer des mots nouveaux, pour exprimer des idées nouvelles dont l'explication ne se trouvait dans aucun lexique.* » (Universalis 10, 2005)، وأصل هذا المصطلح مكون من جذر لاتيني وهو (urbs) والذي اشتق عنه مصطلح (urbanización) والذي يعني تحديد سياق تهيئة المجال سواء كان مخططا أو غير مخطط، وبعدها استخدم هذا المصطلح بمختلف اللغات الأوروبية تعبيرا عن مجموعة الأنظمة والقوانين والمبادئ التي تتحكم في تهيئة المجال، فظهر في اللغة الفرنسية بـ (Urbanisme) في سنة 1910، والذي يدل عل حقل جديد من الأعمال المتعددة السلوكيات، ولد نتيجة المتطلبات الخاصة للمجتمع الصناعي.

لا يكتفي المنهج الإسلامي بتغيير العقائد والعادات والتقاليد والأخلاق والمشاعر فقط وإنما يتطرق إلى تغيير الشرائع والقوانين والأنظمة والأوضاع، فالنظام الإسلامي نظام ديني يقوم أساسا على مبدأ المشروعية أي مبدأ الحلال والحرام[1]، ويقول الله تعالى: "يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تأويلا"[2].

كما حرر المنهج الإسلامي المجتمعات من مغبة السير وراء مصالح طبقية وعنصرية ومادية ومعنوية، ووجه هذه المجتمعات إلى واقع مختلف تماما أساسه العدل والمساواة. فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "كلكم من آدم وآدم من تراب "[3]، ولقد بدأ أبو بكر الصديق رضي الله عنه عهده بقوله: "لقد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوموني. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله فإن عصيته فلا طاعة لي عليكم"[4]. كما اهتم بالقيم الاجتماعية ومن أهمها المساواة، فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "الناس سواء كأسنان المشط "[5]. والترابط الأسرى وخصوصية الأسرة، واحترام الجار والحفاظ على الحرمات، ومحاسن الأخلاق من تواضع ورحمة وصبر وصدق، بالإضافة إلى اهتمام المنهج بالتكافل الاجتماعي من كفالة اليتيم والمسكين وصلة الرحم وقضاء حوائج الناس[6].يهدف المنهج الإسلامي إلى تحقيق مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة معا، وهو ما يتطلب تطبيق مبدأ العدالة الاقتصادية واستغلال المواد المتاحة الاستغلال الأمثل تقريرا لمبدأ "لا ضرر ولا ضرار"، و "دفع الضرر مقدم على جلب المنفعة "، بالإضافة إلى احترام الملكية الخاصة مع اعتبار أنها حق غير مطلق، والسماح بقيام الملكيات العامة[7].

---

[1] رفعت المحجوب: **دراسات اقتصادية إسلامية**، معهد الدراسات الإسلامية، 1999م، ص16.

[2] الآية 59 من سورة النساء

[3] أبو داود (سليمان بن الاشعث الازدي السجستاني)(ت275ه)، ، تح، شعيب الأرناؤوط واخرون، دار الرسالة العلمية،دمشق،سوريا،ط1، 2009م باب التفاخر بالانساب،ج7،ص438،

[4] ابن كثير(ت774ه): البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط6، ج5، 248.

[5] ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن الجوزي)، الموضوعات، تح، عبد الرحمان محمد عثمان(597ه) مكتبة السلفية، المدينة المنورة، السعودية، ط 1، 1968، (باب تخير الاصحاب) ج3، ص80.

[6] محمود حسن نوفل، محمود عبد اللطيف :"سبل تطبيق مفاهيم المنهج الإسلامي على العمارة المصرية المعاصرة"، الحلقة الدراسية الرابعة، منظمة المدن والعواصم الإسلامية، الرباط، المغرب، 1991م، ص304، 308.

[7] أبو بكر الجزائري: **منهاج المسلم**، دار الفقير، المدينة المنورة، ص98.

نشأ العمران الإسلامي مع بداية تأسيس الرسول صلى الله عليه وسلم أول مسجد في تاريخ الإسلام (شكل4)ثم بدأت العمارة المدنية تنمو وتتطور مع نشر الرسالة ودعوة القبائل والأمم إلى الدخول في الإسلام وكانت بدايته محتشمة تبلورت في نشأت بعض المدن كالبصرة والكوفة والفسطاط في عهد عمر بن الخطاب وخططت بعض المدن كأربطة (مدن دفاعية) وقسمت كقطاعات للجند، وهذه المدن إما اندثرت كمدينة سامراء في العراق أو نمت بعد البناء كمدينة البصرة في العراق وأخذت الطابع المميز للمدن الإسلامية التي نمت وتطورت مع النمو والتطور الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع فكانت وحدة النسيج العمراني فيها الخطة التي أعطت المدينة طابعها، حيث تحتوي الخطة على مسجد وساحة فسيحة أمام المسجد أو حوله وتقام فيها مقابر ساكنيها وحمامها العام وسويقة صغيرة، وعند زيادة القوى الشرائية كانت تتجمع لتكون سويقة في مركز كل خطة سكنية [1] (شكل 5).

ولقد نشأت المدن العربية الإسلامية مخططة بشوارع رئيسية محورية(متأثرة بالحضارات القديمة) وسرعان ما تحولت إلى ذلك النسيج العضوي المتضام كمدينة دمشق (مخطط 6). وترجع أسباب هذا النمو العضوي إلى ارتباطه أساسا بنشأة العمران حول الحيز الخاص في قلب البيت الأول الذي يصبح مركزا لنمو بيوت الأبناء والأحفاد في ترابط تلقائي يستهدف احتواء أكبر حيز من الفراغ المحيط داخل الحيز الخاص، حيث أن الدرب أو الزقاق سبيل الوصول للباب وما أمام الباب من فراغ الطريق فناء كأنه ملكية خاصة بحيث لا يقطع الطريق[2].

1.المسجد: يعتبر النواة الأولى في بناء المدينة الإسلامية فهو مركز عمرانها والمحور الذي تنشأ حوله مظاهر العمران بدأ من دار الإمارة...الخ، قال تعالى: "إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وأتى الزكاة ولم يخشى إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين "[3] يعتبر المسجد الجامع من العناصر

[1] سمير سعد علي، **"الأسس والمعايير التخطيطية للمدن العربية "**، المؤتمر العلمي الأول لكلية الهندسة جامعة الأزهر، القاهرة، 1989م، ص341.

[2] وائل عبد الحفيظ محمد، "المدخل إلى التشريعات التخطيطية للمجاورة السكنية في ضوء المنهج الإسلامي"، رسالة ماجستير، كلية الهندسة، جامعة أسيوط، أسيوط، 1995م، ص28-31.

[3] الآية 18، سورة التوبة.

المركزية المحورية بالمدينة الإسلامية فهو قلبها النابض بالحياة وله دور أساسي في المجتمع. وارتبط المسجد منذ بداية الإسلام بوظائف تتلخص في أنه[1]:

- مركز ديني واجتماعي: تقام فيه شعائر الصلاة، وتفسير ودراسة تعاليم الدين وكتاب االله، بالإضافة إلى اجتماع المصلين بساحته خمس مرات يوميا بعد أداء الصلاة. كما انه مركز سياسي، لإلقاء الخطب وتلقي البيعة وإذاعة البيانات وحشد وخروج الجيوش، ومكان للاجتماع واستقبال السفراء بالإضافة إلى انه ساحة للعدل الحكم بين الناس وإقامة الحدود. ومركز ثقافي وتعليمي، تقام فيه حلقات العلم والمناظرات بين العلماء. كما جعلت المعايير التخطيطية بالمدينة العربية الإسلامية للمناطق العامة كالحدائق والمقابر والمساجد حرم خاص بها، لا يجوز الاعتداء عليه أو الاختصاص به حتى من قبل ولي الأمر. فقد جاء في المغني: "لا يجوز أن يتفرد المسلم بأرض ملح أو ماء أو من كان به منفعة عامة للمسلمين "، كما جاء به أيضا "ليس للإمام ولا لغيره من الولاة أن يأخذ ممن يرتفق بالجلوس في الشارع، أو أي مرفق عام"[2].

وعلى ذلك فقد حث الإسلام على بناء ما فيه مصلحة الفرد والجماعة ويظهر ذلك في مباني الخدمات العامة والتي ظهرت في المدينة الإسلامية كالسبيل والكتاب وغيرها. وتدعو قيم المنهج الإسلامي إلى العدالة بين الناس والمساواة وهي تشمل بالطبع عدالة توزيع الخدمات داخل المواقع السكنية، بحيث يتساوى السكان في زمن الوصول للخدمات فوجود هذه الخدمات وتأديتها لوظيفتها فيه مصلحة الفرد والجماعة[3].

من أهم السمات التخطيطية التي تميزت بها الخدمات العامة في المدينة العربية الإسلامية الآتي[4]:

ـ المسجد ودور الإمارة في وسط المدينة حيث في وسط المدينة شارع رئيسي وربطه بالمباني العامة وقربهما من المناطق السكنية تأكيدا للتكامل بينهما وبين المجتمع.

---

[1] عبد الحق بشير العقبي، إبراهيم محمد خطيري، **"استنباط المنهج الإسلامي لبناء المسجد "**، الحلقة الدراسية الرابعة، منظمة العواصم والمدن الإسلامية، الرباط، المغرب، 1991م، ص51، 52.

[2] رزق نمر حماد، **"نحو تشريعات مباني إسلامية في العمارة والتخطيط "**، مركز الدراسات والأبحاث الإسلامية، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، 1983م.

[3] وائل عبد الحفيظ محمد، "المدخل إلى التشريعات التخطيطية للمجاورة السكنية في ضوء المنهج الإسلامي"، رسالة ماجستير، كلية الهندسة، جامعة أسيوط، أسيوط، 1995م، ص28.

[4] عبد الحق بشير العقبي، إبراهيم محمد خطيري، المرجع السابق، ص51، 52

ـ ارتباط المبنى الديني بكافة الأنشطة الرئيسية التعليمية والثقافية والصحية والتجارية لما يحققه من كونه مركز جذب رئيسي وعمله كوحدة اجتماعية ودينية.

ـ اتسمت المناطق السكنية بالمدينة العربية بتطبيق المعايير التخطيطية الآتية [1]:

ـ استخدام الوحدة التخطيطية السكنية المتكاملة بخدماتها (الخطة السكنية).

ـ تكتل المباني وتلاصقها حيث تعمل كحاجز ضد الحرارة كما أن هذ ا التلاصق يقوى ويسهل الاتصال بين العائلات ويؤكد قيمة الجوار والترابط وهي أمور حث عليها الإسلام.

ـ الخلخلة في النسيج الحضري العام باستخدام الأفنية الداخلية المفتوحة (الصحن) والساحات العامة التي تختزن الهواء الرطب ليلا فتكون مناطق ضغط مرتفع تشع منها الهواء الر طب أثناء فترة النهار إلى مناطق الضغط المنخفض أثناء ساعات القيظ، وتعمل الأفنية الداخلية على الاحتفاظ بالهواء البارد أكبر فترة ممكنة أثناء النهار ونتيجة للتعرض لأشعة الشمس المباشرة تظهر الفروق في مناطق الضغط التي تعمل على تحريك الهواء داخل الكتلة العمرانية.

ـ يمثل الفناء الداخلي نواه اجتماعية لتقوية روابط الأسرة (وهنا يظهر الدور الاجتماعي والمناخي الذي يقوم به الفناء بالمنزل ولذلك لابد من إيجاد البديل له في العمارة الحديثة). والاعتماد الكلى عليه في اتجاه الفتحات بالمناطق الحارة المناخ (كالعمارة المملوكية في مصر، والعمارة الصفوية في إيران) أو المزج بينه وبين الاتجاه إلى الخارج بالمناطق المعتدلة المناخ والتي طبيعة الأرض بها منحدرة (كالعمارة الأندلسية في الأندلس).

ـ تسلسل المناطق المفتوحة بالنسبة للفرد، حيث يخرج من فناء بيته المفتوح إلى حارة ضيقة ومنها إلى ساحة كبيرة وهكذا يسير في تضاد.

[1] أسامة مصطفى الهمشري، " تأثير القيم البيئة على تصميم الفراغات المعمارية، المسكن القاهري المملوكي"، رسالة ماجستير، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، 1987م، ص142. انظر أيضا محمد سعيد الفارسي، "المدينة العربية بين النظرية والتطبيق – تجربة لمدينة جدة"، رسالة دكتوراه، كلية الهندسة، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، 1987م، ص31 ،32.

ـ التشكيل المعماري والتكوين البصري الجيد. وهذا ما لمحناه في مدينة بسكرة حيث لازالت تحافظ على هذا النمط التخطيطي.

2. شبكة الشوارع: (شكل 7)

المعايير التخطيطية الخاصة بالشوارع شاملة لأدق التفاصيل ولا يمكن الإشارة إليها جميعا لأنها تتشعب لتصل إلى سلوك الأفراد في الشوارع. فاتساع الشوارع تحدده الضرورة والحاجة من هذه الشوارع، ومن أهم المعايير المتعلقة بالشوارع الآتي[1]:

-الارتفاق بالشوارع النافذة حق للجميع، ولا يجوز أخذ تعويض عن هذا الارتفاق.

ـ يحق لمن يملك على هذه الشوارع بيتا أو أرضا أن يفتح له بابا سواء كان للنزل أو لدكان، فقد أتفق الفقهاء على: "أن المالك له حرية التصرف بالملكية تصرفا مطلقا، على ألا يستعمل هذا الحق المطلق في الضرر بالجيران، وإلا منع".

ـ يحق لملاك الأراضي حول الشارع النافذ الارتفاع بمبانيهم دون قيد أو شرط والبناء تحت مستوى سطح الأرض بأي أعماق يريدونها باستثناء القاعدة الشاملة لا ضرر ولا ضرار.

ـ لا يجوز نزع ملكية الأراضي المحيطة بالشوارع لأغراض جمالية أو ما شابه ذلك .على عكس القانون الوضعي الذي يسمح بذلك لنفس الغرض . ويجوز أن تنزع الملكية من حوله فقط في حالة الضرورة القصوى التي حددها الفقهاء في توسعة الشارع إن ضاق بالمارة، وفي هذه الحالة تدفع للمالك كامل التعويضات.

ـ يمنع استغلال الشارع في حفر بئر خاصة أو حفر ة للمجاري أو ما شابه ذلك، بينما يسمح بحفر البئر إذا كانت للعامة، ومن هذا يتحقق حق المرور بعدم وجود عوائق بالشوارع سواء للمارة أو الراكبين وذلك فيه تطبيق لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إماطة الأذى عن الطريق صدقة"[2].

---

[1] Besim ،Selim Hakim. "Arabic-Islamic Cities: building and Planning Principles "Routledge& Kegan Paul plc. London, England, 1986, pp19.

[2] مسلم (أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري) (261هـ): صحيح مسلم، تح، أبو قتيبة نظر محمد، دار طيبة، الرياض، السعودية، ط1، 2006، مجلد1،صص449،448(باب بيان ان اسم الصدقة يقع علي كل نوع من المعروف)

ـ لا يسمح بسقف الشارع النافذ بين الرصيفين حتى وإن كانت الأرض المقابلة لنفس المالك ومهما كان ارتفاع السقف.

ـ يسمح بعمل بروزات (شرفات) تتعدى هواء الشارع، بشرط أن تكون هذه البروزات مرتفعة بالقدر الذي لا يضر المارة. وقد حددت المعايير التخطيطية الإسلامية الحد الأدنى لارتفاع هذه البروزات عن مستوى الشارع بارتفاع الفارس ورمحه منصوبا، ويكون مالك هذه البروزات ضامن للمارة من الضرر.

ـ في حالة الشارع أو الطريق الخاص حدد عرضه بأربعة أذرع، ولا يجوز الارتفاق به إلا لأهله وحدهم، حيث لهم حق فتح الأبواب وليس لأحد سواهم أن يفتح باب عقاره عليه إلا بإذن منهم.

ومن أهم الملامح التخطيطية التي تميزت بها الشوارع في المدينة العربية الإسلامية القديمة كالآتي[1].

ـ استخدام الشوارع الضيقة غير المستقيمة لتوفير مساحات مظللة ولمنع الرياح تماما، وتأكيد الجوار والترابط.

ـ تدرج الشوارع وتكاملها.

ـ التقسيم إلى مقاطع بصرية والرؤية عن بعد وما يحققه ذلك من تلافى الإحساس بالملل.

ـ انتقال المحاور البصرية يحقق متعة بصرية بالإضافة إلى أنها تساعد السائر على تحديد اتجاهه، ولا يتم ذلك بواسطة المحورية.

ـ الظهور والوضوح والرؤية عن بعد.

ـ الاستمرارية والإحساس بالحركة وذلك عن طريق استمرار الشخصية الوظيفية الواحدة وكذلك الطابع الواحد.

ـ استخدام الشوارع المسدودة.

ـ الطرق القادمة من وسط المدينة تنتهي بطريق بدخل السور ويوازيه (ويقع حول السور خندق للأغراض الدفاعية).

[1] وائل عبد الحفيظ، محمد، المرجع السابق ص31.

ـ كانت الحارات تنتهي ببوابات لغلق المناطق السكنية وذلك لتحقيق الأمان والخصوصية.

ثالثا. الاتجاهات التخطيطية المستقاة من تخطيط المدينة العربية الإسلامية:

ظهر التخطيط العمراني في البيئة الاسلامية بوجود عناصر متميزة جاءت بأفكار معمارية وعمرانية عفوية رغبة من مخططي هذه المدن في إيجاد حلول مناسبة لمناخ المنطقة و جغرافيتها ،حيث جاءت هذه العناصر نتاج طبيعة التفاعل الحاصل بين الإنسان وبيئته من ناحية وتجاوبا مع التعاليم الإسلامية والخصوصية من ناحية أخرى ،وذلك مثل استخدام الحل المتضام في تجمع المباني كحل مناخي مناسب لتقليل تعرض الأسطح الخارجية لأشعة الشمس، واختلاف ارتفاعات المباني وطرق التجميع إلى تظليل بعض المباني لما يجاورها من مبان أخرى، ومن ثمة تقل الطاقة الحرارية النافذة إلى داخل المباني، إضافة إلى تظليل الممرات والطرقات عن طريق تعرجها و التدرج في عروضها لحماية المشاة من مؤثرات المناخ الذي تمتاز به المناطق الصحراوية ذات الحرارة الشديدة ،لذا فإن الظروف البيئية لها آثار مهمة في تخطيط المدينة العتيقة الصحراوية عن طريق جملة من الاعتبارات والخصائص وهي من خلال ما سبق عرضه يتضح أن المعايير التخطيطية بالمدينة الإسلامية تتنوع لتشمل جميع الأحكام المتعلقة بالعمران وأساليب التعامل معها، وعلى ذلك فالبحث يسوق بعض الاتجاهات التخطيطية المستخلصة من تخطيط المدينة العربية الإسلامية وهي والملكية الخاصة، والخصوصية، والجوار، والنظافة و الآمان.

1. **الملكية العامة:**

أقر الإسلام قيام الملكية العامة وحث على الحفاظ عليها لان في ذلك مصلحة الفرد والجماعة وإتباع لقيم الإسلام التي تأمر بالنظافة والصيانة بصفة عامة. كما نظم استعمالها ويظهر ذلك في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إياكم والجلوس في الطرقات " فقالوا (الصحابة رضي الله عنهم): "ما لنا بد إنما هي مجالسنا نتحدث فيها "، قال: "فإذا أبيتم إلا المجالس فأعطوا الطريق حقها، قالوا: "ما حق الطريق". قال: "غض

البصر وكف الأذى ورد السلام وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر "[1]، وتلك هي المبادئ الخمسة التي تنظم استعمال الملكية العامة بالمدينة والتي تشمل الشوارع والخدمات العامة.

2. **الخصوصية:**

عظم الإسلام خصوصية الأسرة وحرمتها من الغرباء، كما حافظ على خصوصية الأفراد حتى داخل الأسرة الواحدة فشرع الاستئذان في أوقات الراحة بين أفراد الأسرة. ولقد روي عن سهل بن سعد أن رجلا أطلع في حجر باب رسول الله صلى الله علية وسلم ومع رسول الله صلى الله علية وسلم مدري يرجل بها رأسه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: "لو أعلم أنك تنظر لطعنت بها عينك إنما جعل الأذن من أجل النظر"[2]. وتنقسم الخصوصية إلى خصوصية بصرية وخصوصية سمعية.

- **الخصوصية البصرية:**

تتحقق الخصوصية البصرية على مستوى تخطيط المواقع السكنية من خلال التحكم في ارتفاعات المباني والمسافات الأفقية بين المباني المتقابلة. وقد قال الرسول صلى الله علية وسلم: "كل بناء وأشار بيده . هكذا على رأسه . أكثر من هذا فهو وبال "[3]. إلا أن التطاول في البنيان يكون جائزا إذا دعت الحاجة إليه لقوله صلى الله علية وسلم: "أنتم اعلم بأمور دنياكم "[4]. بشرط ألا يتسبب هذا التطاول في ضرر الأخريين وحجب الهواء عنه لقوله صلى الله علية وسلم: "ولا تستطيل عليه في البنيان فتحجز عنه الريح إلا بإذنه..." فعلى مذهب الإمام مالك "يسمح للبناء بالارتفاع أعلى من الجار حتى وإن حجب الشمس والهواء عنه. ويستثنى من هذا إذا كان البناء يقصد به إيذاء جار بعينه"[5].

---

[1] مسلم: صحيح مسلم، المصدر السابق، باب النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه، ص1018

[2] مسلم: المرجع السابق، باب تحريم النظر في بيت غيره، 1033.

[3] الطبراني أبو القاسم سليمان بن احمد الطبراني(360ه): المعجم الوسيط، تح، أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد وابو الفضل عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين، القاهرة، مصر1995، ج3، ص259.

[4] مسلم: المصدر السابق، باب وجوب امتثال ما قاله شارعا دون ما ذكره صلي الله عليه وسلم من معايش الدنيا على سبيل المثال، ص1110.

[5] الإمام مالك

- **الخصوصية السمعية:**

قال تعالى: "يا أيها الذين أمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا[1]، وقال تعالى: "واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير" [2]. تتحقق الخصوصية السمعية عن طريق التحكم في عدم انتقال الأصوات والأحاديث من وإلى الوحدات السكنية وبهذا يتم توفير بيئة صوتية مناسبة للسكان مع ملاحظة انه بجانب انتقال الصوت والأحاديث هناك أيضا مصادر الصوت بالشوارع كالسيارات وغيرها والتي تعتبر ضوضاء غير مرغوب فيها[3].

3. **الجوار:**

الجوار ليس فقط من أهم المعايير التخطيطية في ضوء المنهج الإسلامي المراد إظهارها وتأصيلها خاصا في تخطيط التجمعات السكنية بالمدينة بل يعتبر المدخل إلى تخطيطها ربط الإيمان بالله بإكرام الجار كما جاء في الحديث الشريف. لا يتم تصنيف الجوار عل أساس مادي أو طبقي لتنافى ذلك مع مبدأ المساواة (القيم الاجتماعية) ولما فيه من إضعاف للعلاقات الاجتماعية، وإنما تصنف علاقات وحدة الجوار بحث تأتى علاقة ذوي القربى أولا تأكيدا لصلة الرحم التي حث عليها الإسلام وبعد ذلك تأتى العلاقات الأخرى بالتساوي كالمنافع المشتركة أو العمال ... إلخ[4].

4. **النظافة و الآمان:**

حث الإسلام على النظافة واهتم بنظافة الملكيات العامة بقدر اهتمامه بنظافة الفرد وممتلكاته الخاصة والحفاظ عليها، فقد كان يؤمر أهل الأسواق بكنسها وتنظيفها من الأوساخ وغير ذلك مما يضر الناس، وقد كانت تكنس الشوارع في مدينة بغداد كل يوم وتحمل الأتربة إلى خارج المدينة. كما كانت هناك شوارع يمنع الدخول إليها إلا مشاة بما فيهم الولاة. وتعتبر هذه أحدث نظريات التخطيط في المدينة المعاصرة بحيث يفرغ

---

[1] الآية 12: من سورة الحجرات.

[2] الآية 19: من سورة لقمان

[3] Besim،Selim،Hakim OP.CIT. 20

[4] عبد الباقي إبراهيم: **تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة**، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، مصر1982 ص 20.

الجزء المركزي من استعمال السيارات لتامين أكبر قدر من السلامة للمتسوقين. أما تامين الخدمات العامة الضرورية في شوارع المدينة كالحمامات والمياه فقد ذكر من أنباء مدينة بغداد(شكل8) انه كان بها عشرون ألف حمام ولكل حمام خمسة نفر للتأمين وعمل النظافة الضرورية له[1].

رابعا: مظاهر العمران الإسلامي بمدينة بسكرة:

لا يمكن تحديد تاريخا بعينه لظهور نشأة العمران الإسلامي بولاية بسكرة لكن الأكيد انه بعد الفتح الإسلامي للمنطقة واستقرار المسلمين بها بدأت بعض ملامح العمارة الإسلامية تتكون متأثرة بنموذج مدينة القيروان التي أسسها عقبة بن نافع في تونس والتي لم تكن ببعيدة عن مدينة بسكرة وبالتالي كانت النواة الأولى مثلما تذكره بعض المصادر التاريخية تحويل الكنائس الكاثوليكية التي وجدها الفاتحين في كل من طولقة ،برج بن عزوز و ليشانة إلي مساجد من طرف عقبة بن عامر الجهني حسب محمد الواقدي[2]وهم من أوائل المساجد بشمال إفريقيا في عهد الخليفة عثمان بن عفان ما بين سنتي 27هـ أو 29هـ أي حوالي647م في فترة ولاية عمر بن العاص علي مصر وبرقة أو في ولاية عبد الله بن السرح أو على يد عقبة بن نافع سنة 61هـ وبذلك تكون من أوائل المساجد في شمال إفريقيا بعد تأسيس مسجد عقبة ابن نافع في القيروان ومسجد ميلة الذي أسسه أبو مهاجر دينار ولعل ما يؤكد هذا الطرح دراستنا الميدانية لهذه المساجد والتي وجدنا في تركيبها المعماري بقايا هذه الكنائس بالإضافة لهذا الدليل المادي هو تجصيص قبر عقبة ابن نافع وهي طريقة جديدة عن المنطقة ليتبعه في فترات لاحقة بناء مساجد و منازل بسيطة التخطيط تحكم في ذلك ضرورة المرحلة وهي الفتوحات الإسلامية والتوسع في المنطقة وبعد الاستقرار ودخول السكان المحليين في الدين الجديد بدأت ملامح العمارة تتضح متأثرة بتعاليمه و بما جلبه العرب المسلمين من ثقافة وعادات جديدة امتزجت بعادات وثقافة السكان المحليين.تطرق المؤرخون والرحالة في كتاباتهم حول مدينة بسكرة، بالذكر و الوصف حيث يقول إسماعيل

---

[1] كمال خلف إسماعيل،" **الإطار العام للتشريعات المنظمة للعمران و المدينة العربية** "المؤتمر العلمي الثالث لكلية الهندسة،جامعة الأزهر، القاهرة،1993ص187.

[2] العدواني: **تاريخ العدواني**، ص 82.انظر: C (Les Marabouts،Couvet). Petits Monuments Funéraire et Votif du Nord de l'Afrique)، Revue Africaine،N°64/1923، OPU، Alger.، P458. كتاب الأب ميسناج "إفريقيا المسيحية" والذي يذكر فيها أن سكان الزاب كانوا على الديانة المسيحية.

العربي[1] إنها ذكرت لأول مرة في المصنفات العربية في القرن التاسع الميلادي عند الحديث عن إخماد ثورة قام بها أهل الزيبان في وجه الأمير الاغلبي أبي عبد الله، وقد قضي على هذه الثورة قائده خفاجة.

وقد تم ذكرها بشكل دقيق من طرف عبيد الله البكري (ت487هـ)[2] واصفا إياها " بسكرة كورة فيها مدن كثيرة وقاعدتها بسكرة، وهي مدينة كثيرة النخيل و الزيتون وأصناف الثمار، وهي مدينة مسورة عليها خندق، وبها جامع ومساجد كثيرة، وحمامات، وحواليها بساتين كثيرة ،وهي في غابة كبيرة مقدار ستة أميال فيها أجناس التمور ...الخ "،ثم يردف البكري قائلا " وبسكرة علم كثير وأهلها على مذهب المدينة، ولها من الأبواب باب المقبرة وباب الحمام وباب ثالث... سكنها المولدون، وحولها من قبائل البربر: سدرا ته وبنو مغراوة أهل بيت بني خزر، وبنو مزني. وداخل مدينة بسكرة آبار كثيرة عذبة منها في الجامع ....وبها جبل ملح يقطع فيه الملح كالصخر الجليل ومنه كان عبيد الله الشيعي وبنوه يستعملون في أطعمتهم، و تعرف ببسكرة النخيل... و من مدنها جمونة ومدينة طولقة ومدينة مليلي ومدينة بنطيوس وهي من البنيان الأول، وشراب بسكرة من نهر كبير يجري في جوفها منحدر من جبل الأوراس، وقرية من قرى بسكرة تسمى ملشونة منها أبو عبد الله الملشوني وابنه إسحاق عالمان يحمل عنهما العلم، سمع منهما أبو عبيد الله بن ميمون ومقاتل وغيرهما أما صاحب الاستبصار(ت)[3] يصفها " وهي مدينة كبيرة و حواليها حصون كثيرة وقري عامرة وهي قاعدتها ولها غابة كثيرة النخل والزيتون وجميع الثمار وتعرف بسكرة النخل لكثرته بها"تشترك كذلك ضبطها الحازمي بقول: بسكَرة بفتح أوله وكافه. وهي مدينة مسورة ذات أسواق وحمامات، وأهلها علماء وعلى مذهب المدينة، بها جبل ملح يقطع منه كالصخر الجليل، وتعرف ببسكرة النخيل أما الإدريسي[4] فيذكر بسكرة في القرن الثاني عشر ميلادي بأنها كانت حصنا منيعا، وبها سوق وعمارة، وفيها أيضا من التمور كل غريبة وطريفة.

---

[1] العربي إسماعيل: **الصحراء الكبرى وشواطئها**، الجزائر، 1983، ص148.

[2] البكري: المصدر السابق، ص ص52-53

[3] مؤلف مجهول: الاستبصار، المصدر السابق، ص173.

[4] الإدريسي: المصدر السابق، ص64.

إلا أن الحميري (ت أواخر القرن 9ه)[1]، يذكر بسكرة أنها " من بلاد الزاب بأرض المغرب، وهي قاعدة تلك البلاد، وهي كبيرة كثيرة النخل والزيتون وأصناف الثمار، وعليها بساتين كثيرة، وهي غابة كبيرة مقدار ستة أميال. ومن التمر منها جنس يعرف بالكسبا وهو الصيحاني يضرب به المثل لفضله على غيره، وجنس آخر يعرف بالياوي أبيض أملس، وكان عبيد الله الشيعي صاحب القيروان يأمر عماله بالمنع من بيعه ويبعث ما هناك منه إليه، لطيبه وحسنه ...وتعرف هذه البلدة ببسكرة النخل، ويشق غابة بسكرة نهر كبير ينحدر من جبل الاوراس يسقى بساتينها ونخيلها وهو نحو ستة أميال في غابة متصلة بالمدينة. وبسكرة دار فقه وعلم كثير وفيها العلماء وأهلها على مذهب أهل المدينة". إضافة إلي جلال الدين عبد الرحمن السيوطي[2]المتوفى في سنة911ه فيذكرها في كتابه (لب اللباب في تحرير الأنساب) " والبسكري بكسر الباء المنقوطة بواحدة وسكون السين المهملة وفي آخرها الراء هذه النسبة إلى بسكرة وهي بلدة من بلاد المغرب". ونجد البروشوي محمد علي الشهير "بابن سباهى زاده" [3]يقول "بسكرة بكسر الباء الموحدة وقيل بفتحها وسكون المهملة وكاف وراء مهمله وهاء. مدينة من آخر الثاني من الجريد قبالة الغرب الأوسط، وهي قاعدة بلاد الزاب، وبسكرة بلاد ذات نخيل وزروع كثيرة ومن بسكرة يجلب التمر الطيب إلى تونس وبجاية". إلا أن الحسن الوزان[4]في كتابه "وصف إفريقيا" فيعطينا وصفا دقيقا للمدينة وضواحيها وقراها وكذا الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والبيئية حيث يقول " مدينة عريقة أعيد بناؤها لما دخلت الجيوش الإسلامية إلى إفريقيا، وهي الآن عامرة كما ينبغي، وسورها من الآجر النيئ. أما السكان فمؤدبون، لكنهم فقراء لأن أراضيهم لا تنتج شيئا غير التمور. وقد تعاقب على حكم هذه المدينة رؤساء كثيرونغير إننا نرجح أن من أهم الأحداث الكبرى التي عرفتها المنطقة تلك التي دونها المؤرخون عن الدولة الأغلبية (184.296ه/800.909م) حيث ذكروا الثورة التي

[1] الحميري: المصدر السابق، ص ص113- 114.

[2] السيوطي: المصدر السابق، ص 128.

[3] البر شوي: المصدر السابق، ص ص 211-212.

[4] الحسن الوزان: المصدر السابق، ص 138

نشبت ضد أبي عبد الله محمد الأغلبي الملقب بأبي الغرانيق سنة 251هـ، لكن سرعان ما استسلمت بسكرة من غير مقاومة، ويرجع الفضل في ذلك إلى أبي خفاجة، الذي أسندت له مهمة القضاء على الثوار.

ويرجع سبب بعض القلاقل في هذه الفترة الزمنية من الحكم الأغلبي إلى نفور السكان من سوء معاملة للسلطة الحاكمة المتمثل في ظلم بعض ولاتها وجورهم. وقد قام بعملية القمع والزجر يومئذ إبراهيم بن أحمد بن محمد بن الأغلب الذي عاش في بلاد الزاب وأهلها وذلك في (268هـ/881م) وقام بمثل ذلك أبو العباس بن إبراهيم بن الأغلب (276هـ/899م) فأوقع ببني بلطيط فقاتلهم وشردهم في البلاد، لكنه بعد حين قام بإصلاح ما خربه جيشه خلال هذه المناورات، ثم عاود الكر عليها أبو عبد الله بأمر أبيه إبراهيم بن أحمد فزحف عليهم في جيش عرمرم خلال سنة (288هـ/901م)[1]. وبعد ذلك سقطت بسكرة على يد محمد بن خزر الزناتي سنة (319هـ/931م)[2]. هذا دون أن ننسى دور بني الأغلب في إنشاء مدينة العباسية في إقليم الزاب سنة (239هـ/ 853م) على حسب ما ذهب إليه البلاذري[3]. هذه الإشارة تحفزنا على البحث والتنقيب عن هذه المدينة التي يمثل أنشاؤها في هذا الإقليم حدثًا سياسيًا وحضاريًا. هذا ويمكننا الاستدلال بما تركه الجغرافيون والرحالة في وصف المدينة بسكرة ومن ذلك ما أورده صاحب صورة الأرض بشأنها حيث يقول: "... ومن بسكرة إلى تهودة مرحلة ... و هي مدينة كثيرة النخيل والزيتون وهي مسورة عليها خنادق"[4]. و حينما زارها الورثلاني وجدها تتكون من: "عدة أحياء عديدة أشهرها باب الضرب و المسيد وسيدي بركات و قداشة وبكل حي منها يوجد مسجد مخصص للصلوات الخمس. هذا طبعًا في القرن (10هـ/16م) أما بسط السلطة التركية يدها على بسكرة فكان في حدود (1541م)[5]. وفي هذه الأثناء احتدم الصراع بين القبائل الصحراوية لنهب الواحات، وكان الوجود التركي بسيطا للغاية وتشكل أول نواة حضرية قرب بساتين النخيل حيث اختار

[1] الميلي مبارك: المصدر السابق، ص ص36. 47.

[2] ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ج6، ص: 125، 174.

[3] البلاذري: المصدر السابق، ص234.

[4] ابن حوقل النصيبي: المصدر السابق ص ص87. 98.

[5] الورتلاني: المصدر السابق، ص104.

الأتراك استقرارهم في المنطقة في أعلى نقطة بالنسبة للبساتين وهذا من اجل مراقبتها جيدا وتم خلالها إقامة حصن للمراقبة مع إقامة ثلاثة أبوب شكلية باب الضرب باب المقبرة إضافة لحفر خندق يحيط بالمدينة يستمد الماء من الوادي حيث كان هذا أول ظهور لمركز (نواة) المدينة. وفي سنة1800م دمرت أول نواة حضرية للمدينة (شكل 9)بعد تعرضها لباء الطاعون والزلزال ليغادرها السكان الحصن وتمركزوا في جماعات داخل بساتين النخيل وتكونت من خلالها سبع قري هي: رأس القرية، مجنيش، قداشة، المسيد، باب الضرب، باب الفتح، سيدي بركات[1] تتداخل هذه التجمعات البشرية وسط واحات النخيل من الجنوب ومتراصة مكونة بذلك شوارع حسب امتداد السوقي التي يسقي بها النخيل وتشتت المساكن داخل الواحة المهيكلة بالسواقي التي ترسم الشبكة المنظمة مما أدى إلى تشكيل نسيج عمراني متقطع داخل الواحة و التي تعتبر من خصائص النوعية لمدينة بسكرة والمميزة للمدن التقليدية للمناطق الجافة وشبه الجافة. نستشف من خلال تتبع مراحل تطور مدينة بسكرة أنها لم تخرج عن نمط المدينة الإسلامية من حيث التأثر بالتخطيط العمراني وفق الدين الإسلامي، وعليه فلا نستطيع تحديد مفهوم الحضارة في المدن العربية بدون ربط الحضارة العربية بالحضارة الإسلامية، وذلك لان الحضارة الإسلامية حددت إلى حد ما الأشكال الرئيسية لمعالم المدينة العربية الإسلامية، حيث أنها أبرزت المساجد وحددت نوعية الساحات التي تحيط بها وبلورت نوعية الاتصال بين الجنسين وكذلك حددت نوعية تصرف المجتمع بالنسبة إلى التعاليم الدينية وهذا بدوره شكل الأبعاد الفيزيائية سواء للمسجد أو المسكن أو المدينة بشكل عام[2].

لقد تميزت المدينة في العصور الإسلامية المزدهرة . رغم اختلاف مواقعها ومناخها ووظائفها وثقافات أهلها وأشكال مبانيها . بتوجهها إلى الداخل من خلال عناصرها العمرانية المختلفة التي تكاد تكون ثابتة، وقد كانت هذه العناصر تعبير فطريا صادقا عن المجتمع واحتياجاته وهي المسجد، والخدمات العامة، والمناطق السكنية، وشبكة الشوارع. ولم تخرج مدينة بسكرة عن هذا النمط وهذا ما تطرق له اغلب من وصفها أو

[1] عقبة جلول: عناصر تصميم العمارة البيئية ودورها في التنمية المستدامة بالمناطق الصحراوية، رسالة ماجستير، قسم الهندسة المعمارية، 2014 جامعة بسكرة، ص 125

[2] قحطان المدفعي، **"تطور تخطيط المدينة العربية "**، المؤتمر الأول لمنظمة المدن العربية، بيروت، لبنان، 1986م، ص63.

زارها من الرحالة والجغرافيين مثلما سبق ذكره ومن أهم المظاهر العمرانية التي ميزتها المنشآت الدينية التي تحتل مكانا هامًا في عمران المدينة، سواء من حيث عدد مبانيها أو من حيث قيمتها الجمالية، وأقدس ما فيها المساجد، قال الله تعالى:(في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه ...)[1]، وقد علت مكانتها فلم تعد تقتصر على الصلاة فحسب بل أصبحت مركزًا للحكم والإدارة ومؤسسة للعبادة والتعليم. والمسجد هو رمز المدينة الإسلامية ونواتها المهمة، لما له من دور في نشر الدعوة المحمدية وتبصير الناس بأمور دينهم ولذلك فان، أول عمل قام به النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة(يثرب)هو بناء المسجد، ومن هذا المنطلق عمل المسلمون على بناء المساجد في كل المناطق التي تصلها جيوشهم، ولم تخرج بسكرة عن هذا النطاق، حيث اشتهرت المدينة بتعدد المساجد وتنوعها حيث لا يخلو حي من مسجد او مسجد جامع مثل سيدي موسي الخضري (شكل10)و مسجد ابي الفضل (شكل11) مسجد سيدي مسعود(شكل12)ولم تكتسب الأضرحة نفس المكانة لارتباطها بالطرق الصوفية والزوايا، الا انها انتشرت بشكل كبير لارتباطها بالزوايا ومؤسسيها منها ضريح سيدي موسي الخضري(شكل13)، سيدي مسعود(شكل14)إن الانسجام هو السمة السائدة فهناك تكامل بين النسق الكلي و بين أجزائه أو الانساق الجزئية وفق تدرج محكم بين ثلاثة أنساق هي: المسكن أو الوحدة الأولية, الخطة المشكلة أو الوحدة الثانوية, و الوحدة الكلية المشكلة من كل هذا مع المرافق. ولعل أحسن مثال في هذا الانسجام أو التناسب هو في نسبة المبني وغير المبني في المسكن نجد تناغما بين الحوش وباقي المبنى، (شكل15) ثم ننتقل إلى المستوى الثاني، حيث نجد فراغ الرحبة على مستوى الحي والنسيج العمراني، هذا الفضاء الذي يلبي حاجيات الحي على كل المستويات، ثم ننتقل إلى المستوى الثالث ونجد في المدينة فراغ اسمه القلب، ويقع به المسجد الجامع. وهكذا تتنوع الفراغات وتنسجم قياساتها بشكل جيد مع التدريج الهرمي للمجلات المبنية و الأحجام محافظة بذلك على التناسب القياسي والانسجام التام للبنية العامة لمدينة بسكرة. تميزت تصاميم السكنات في المدينة بالمرونة في تعدد الاستخدامات الخاصة بالفراغات الوظيفية داخل المسكن، وذلك بحسن

[1]. الآية 36: سورة النور

استخدام المعالجات التخطيطية كالتوجيه بحيث أنه يتم استخدام الغرف الموجهة نحو الجنوب خلال الفترة الشتوية الباردة لما لها من مميزات تدفئة طبيعية، فيما يتم استخدام الفراغات الموجهة نحو الشرق والشمال بصورة كبيرة خلال الفترة الصيفية نظرا لما تمتاز به من مناخ بارد نسبيا، اما الواجهات للمسكن فجاءت بسيطة خالية من الزخارف والعناصر المعمارية في اغلبها. (لوحة 2، صورة أ). (لوحة 3، صورة، ج) اما المداخل فتتكون من مصراعين في اغلبها ليلبي حاجيات السكان المختلفة، كما تميزت المنازل بعنصر معماري هام الا وهو ظاهرة الأبراج المربعة الشكل التي كانت تستعمل في تخزين التمور ووضع الأغراض، ولوظيفة المراقبة في بعض الأحيان. خاصة وان المدينة كانت تشهد الصراعات والفتن. (لوحة3 صورة د،أ) كما استعملت فتحات في جدران المنزل للتهوية وكذا لتوفير الضوء. (لوحة 3، صورة ي)، اما الاروقة فتميزت بالاتساع مما يسمح بحرية الحركة للفرد داخل المنزل. (لوحة6، صورة، ب،د) .كما نجد في بعض الأحيان منازل من طابقين. (لوحة4، صورة، د،ا). اما الصحن او ما يعرف بوسط الدار، يعد المركز الذي توجه له جميع الغرف باعتباره مركز التهوية والاضاءة متنفس لأهل الدار. (لوحة4 صورة ،ي،و)،اما مواد البناء و نظام التسقيف فقد لجا الانسان المحلي لاستعمال مواد محلية تتلائم مع المنطقة وخصوصيتها حيث اعتمد على مبدأ التضام و الجدران السميكة في غرف المنزل وكذا الجدران الخارجية. (لوحة4، صورة،د).و (لوحة6،صورة،ج). استعملت العوارض الخشبية كدعامات يرتكز عليها سقف المنزل ورصف القواطع الخشبية مع بعض لتزيد قوة التحمل، او بين طوابق المنزل او كدعامات افقية في الجدران الخارجية للمنزل. (لوحة7 صورة أ،ب،ج،د) .كما استعمل السلم كوسيلة ربط بين مختلف طوابق المنزل. (لوحة5 ،صورة،أ)

اما تدرج الشوارع وتكامل الفراغات بالمدينة نجده متكامل وواضح بحيث نجد شوارع رئيسية عامة. (لوحة5 صورة ج،د) تربط الخطط و التكوينات العمرانية و المعمارية الأساسية للمدينة، ثم تليها في الدرجة الثانية شوارع ثانوية تفصل بين المساكن بما يناسب و حاجة الارتفاق، ثم يليها في الدرجة الثالثة الدروب و الأزقة المفتوحة منها و المغلقة. (لوحة2 صورة ب،ج،د،و) ،تميزت بالاتساع والتعرج بغرض توفير الظل والخصوصية. (لوحة5، صورة،و،ي). إضافة لعنصر معماري مهم ميز عمارة مدينة بسكرة وهو السباط او

الممرات المسقوفة املتها الظروف المناخية التي تميز المنطقة، خاصة الحرارة في فصل الصيف. (لوحة4، صورة، ب)و (لوحة6 صورة ،أ).

أنشئت بمنطقة الزاب مساجد أثرية هامة في المنطقة بعضها اندثر نهائيا ومنها ما هو في طريق الاندثار وجميعها يرجع إلى فترات متفاوتة يعود إلى فترة قديمة والبعض الآخر إلى فترات متأخرة نذكر منها، مسجد سيدي عيسى بقرية بوشقرون قرب بسكرة والجامع العتيق بأولاد جلال اللذان تهدما إثر الفيضانات التي عرفتها المنطقة سنة1389هـ الموافق لـ1969م ولم يبق سوى مئذنتيهما بالإضافة إلى صور تذكارية محفوظة في كتاب المساجد في الجزائر[1]،ومسجد الدوسن الذي مازال قائما[2]، ومسجد سيدي الحافي (لوحة8،صورة ب)، الذي يقع بالقرب من جامع سيدي عقبة حالته سيئة، والجامع العتيق ببرج بن عزوز الذي يعود إلى العهد العثماني. ولعلى أول ملاحظة يمكن تسجيلها على مساجد الزيبان بساطتها الهندسية التي تذكرنا بجامع الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة المنورة (انظر شكل 4)، والملاحظ أن كل المساجد السابقة تحتوي على مئذنة مربعة تضيق كلما ارتفعت، بها فتحات صغيرة لإنارة السلم الداخلي، مواد بنائها محلية تعكس مدى أصالتها وتميزها[3]، تقوم على جذوع النخل وأعمدة من الخشب وجدرانها من اللبن وفي البعض منها الحجر.

الأضرحة*: أخذت عمارة الأضرحة، قسطا كبيرا من اهتمام المسلمين عبر العصور، حتى أضحت إحدى سمات العمارة الإسلامية في المشرق والمغرب. والأضرحة من العمائر التي شاع بناؤها على قبور الأولياء في المغرب الإسلامي والجزائر خاصة، فتنوعت أشكالها الخارجية وطريقة تسقيفها بقبابها المتميزة (لوحة8 ،صورة أ،ج،د) ، رغم ما يكتنفها من الغموض في تأريخها والشخصيات التي دفنت فيها. ولعل من أهم أسباب انتشار ظاهرة بناء الأضرحة على قبور الأولياء والصالحين هي درجة التقديس والاحترام الذي يكنه السكان

---

[1]. المساجد في الجزائر، **سلسلة الفن والثقافة**، مطبعة التاميرا، مدريد، اسبانيا، 1970، ص ص70-73.

[2]. المرجع نفسه: ص 72.

[3]. حسين مؤنس: **المساجد**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1981.ص 198.

* الأضرحة: جاء المصطلح اشتقاقا من فعل ضرح، والضريح هو الشق في وسط القبر، وضرح الضريح للميت يعني حفر له ضريحا. وفي الإصطلاح المعماري يدل على القبر أو التربة التي تعني البناء المقام فوق القبر. وقد تطور المقام في العصر الإسلامي بأشكال عديدة كان منها البسيط والمزخرف الذي تفنن المعماريون فيه. انظر لسان العرب، ج2 الصفحة 526و محمد رزق عاصم مصطلحات العمارة الصفحة 175.

لأولياء الله في هذه المناطق منذ فترة قديمة. وقد تواصل تقديس الأولياء لفترة طويلة في العصور الوسطى، وبصفة كبيرة ابتداء من القرن السادس عشر ميلادي. وقد انطلق معظم هؤلاء الأولياء المرابطون من الساقية الحمراء في جنوب المغرب وانتشروا ليؤسسوا عائلات كبيرة من الصالحين[1]وإلى جانب ذلك انتشار الحركة الصوفية وطرقها. وفي منطقة الزاب الغربي نجد العديد من الأضرحة منها ضريح سيدي مغزي، وفي فرفار ضريح بقبتين (لوحة8صورة1) واحدة ذات شكل مخروطي حاد والثانية قريبة من الشكل النصف كروي، الأولى تغطي الضريح والثانية تغطي القاعة التي تتقدمه. وفي شمال شرق طولقة نجد ضريح سيدي رواق ذو القبة المخروطية؛ وفي البرج وفوغالة نجد أضرحة سيدي رحال وسيدي العمري وسيدي تازمور وسيدي العلوي، وفي الزاب القبلي مليلي وضواحيها نجد ضريح سيدي عبد الرحمان الصغير بن لخضر (عبد الرحمان الأخضري) وسيدي عثمان، ضريح سيدي عطية: ضريح سيدي سليمان، أما الزوايا فهي منتشرة مثل زاوية محمد بن عزوز البرجي بقرية برج بن عزوز التي اندثرت بانتقال أحفاده إلى نفطة بتونس ولم يبقى منها إلا ضريحه، وزاوية عبد الرحمان الأخضري ببنطيوس التي كان لها نفس المصير. وزاوية علي بن عمر الطولقي (العثمانية) مازالت من المعالم الحضارية والثقافية القائمة المميزة للمنطقة. وزاوية الشيخ المختار الجيلالي(المختارية) مازالت هي أيضا من المعالم الحضارية والثقافية القائمة المميزة للمنطقة.

خامسا: العوامل المؤثرة في نشأة العمران الإسلامي بولاية بسكرة:

من أهم العوامل التي أثرت على تخطيط العمارة والعمران الإسلامي بالولاية هي:

أ. **الوضع الجغرافي (المناخ والتكوين الطبوغرافي):**

خططت المدينة لتراعي ظروف طبيعة موقعها في الأراضي الصحراوية في مناطق ذات مناخ حار، فنشأت المدينة مغلقة تتقارب بيوتها وتضيق شوارعها بهدف الحصول على أكبر كمية من الظلال والحفاظ على هواء

[1]- Douté. (Edmond), Note sur l'Islam Maghrébin, Marabouts, Extrait de la Revue de l'histoire de la religion, Tomes XL et XLI, Paris, Ernest Leroux Editeur, 1900.p 12

بارد داخل الطرق والممرات. وقد كونت الشوارع والممرات العصب الرئيسي حيث اعتبرت مناطق تجمع الهواء والنشاط والترفيه[1].

ب: الدين والتقاليد:

أثر الدين وأماكن العبادات في تخطيط المدينة حيث برزت مناطق العبادة والتي تشمل المسجد والمنطقة المفتوحة أمامه كفراغات رئيسية داخل المدن وأصبحت مراكز تجميع السكان، كما صارت مناطق العبادة علامات مميزة لمعظم المدن العربية. كما كان للتقاليد العربية الإسلامية أثرها في تكوين المدينة من حيث توزيع المناطق السكنية وتكوين المجاورات المستقلة التي ترتبط بشبكة من الطرق اغلبها مسدودة النهايات لتحقيق الخصوصية والتقارب والتآلف.

ج: الظروف السياسية:

أثرت الظروف السياسية على تكوين المدينة، حيث أن كثرة القلاقل والنزاعات والخلافات التي شهدتها المنطقة فرضت منطقها وتأثيرها في تخطيط المدينة عبر الفترات التاريخية المتعاقبة، والمنازعات بين حكامها تارة وبين الولاة تارة أخرى كإمارة بني مزني وكذا الهجوم المريني على المنطقة والذي تذكره المصادر بأنه دمر البلدة وقصبة طولقة بالإضافة لغزو الأعراب لها بين الحين والأخر كلها عوامل أثرت على التخطيط العام للمدينة.

د. الحالة الاقتصادية:

نشأت المدن لتؤدي وظائف كان معظمها النشاط التجاري والصناعات الحرفية التي تعكس ظروف وعادات وطبائع أهل هذه المدن، وقد انفصلت مناطق الأنشطة والخدمات عن مناطق الإسكان وأصبحت هذه الأنشطة تمتد على امتداد المدينة وتشكل عصب رئيسي للحركة داخل المدينة تتفرع منها حركة ثانوية تجمع عليها مناطق الإسكان العام. وقد أثرت الحالة الاقتصادية للسكان على توزيع عناصر المدينة وتكوينها، فتلاحظ أن أغلب السكان ذوي الدخول الكبيرة كالتجار ثم الأمراء وقادة الجيش تقع مساكنهم على محاور الحركة الرئيسية وتقترب من مناطق الخدمات والأنشطة ثم تأتي خلفها مناطق إسكان العامة.

[1] عبد الباقي إبراهيم: المرجع السابق، ص 20.

و. النواحي الإنشائية:

كان للأسلوب البدائي في البناء أثره في ضرورة استخدام ما هو متاح من مواد بناء حول المدن، فاستخدمت المواد الطينية وبقايا الحجارة الرومانية المتبقية في الأطلال في عمليات البناء بالإضافة إلى الأخشاب كجذوع النخيل وسعفه أشجار العرعار والسرو التي تجلب من المناطق المجاورة، فجاءت مباني المدينة محدودة الارتفاع مما كان له تأثير واضح في شكل المدينة وأعطى تكوين موحد لعناصر المدينة وصبغها بطابع خاص مميز[1].

ن. وسائل النقل:

أثرت وسائل النقل المستخدمة على تخطيط المدينة حيث تتناسب الطرق والممرات مع استعمالاتها، فالمحاور الرئيسية تتناسب مع وسائل النقل البدائية، أما محاور الحركة الجانبية فتتناسب مع مناطق الإسكان حيث الشوارع والأزقة الضيقة التي لا تسمح بدخول وسائل النقل ذات الحجم الكبير[2].

يستند بحثنا على عدة مفاهيم أساسية والتي تحتاج إلى إيضاح وتدقيق، تتمثل هذه المفاهيم بالخصوص في: العمارة، الصحراء. العمران الإسلامي.

تأتي العمارة[3] في اللغة بمعان عدة، منها نقيض الخراب، والبنيان، وما يحفظ به المكان، وشعبة من القبيلة، ومبنى كبير فيه جملة مساكن في طوابق متعددة جمع عمائر. وتستعمل العمارة كذلك كمقابل عربي حديث للفظة"architecture"بالإنجليزية والفرنسية التي اشتقت من"architekton" الإغريقية، حيث يعني archos

---

[1] سمير سعد علي: **الأسس والمعايير التخطيطية للمدن العربية** المؤتمر العلمي الأول لكلية الهندسة، جامعة الأزهر، القاهرة،1989، ص342.

[2] بقاعين. غالب: **جذور ومقومات وشخصية المدينة العربية** المؤتمر الاول لمنظمة المدن العربية، بيروت، لبنان، 1986، ص. 58.

[3]- تأتي العمارة في اللغة بمعان عدة، منها نقيض الخراب، والبنيان، وما يحفظ به المكان، وشعبة من القبيلة، ومبنى كبير فيه جملة مساكن في ط وابق متعددة جمع عمائر .وتستعمل العمارة كذلك كمقابل عربي حديث للفظةarchitecture بالإنجليزية والفرنسية التي اشتقت منarchitekton الإغريقية، حيث يعنيarchos رئيس، وtekton عامل، فيكون معنى الكلمة هو رئيس العمال أو رئيس البنائين أما العلامة ابن خلدون فقد أطلق عليها "صناعة البناء " ويقول: "هذه الصناعة أول صنائع العمران الحضري و أقدمها و هي معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للسكن والمأوى للأبدان في المدن. وذلك أن الإنسان لما جبل عليه من الفكر في عواقب أحواله لابد أن يفكر فيما يدفع عنه الأذى من
الحر والبرد كاتخاذ البيوت المكتنفة بالسقف والحيطان من سائر جهاتها". انظر
-عطية شعبان وآخرون، **المعجم الوسيط** ط4، مجمع اللغة العربية ومكتبة الشروق الدولية، القاهرة 2004، ص627.
-Conway (H.) &Roenisch (R.) , Understanding architecture, Routledge, London 2005, p. 13.
- ابن خلدون، **العبر**، مج1 (المقدمة)،المصدر السابق، صص509-510

رئيس، وtekton عامل، فيكون معنى الكلمة هو رئيس العمال أو رئيس البنائين[1]. وفي الحقيقة لا يمكن تحديد مفهوم العمارة دون الإشارة إلى تاريخها الذي يبدأ ببداية الإنسان ذاته. ورغم التعاريف الكثيرة المقدمة للعمارة إلا أنه لم يتوصل إلى تعريف شامل ومتفق عليه. بل لم يتفق على ماهيتها كعلم أم فن.فعندما ظهرت تسمية العمارة في العالم الغربي بمعناها الحديث في القرن السادس عشر الميلادي لم يكن هناك انفصال بين الفن والعلم.

ويمكن إعطاء تعريف شامل للعمارة على أنها فن تكوين الحجوم والفراغات المخصصة لاحتضان الوظائف والنشاطات ا لإنسانية والاجتماعية بتنوعها وهي انطلاقا من ذلك تعكس في سماتها وأشكالها لإنجازات التقنية والحضارية والتطلعات الجمالية والروحية والقدرات المادية للمجتمع في بيئة ما وفترة تاريخية محددة[2].

سادسا. العمارة الصحراوية:

تطلق هذه التسمية على العمارة التي نشأت في المناطق التي تندرج ضمن نطاق الصحاري الحارة[3]والتي من ضمنها الصحراء الجزائرية. وهذه العمارة بالإضافة إلى الخصائص الثقافية التي تطبعها فإنها نتاج لبيئة خاصة تتسم بالحرارة المرتفعة وندرة الأمطار والرياح إضافة إلى شساعة المساحات. مما يجعل هذه الظروف جميعا تشترك في فرض واقع معين على الإنسان يضطره إلى الاقتصاد والإبداع معا في بناء مسكن يساعده على التأقلم مع البيئة القاسية، وبما توفر من مواد محلية. إن للعمران في المناطق الصحراوية جذورا تاريخية عميقة، فمظاهر الحضارة والتمدن كانت مألوفة في القصور والمدن العتيقة التاريخية منذ مئات السنين، فقد ازدهرت كمحطات للقوافل التجارية التي بدورها جعلت منها ذاكرة حضرية مزدهرة وجذورا أصلية من خلال ما يعرف بالقصور.

[1]-Conway (H.) &Roenisch (R.): Understanding architecture, Routledge, London 2005, p. 13.

[2]مهنا رئيف وبحر يسن: نظريات العمارة،ج1، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،1992،ص110.

[3] -Texier (Ch.): "Exploration de la province de Constantine et des Zibans", Revue archéologique 5ème année, Leleuxed., Paris 1848, p. 133.

1. أنماط العمارة الصحراوية القديمة :

نظرا لاتساع الرقعة الجغرافية للصحراء، ولما تتميز به مناطقها المختلفة من تنوع في الخصائص والحاجات، فقد تشكلت وتكونت أنماط متنوعة من المستوطنات العمرانية في كل منطقة جغرافية. وقد كانت هذه الأنماط على مر العصور دائما انعكاسا صادقا للبيئة الحضارية التي كانت تسود كل مرحلة من المراحل التاريخية. وتتعدد أنماط العمارة الصحراوية حسب الظروف الزمنية والمكانية، وحسب الأغراض التي أنشئت من أجلها. ويمكن أن نميز عددا من الأنماط التي تتعلق بمجال البحث بالخصوص وذلك على أساس شكلي أو على أساس وظيفي.

أ -من حيث الشكل:

يمكن تصنيف العمارة الصحراوية على أساس أشكال التجمعات العمرانية إلى : القصور، المدن و المنشآت المعزولة.

- **القصور:**

القصور جمع قصر وهو في المعنى الشائع بيت فخم أو بناية فخمة واسعة يتخذها الأثرياء وأصحاب السلطة عادة. ويختلف هذا المفهوم عن القصر المعروف في المناطق الصحراوية ببلاد المغرب العربي فهو بهذه المناطق عبارة عن تكتلات متراصة ومتلاحمة فيما بينها تقطنها مجموعات بشرية تنتمي لأصول عرقية أو طبقات اجتماعية مختلفة ويسمى في بعض المناطق بالدشرة أو الأغام أو إيغارم[1]. وتحيط في الغالب بهذه التجمعات أسوار تتخللها عدة مداخل وأبراج. وفي بعض الأحيان يتكون القصر الواحد من مجموعة من القصور تعرف باسم واحد كقصر "بودا " بأدرار الذي يتكون من خمسة عشر قصرا[2]. وتحتوي ا لقصور إضافة إلى البيوت على مرافق متنوعة أهمها المسجد الذي يحتل موقعا مركزيا بالنسبة للقصر، وفي الغالب نجد أكثر من

[1] -Capot Rey (R.): "Greniers domestiques et Grennier fortifiées au Sahara, le cas de Gourara", TIRST14, Paris 1956, pp. 139-159.

[2] حملاوي علي: **نماذج من قصور منطقة الاغواط**، دراسة تاريخية، موفم للنشر، الجزائر،2006 ص19

مسجد، وكذلك السوق والدكاكين والرحبات(ساحات). كما تحوي بعض القصور على قصبة محصنة تكون مقرا للحاكم.

ومن الميزات الأساسية التي تمتاز القصور الصحراوية وقوعها فوق قمم الجبال أو سفوحها، أو على هضبات صخرية صلبة تسهل عملية الدفاع عنها، وتمكن من استغلال عنصر الماء وتوزيعه بطريقة مضبوطة ومحكمة. كما تتميز بارتباطها الوثيق بالجانب الفلاحي فهي تقع بالقرب من أراض صالحة للزراعة[1]. لذلك فمعظم القصور الصحراوية تحيط بها واحات النخيل التي تعتبر الأساس الاقتصادي لسكانها وتوفر لها مجالا بيئيا ملائما كحواجز للزوابع الرملية.

وتنتشر القصور بمنطقة المغرب العربي على حزام واسع يمتد من حوالي100 كلم شرق مدينة طرابلس الليبية ويمر جنوبا غرب مسلك جبل نفوسة ثم يتجه نحو ا لشمال مرورا بالجنوب التونسي حيث قصور تطاوين ومطماطة ثم يتجه غربا نحو الجنوب الجزائري حيث قصور وادي ريغ ومنطقة ورقلة، ليتجه جنوب غرب نحو إقليم توات و تيدكلت و قورارة وغربا باتجاه بني ميزاب وجبال عمور، لتواصل امتدادها عبر جبال القصور حتى المغرب الأقصى[2]. هذا الانتشار الملفت للنظر حث الباحثين على دراسة هذا النوع المتميز من التجمعات العمرانية. وكان نتاجا لذلك محاولات عديدة لتصنيفها حسب أنماط متعددة[3].

- **المدن:**

يثير الحديث عن المدن في الصحراء وخاصة في المنطقة محل الدراسة مشكلة عويصة. فالمتأمل للدراسات المختلفة حول العمران الصحراوي القديم يرى بوضوح نوعا من الاختلاط عند الباحثين بين القصر والمدينة، فمنهم من يستعمل المصطلحين دون تمييز وهناك من يرى وجود فرق بينهما[4]. وهو الرأي الصواب في نظرنا لعدة اعتبارات، أولاها هو أن المدينة ترتبط ارتباطا وثيقا بالدولة أو الخلافة، فحتى إذا اعتمدنا على الناحية

[1] حملاوي علي: المرجع السابق، ص18.

[2] حملاوي علي: المرجع نفسه، ص40.

[3] يمكن العودة بشأن هذه التصنيفات بشيء من التفصيل إلى: حملاوي (علي)، المرجع السابق، ص46

[4] حملاوي علي: المرجع السابق، ص32.

اللغوية نجد أن كلمة مدينة مرجعها إلى كلمة(دين) ذات الأصل السامي والمستعملة بعدة معاني، فقد استعملها الأشوريون والأكاديون في معنى القانون، واستعمل الآراميون والعبريون كلمة (ديات) للدلالة على القاضي[1]. وابن خلدون يصف المدينة بأنها " ذات هياكل وأجرام عظيمة وبناء كبير ،... ولتمصير الأمصار واختطاط المدن لا بد من الدولة و الملك "[2] . لذلك فالعلاقة وطيدة بين الحكم والمدينة فإذا قويت الدولة ازدهرت المدينة وعمرت وإذا ضعفت الدولة تراجع عمران المدينة. وهذا ما جعل ابن الربيع يركز أيضا على ضرورة وجود الحاكم عند بناء مدينة ما كأحد شروط بناء المدينة[3]. ورغم وجود حاكم بالقصر والذي يتمثل غالبا في جماعة تمارس السلطة فيه وتسهر على تسيير شؤونه، إلا أن هذه السلطة لا تتعدى حدود القصر وسكانه، بينما تمتد سلطة حاكم المدينة إلى أبعد من ذلك. ومن ناحية أخرى فإن المدينة تعريف بشري قبل أن تكون جغرافي فالمدينة تمتاز بالضخامة والاتساع وكثرة ساكنيها وتعد د الحرف فيها فهي تجمع حضري فعلي تسكنها قبائل عديدة ويمارس أهلها صناعات متنوعة حيث لا تقوم الحياة إلا بوجودها. بينما يسكن القصر عدد أقل من الناس ويعتمدون في عيشهم على الزراعة بالخصوص لذلك فالقصر نوع من التجمعات البدوية الزراعية. وقد دأب الباحثون الفرنسيون على تسميتها ب"villages"أي القرى[4]. كما أن المدينة تنمو وتتسع مع الزمن بينما القصر بحكم موقعه وطبيعته، لا توجد له أرباض تسمح باتساعه، بل يبقى منغلقا داخل أسواره وإذا زاد سكانه فإنهم يهاجرون منه. لذلك لم تتعرض معظم القصور لتغيرات جوهرية كحال المدن بل بقيت محافظة على أصالتها وطابعها القديم، وهو ما دفع المهتمين بهذا المجال إلى اعتبار القصر أحد العناصر الثابتة في البنية المعمارية[5].

---

[1] عثمان عبد الستار: **المدينة الإسلامية**، سلسلة عالم المعرفة ع188، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص15-16.

[2] ابن خلدون: المصدر السابق، ص ص609 -610.

[3] ابن أبي الربيع: سلوك المالك في تدبير الممالك، تحقيق ناجي التكريتي ط1، تراث عويدات، بيروت، 1978، ص152.

[4]- Echallier (J.C): Essai sur l'habitat sédentaire traditionnel au Sahara Algérien, Paris 1985, pp. 84-85.

[5]- أيوب عبد الرحمان: من قصور الجنوب التونسي (القصر القديم)، النقائش العربية في الوطن العربي المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس 1988ص130.

وفق هذه المقاربة وإذا رجعنا إلى منطقة دراستنا فإننا نلاحظ الإشكالية أكثر وضوحا. لأن أغلب التجمعات العمرانية المهمة بالمنطقة عبارة عن قصور، إضافة إلى أن بعض القصور الكبيرة كانت تؤدي دور المدينة بامتياز كورقلة وتقرت[1]. حيث كانت مقرا لإمارات حكمت مدة طويلة. إضافة إلى كل ذلك فإن أغلب المدن الصحراوية قد تطورت من نواة قديمة عبارة عن قصر أو مجموعة من القصور المتقاربة. وعلى كل فلا شك أن الصحراء قد عرفت المدينة وفقا لما مر علينا من تمييز بينها وبين القصر وإن لم تكن تحمل اسم المدينة، بالإضافة إلى المدن الحديثة التي نمت وازدهرت بعد الاستقلال.

- **البيوت المعزولة:**

تنتشر في مختلف مناطق الصحراء منازل معزولة عن التجمعات العمرانية لكن دون أن تكون بعيدة كثيرا عنها. وأغلب هذه المساكن لا تكون مأهولة إلا في مواسم معينة حسب الحاجة إليها. البعض منها تتواجد في الغيطان (جمع غوط) والواحات وتستعمل عند جني المحاصيل، أو تكون أحيان ا مخصصة للخدم. كما يقيم بعض البدو بيوتا منعزلة موسمية قرب المراعي. إضافة لكل هذه الأنماط العمرانية، فقد كانت نسبة كبيرة من سكان الصحراء البدويين يسكنون الخيام ويعيشون حياة التنقل مع مواشيهم طلبا للمراعي والماء. وإن كنا لا ندرج ها هنا تحت مسميات العمارة فقد أدت وظيفتها السكنية عهودا طويلة ولا تزال.

ب -من حيث الوظيفة:

تصنف العمارة من حيث الوظيفة عموما إلى مدنية، عسكرية، دينية[2]. وفي الغالب تجتمع هذه الأصناف من العمائر في مكان واحد، فنجد في تجمع عمراني واحد كالقصر مثلا عمارة مدنية يستغلها الأهالي في السكن ومتطلباتهم الاجتماعية والاقتصادية، وعمائر عسكرية كالأسوار والأبراج لغرض توفير الأمن والدفاع عن التجمعات، وعمائر دينية والتي تتمثل في المساجد والزوايا وغيرها.

وبطبيعة الحال يمكن إسقاط هذا التصنيف على عمارتنا ا لصحراوية.

[1]- هناك العديد من المدن الحديثة التي يتجاوز عدد سكانها المئة ألف نسمة مثل بسكرة، الواد، تقرت ورقلة وغيرها.

[2]De Caumont (A.): Histoire sommaire de l'architecture religieuse, civile et militaire au moyen âge, Ed. Hardel, Paris 1838, p. 25.

1. العمارة المدنية:

تطلق العمارة المدنية على كل المنشآت التي يستخدمها الإنسان لأغراضه المعيشية العادية، الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ويعتبر المسكن أهم مكونات العمارة المدنية والخلية الأساسية المكونة لمختلف التجمعات العمرانية الصحراوية، والتي يقوم عليها تنظيمها وينمو به عمرانها. كما يحتل المقام الأول من حيث الأهمية لاحتياجات الفرد، لأنه يعبر عن المأوى الذي يكفل له الأمن والاستقرار ويحميه من ظروف الطبيعة ويسمح له بتلبية حاجاته الاجتماعية. وقد أكدت الشريعة على أهمية المسكن في حياة الإنسان كما حرصت على حرية الفرد في اختيار منزله وتحديد صفات البناء والمواد المستعملة والقياسات بما يتلاءم مع متطلباته فقد ذكر الدينوري في عيون الأخبار ما نصه: "قال يحيى بن خالد لابنه جعفر حين اختط دارا ليبنيه: هي قميصك فإن شئت فوسعه، وإن شئت فضيقه "[1]. وتمتاز المساكن في العمارة الصحراوية القديمة (خاصة القصور) باستجابتها لمبدأ التوافق مع البيئة الحارة ولمبدأ احترام العادات والتقاليد السائدة القائمة على احترام الخصوصية والحرمة والحياء. حيث تشكل تكتلات متراصة تسمح بتكوين " مِيكروموناخ "محلي يوفر الراحة المناسبة للعيش في البيئة الحارة. ويتكون المسكن من عدة مجالات متكاملة ومنفتحة إلى الداخل يتوسطها الفناء (الحوش) كمجال مكشوف أو نصف مكشوف يسمح بممارسة مختلف النشاطات المنزلية في راحة وسعة.

ومن بين المنشآت المدنية الأخرى المهمة بالقصور نجد السوق الذي يعتبر من المعالم الثابتة فيالتجمعات الصحراوية. إضافة لذلك هناك منشآت أخرى تستغل لأغراض مدنية كالدكاكين المستعملة لأغراض تجارية ولتقديم الخدمات، والخانات التي ينزل بها الغرباء، ومنشآت تستعمل من طرف السلطة الحاكمة كدار القاضي أو دار الجماعة وغيرها من المرافق التي تتواجد بالقصور الكبير ة.

[1]- عثمان عبد الستار: المرجع السابق، ص36.

2. العمارة العسكرية:

يمثل الأمن والأمان قيمة أساسية لنشأة المجتمع الحضري المستقر، ويبدأ ذلك باختيار الموقع الجغرافي واتخاذه وسيلة من وسائل حماية التجمعات، إضافة لذلك عمل الإنسان على تشييد عمائر مختلفة للأغراض الدفاعية والعسكرية. وتعد الاستحكامات الدفاعية جزءا حيويا من عناصر التخطيط العمراني قديما، وقد أكد على ذلك الدين الإسلامي وصنفها الفقهاء ضمن "البناء الواجب "[1]. ومن أهم العمائر ا لتي تدخل ضمن هذا النطاق: الأسوار والأبراج والخنادق وغيرها.

- **الأسوار**: عرفت أهمية الأسوار في تحصين المستوطنات وتقوية دفاعاتها واستحكاماتها منذ الحضارات القديمة. وقد تميزت أغلب القصور الصحراوية بوجود أسوار لحمايتها، حيث كان يشيد لهذا الغرض سور أو أكثر. وتختلف مادة البناء المستعملة في الأسوار الصحراوية فاستعمل الرومان والبيزنطيون الحجارة الضخمة المنحوتة والتي لا تزال بعض أثارها بأماكن متفرقة من الزيبان. بينما استعمل سكان القصور الطوب النيئ والحجارة وجذوع النخل لبناء الأسوار وتدعيمها[2]. ولم تكن الأسوار في منطقة دراستنا على حد كبير من الضخامة[3]، ربما لكونها بعيدة عن مراكز الدول الكبرى التي تشيد عادة أسوارا ضخمة لمواجهة الجيوش الكبيرة، ولكون التجمعات العمرانية بالمنطقة صغيرة لم تصل مستوى المدن الكبرى التي تحتاج وتتحمل تشييد الأسوار الكبيرة. ومع ذلك فهي قد ضمنت لساكنيها الحد الأدنى من الأمن.

- **المداخل**: تعد المداخل من أهم أجزاء سور المدينة للمدافعين والمهاجمين على حد السواء كونها تمثل واحدة من نقاط الضعف في سور المدينة[4]. لذلك فقد شيدت مداخل المدن والقصور الصحراوية بأشكال وأنماط تجعل منها صعبة المنال للغريب، وتدعم بأبواب تغلق عند الحاجة كما توفر لها الحراسة في بعض الأحيان.

---

[1]-عثمان عبد الستار: المرجع السابق، ص121 -122.

[2]-Capot (R.): op. cit., p. 6.

[3]على سبيل المثال قصر ورقلة تعرض للهدم عدة مرات ولم تشر المصادر أن الغزاة قد اعترضتهم صعوبات في ذلك.

[4]- فاروق محمد: الاستحكامات الدفاعية في تخطيط المدن، رسالة دكتوراه، جامعة بغداد 2006، غ م، ص19.

- **الأبراج**: الأبراج من العناصر المعمارية الدفاعية المهمة الملحقة بأسوار المدن وبجدران القلاع والحصون وبالقصور، وأحيانا تكون مستقلة بذاتها. وتكون مربعة أو مضلعة أو مستديرة الشكل[1]. لكن وجودها في العمارة الصحراوية قليل وقد اختفت منذ مدة طويلة كما هو الحال في قصر ورقلة الذي كان على سوره 41 برجا، كما تستخدم منارات المساجد كأبراج مراقبة أحيانا[2].

- **الخنادق:** استعملت الخنادق منذ القديم في حماية المدن، واكتشف أقدمها بتل الصوان بالعراق ويعود للألف السادسة قبل الميلاد[3]. وقد لجأ سكان الصحراء إلى هذه الطريقة لتحصين قصورهم ومدهم وكان الكثير منها مزود بخندق يحيط بالأسوار ويملأ بالماء لمزيد من المنعة في حالة الأخطار. ومن ذلك قصر ورقلة وتماسين و تقرت وبسكرة وغيرها.

- **القصبات**: تتميز الكثير من القصور الصحراوية بوجود قصبة أو قصبتين، وتكون عموما على شكل قلعة محصنة داخل القصر تستخدم من قبل الحاكم كمقر له ولأعوانه، أو من الأهالي لحفظ بعض الضروريات التي يحتاجوها وقت الشدة[4].

3. العمارة الدينية:

تعتبر المنشآت الدينية من أهم ركائز أي مجتمع ومنها المجتمع الصحراوي، مما لها من دور هام في توجيه وتنظيم المجتمع، وتتمتع بالاحترام والتقديس من طرف الجميع. بل كثيرا ما تكون نشأة التجمعات العمرانية في الصحراء انطلاقا من منشأة دينية كزاوية أو ضريح ولي صالح. وتتمثل العمارة الدينية خصوصا في المساجد أو الجوامع، الزوايا، الكتاتيب، الأضرحة.

- **المساجد:** أهم العمائر الدينية، وهو مؤسسة دينية تكتسي طابع القداسة وتحظى بالولاء من طرف المجتمع. إضافة إلى كون المسجد وحدة معمارية مميزة، فانه يمتلك خاصية هيكلة النسيج العمراني وهذا نظرا

---

[1]- عثمان، عبد الستار: المرجع السابق، ص125.

[2] - Lethielleux (J.), Ouargla cité saharienne des origines au début du XXe siècle, P. Geuthner, S.A, Paris p. 138

[3]- فاروق، محمد علي: الاستحكامات الدفاعية في تخطيط المدن رسالة دكتوراه (غير منشورة)،جامعة بغداد،العراق،2006، ص14.

[4]- حملاوي علي: نماذج من قصور الاغواط، دراسة تاريخية اثرية، موفم للنشر، الجزائر ،2006، ص20.

لقيمته العقائدية فمركزية المسجد عمرانيا بحيث تحفه البيوت هو تعبير مادي أو تزكية ودعم لتلك الوحدة المقدسة التي تربط المسلمين ببعضهم. وغالبا ما نجد في التجمعات الصحراوية (القصور) مسجدا جامعا يطلق عليه عادة اسم المسجد العتيق يتوسط القصر ويقصده جميع السكان إضافة إلى عدد من المساجد الثانوية تنتشر بمختلف أحياء القصر وتؤدي وظيفتها محليا[1]. أما مواد البناء التي تستعمل في تشييد المساجد فتكون عموما مماثلة لتلك المستخدمة في المساكن المحيطة به، فيستخدم الطوب والطين أو الحجارة والجص إضافة لجذوع النخل ومواد محلية أخرى، لكن كثيرا ما نجد السكان يجتهدون من أجل توفير أحسن المواد المتاحة لبناء المسجد وبأجود التقنيات[2] كما تزو د المساجد ببعض العناصر المميزة لها كالقباب والمنارات.

- **الزوايا:** لفظ الزاوية مشتق من فعل زوى أو زوأ ويقال انزوى القوم إلى بعضهم البعض إذا تدانوا وتضاموا[3]. تعرف لغة: بركن البيت، جمعها زوايا، عند الحجارين والنجارين وغيرهم هي آلة ذات ضلعين مستقيمين يتصل طرفاها فيحدثا زاوية قائمة[4]، أما ياقوت الحموي فيقول: يلفظ زاوية البيت عدة مواضع منها: قرية بالموصل من كورة بلد، والزاوية موضع قرب البصرة كانت به الموقعة المشهورة بين الحجاج وعبد الرحمان بن محمد بن الأشعث سنة 83هـ702م[5]. ولفظ زاوية كان يطلق على صومعة الراهب المسيحي (zwvia)، ثم أصبحت تطلق على المسجد الصغير أو على المصلى، وهو المعنى المنتشر للزاوية عند المسلمين في الشرق الإسلامي، أما في المغرب الإسلامي فالكلمة لها معنى أكثر شمولية إذ تطلق على بناء أو مجموعة من الأبنية ذات الطابع الديني، تشبه الدير أو المدرسة، وقد ذكر دوماس"Daumos" تعريفا جيدا للزاوية المغربية عام1263هـ1847م حيث يقول" إن الزاوية هي على الجملة مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة، وهي بهذين

---

[1] حملاوي، علي: المرجع نفسه، ص25 -26.

[2] على سبيل المثال استخدم الآجر الأحمر المستورد من تونس في مسجد تماسين. أنظر حملاوي(علي)،"مواقع ومعالم أثرية من الجنوب الشرقي الجزائري"، مجلة بحوث ع5، جامعة الجزائر 1998، ص58-80.

[3] ابن منظور: المصدر السابق: ج1، ص85.

[4] المنجد في اللغة والإعلام، ط26، دار المشرق، بيروت، 1986، ص312.

[5] - ياقوت: الحموي: **معجم البلدان**، المصدر السابق المجلد3 ، ص128.

الوصفين تشبه كثيرا الدير في العصور الوسطى "[1]، يتفق هذا التعريف في جوهره مع المعنى الحالي للزاوية فهي تضم: غرفة للصلاة بها محراب، ضريح لأحد المرابطين أو ولي من الأشراف تعلوه قبة، غرفة مخصصة لتلاوة القرآن، وغرفا مخصصة لضيوف الزاوية وللحجاج والمسافرين والطلبة، ويلحق بالزاوية عادة مقبرة لشيوخها أو للذين أوصوا في حياتهم بأن يدفنوا فيها.

وكانت الزاوية في البداية جهة بالمسجد تقام حلقة تدريس. وانتشرت الزوايا في العالم الإسلامي خاصة في إيران ومصر والأقطار العثمانية حيث تسمى بالتكايا[2]، بالإضافة للأهداف الدينية والتعليمية والاجتماعية للزوايا فإنها تشكل ملاذا للسكان يلجؤون إليه هروبا من المشاكل الاجتماعية والسياسية. وفي أحيان كثيرة يتعدى دورها إلى تنظيم المجتمع وحمل لواء الفتوحات والثورات. وتنقسم الزوايا في الجزائر عموما والصحراء خصوصا إلى ثلاثة أنواع[3]:

- زوايا المشايخ: وتكون تابعة لأحد أصحاب الطرق كالزاوية التيجانية بتماسين.
- زوايا المرابطين: هي ملكية جماعية تحبس مواردها على طلبة العلم
- زوايا الطلبة: زوايا يتمتع فيها طلبتها بالاستقلالية في التسيير.

- الكتاتيب: كان التعليم يتم في العهود الأولى للإسلام بالمساجد التي كانت مؤسسة دينية وتعليمية وثقافية واجتماعية وسياسية في آن واحد. وخلال العصر الأموي وبعده ظهر الكتاب كمكان خاص للتعليم وعم أقطار العالم الإسلامي[4]. ويسمى في بعض المناطق "المحضرة " أو "الزاوية " وهذا يختلف عن الزاوية بالمفهوم السابق. وقد قامت الكتاتيب بدور كبير في التعليم وتحفيظ القرآن ونشر الثقافة الإسلامية بالمجتمع الصحراوي. وكانت عبارة عن قاعة لا تختلف عن بقية البيوت، وغالبا ما تكون ملحقة بالمسجد وأحيانا

[1] أحمد، الشناوي وآخرون: **مادة الزاوية**، دائرة المعارف الإسلامية، المجلد الثامن، دار المعارف، بيروت، ب ت، ص ص331. 333.

[2] حملاوي: علي: المرجع السابق، ص221.

[3] نسيب، محمد: **زوايا العلم والقرآن بالجزائر**، دار الفكر دمشق -الجزائر، ص103.

[4] نشابي، هشام: **المؤسسات التعليمية بالمدينة الإسلامية**، ترجمة أحمد محمد ثعلب، ر.ب. سرجنت اليونسكو، 1983 , ص73.

منفصلة عنه بل لا تعد وأحيانا على أن تكون حلقة في العراء. ويتولى معلم يدعى شيخ أو طالب بتدريس الصبيان ويعيش على تبرعات السكان.

2. خصائص العمارة الصحراوية :

مهما اختلفت العمارة الصحراوية التراثية في البلدان العربية والإسلامية عموما وبمنطقة الصحراء المنخفضة محل دراستنا خصوصا، فإنها تشترك في خصائص تكاد تكون ثابتة. وهناك عاملين أساسيين يتجلى تأثيرهما بوضوح في كل نواحي العمارة والعمران الصحراوي وهما[1]:

- **الطبيعة الصحراوية**: للطبيعة الصحراوية انعكاس كبير على مختلف جوانب العمارة، فخصائص المناخ الصحراوي وخاصة التفاوت الكبير في درجة الحرارة موسميا ويوميا، والجفاف إضافة للعواصف الرملية، أدت بالإنسان إلى أن يصوغ المساكن والقصور ككل بالشكل الذي يوفر له أحسن حماية من الظروف المناخية. وإلى جانب هذه الظروف، تلعب طوبوغرافيا الأرض ومواد البناء المتوفرة دورا كبيرا في تحديد خصائص العمارة، حيث تحتم على الإنسان أن يحسن استغلالها بما يتوافق مع متطلباته.
- **الثقافة الإسلامية**: يتضح تأثير الثقافة والأخلاق الإسلامية في كل مناحي العمارة، من المخطط الهيكلي إلى أدق التفاصيل. ومن ثم نجد أن الإسقاط العمراني داخل المدينة هو انعكاس لمقومات الإنسان المسلم على أرضية الواقع بحيث تكون الماديات مطابقة في كنهها للمعنويات ومترابطة معها في تشكيل الفضاء الإسلامي المميز للمجتمع المسلم. كل هذا جعل العمارة الصحراوية تمتاز بخصائص تعكس بصدق ظروف البيئة الطبيعية والثقافية التي نشأت فيها وتتمثل مجمل هذه الخصائص فيما يلي:

- **الكثافة والتضام:**

يقصد بهذه الخاصية تقارب مباني التجمعات بعضها من بعض حيث تتكتل وتتراص في صفوف متلاصقة

[1]- خلف الله ،بوجمعة: **المدينة الإسلامية بين الوحدة والتنوع**، ب د ط، ص109، انظر: إبراهيم (عبد الباقي)، التراث الحضاري في المدينة العربية المعاصرة، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، القاهرة، 1968، ص13.

وفق ما يعرف بالبناء الكثيف أو المتلاحم[1]. وإن كان هذا التخطيط يسهم في توفير أكبر قدر من الظلال التي تسقطها المباني على بعضها البعض، والتقليل من مساحة المسطحات الأفقية والعمودية المعرضة للشمس، بحيث لا يتعرض لأشعة الشمس سوى أقل مساحة من الواجهات والأسطح. ومن ثم تكون الطاقة النافذة أو المتسربة إلى المباني في أضيق الحدود. إلا أن المغزى منه يتعدى حدود ا لضرورة المناخية، فهذا التخطيط يعد مظهرا من مظاهر الثقافة الإسلامية الداعية إلى التكاتف والتماسك بين المسلمين[2] مصداقا لقوله تعالى "واعتصموا بحبل االله جميعا ولا تفرقوا"[3]. ولكون المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص كما ورد في الحديث الشريف.

- **تعرج والتواء المسالك والتقليل من الفراغات الخارجية** (انظر شكل،5،6)

تمتاز العمارة بالبيئة الصحراوية بضيق الفراغات الخارجية (الشوارع، الساحات) فنجدها غير متسعة وهو نتيجة محصلة لإتباع الحل المتضام في النسيج العمراني، ويقتصر وجود ا لفراغات الأكبر نسبيا على مناطق الفصل بين الأحياء ومناطق المراكز الرئيسية مع استخدام وسائل تظليل مناسبة لهذه الفراغات. ويعود السبب المباشر في تقليص هذه الفراغات إلى طبيعة المناخ الحار حيث يؤدي ذلك إلى تعرضها لأقل قدر ممكن من الإشعاع الشمسي المباشر، إلى جانب ملاءمتها من جانب آخر للمقياس الإنساني ووسائل النقل البسيطة في ذلك الوقت (الدواب والعربات التي تجرها الدواب) والتي لم تكن تتطلب شوارع ذات

اتساع أكبر*. وكان لارتفاع المباني على جانب الشوارع أثره الواضح في تحقيق نسبة ظل معقولة في هذه

[1] -Côte (M.) et al .Op. cit. p. 128.

[2]- حملاوي، علي: المرجع السابق ص24.

[3]-الآية 103: سورة آل عمران.

*هذا لا يعني أن المدينة الإسلامية لم تعرف الشوارع الواسعة كما قد يعتقد البعض، فيروى أن الشارع الرئيسي في البصرة يصل عرضه حوالي اثنين وثلاثين مترا والشوارع الفرعية أثنى عشر مترا، أما الطرق الداخلية فأربعة أمتار. كما كان عرض الشوارع بمدينة واسط ثمانون ذراعا، هذا يدل أن الحاجة هي المحدد الرئيسي للشوارع وليس الضيق قاعدة عامة. أنظر: خلف االله(بوجمعة)، المرجع السابق، ص8180,وكذلك: عثمان، عبد الستار، **المدينة الإسلامية** المرجع السابق، ص119.

الشوارع، فقد كانت نسبة ارتفاع المباني إلى عرض الشارع في بعض المناطق1:2 وأحيانا1:3 أو1:4[1]. ويزيد كمية الظلال إتباع بعض الحلول في تظليل الممرات بواسطة السقوف وحتى البنايات. ولكي تكون ممرات المشاة متوافقة مع البيئة الصحراوية يجب أن تكون أقصر ما يمكن ، وتكون ضيقة ما أمكن ومتعرجة ، لتقليل المساحات المعرضة للشمس مما يعمل على الاستقرار الحراري والحفاظ على ركود الهواء البارد أسفل الشوارع، مع مراعاة أن تكون متعامدة على اتجاه الرياح السائدة بسبب احتمال هبوب الرياح الحارة والمحملة بالرمال والأتربة، ويساعد تعرج الشوارع إضافة لكسر قوة الرياح على تحقيق مبدأ الحرمة والحياء حيث ينحسر فيها مجال النظر كثيرا عكس الشوارع المستقيمة، فلا يتعرض الإنسان (خاصة المرأة) إلا لأقل ما يمكن من الأنظار[2].

- **التدرج المجالي والوظيفي:**

يخضع التوزيع العمراني في التجمعات العمرانية الصحراوية لمبدأ التدرج بين وحدات ثلاث هي المسكن كوحدة أولية، والخطة المشكلة من عدة مساكن كوحدة ثانوية، ثم القصر أو المدينة كوحدة كلية[3]. ووفق هذا التدرج تتدرج الفضاءات الحرة كالساحات والشوارع. فمن شوارع "سابلة " واسعة نسبيا تستعمل للحركة والتجارة وتعتبر مِلكا للجميع، تأتي شوارع أقل عمومية وأقل اتساعا تتوغل داخل الأحياء ويستعملها سكان الجهة تسمى "بالنافذة "، وإذا توغلنا في الأحياء نجد أزقة ضيقة تعتبر خاصة لحد ما، وهي مشتركة الملكية للدور المحيطة بها[4] وبعضها للاستعمال الخاص. ويرافق هذا التدرج المجالي تدرج وظيفي من المركز للمحيط تمثله الحركة والأنشطة الدينية والتجارية.

---

[1]- إبراهيم عبد الباقي: المرجع السابق، ص62.

[2]- خلف الله بوجمعة: المرجع السابق، ص82.

[3]- عثمان، عبد الستار: المرجع السابق ص118.

[4]- عثمان، عبدالستار :المرجع نفسه، ص163.

- **الانفتاح نحو الداخل:**

من الخصائص المميزة للعمارة الصحراوية خصوصا والإسلامية عموما، خاصية الانفتاح للداخل، وقد شكل هذا المبدأ فكرة توجيه الحيزات الداخلية للمبنى إلى الداخل حول الفناء الداخلي، باعتبار هذا الفناء جزءا خاصا من الفراغ الخارجي. يضاف إلى ذلك ا لتقليل من عدد الفتحات الخارجية، والاقتصار على الضروري منها، والتضييق من حجمها. كل هذا يسمح في تكوين مناخ داخلي محلي مريح بالحصول على تهوية طبيعية وظلال تساعد على وجود هواء داخلي درجة حرارته منخفضة، وإيجاد حيز وظيفي ملائم للنشاطات المنزلية خاصة النسوية. كما يتطابق مع المعايير الاجتماعية القائمة على احترام الخصوصية والحرمة والحياء[1].

- **العضوية والوظيفية[2]:**

يعكس التوزيع العام للعمارة الصحراوية وظائف المكونات المختلفة ولذلك ظهرت التشكيلات المعمارية في صورة عضوية وتلقائية واضحة ليس فيها تكلف أو تصنع تمثل الترابط العضوي بين عناصرها، وحيث تتطابق فيه المدينة أو القصر مع بنية الجماعة (المجتمع). وهي عبارة عن جهاز واحد متكامل الوظائف يشكل منظومة اجتماعية لكل عضو فيها دور، حيث نجد أن الوظيفة (النشا ط) تتوزع وفق التقسيم التالي: المركز، الإطار، المحيط والمسالك التي تشكل أهم الوظائف الحضرية بانسجام كامل[3]. يتمثل المركز في المسجد أو الجامع فهو بمثابة قلبها له دور فعال في توحيد الأعضاء وإمدادها بالطاقة وإلى جانبه السوق الذي يؤدي الوظيفة الاقتصادية للمركز، بينما تشغل الأحياء المحيط والتي تمثل الجسد يستمد منه المركز قوته وأسباب وجوده واستمراريته، وأخيرا المسالك والأزقة وهي بمثابة الشرايين الموصولة بين الأعضاء التي لا تحدث الحركة

---

[1]- خلف الله، بوجمعة: المرجع السابق، ص120-121.

[2]- تتلخص مبادئ النظرية العضوية -التي نادى بها فرانك لويدرايتFrankLoyd Wright-في الصلة الوثيقة للمبنى بالطبيعة، واستعمال المواد في طبيعتها، وحقيقة المبنى في فراغه الداخلي، والتصميم على مراحل طبق ا للاحتياجات المتزايدة وهذا ما يتوفر في العمارة الصحراوية. أما النظرية الوظيفية فتتلخص في الشعار الذي أطلقه لويس سوليفان Louis Sulivan "إن الشكل يتبع الوظيفة " وما تطور عنها من "أن الشكل والوظيفة شيء واحد " وهو الشعار الذي أطلقه فرانك لويدرايت، والغرض الوظيفي ليس مقيدا، ولكنه متسع ليشمل اختلاف الميول والأغراض، بل ويتطور وفق لتطور الاحتياجات التي تطرأ على الوظيفة دون أن يخل ذلك بقضية الشكل الخاص به. أنظر عرفان (سامي) نظريات العمارة العضوية، دار المعارف، القاهرة 1967، ص4.

[3]-خلف الله، بوجمعة: المرجع السابق، ص116 و119.

إلا بها. بينما يشكل السور والخندق الإطار الواقي للتجمع. وفي هذا النسق المتكامل لا يوجد شيء زائد عن الحاجة ولا أقل من الوظيفة المنوطة به، بل لكل شيء غاية يؤديها بالتكامل مع ا لبقية.

- **الاعتماد على مواد محلية واستغلال إمكاناتها:**

يشكل الطين والحجارة وخشب النخيل المصادر الرئيسية لمواد البناء المستعملة في العمارة الصحراوية التقليدية[1]. ولهذه المواد ميزات عديدة من عدة جوانب. وتمثل الجوانب الاقتصادية من أهم هذه الميزات. وذلك على المستويات كافة، سواء من جهة التكلفة الأولية للبناء حيث أنها متواجدة بوفرة وهي في متناول الجميع، كما أن استعمالها ابتداء من التحضير حتى الانتهاء من ا لتشييد غير مكلف أو من جهة التكلفة التشغيلية من استهلاك للطاقة وصيانة وغيرها، فهي تعتبر من أنسب المواد للبيئة الصحراوية[2] لما لها من خصائص "بيو مناخية " تساعد على اقتصاد طاقة التسخين شتاء والتبريد صيفا. كما تبرز الجوانب الإنسانية حيث تساعد هذه المواد على توفير الراحة اللازمة لحياة الإنسان. يضاف إلى كل هذا البعد البيئي، سواء فيما يتعلق بقضايا ا لإنتاج واستخدام التقنية المناسبة، التي تحد من التلوث، أو ما يتعلق بالمخلفات غير الضارة أو المشوهة للبيئة[1].

ن. مواد البناء:

اختار الإنسان منذ القديم ما وجده في الطبيعة من مختلف المواد ليشيد مسكنه، ومع تطور الحضارة تطورت استخدامات مواد البناء التقليدية نتيجة للبحث في خصائصها المختلفة. كما طورت مواد أخرى وأدخلت في عملية البناء بشكل رئيسي مثل الحديد والخرسانة والزجاج، إضافة لذلك فقد أنتجت مواد بناء جديدة في القرنين التاسع عشر والعشرين كالألمنيوم والبلاستيك ودخلت في عملية البناء.

أعطى التخطيط العمراني للمؤسسات البشرية الصحراوية القديمة نمطا مهما للتواؤم مع الظروف البيئية من خلال تصميم المبنى وعلاقته بالنسيج العمراني ككل، فجاءت فلسفة التخطيط متناسبة ومتوافقة مع البيئة الاجتماعية والعمرانية والطبيعية، حيث تطابقت مع الأحوال والاعتبارات، المناخية في حين ساهم

[1]- خلف الله ،بوجمعة: المرجع السابق، ص118.

التخطيط العمراني في المؤسسات البشرية الصحراوية القديمة بتنظيم في العلاقات الفراغية بين مكونات المدينة في توافق مع الحياة الإنسانية بهذه المناطق.

كما يمكن التنويه بأن كل هذه العلاقات جاءت نتيجة ردود أفعال السكان واحتياجاتهم الوظيفية والاجتماعية والدينية، وتفاعلهم الحيوي بين مكونات النسيج العمراني للمدينة، هذا فضلا عن الدور الفعال الذي لعبه السكان من خلال المشاركة في تشكيل الكتل والوحدات المنفردة وطريقة إدارتها مع الموقع بمراعاة صيانتها وحسن نظافتها، إضافة للدور الفعال في حماية الممرات وتغطية الأسواق وتسهيل حركة الأنشطة اليومية لتوفير أقصى حماية مناخية داخل النسيج العمراني.

كما مثلت الشريعة الإسلامية وما نتج عنها من مصادر وقواعد فقهية ذات الارتباط الوثيق بها عنصرا حاكما في مجال ضبط السلوك الاجتماعي الذي أضفى طابعا خاصا على تشكيل البيئة العمرانية وعلى هذا النحو فإن المجتمعات القديمة اعتمدت على وسائل وتقنيات متوارثة عبر التاريخ طورتها باستمرار بالتجربة الميدانية والممارسة اليومية[1].

مما سبق يمكن قراءة وتحليل تشكيل وتخطيط المؤسسات البشرية الصحراوية العتيقة على اعتبار أنها نظام متكامل يرتكز في أصله العمراني على وحدات سكنية متنوعة وفق نمو مستمر تتجمع وتتجاور فيما بينها لتعطي إحساسا متميزا عن طريق مفاهيم وأفكار تخطيطية تبدأ بالمحافظة على المتطلبات الاجتماعية والثقافية للمجتمع.

4.نشأة وتطور القصور الصحراوية:

إن القصور الصحراوية بالجزائر والتي تشمل معظم المنخفض الجنوب الشرقي بين الزيبان وورقلة، كونت مجالات سكنية فلاحيه وسط واحات النخيل، على شكل قرى تمتاز بالبساطة والكثافة في البناء، اعتمادا على مواد محلية من الطوب والذي أعد خصيصا لسكن الفلاحين كما تعبر نموذج القصور بالتعريف. فمن

[1]بن حموش. م: **استخراج المؤشرات المناخية الحضرية من المدن الصحراوية القديمة** مؤتمر التنمية العمرانية في المناطق الصحراوية جامعة الدول العربية مجلس وزارة الإسكان الرياض، المملكة العربية السعودية2002، ص66.

خلال ما أورده التاريخ من أوصاف عن المدن الصحراوية فإنها امتازت بتشابه كبير من خلال ميزات المجال المبني، وهيكلته التي انطبقت عليها أوصاف المدينة في العالم العربي الإسلامي حيث تكونت أساسا من نسيج عمراني مهيكل ابتداء من مجموعة من التجهيزات المركزية، المكان المركزي حول المسجد أو الجامع الكبير السوق الرئيسي والمتاجر والحوانيت، الصناعة التقليدية والشوارع الرئيسية التي تنبع بالحياة انطلاقا من هذه المجالات عند اتحادها تصور لنا الساحة العامة ومجال للمرور والالتقاء.

5.النسق العمراني للقصور الصحراوية:

ظهر العمران في هذه القصور منذ القدم بتركيز كبير في الكتل الرئيسية ومنها تتفرع إلى مراكز صغيرة، فوجود هذه الأخيرة كانت تتحكم فيه الوظائف والعوامل الطبيعية الخاصة بهذه المناطق التي يأتي في مقدمتها، تركز نقاط الماء الذي يعتبر العنصر الرئيسي الذي يتم من خلاله استقرار ونشوء المؤسسات البشرية في هذه المناطق. فكان هذا العنصر السبب في خصوصية النشاطات التي جاءت وراء هذه التركزات الحضرية في الماضي، والمنطق الذي أعطى نظام هذه القصور والمدن، وعلاقتها بالبدو كان السبب الرئيسي في نشاطات هذه المجالات وعمرانها[1]،

6. دور القوافل التجارية في نشوء القصور الصحراوية:

إن القوافل التجارية التي ساهم البدو فيها بشكل أساسي في خوض الصحراء ونقل ثرواتهاوخيراتها طورت المدن في الصحراء. كما كان للصراعات المذهبية آنذاك صدى كبير في السيطرة على المحاور التجارية وتوجيهها في الصحراء.

[1]خليفة. ع: الهياكل الاجتماعية والتحولات المجالية النزلة تقرت مقاربة انثروبولوجية/مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية وهران، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة منتوري، قسنطينة2004، ص122

7. موارد القصور الصحراوية:

كان المورد الرئيسي لهذه القصور هو ثمرة التمر، مع بعض المنتجات الموسمية المحلية، هذا المورد الذي جعل من المنطقة مركزا للتبادل التجاري مع بعض المناطق الأخرى سواء كانت في الشمال أو الجنوب، استطاع أن يلبي للسكان من الحاجيات ما يكفيهم وعاد بالثراء للعائلات والمجموعات.

كما تميزت هذه المناطق بوظيفة أخرى لا يستهان بها ألا وهي التبادل والتجاري الذي وصل حتى أعماق الصحراء وربطها بالشمال والشرق والغرب وفي المجال الزراعي تم استخدام نظم ري خاصة عند طريق الاستفادة من المياه القريبة من سطح الأرض في تشكيل واحات كبرها يتوقف على كمية المياه المتوفرة من المنابع والعيون وكذا مدى صلاحية الأرض للزراعة. وقد كان امتداد وسائل الري وتنظيمه أيضا يتطلب إيجاد شبكة من القنوات لتصريف المياه الزائدة والتي قد تتسبب في هلاك النخيل كالجفاف كل هذه التجهيزات والأشغال أوجبت عمل مجهودات كبيرة من طرف الفلاحين في توزيع حصص مياه السقي والتي تعتبر عملية هامة وذات حساسية بين الفلاحين المشتركين في عين واحدة، حيث تتم عملية السقي على أساس حساب الزمن وهو ما يعرف بالنوبة التي لازالت سائرة الاستعمال حتى اليوم في الآبار المجهزة كهربائيا[1].

8.العوامل المؤثرة في تخطيط القصور الصحراوية:

تأثر تخطيط القصور الصحراوية تقريبا بنفس العوامل التي تأثرت بها المدينة الإسلامية باعتبار أن الدين الإسلامية كان منطلقه الأول البيئة الصحراوية وبالتالي خضعت العمارة الصحراوية لنفس هذه العوامل أبرزها:

- **الوضع الجغرافي:**

خططت المدن العتيقة الصحراوية لتراعي ظروف طبيعة موقعها في الأرض الصحراوية ذات المناخ القاسي الحار والجاف، حيث نشأت المدن مغلقة تتقارب فيها المنازل وتضيق فيها الشوارع بهدف توفير أكبر قدر من

[1] خليفة. عقبة: الهياكل الاجتماعية والتحولات المجالية النزلة تقرت مقاربة انثروبولوجية، المرجع السابق ص124.

الظلال والمحافظة على الهواء البارد داخل الممرات والطرق، وقد كونت الشوارع والممرات العصب الرئيسي حيث اعتبرت مناطق تجمع الهواء وممارسة النشاطات والترفيه[1].

- **الدين والتقاليد:**

كان الدين من بين أهم العوامل المؤثرة في تخطيط المدن ممثلة في أماكن العبادات التي ظهرت في المساجد والأماكن المفتوحة أمامه كفراغات أساسية داخل مدن يتجمع فيها الناس، كما أصبحت مناطق العبادة معالم مميزة لمعظم المدن العتيقة، في المقابل كان للعبادات والتقاليد العربية أثرها البارز والمهم في تكوين معالم البيئة، وذلك في توزيع المناطق السكنية وإنشاء المجاورات المستقلة، المربوطة بتشكيلة الطرق ذات البنايات المحدودة من أجل تحقيق الخصوصية والتآلف والتقارب.

- **الظروف السياسة:**

كان لها أثر على تكوين المدن من طريق كثرة الفتوحات لمدن جديدة، والخلافات والمنازعات التي كانت تنشب بين الحكام والولاة والأمراء المتوالين تبعا على الحكم كل ذلك أدى إلى: كل حاكم يطمح في تحقيق طابع معين خلال فترة حكمه وما تبع ذلك من تنشيط لحركة العمران والبناء[2].

- **الحالة الاقتصادية:**

ظهرت المدن ونشأت لتؤدي وظائف معينة وكان معظم النشاط التجاري والحرفي نتيجة تعكس عادات وطابع السكان، حيث كان انفصال بين الأنشطة والخدمات عن المناطق السكنية فأصبحت هذه النشاطات تمتد وتتفرع منها أخرى ثانوية تجتمع حولها المناطق السكنية.

وكانت للحالة الاقتصادية التي يتميز بها السكان أثر على توزيع أهم عناصر المدينة وتكوينها، حيث نشاهد أن السكان ذوي الدخل الكبير مثل التجار والأمراء وقادة الجيش تتواجد مساكنهم على امتداد المحاور الرئيسية وقريبة منها الخدمات والأنشطة لتأتي خلفها مناطق الإسكان العام.

---

[1] عبد الباقي. إبراهيم: **تأصيل القيم الحضارية في بناء المدينة الإسلامية المعاصرة** مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، مصر1982ص ص، 16.19.20

[2] بقاعين. غالب: **جذور ومقومات وشخصية المدينة العربية** المؤتمر الاول لمنظمة المدن العربية، بيروت، لبنان، ص78، 1986

- **النواحي الإنشائية:**

إن البدائية في أسلوب البناء أتت بأثرها في حتمية استخدام ما هو متاح من مواد بناء المدن، فتم أثناء الإنشاء استخدام الحجارة في البناء والأخشاب فتكونت بنايات ذات ارتفاعات محددة أعطى للمدينة شكلا وتكوينا موحدا لعناصرها مما صبغها بطابع عمراني ومعماري خاص ومميز[1].

- **وسائل النقل:**

وسائل النقل المستخدمة آنذاك تحكمت في عملية تكوين وإنشاء تخطيط المدينة، حيث جاءت طرق وممرات متناسبة مع استعمالاتها، فكانت المحاور الرئيسية تناسب مع طرق النقل البدائية، فيما كانت محاور الحركة الثانوية متناسبة مع المناطق السكنية حيث الشوارع والأزقة الضيقة التي لا تفي ولا تسمح بدخول وسائل النقل بأحجام كبيرة[2].

9.الهيكل العام لتخطيط القصور الصحراوية:

حيث يمكن تفهم الهيكل العام لتخطيط المؤسسات البشرية العتيقة من خلال استعراض استعمالات الأرض لها والنسيج العمراني لها، والعناصر العمرانية المكونة للمدينة العتيقة.

- **استعمالات الأرض:**

مرت المؤسسات البشرية الصحراوية العتيقة خلال تاريخ إنشائها بعدة مراحل من التطور والنمو، حيث كان لها الأثر في تركيب المدينة ووظائفها واستعمالات الأرض بها، وانعكس بصورة مباشرة أو غير مباشرة على السكان. حيث تم تحديد في مجال استعمال الأرض أماكن السكن والصناعة التقليدية والأماكن العامة والشوارع. جاء في كتاب الحسبة: "ويجعل لكل أصحاب صنعة سوق يختص بهم، تعرف بهم صناعتهم وكان سبب ذلك هو عدم تضرر أصحاب صنعة بصنعة أخرى"[3]، حيث تم اعتماد جمع العاملين في نفس الحرفة يجتمعون في حارة واحدة تعرف بها تجارتهم فيسهلون بذلك الأمر على زبائنهم وتروج تجارتهم، على غرار الذين

[1] سعد علي سمير: **الأسس والمعايير التخطيطية للمدن العربية** المؤتمر العلمي الأول لكلية الهندسة، جامعة الأزهر، القاهرة،1989، ص56

[2] بقاعين. غالب: المرجع السابق ص.67.

[3] خلف إسماعيل. كمال: **الإطار العام التشريعات المنظمة للعمران والمدينة العربية** المؤتمر العلمي الثالث كلية الهندسة جامعة الأزهر، القاهرة 1993ص78

تستدعي حرفهم استخدام الوقود وإشعال النار كالخبازين والحدادين فيتم إبعاد حوانيتهم عن بائع العطور المنسوجات لعدم التجانس وحدوث الأضرار.

جاء في كتاب الفقه "يمنع الدباغون مما يحدث من دباغتهم لنشر ريحها، وكذلك دخان الحمامات والأفران وما شابه ذلك" وهذا ما تم استخدامه من قبل المخططين في المدن المعاصرة في عزل المناطق الصناعية والمطارات وكل ما يضر بالمارة والأسواق والسكان[1]"فمن خلال ذلك يمكننا استخلاص ثلاثة معايير رئيسية كأساس لاستعمالات الأراضي في اختيار مواقع الحرف والتجارة والصناعات داخل المدن وهي:

– مدى التشابه بين هذه الحرف والتجارات، وقد انعكس ذلك على تنظيم وتتابع الحرف المختلفة داخل الأسواق.

– التردد النسبي لاحتياجات السكان من السلع المختلفة.

– تحاشي الضرر والتلف بإبعاد الصناعات الملوثة أو المضرة قدر الإمكان، حيث يساعد المعيار الأول بتجميع الصناعات المتماثلة في تركز مصادر الضرر في أماكن قريبة من بعضها البعض داخل المدينة.

[1] صالح الهذلول: "التحكم في استعمالات الأراضي في المدينة الإسلامية "ندوة الإسكان في المدينة الاسلامية، أنقرة، تركيا، يوليو1984، ص28.

- **خلاصة:**

بدأت العمارة منذ القدم لتلبية إحدى الحاجات الأساسية للإنسان، مثلت له المأوى، كانت عفوية متغيرة باستمرار بغية توفير الحيز الملائم ليمارس نشاطه فيها بعيدا عما يمكن أن يكون مزعجا، أو مضرا مما يحيطه من البيئة. لذا تلازم تطوير الإنسان للفراغ الذي يكيفه ليمارس فيه نشاطه، مع تعامله مع الظروف البيئية المحيطة به للوصول إلى الفراغ الأكثر راحة. من هنا بدأت العمارة، والتي كانت تحمل أساليبا تميزها وفق المنطقة التي تظهر فيها (تبعا للخصوصية البيئية للمنطقة). بدأت بعدها الظروف والحاجات الاجتماعية والأفكار والحاجات العقدية والثقافية للإنسان بالتأثير على ما ينشئه من فراغ.

مما سبق نستنتج ان الدين الإسلامي راعي كل الجوانب المتعلقة براحة الإنسان، سواء النفسية أو المادية أو الروحية ورسم تخطيطا معماريا وعمرانيا يتماشى والوظيفة الموكلة له. كما ترك له هامش من الحرية في هذا المجال وفق خصوصية البيئة والمكان، ولم تخرج مدينة بسكرة عن هذا النمط في تخطيطها إجمالا بل راع المعماري في المنطقة الظروف البيئية والمناخية وكيف عمارته على هذا الأساس.

الفصـل الثالث:

مظاهر العمران الاسلامي بمنطقة بسكرة الغربية

- **تمهيد:**
- **أولا: قرية سيدي خالد:**

1. **مظاهر العمران الدينية.**
2. **مظاهر العمران المدنية.**

ثانيا: قرية أولاد جلال:

1. **مظاهر العمران الدينية.**
2. **مظاهر العمران المدنية.**

ثالثا: قرية طولقة:

1. **مظاهر العمران الدينية.**
2. **مظاهر العمران المدنية.**

رابعا: قرية ليشانة:

1. **مظاهر العمران الدينية:**
2. **مظاهر العمران المدنية.**

- **خلاصة**

- **تمهيد**

تزخر منطقة الزاب الغربي بمعالم أثرية وعمرانية متنوعة ومميزة وقد تأثرت عمارة المنطقة بالظروف المحيطة بها وتدخلت عدة عوامل في تشكيلها مما أنتج عمارة متفردة بخصوصيات أملتها عليها طبيعة السكان ومعتقداتهم فكان للدين الإسلامي دورا كبير في توجيه عمائرهم وتحديد ملامحها بشكل عام سنحاول تتبع مظاهر العمران في المنطقة من خلال دراسة أهم المعالم الأثرية بها.

أولا: نشأة وتأسيس قرى الزاب الغربي.

1: قرية سيدي خالد.

تقع جنوب غرب بسكرة على بعد 107 كلم، وهي عبارة عن واحة تبعد 7 كلم عن قرية أولاد جلال، لم تسجل بها أي آثار أو بقايا رومانية لآن الرومان لم يتوغلوا في الجنوب[1]، ولا نجد لها أي ذكر في المؤلفات العربية ما عدا العياشي عند ذكرهما لقبر خالد بن سنان الذي أصبح علما على المنطقة فسميت باسمه واكتسبت شهرة به.

أ. مظاهر العمارة الدينية:

- **الأضرحة:**

▪ **.ضريح خالد بن سنان العبسي**

- **التعريف بصاحب الضريح**: هو خالد بن سنان بن غيث بن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس العبسي، من بني المقاصف بن ذكران بن زيبة بن الحرث بن قطيعة بن عبس[2]، إلا أن هناك من ينسبه إلى حمير وهذا ما جاء به الصاوي عند حديثه عن الأنبياء بعد عيسى عليهم الصلاة والسلام فيقول" و واحد من حمير وهو خالد بن سنان" [3]، وقد ورد في وقت بعثته أنه كان بين نبي الله عيسى عليه السلام وبين نبينا محمد

[1] .توفيق المدني: كتاب الجزائر، ص 183. أنظر

Dellatre. A.L: (Excursion dans le ZAB Occidental), Recueil des notices et mémoires de Le société Archéologique du département de Constantine, V 25, Année1888-1889, Paris, Ed : Adolphe braham, PP273-274

- Gsell . S,op.cit, feuileN°48, P6.

[2] . أحمد بن علي بن حجر العسقلاني: **الإصابة في تميز الصحابة**، المجلد 2، تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ص201.

[3] صلاح مؤيد العقبي: **أضواء على حياة خالد بن سنان العبسي**، المطبوعات الجميلة الجزائر، ب ت، ص15.

صلى الله عليه وسلم أي زمن الفترة التي قال الله عنها :﴿ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل، أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير، فقد جاءكم بشير ونذير، والله على كل شيء قدير﴾ [1].

جاء في تفسير هذه الآية حسب الإمام القرطبي: أن الله سبحانه وتعالى قادر على إرسال العديد من الأنبياء كما فعل بين موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام إذ كان بينهما ألف وسبعمائة سنة وألف نبي وقادر على الإرسال في الفترة كما فعل بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام كان بينهما ستمائة أو خمسمائة وتسعة وستون سنة وأربعة أنبياء؛ ثلاثة من بني إسرائيل وواحد من العرب هو خالد بن سنان العبسي[2]، ويتفق الكثير من الأئمة على أن خالدا كان بين عيسى وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام، أو ما يعرف بزمن الفترة مثل، ابن الأثير والمسعودي وابن أبي دينار[3]، وأنه كان من الحنفاء الذين لم يسجدوا لصنم، موحدا على ملة سيدنا إبراهيم عليه السلام [4].

بالنسبة لنبوته فلقد كانت محل خلاف بين العلماء فهناك من أقرها اعتمادا على ما ورد بشأنه في قوله صلى الله عليه وسلم : " ذاك نبي ضيعه قومه " منهم ابن القيم الجوزي الذي ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم : " قدم عليه وفد من بني عبس فقالوا: يا رسول الله ! قدم علينا قراؤنا فأخبرونا أنه لا إسلام لمن لا هجرة له ولنا أموال ومواش وهي معايشنا فإن كان لا إسلام لمن لا هجرة له فلا خير في أموالنا ومواشينا، بعناها وهاجرنا عن آخرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم الله من أعمالكم شيئا " وسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خالد بن سنان، هل له عقب؟ فأخبروه أن لا عقب له كانت له ابنة فانقرضت، وأنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث أصحابه عن خالد بن سنان فقال" نبي ضيعه

---

[1]. الآية 19: من سورة المائدة.

[2]. أبي عبد الله محمد الأنصاري القرطبي الإمام القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، المجلد 3، دار الكتب المصرية، 1957، ص235.

[3]. المسعودي: ج1، ص52. أنظر:

. ابن الأثير، **ابن الأثير أبي الحسن علي بن عبد الواحد الشيباني** الكامل في التاريخ، المجلد 1، ط5، دار الكتاب العربي، بيروت، 1985، ص219.

. ابن أبي دينار، ابن أبي عبد الله الشيخ محمد بن أبي القاسم الرعيني (ت 1092هـ1681م) المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، ج1، مطبعة الدولة التونسية، 1286هـ، ج2، ص214.

[4] صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص18.

قومه"[1]وورد أن الحافظ أبو القاسم الطبراني: حدثنا أحمد بن زهير التستري، حدثنا يحي بن المعلي بن منصور الرازي، حدثنا محمد بن الصلت حدثنا قيس بن الربيع، عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: " جاءت بنت خالد بن سنان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فبسط لها ثوبه وقال:" بنت نبي ضيعه قومه " وذكر ابن حجر أن أبو يونس قال أن سماء بن حرث سئل عنه النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال: " ذاك نبي ضيعه قومه " وأن ابنته أتت النبي صلى الله عليهوسلم فقال" مرحبا بابنة أخي " [2]، أما المسعودي في مروجه فيقول: " قال ابن عباس: و وردت ابنة * له عجوز قد عمرت على النبي صلى الله عليه وسلم فتلقاها بخير وأكرمها وأسلمت، وقال لها: "مرحبا بابنة نبي ضيعه أهله"، والتي قالت عندما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ: ﴿قل هو الله أحد، الله الصمد ﴾[3] ، قالت كان أبي يقول هذا " [4]وترجم له الزركلي بقوله: " حكيم من أنبياء العرب في الجاهلية كان في أرض بني عبس... "[5]، أما الذين ينكرون نبوته يقولون أن الأحاديث النبوية التي جاء فيها القول بنبوة خالد بن سنان ضعيفة الإسناد وأنه ليس بين عيسى عليه السلام ونبينا صلى الله عليه وسلم نبيا ولا رسولا وفقا لما جاء في القرآن الكريم [6] بقوله تعالى: ﴿ وإذا قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين﴾ [7]، وقوله تعالى: ﴿ لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يهتدون﴾ [8]

---

[1] ابن القيم الجوزي، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، المجلد 2، ج3، تحقيق حسن محمد المسعودي، دار الكتاب العربي بيروت، ب ت، ص ص53-54.

[2] ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج2، ط2، مكتبة المعارف، بيروت، 1974، ص69. أنظر. ابن حجر العسقلاني، مصدر سابق، ص201.

.محمد الصغير المختاري، مرجع سابق، ص63.

* بعض المراجع تقول إنها لم تكن ابنته بل إحدى حفيداته أو بنات ذريته.

[3] الآية 1، 2 من سورة الإخلاص.

[4] المسعودي، المصدر سابق، ج1، ص 54. أنظر.

.نفس المصدر، ج2، ص175.

[5] .خير الدين الزركلي ، الأعلام، قاموس تراجم، المجلد 2، ط9، دار العلم للملايين، بيروت، 1990 ، ص296.

[6] .ابن كثير، المصدر سابق، ج2، ص69.

[7] .الآية 6 من سورة الصف.

[8] .الآية 3 من سورة السجدة.

وما ورد في السنة النبوية، فقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن طريق أبي سلمة بن عبد الرحمان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " أنا أولى الناس بعيسى، الأنبياء أولاد علات، وليس بيني وبينه نبي "[1].

وحسب رأينا حتى وان كانت الأحاديث التي تدل على نبوة خالد ضعيفة إلا أنها تدل على أن للقصة أصل، خاصة وأنه يمكن أن يفهم من الحديث النبوي السابق الذكر أنه لم يبعث بعد عيسى عليه السلام نبي بشريعة مستقلة وإنما بعث بعده من يقر بشريعة عيسى عليه السلام، أو أن هذا الحديث ورد في سياق الحديث عن نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان، بقوله صلى الله عليه وسلم : " ليس بيني وبين عيسى نبي، وأنه نازل فإذا رأيتموه فأعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض كأن رأسه يقطر وأنه لم يصبه بلل فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وتهلك في زمانه الملل كلها، إلا الإسلام ويهلك المسيح الدجال، فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون " [2].

أخيرا يمكن القول أنه حتى وإن لم يكن خالدا نبيا فأكيد أنه كان رجلا صالحا يدعوا إلى الخير، كما أن الله سبحانه وتعالى أرسل أنبياء ورسلا لا يجمعهم سجل حافظ ولا يحصيهم كتاب واع مصداقا لقوله تعالى:﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك﴾[3]،وكانت وفاته قبل عام الفيل بفترة وجيزة يحددها البعض بخمس سنوات [4]، وأنه مدفون في بلدة سيدي خالد ببسكرة وهذا ما يؤكده ابن أبي دينار بقوله[5] " أنه مدفون في بلدة بسكرة... وهو في تلك البلاد يسمونه خالد النبي ويزورونه ويتبركون بمقامه صلى الله عليه وسلم " ، وهذا ما أشار إليه العياشي[6] في رحلته بقوله: " وسمعت أنه هو (أي الأخضري) الذي أظهر القبر الذي في بلاد الزاب، المنسوب لنبي الله خالد بن سنان عليه السلام، وهذا القبر الآن من

---

[1]. صحيح مسلم، ج8، ص105.

[2]. صحيح مسلم، المصدر السابق، ج1، ص414.

[3]. سورة غافر، الآية 78.

[4]. مخطوط **" تنوير البصائر ولأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفار"**، لصاحبه الشيخ علي البوعناني، المطماطي، زاوية علي بن عمر، بطولقة.

[5]. ابن أبي دينار، المصدر سابق، ج2، ص 19.

[6] مخطوط الرحلة العياشية، زاوية علي بن عمر طولقة. أنظر.

.العياشي، أبي سالم (ت1090هـ1679م) ماء الموائد (الرحلة العياشية)، تحقيق محمد حجي، ج2، ط2، دار الغرب، الرباط،1977، ص 335.

المزارات الشهيرة في تلك البلاد...وعليه مسجد عظيم وحوله مدرسة "، ونفس الرواية يذكرها الرحالة أبو القاسم الزياني لأنه نقلها عن العياشي[1]، كما يذكر الرحالة الورتلاني هذا القبر ويقر بنبوة خالد بن سنان في قوله: " مشينا لزيارة النبي سيدي خالد عليه السلام، على القول بنبوته وقد شهر غير واحد من المتأخرين رسالته بجبل الرص الملقب الآن أوراس وكانت معجزته نارا، وكانت رسالته قبل رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بمدة قليلة والذي شهر رسالته سيدي عبد الرحمان الأخضري*"...وهو مقام عظيم والوفود تأتيه من المشرق والمغرب للزيارة "[2]. ومهما اختلفت الروايات ومدى صحتها فإن قبر النبي خالد بن سنان أصبح ظاهرة واقعية في منطقة سيدي خالد ببسكرة، وهذا ما يجعلنا نتساءل: خالد نبي عربي من بلاد الحجاز (بني عبس) كيف وصل إلى منطقة بسكرة؟

للإجابة عن هذا السؤال نتعرض أيضا إلى مجموعة من الآراء والروايات حيث نجد من يقول أن دخوله بلاد المغرب كان ضمن الهجرات العربية التي كانت تتم بين الجزيرة العربية والشمال الإفريقي عبر الأراضي اليمنية والمصرية، هذا ما جاء به ابن أبي دينار عند رده على قول إسحاق بن أبي عبد الملك الملشوني أن إفريقيا لم يدخلها نبي قط بقوله" وقال غيره بل دخلها نبي الله خالد بن سنان العبسي وكان في زمن الفترة [3]، ونجد أيضا التفسير الذي أورده العلامة عبد الرحمان الجيلالي، الذي يذكر: " أن الساميين جاؤوا إلى إفريقيا من جزيرة العرب في ثلاث دفعات آخرها كانت ما بين القرن العاشر والأول قبل الميلاد...وقد يكون الضريح الموجود إلى اليوم بالجنوب الغربي من بسكرة المنسوب إلى خالد بن سنان العبسي هو لأحد أعضاء هذه الجاليات العربية القديمة التي ارتادت هذه الأوطان، هذا إن لم يكن قبرا لأحد المبشرين بالمسيحية ممن ذكرنا أسماءهم فيما

[1]. أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى في أخبار المعمورة برا وبحرا، حققه عبد الكريم فلالي، مطبعة فضالة، المحمدية، 1967، ص376.

* عبد الرحمان بن محمد الأخضري، أديب ولغوي جزائري من أبناء منطقة الزاب له مؤلفات في المنطق والبيان؛ منها: السلم: أرجوزة في المنطق، الجوهر المكنون في المعاني والبيان البديع، وهو الذي يقول فيه الرحالة العياشي: إمام جامع بين علم الظاهر والباطن له تأليف مشهورة وكرامات مأثورة وأشهر تأليفه المنظومة في المنطق والمسماة بالسلم المرونق وله مقدمة مشهورة في الفقه وبيته بيت علم.

[2]. الورتلاني: المصدر سابق، ص5.

[3]. ابن أبي دينار: المصدر سابق، ج2، ص ص17-22.

تقدم"[1]، والبعض الآخر يذكر أنه وصل إلى المغرب ميتا، على راحلة لأن قومه لم يدفنوه وأنهم حملوه على ناقة فذهبت إلى أن بلغت المكان المذكور[2].

أما قبره ببلاد الزاب فيذكر الرحالة العياشي و الورتلاني أن عبد الرحمان الأخضري هو الذي أكتشفه بواسطة علم التربيع، حيث يقول العياشي:[3]" سمعت من بعضهم أن سيدي عبد الرحمان الأخضري أخبرهم أنه شاهد النور صاعدا من تلك البقعة إلى السماء ثلاث ليالي أو نحوها، وأخبر أنه قبر نبي الله خالد..." وفي الأخير مهما كانت حقيقة خالد بن سنان، هل هو نبي أم لا؟ وهل هو موجود بمنطقة سيدي خالد، أو منطقة أخرى؟ فإنه أصبح ظاهرة مميزة للمنطقة ولناحية أولاد جلال والجنوب الجزائري ككل تستحق الدراسة والبحث من كل الجوانب.

- **موقع الضريح وتاريخ إنشائه:** (شكل 16)

يقع ضريح خالد بن سنان بمكان مرتفع بين وادي جدي ووادي القليسي على بعد أمتار من المدينة الأثرية، من سيدي خالد.يشكل الضريح النواة الأساسية التي أنشئت حولها المجموعة البنائية المتكونة من مسجد وغرف الطلبة وغرف الضيوف، وضريح عبد الرحمان بن خليفة *ومسكن الوكيل وعائلته ، (لوحة9صورة: ا،ب)، ولقد كان في الأصل زاوية تعرف بزاوية سيدي خالد وفقا لوصف الرحالة العياشي[4] حيث يقول: " مررت بزاوية سيدي خالد فوجدت فيها أربعين طالبا يدرسون مختلف العلوم وكان بعضهم غريبا عن البلدة " ، وتذكر بعض المراجع أسماء علماء درسوا في الزاوية وكان لهم الفضل في تنشيطها من أمثال أحمد بن إبراهيم بن الجودي القادم من المغرب في بداية القرن العاشر هجري، السادس عشر ميلادي، وعبد الرحمان بن خليفة الذي وصل إلى البلدة عام945هـ 1538م.

---

[1] عبد الرحمان الجيلالي: **تاريخ الجزائر العام**، ج1، ج3، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ج1، ص ص117-118.

[2] العياشي: المصدر السابق، ج2، ص335.

[3] العياشي: المصدر السابق ج2، ص335.

[*] عبد الرحمان بن خليفة من المتصوفين كان يتعبد في خلوة له بالقرب من ضريح خالد بن سنان والتي مازالت موجودة إلى اليوم، دفن بالقرب منها وأحفاده هم مؤسسي الزاوية المختارية بأولاد جلال.

[4] العياشي: ج2، المصدر سابق، ص 414.

أما بالنسبة لتأريخ هذا المبنى فإننا لا نقف على تاريخ محدد لإنشائه لعدم وجود أي قرينة مادية أو تاريخية تبين ذلك، لكن اعتمادا على ما ذكره العياشي من أن عبد الرحمان الأخضري هو الذي أظهر القبر بواسطة الكشف♦ وعلم التربيع• وذلك في قوله[1]: " وسمعت أنه هو الذي أظهر القبر الذي في بلاد الزاب، المنسوب لنبي الله خالد بن سنان عليه السلام...".

وقد أكد نفس الظاهرة الورتلاني[2] بقوله:" ومشينا لزيارة النبي سيدي خالد عليه السلام...والذي أشهر رسالته سيدي عبد الرحمان الأخضري"، وكذلك الزياني[3] في ترجمانته حيث يقول:" وهو الذي (أي الأخضري) أظهر قبر نبي الله خالد بن سنان العبسي المشهور بتلك البلاد، وهو من المزارات العظام يقصده أهل الواسطة والزاب وإفريقية من الحاضر والبادي وعليه مسجد عظيم ومدرسة "، وبما أن الكثير من المراجع[4] تؤكد أن عبد الرحمان الأخضري عاش في الفترة ما بين 920هـ .953هـ/1514م .1547م؛ وبما أن الرحالة والمؤرخين الذين وصفوا بسكرة قبل هذه الفترة لم يشيروا إليه يمكن القول أن الضريح يعود إلى القرن 10هـ16م، إلا أننا نجد الرائد كوفية (Couvet)[5](شكل17)في مقاله حول الأضرحة يقول أن هذا المزار كان عبارة عن أسقفية تعود إلى القرن 5م استنادا إلى ما جاء به الأب ميسناج (père Mesnage) في كتابه إفريقية المسيحية، وهذا غير مستبعد لأن هذه الديانة كانت منتشرة بهذه المناطق قبل وصول الإسلام [6]. وما هو ثابت تاريخيا أن البناية الموجودة

♦إدعاء علم الغيب، نوع من التنجيم.

•علم التربيع ليس علم بل فن غريب، يدعي أصحابه معرفة الغيب بواسطته وهو أيضا نوع من التنجيم (مثل أحكام النجوم، أو أسرار الحروف...) إلا أننا نجد أبو القاسم سعد الله عند ترجمته للأخضري يقول انه لم يدعي إدراك علم الظاهر والباطن أو أي كرامة وإنما كان عالما عاملا يؤلف المتون ويشرحها ويجمع الكتب ويفهمها ويجلس للدرس ويخرج التلاميذ شأن العلماء الصالحين.

[1] العياشي: ج2، المصدر السابق، ص414.

[2] الورتلاني: المصدر السابق، ص5.

[3] الزياني: المصدر السابق، ص ص150-151.

[4]. أبي القاسم محمد الحفناوي الديمي: **تعريف الخلف برجال السلف**، مطبعة بيار فنتانة الشرقية، الجزائر، 1906، ص73. أنظر.

. أبو القاسم سعد الله: ج1، تاريخ الجزائر الثقافي ق10-14هـ(16-20م) ج1، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص508.

. بوزيان الدراجي، عبد الرحمان الأخضري، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، 14.

[5] -Couvet،**C** (Les Marabouts،Petits Monuments Funéraire et Votif du Nord de l'Afrique)،Revue Africaine، N°64/1923، OPU، Alger، P458.

[6]. عبد الرحمان الجيلالي: ج1، المرجع سابق، ص ص73-118. أنظر

- Maguelonne-(Monographie Géographique et Historique de la tribu DES ZIBAN), Recueil Des notices et mémoires de la société archéologique du département de Constantine, V44, Ed : Adolphe braham, Paris, 1910, P228.

حاليا تعود إلى عام 1337هـ1917م وفقا لتقرير بداية الأشغال الموجودة في سجل جمع التبرعات المحرر من طرف عبد الحفيظ بن سعيد بخطه وبأسلوبه في ستة أسطر جاء فيه ما يلي:

" بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد

في جماد 04 الاثنين ابتداء الجمع

وعام 1337 هجري يوم 10 الاثنين ابتداء الخدمة

والله الموفق للصواب وإليه حسن المآب

وفي محرم 1338 هجري ابتداء بناء قبة سيدي خالد

غفر الله ولوالديه وللمسلمين أجمعين "[1]

أعيد بناء ضريح خالد بن سنان بعد التخريب الذي لحق به جراء الأمطار الغزيرة التي كانت عام 1332هـ1912م فهدمت البناية القديمة وأزيلت نهائيا وأقيم البناء الجديد الذي استغرق 6 سنوات عمل1337 .1343هـ/1917.1923م، مع الإشارة أن ما جاء في التقرير السالف الذكر أن بداية بناء القبة كان سنة 1338هـ1918م وهذا يعارض ما ذكره كوفيه(Couvet) (يعود بناء القبة إلى1340هـ1920م).

يمكن القول إن بداية البناء كانت عام 1338هـ1918م والنهاية كانت عام 1920م، خاصة وإن علمنا أن فترة البناء كانت أثناء الحرب العالمية الأولى وسياسة التجنيد الإجباري التي فرضتها فرنسا على الشباب مما أدى إلى نقص اليد العاملة.

أعتمد في البناية الجديدة وبشكل كبير على المخطط القديم للضريح (انظر الشكل 18)، وكانت من إنجاز مهندس معماري من وادي سوف من عائلة قاقا ذات الأصول العربية الأندلسية، أستعمل في البناء مواد محلية، كالحجارة التي كانت تجلب من محجر في ضواحي المدينة وهي متوفرة بكثرة واستعملت كمادة أساسية في تشكيل الجدران وبناء الدعامات والأعمدة، والبشيم وهي حجارة كلسية جيرية صلبة ملائمة للظروف

[1]. حرز الله محمد العربي: **الظاهرة الثقافية في سيدي خالد أثناء الاحتلال الفرنسي**، منشورات وزارة الثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون الجميلة، رغاية، الجزائر، 2006، ص211.

المناخية الخاصة بالمنطقة، توجد في الجهة الجنوبية للمدينة، والجبس المتوفر بالمنطقة ذي النوعية الجيدة، وهو مادة هامة في البناء لمطابقته لكل المقاييس المطلوبة من متانة وصلابة وجمال ومقاومة للعوامل الطبيعية، ولقد استعمل مع الرمل والحصى الصغيرة والآجر المسحوق في تكوين الملاط الذي يستعمل في ربط مواد البناء بعضها ببعض وفي تغطية الجدران والعناصر المعمارية قبل إحداث الزخارف عليها، أما في التسقيف استعملت جذوع النخيل و العرعار [1].

بنيت الجدران بالحجارة المختلفة الأشكال والأحجام مع الملاط وذلك في الأساس ثم طبقة من الملاط ثم الحجارة وملء الفراغ الموجود بينها بالملاط وتسوية سطحه بنفس المادة، وتستمر العملية بهذا الشكل إلى النهاية، أما العقود فيتم إنشاء دعامتين أو عمودين يرتكز عليهما العقد ثم يبنى العقد بالحجارة إلى منتصف ارتفاعه لتشكل قاعدتين توضع فوقهما عارضة خشبية على امتداد العقد ومن العارضة تمد عارضتان بشكل مائل تلتقيان في نهايتهما ليشكل لدينا مثلث، وتملأ المسافة الفاصلة بين المثلث وداخل العقد، ثم يتم وضع الحجارة بشكل مشع مع الملاط وهي تعتمد على القطعة الوسطى أو ما يسمى مفتاح العقد وعند تماسك العقد تنزع العوارض الخشبية، وبالنسبة للقباب أستعمل البشيم والجبس في بنايتها [2]

- **الدراسة المعمارية:**

- **الوصف الخارجي:** استنادا إلى الصورة القديمة التي يحتفظ بها أعيان المنطقة وكذلك مخطط الضريح الذي أورده الرائد كوفية (Couvet) في مقالته السابقة حول الأضرحة يمكننا تصور شكل الضريح ووصفه من ناحية المكونات المعمارية، (لوحة9صورةج)(الشكل رقم: 19)،فالضريح عبارة عن شكل متعدد الأضلاع بشكل طولي يتجه من الغرب إلى الشرق، جدرانه متوسطة الارتفاع ينفذ إليه من باب في الواجهة الجنوبية قريب من الزاوية الجنوبية الغربية، وتوجد أربع نوافذ صغيرة مستطيلة الشكل تتوضح في صف واحد بشكل أفقي إلى يمين الباب، يحيط بها إطار مطلي باللون الأبيض وهي مادة الجير المستعملة بكثرة في المنطقة، على الضريح

[1].حرز الله محمد العربي: المرجع السابق، ص ص53-59.

[2].حرز الله محمد العربي: المرجع نفسه، ص ص 55.60.

توجد قبة تأخذ شكل قوس قوطية مدببة أو حادة في القمة، تقوم على قاعدة مربعة مرتفعة نوعا ما، بكل واجهة من واجهات هذه القاعدة نجد نافذتين متجاورتين بشكل مستطيل نهايتهما العلوية مقوسة، تنتهي هذه القاعدة بأربع شرافات نصف هرمية مسننة، إلى جانبها نجد مئذنة طويلة تتكون من برج واحد مثل المآذن المنتشرة بالمنطقة؛ كمئذنة الجامع العتيق بأولاد جلال وجامع الدوسن وجامع بوشقرون [1]، فهي تقوم على قاعدة مربعة تضيق كلما ارتفعنا تتوسط كل واجهة من واجهاتها ثمانية فتحات ضيقة مستطيلة الشكل تتوضع بشكل عمودي، وعند النهاية نجد نافذتين مستطيلتين بنهاية مقوسة في كل جهة مع أربع شرفات نصف هرمية متدرجة، لتغطى بقبيبه صغيرة بشكل قوس قوطية مدببة، يمكن القول أن نهاية المئذنة عبارة عن شكل مصغر لقبة الضريح من الخارج، مما يوحي بالانسجام بين أجزاء هذا المبنى البسيط.

باستثناء قبة الضريح فإن سقف المبنى مستوي اعتمدت فيه التقنية المنتشرة في المنطقة والتي تقوم على وضع عوارض من جذوع النخيل بشكل أفقي ثم تصنع سدة من جريد النخل توضع فوق الجذوع لتغطى بطبقة من السعف كمادة عازلة، ثم توضع فوقها طبقة من الطين ثم طبقة من الجبس العازل والعاكس للحرارة [2]، إلى جانب هذا المبنى نجد مقبرة خاصة بالأهالي الذين يفضلون دفن موتاهم بالقرب من الضريح وحتى العائلات الشريفة حيث نجد مقبرة خاصة بعائلة بوعكاز التي حكمت المنطقة.

أما من الداخل فنجد صحن كبير مربع الشكل، مكشوف محاط بأروقة تحدها أعمدة تحمل أقواس حدوية الشكل، تفتح في هذه الأروقة كل الغرف التي يتكون منها المبنى (غرفة الصلاة، والضيوف، وسكن الوكيل،...)[3].

أما المبنى الحالي فقد حافظ بصفة عامة على التصميم القديم مع التجديد فقط في البناء واعتماد التسقيف بالقباب لكل المبنى (لوحة9،الصورةأ)، فهو ذو طابع عربي إسلامي قريب من الطراز الأندلسي المغربي من حيث شكل المئذنة والقباب والأقواس وتوضع القاعات بالنسبة للصحن، خاصة وأن الذي أنشأه من أصول

[1]. المساجد في الجزائر: المرجع السابق، ص ص72،70-73.

[2]. حرز الله محمد العربي: الظاهرة الثقافية في سيدي خالد أثناء الإحتلال الفرنسي، منشورات وزارة الثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون الجميلة، رغاية، الجزائر، 2006، ص 61.

[3] -Couvet. C, op.cit.P458.

أندلسية والمبنى يرتسم في شكل مستطيل يمتد من الغرب إلى الشرق مقاساته (39م X 30,20م) يتوسطه صحن مكشوف مربع الشكل طول ضلعه 12,10م محاط بأربعة أروقة مستطيلة (18,60م X 3,25م)، تحدها ثلاثة أقواس مكسورة في كل جهة محمولة على أربعة أعمدة اثنان في الوسط وهي أسطوانية الشكل يبلغ قطرها 0,70م واثنان بشكل مربع بطول ضلع 0,70م في الجانبين ، في الرواق الغربي نجد بابين أحدهما يؤدي إلى المسجد والآخر إلى غرفة ضريح سيدي خالد، وفي الجنوب نجد ثلاثة أبواب؛ الأول يؤدي إلى غرفة ضريح سيدي عبد الرحمان بن خليفة الذي أشرنا إليه سابقا، إلى جانبها نجد الباب الثاني الذي يؤدي إلى المئذنة التي تقوم على قاعدة مربعة طول ضلعها 3,35م وهي تتكون من برج واحد وتضيق كلما ارتفعت مثل مئذنة جامع سيدي موسى الخذري ببسكرة، بواجهتيها الجنوبية والشرقية نجد خمس نوافذ متوضعة فوق بعضها البعض تفصل بينها مسافات متساوية، وهي على استقامة واحدة بشكل عمودي تأخذ شكل مستطيل معقود، إلى جانبها نجد فتحتين صغيرتين مستطيلتي الشكل، أما في الواجهتين الشمالية والغربية نجد ثلاثة نوافذ بنفس الشكل السابق الذكر مع الفتحتين؛ وظيفتهم إنارة المئذنة من الداخل، في منتصف بدن المئذنة في كل زاوية من زواياها الأربعة من الخارج يوجد تجويفا مثلثا بشكل طولي يحمل عمود حلزوني صغير لتزيين المئذنة، وعند نهايتها وفي كل جهة من جهاتها الأربعة، نجد ثلاث نوافذ مصمتة مستطيلة الشكل يعلوها قوس نصف دائري، بين كل نافذتين يوجد عمودين صغيرين بشكل حلزوني، تعلو هذه النوافذ شرفات متدرجة أكثر ارتفاعا في الزوايا الأربعة، يتوسطها بريج صغير يقوم على ثلاثة أعمدة تشكلها أربعة أقواس متقاطعة في كل جهة، الفراغ السفلي لهذه الأعمدة به تخريمات جصية تحمل شكل النجمة السداسية، تغطى المئذنة بقبيبه صغيرة بيضوية الشكل يعلوها عمود من النحاس يحمل هلال ثم كرة صغيرة ثم هلال يتوسطه نجما.

إلى جانب المئذنة نجد المدخل الرئيسي للمبنى على شكل مستطيل مقاساته (5,40م X 4م) به أربعة أبواب، واحد يفتح على الخارج والثاني على الصحن والثالث يؤدي إلى غرفة صغيرة على اليسار والرابع إلى غرفة على اليمين مربعة الشكل طول ضلعها 4,80م، تفتح بدورها على غرفة أخرى مستطيلة الشكل مقاساتها (8,65م X 3,50م) في الركن الجنوبي الشرقي، وفي الجدار الشرقي نجد مدخل ثانوي صغير مربع الشكل تقريبا طول ضلعه

3,70م به أربعة أبواب واحد يفتح على الخارج والذي يقابله على الصحن والثالث يؤدي إلى غرفة مربعة الشكل على اليسار طول ضلعها 3,70م والرابع على اليمين يؤدي إلى غرفة مربعة طول ضلعها 3,85م تفتح بدورها على غرفة أصغر مربعة طول ضلعها 3م، وفي الركن الشمالي الشرقي غرفة مستطيلة الشكل مقاساتها (4,10م X 3,50م) تفتح على الخارج، في الجهة الشمالية نجد ثلاث غرف متفاوتة الأحجام واحدة صغيرة مستطيلة بقياس (4,10م X 3م) تفتح على الصحن والثانية كبيرة مستطيلة الشكل مقاساتها (7,80م X 4,10م) في وسطها ثلاثة أعمدة أسطوانية الشكل بقطر 0,40م تحمل أربعة أقواس مكسورة وهي أيضا تفتح على الخارج، ثم تأتي غرفة ثالثة مستطيلة الشكل (7,25م X 4,10م) تفتح على الخارج في وسطها عمودين أسطوانيي الشكل بنفس القطر المذكور سابقا؛ يحملان ثلاثة أقواس مكسورة يوجد بها قبر تتوجه عمامة تركية موضوع بشكل محرف عن القبلة؛ يعرف بالقبر التركي ولا توجد أي معلومة عنه.

للمبنى مجموعة من الأبواب منها تسعة تفتح على الخارج اثنان في الجدار الغربي وثلاثة في الجنوبي ومثلها في الشرقي وواحد في الشمالي وثمانية تفتح على الصحن، بالإضافة إلى الأبواب الموجودة ما بين الغرف ، وله جدران متوسطة الارتفاع سمكها حوالي 0,60م للجدار الشمالي الخارجي، بينما يبلغ سمك باقي الجدران (0,50م و0,40م)، في الجهة الشرقية توجد واجهة حديثة تتكون من اثني عشر عمود مربعة الشكل ضلعها 0,50م تحمل إحدى عشر قوسا حدويه الشكل، أما السقف فهو مقبب على الطراز العثماني حيث نجد مجموعة من القباب أهمها وأكبرها قبة الضريح، إضافة إلى مجموعة من القبيبات والأقبية مثل مسجد علي بتشين بالجزائر العاصمة[1]، في الأركان الأربعة للمبنى شرافة نصف هرمية متدرجة فوقها هلال وهو من الرموز الإسلامية المستعملة بكثرة في مثل هذه المباني.

- **الوصف الداخلي:** يتكون الضريح من الداخل من:

- **غرفة الضريح:**(لوحة09 ،صورة،ج)،ذات شكل مربع تقريبا طول ضلعها 12,15م يدخل إليها من باب في جدارها الشرقي مقاساته (1,97م X 2,80م)، كما يمكن الدخول إليها من الخارج مباشرة من باب في جدارها

[1] -Marcais.G: L'architecture Musulmane d'occident Tunisie, Algérie, Maroc, Espagne et Sicile, Artes et Métiers graphiques, Paris, 1954, P427.

الغربي عرضه 1,10م وارتفاعه 2,20م، إلى جانبيه نافذتين صغيرتين مربعتي الشكل ارتفاعهما 0,65م وعرضهما 0,60م، بالجدار الجنوبي فتحتين صغيرتين للإنارة بعرض 0,20م وارتفاع 0,35م، مع وجود أربع لوحات جصية موزعة على الجدار كتبت باللون الأحمر تتمثل في قصائد تذكر بعض صفات وأخلاق صاحب الضريح، في الجدار الشرقي إلى يمين المدخل الرئيسي نافذة تفتح على الصحن ارتفاعها 2,10م وعرضها 1,40م، وفي الجدار الشمالي ثلاث نوافذ تطل على المسجد أكبرهم الوسطى بارتفاع 2م وعرض 2,40م، على جانبيها نجد عمودين مضلعي الشكل تعلوهما قوس حدويه مدببة نوعا ما(لوحة10 ،صورةج)، إلى اليمين واليسار نجد النافذتين الأخرتين بارتفاع 1,60م وعرض 1,10م، في وسط الغرفة نجد مربع بطول ضلع يقدر بـ 8,71م يرتفع عن أرضية الغرفة بـ 0,40م في زواياه الأربعة توجد أربع دعامات تحصر فيما بينها ثمانية أعمدة، يعلوها اثنا عشر عقدا نصف دائري تقوم عليها القبة المركزية، في وسط هذا المربع نجد التابوت الخشبي، شكل هذا المربع المرتفع والدعامات والأعمدة أربعة أروقة تحيط بالتابوت الخشبي مقاساته(12,15م X 1,95م).

- المسجد الملحق بالضريح: هو عبارة عن غرفة مربعة الشكل طول ضلعها 12,50م تفتح على الصحن يقع إلى الشمال من غرفة الضريح، يشتمل على ثلاث بوائك عمودية علي جدار القبلة وثلاث بلاطات موازية لجدار القبلة، وهي محصورة بين أربعة أعمدة، وصفين من الأقواس العمودية على جدار المحراب وصفين آخرين موازيين لجدار المحراب، هذا الأخير يتوسط جدار القبلة وهو عبارة عن جوفة بسيطة قليلة العمق ملساء عرضها 0,80م وارتفاعها 2م، تغطى جوفته بقبيبة صغيرة، على جانبيه يوجد عمودين أسطواني الشكل في كل جانب تحمل واجهته المشكلة من لوحة جصية مخرمة بها زخارف هندسية يتوسطها عقد منكسر، في أعلى جدار القبلة نجد ثلاث فتحات صغيرة للإضاءة ومثلها في الحائط الشمالي، مع النافذة التي تسمح برؤية ضريح سيدي خالد التي سبق الإشارة إليها.

- **غرفة ضريح عبد الرحمان بن خليفة:** مربعة الشكل طول ضلعها 5م، مغطاة بقبة نصف كرويةموضوعة على قاعدة ذات ثمانية أضلاع، يوجد في الركن الشمالي الشرقي للغرفة قبو صغير ينزل إليه بواسطة سلم إلى المكان الذي كان الشيخ عبد الرحمان بن خليفة يجلس فيه للعبادة بعيدا عن الأنظار أو ما يعرف بالخلوة.

ويشتمل الضريح على مجموعة من العناصر المعمارية تتمثل في:

- **الروافع:** وهي ثلاثة أنواع:

. **الأعمدة:**(شكل20) يشتمل المبنى على مجموعة من الأعمدة؛ منها ذات الشكل الأسطواني وأخرى مربعة بسيطة خالية من أي زخرفة لا توجد لها قاعدة ولا تاج تعكس بساطة المنطقة والمقام، منها ثمانية أسطوانية بقطر 0,70م في غرفة الضريح بمعدل إثنين في كل جهة، تحمل الأقواس التي ترتكز عليها القبة المركزية، ومثلها في الصحن تتوزع بنفس الشكل، وأربعة مربعة طول ضلعها 0,70م في وسط بيت الصلاة وخمسة أسطوانية الشكل بقطر0,40م في ملحقات الضريح. (لوحة10، الصورة أ،ج)

. **الدعامات:** يوجد بغرفة الضريح أربع دعامات ضخمة مربعة الشكل طول ضلعها 0,70م تتوزع على زوايا المربع الذي يحمل التابوت الخشبي، وهي التي ترتكز عليها القبة المركزية والأقواس الجانبية الموجودة في الأروقة، وأربع دعائم بنفس القياس في أركان الصحن تحمل أقواس الأروقة وستة عشر دعامة في الجدران الداخلية لأروقة الصحن بمعدل أربع دعامات في كل جدار، وثماني دعامات في جدران المسجد تتوزع اثنان في كل جدار بنفس الشكل والقياسات السابقة. (لوحة10، الصورة أ)

. **الأقواس:** أستعمل نوعان من الأقواس في المبنى، منها أقواس نصف دائرية وضعت في غرفة الضريح بين الأعمدة والدعامات بعرض 1,97م وسمك يزيد عن 0,70م، ويوجد في كل ركن من أركان الأروقة عقدا صغيرا بنفس الشكل يرتكز على الدعامة من جهة وعلى الجدران من الجهة الأخرى، أما في عقود الصحن وبيت الصلاة فهي أقواس منكسرة تتوزع بين الأعمدة والدعامات. (لوحة10، الصورة د)

- **القباب:** يوجد في سقف المبنى مجموعة من القباب؛ أهمها ثلاثة أكبرها القبة الموجودة فوق غرفة الضريح والتي كانت في البناء الأصلي من نوع خاص يتمثل فيما يعرف بالقباب المزدوجة أو المحمية

(La coupole protégée) مثل ما جاء به (Couvet)[1] (لوحة 09، صورة ج). (لوحة 10،صورة د)، الذي يشير أن هذا النوع ذو أصول أندلسية مثل القباب الموجودة في مسجد قرطبة ثم انتقلت إلى المغرب واستعملت بكثرة خاصة على الأضرحة مثل ضريح سيدي محمد العياشي وقبة زاوية بن ساسي وضريح لالة عزيزة، ثم انتقلت إلى الجزائر واستعملت بكثرة في الغرب، مثل القباب الموجودة في مدينة تلمسان على ضريح سيدي بومدين وسيدي الحلوي ولآلة رويا (Rouya)، ومن ثم انتقلت إلى الكثير من المناطق مثل مدينة المدية ومنطقة القبائل كقبة سيدي علي بن موسى نفونس، وهذه القباب بسيطة من الخارج لكنها غنية بالزخارف من الداخل [2].

يصف كوفيه (Couvet)قبة ضريح سيدي خالد بأنها كانت على شكل قوس قوطية حادة أو مدببة تتكون من قبتين متوضعتين فوق بعضهما البعض، الخارجية منها للحماية والداخلية أو السفلى هي التي تغطي أو تحيط بالضريح المربع الذي نجد في جانبيه فتحة ضمن عقد نصف دائري تسمح برؤية قبة الحماية التي تقوم على القاعدة المربعة وزواياها الأربعة من الخارج تتوج بشرافات مثلثة ذات نهاية حادة [3].أما القبة الحالية تتكون من قشرة واحدة إلا أن شكلها الخارجي يختلف تماما عن الداخلي، فهي من الخارج تقوم على قاعدة مضلعة بستة عشر ضلعا مع ثمان فتحات دائرية صغيرة لتعطي القبة المضلعة في النهاية، هذا التضليع لا نلاحظه في الداخل لأنها مغطاة بطبقة سميكة من الجص غنية بمختلف الزخارف، فهي تتوضع على القاعدة المربعة المحمولة فوق الدعامات والأعمدة والأقواس، تحول هذه القاعدة إلى مثمن بواسطة المثلثات الكروية التي تحتضن فيما بينها قوس نصف دائرية فوقها فتحتين دائريتين صغيرتين مخرمتين في كل جهة للإنارة، وهي التي أشرنا لها سابقا من الخارج. القبة الثانية هي الموجودة فوق ضريح سيدي عبد الرحمان بن خليفة والثالثة الموجودة فوق بيت الصلاة، وهما على شكل نصف كروي تحملا زخارف جصية تشبه الموجودة فوق ضريح سيدي خالد، إضافة إلى ما ذكرنا نجد في غرفة الضريح أربعة قباب صغيرة نصف كروية تحمل زخارف جصية بشكل طبق

---

[1]Couvet, op.cit. P458.

[2]Couvet. C ,op.cit.: PP326-328..أنظر

- Bourouiba,R: L'art Religieux Musulman en Algérie, S.N.E.D, Alger, 1973, P189.

-Marcais, G op.cit.: L'architecture... ,P195.

[3] -Couvet. C: op.cit., P458

نجمي تتواجد في الأركان الأربعة للغرفة عند نهاية الأروقة، ويوجد مثلها في المسجد لكنها خالية من أي زخرفة، وباقي سقف الأروقة مغطى بشكل قبو غني بزخارف جصية مثل ما هو موجود في أروقة مسجد سيدي أبي مدين[1]، ونفس الشكل القبوي نجده في سقف أروقة المسجد وأروقة الصحن لكن بدون زخرفة، وفي جانبي أروقة غرفة الضريح نجد قبتين منخفضتين في كل جانب تأخذ شكل القبو من الخارج وثمانية الزوايا من الداخل وسط مربع صغير (لوحة، 9صورة د).

. **الشرافات:** كان بالمبنى شرافات بسيطة نجدها في زوايا القاعدة التي تحمل القبة من الخارج وزوايا نهاية المئذنة على شكل مثلث أو يمكن القول نصف هرمي، أما في البناية الجديدة فنجدها في الأركان الأربعة للمبنى بشكل نصف هرمي مدرج يعلوها هلال وفي نهاية بدن المئذنة في الزوايا الأربعة وبنفس الشكل تعلوها كرة صغيرة وفي نهاية جدران غرفة الضريح من الخارج نجد شرافات ثلاثية الفصوص. (الشكل 21).

- **الدراسة الفنية:**

تتمثل أهمية الضريح في مجموعة الزخارف الجصية التي تغطي الواجهات الداخلية للأقواس وقاعدة القبة ومركزها والقباب الجانبية الأربعة وسقف الأروقة حيث جمع فيها الفنان بين العناصر النباتية والهندسية والخطية في شكل أشرطة مستطيلة ضيقة وعريضة ومربعات ودوائر وأنصاف دوائر بأسلوب متناسق ومنسجم أضفى جمالا ورونقا على الغرفة، وتتمثل هذه العناصر الزخرفية في:

- **العناصر النباتية:** تتميز بالبساطة وهي نوعان: عناصر نباتية قريبة من الطبيعة نجدها في الواجهة الخارجية والداخلية للعقود الموجودة بين الأعمدة والدعامات؛ تتمثل في مزهرية بها شجيرة مزهرة باللون الأخضر والأبيض والأحمر على أرضية زرقاء محاطة بخطوط صفراء، وأخرى تتمثل في مزهرية بها شجيرة مثمرة باللون الأخضر والأصفر والأحمر على أرضية بنفسجية، أما الزخارف النباتية المحورة عن الطبيعة فنجدها في بطون العقود تأخذ شكلا يشبه الزهرة الرباعية الفصوص بلون أزرق على أرضية خضراء محاطة

[1]. المساجد: المرجع السابق، ص37. أنظر.
.- Bourouiba, R, op.cit. L'art Religieux... planche XXXI (N°1), P 189

بخطوط بنية زينت في داخلها بخطوط رقيقة سوداء وأخرى بيضاء وحمراء وصفراء، إضافة إلى شكل الزهرة الضخمة التي تغطي القبة المركزية فهي مكونة من ستة عشرة فصا، ونفس الشيء نلاحظه في القباب الجانبية لكن بثمانية فصوص، وفي المثلثات الكروية وفي قبة المسجد التي تتكون من زهرة بستة عشرة فصا موضوعة بشكل حلزوني، وفي قبة ضريح عبد الرحمان بن خليفة بثمانية فصوص .

- **العناصر الهندسية:** استعملت بشكل واسع وجاءت في شكل تخريمات جصية، حيث نجد المثلث والمعين والدائرة والمربع والمستطيل والخطوط المائلة والمستقيمة والمنكسرة، كما احتوت زخارف نباتية وخطية فكونت حلية زخرفية رائعة الجمال وهي تتمثل في:

- **المعينات والمثلثات:** موجودة بكثرة في أنصاف الدوائر والمثلثات الكروية الموجودة عند قاعدة القبة المركزية، فالمعينات المتداخلة تزين جوانب المثلثات الكروية بمعدل ستة في كل جانب، تشكل فيما بينها ما يشبه نصف زهرة ضخمة خطوطها التحديدية رسمت بواسطة مثلثات صغيرة زرقاء اللون، والمعين المركزي باللون البني وأعلى هذه المعينات زين بأشكال نجمية سداسية الأضلاع باللون الأخضر والبني وهي نفس الزخرفة التي نجدها في الأركان الأربعة للضريح تحت القباب الركنية، والمثلثات تحيط بالقبة المركزية والقباب الركنية والمثلثات الكروية بين كل فصين من فصوص الزهرة، ونفس الشكل تقريبا نجده في أنصاف الدوائر الموجودة بين المثلثات الكروية.

- **الدوائر:** استعملت خاصة في القباب الركنية والقباب المحصورة بينها، حيث نجد أربع دوائر خالية من أي زخرفة في كل قبة، أما في الحنايا الركنية فنجد سلسلة من الدوائر المتشابكة تحيط بالقباب ووجدت أيضا في وسط المثلثات الكروية تحمل في وسطها زهرة صغيرة بستة فصوص أو اثني عشر فصا.

- **المربعات والمستطيلات:** لا نجد مربعات ومستطيلات بمفهومها الحقيقي، لكنها شكلت بفروع نباتية تعطي في تشابكها وتقابلها شكل المربع والمستطيل، وهي تظهر في كل المساحة الموجودة تحت المثلثات الكروية وأنصاف الدوائر تحت القبة المركزية، إضافة إلى أشكال أخرى سداسية وثمانية تمثل نجوم وأزهار وخطوط منكسرة وأخرى مظفورة ومتشابكة تزين معظم الفراغات في القبة المركزية وأنصاف الدوائر والقباب الركنية.

▪ **العناصر الخطية:** قليلة جدا بالمقارنة مع الزخرفة الهندسية، تمثلت في لوحات صغيرة وضعت أسفل قاعدة القبة المركزية حملت عبارات دينية مثل" سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم " و" سيدنا على رضي الله عنه " بواسطة خط النسخ، نفس الخط استعمل في الألواح الجصية الجدارية الأربعة الموجودة في الجدار الجنوبي والتي تحمل قصائد شعرية وعبارات المدح والثناء على صاحب الضريح.

- **مسجد خالد بن سنان العبسي:**

يقع المسجد في نفس البلدية حيث يبعد عن مقر الدائرة ب 1 كلم شرقاً. وقد ورد ذكره عند بعض الرحالة والمؤرخين أمثال العياشي[1] الذي قال عنه في رحلته المشهورة: ((...وسمعت أنه (الأخضري) هو الذي أظهر القبر في بلاد الزاب المنسوب لنبي الله خالد ابن سنان عليه السلام وعليه مسجد عظيم وحوله مدرسة والناس يأثرون عن ذلك المشهد كرامات ...)).

كما أننا نجد في موضع آخر من هذه الرحلة يقول إن:(... أن السي عبد الرحمان ألأخضري أخبرهم أنه شاهد النور صاعدًا من تلك البقعة إلى السماء ثلاث ليال أو نحوها وأخبر أنه قبر النبي خالد)[2].

أما الورتلاني[3] فيقول في نزهته:(... وزرت قبر سيدي خالد قيل إنه نبي مرسل إلى جبل...)، ويقول في موضع آخر من نزهته:(وزرت أيضا سيدي خالد وذكر لنا سيدي محمد بن عبد الواحد الرماني:(... أن هذا السيد كان رجلاً صالحاً وكان أمير كرب في زمانه)[4]. وهذا الزياني يذكره في رحلته: (... وعليه . سيدي خالد. مسجد عظيم ومدرسة)[5]

أما صلاح مؤيد العقبي[6]فيقول (... لقد صار من الثابت لدى القاصي والداني بناءً على ما يرويه الأحفاد عن الأجداد ومنذ قرون خلت، أن قبر النبي خالد بن سنان العبسي موجود بالبلدة التي تحمل اسمه ...). لكن فيما

---

[1] العياشي: المصدر السابق، د. ص.

[2] نفسه. د،ص

[3] الورتلاني: المصدر السابق، ص 87.

[4]. الورتلاني: المصدر نفسه، ص 91.

[5]. بالحميسي مولاي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر التوزيع، الجزائر، 1979، ص 173.

[6] مؤيد عقبي: المرجع السابق، ص 43.

يخض تاريخ بنائه فمن الصعب تحديده بالضبط ولكن من المحتمل أن المسجد بني خلال الفترة العثمانية أو خلال القرنين الثالث عشر أو الرابع عشر بدليل أن الذين وصفوا مدينة بسكرة قبل هذه الفترة لم يشيروا اليه. لقد تعرض المسجد إلى العديد من الترميمات والإصلاحات في الفترات السابقة لكن دون وجود دليل يثبت ذلك وحسب تصريح السيد عيسى جمال خادم المسجد خلفا لوالده الحاج عبد العالي عيسى الذي كان يقوم بالمهمة منذ سنة 1932 أن آخر إصلاح قد تم سنة 1339هـ.

- **الوصف العام للمسجد:**(المخطط22).

في البداية لابد من القول إن المسجد جعل للصلاة في يوم 27 من رمضان فقط، وهو حسب رأينا يعود إلى الاحتفاء بذكرى نزول القرآن فحسب، والجدير بالذكر أنه عبارة عن شكل مستطيل طول ضلعه 13,35م، أما عرضه 12,65م، وسمك جدرانه تصل إلى 50سم، يتم الدخول إليه عبر باب يبلغ غرضه 1,70م، من الجدار لشرقي في الجهة ليمنى من المحراب، أما بيت الصلاة فيتكون من ثلاثة أساكيب موازية لجدار القبلة وثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة، حيث نلاحظ أوسعها أو سطحها. والملاحظ أن الزخارف منعدمة تمامًا في هذا المسجد.

المئذنة: (لوحة10، صورة و).

نجد المئذنة في الجهة الشرقية الجنوبية، وقد بنيت في نفس فترة بناء المسجد وبها سلم يحتوي25 درجة، أما ارتفاعها فيبلغ حوالي 25م، أما بخصوص الصحن فإنه يمكننا أن نلاحظ ساحة كبيرة. أما عن تاريخ بنائه فلا يوجد أي دليل يثبت ذلك، مما يجعلنا نرجح أن تأسيسه كان بعد (القرن16م) نظرًا لكثرة الوافدين من كل حدب وصوب لزيارة قبر النبي خالد بن سنان، الأمر الذي دفع بالقائمين على هذا الضريح ببناء هذا المسجد للصلاة فيه في ليلة 27 من رمضان من كل سنة كما قدمناه.

● **زاوية سيد ي خالد**: (انظر شكل رقم19)

تقع بنفس البلدية و يشكل ضريح خالد بن سنان العبسي النواة الأساسية التي أنشئت حولها المجموعة البنائية المتكونة من مسجد وغرف الطلبة وغرف الضيوف، وضريح عبد الرحمان بن خليفة * ومسكن الوكيل وعائلته، ولقد كان في الأصل زاوية تعرف بزاوية سيدي خالد وفقا لوصف الرحالة العياشي حيث يقول: " مررت بزاوية سيدي خالد فوجدت فيها أربعين طالبا يدرسون مختلف العلوم وكان بعضهم غريبا عن البلدة" [1]، وتذكر بعض المراجع أسماء علماء درسوا في الزاوية وكان لهم الفضل في تنشيطها من أمثال أحمد بن إبراهيم بن الجودي القادم من المغرب في بداية القرن العاشر هجري، السادس عشر ميلادي، وعبد الرحمان بن خليفة الذي وصل إلى البلدة عام945هـ 1538م.

أما بالنسبة لتأريخ هذا المبنى فإننا لا نقف على تاريخ محدد لإنشائه لعدم وجود أي قرينة مادية أو تاريخية تبين ذلك، لكن اعتمادا على ما ذكره العياشي من أن عبد الرحمان الأخضري هو الذي أظهر القبر بواسطة الكشف♦ وعلم التربيع● وذلك في قوله: " و سمعت أنه هو الذي أظهر القبر الذي في بلاد الزاب، المنسوب لنبي الله خالد بن سنان عليه السلام....."[2].

وقد أكد نفس الظاهرة الورتلاني بقوله: " ومشينا لزيارة النبي سيدي خالد عليه السلام...والذي أشهر رسالته سيدي عبد الرحمان الأخضري"[3]، وكذلك الزياني في ترجمانته حيث يقول: " وهو الذي (أي الأخضري) أظهر قبر نبي الله خالد بن سنان العبسي المشهور بتلك البلاد، وهو من المزارات العظام يقصده أهل الواسطة و

*عبد الرحمان بن خليفة من المتصوفين كان يتعبد في خلوة له بالقرب من ضريح خالد بن سنان والتي مازالت موجودة إلى اليوم، دفن بالقرب منها وأحفاده هم مؤسسي الزاوية المختارية بأولاد جلال.

[1]. العياشي: المصدر السابق، ج2، ص 414.

♦ ادعاء علم الغيب، نوع من التنجيم.

●علم التربيع ليس علم بل فن غريب، يدعي أصحابه معرفة الغيب بواسطته وهو أيضا نوع من التنجيم (مثل أحكام النجوم، أو أسرار الحروف...) إلا أننا نجد أبو القاسم سعد الله عند ترجمته للأخضري يقول انه لم يدعي إدراك علم الظاهر والباطن أو أي كرامة وإنما كان عالما عاملا يؤلف المتون ويشرحها ويجمع الكتب ويفهمها ويجلس للدرس ويخرج التلاميذ شأن العلماء الصالحين.

[2]. العياشي: ج 2، المصدر السابق، ص414.

[3]. الورتلاني: المصدر السابق، ص5.

الزاب وإفريقية من الحاضر والبادي وعليه مسجد عظيم ومدرسة " [1]، وبما أن الكثير من المراجع[2] تؤكد أن عبد الرحمان الأخضري عاش في الفترة ما بين 920هـ .953هـ الموافق ل1514م .1547م؛ وبما أن الرحالة والمؤرخين الذين وصفوا بسكرة قبل هذه الفترة لم يشيروا إليه يمكن القول أن الضريح يعود إلى القرن 10هـ16م، إلا أننا نجد الرائد كوفية (Couvet) [3]في مقاله حول الأضرحة يقول أن هذا المزار كان عبارة عن أسقفية تعود إلى القرن 5م استنادا إلى ما جاء به الأب ميسناج (père Mesnage) في كتابه إفريقية المسيحية، وهذا غير مستبعد لأن هذه الديانة كانت منتشرة بهذه المناطق قبل وصول الإسلام[5].

وما هو ثابت تاريخيا أن البناية الموجودة حاليا تعود إلى عام 1337هـ1917م وفقا لتقرير بداية الأشغال الموجودة في سجل جمع التبرعات المحرر من طرف عبد الحفيظ بن سعيد بخطه وبأسلوبه في ستة أسطر جاء فيه ما يلي:

" بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد
في جماد 04 الاثنين إبتداء الجمع
وعام 1337 هجري يوم 10 الإثنين إبتداء الخدمة
والله الموفق للصواب وإليه حسن المآب
وفي محرم 1338 هجري إبتداء بناء قبة سيدي خالد
غفر الله ولوالديه وللمسلمين أجمعين " [6]

أعيد بناء ضريح خالد بن سنان بعد التخريب الذي لحق به جراء الأمطار الغزيرة التي كانت عام 1332هـ1912م فهدمت البناية القديمة وأزيلت نهائيا وأقيم البناء الجديد الذي استغرق 6 سنوات عمل1337

---

[1]. الزياني: المصدر السابق، ص ص150-151.

[2]. أبي القاسم محمد الحفناوي: المرجع السابق، ص73.أنظر.
أبو القاسم سعد الله: ج1، تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى الرابع عشر الهجري (16 .20م)، ج2، ط2،م،و،ك، الجزائر، 1985،ص508.
.بوزيان الدراجي: عبد الرحمان الأخضري، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006، 14.

[3] -Couvet, op.Cit , P458.

[5] عبد الرحمان الجيلالي: المرجع السابق، ج1، ص ص73-118.أنظر.
- Maguelonne، op.cit. P228.

[6] حرز الله محمد العربي: **الظاهرة الثقافية في سيدي خالد أثناء الاحتلال الفرنسي**، منشورات وزارة الثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون الجميلة، رغاية، الجزائر،2006، ص211.

.1343هـ/1917.1923م، مع الإشارة أن ما جاء في التقرير السالف الذكر أن بداية بناء القبة كان سنة 1338هـ1918م وهذا يعارض ما ذكره كوفيه(Couvet)(يعود بناء القبة إلى1340هـ1920م).

يمكن القول أن بداية البناء كانت عام 1338هـ1918م و النهاية كانت عام 1920م، خاصة وإن علمنا أن فترة البناء كانت أثناء الحرب العالمية الأولى وسياسة التجنيد الإجباري التي فرضتها فرنسا على الشباب مما أدى إلى نقص اليد العاملة. أعتمد في البناية الجديدة وبشكل كبير على المخطط القديم للضريح من خلال ما سبق يمكن القول إن هذه الزاوية اندثرت معالمها بالمرة، أما عن تاريخ تأسيسها فليس لنا دليل نستند إليه إلا أننا يمكننا ترجيحه خلال أواخر العهد العثماني.

2.قرية أولاد جلال*:

قرية من قرى الزاب الغربي، بها محطة أثرية تعود إلى فترة ما قبل التاريخ تتمثل في بازيناس ذات دفن جماعي، لا توجد بها آثار رومانية ما عدا بعض البقايا الأثرية التي وجدت على أطراف الطريق الرابط بين ذراع الرمل وأولاد جلال[1]. لا نقف على ذكر لأولاد جلال من قبل الرحالة والجغرافيين العرب ما عدا العياشي الذي يقول" وقرية أولاد جلال من أكبر قرى الزاب وهي قرية جامعة فيها مدرسة للطلبة المهاجرين وهم يسمون الغرباء المهاجرين وهم في قوة ومنعة من العرب لا يؤدون إليهم إتاوة، ويسمون كل من لا يؤدي إتاوة للعرب بالمجاهدين وقد صدقوا في ذلك "[2]. أما توفيق المدني فيبين أهميتها الاقتصادية بقوله" من أبدع واحات الجنوب...بها مسجد بديع الصنع، يقام بها كل يوم خميس سوق من أكبر أسواق الجنوب والمواشي، وعلى مقربة منها مناجم الجس الشفاف " [3]

---

* من الروايات المتداولة في المنطقة أن رجلا غريب وصل إلى المنطقة ي فصل الشتاء في ليلة جد باردة توجه إلى ضريح الوالي سيدي مطير الموجود بالضفة الجنوبية لوادي جدي حيث ربط حصانه ودخل الضريح فراءه رجل من سكان المنطقة يدعي محمد بن ديفل فأشفق على الحصان من البرد فاحضر غطاء يدعي الجلال ووضعه فوق ظهر الحصان فراه صاحب الحصان فشكره قائلا"بارك الله فيك يا جلال" ومن هذه اللحظة أصبح سكان المنطقة يدعون محمد بن ديفل بمحمد جلال والأجيال التي أتت بعده سميت أولاد جلال

[1]. محمد الصغير غانم: **مقالات حول تراث منطقة بسكرة والتخوم الأوراسية**، ص ص31-36.

-Gisell. S, op.cit ,feuille N°=48, P6. انظر

-Delattre. A.l, op.cit,PP273-274

[2]. العياشي: المصدر سابق، ص106.

[3]. أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، ص183.

أ. مظاهر العمارة الدينية:

- **المساجد:**

تتواجد بالمدينة العديد من المساجد وتعرف بالسبعة هي: المسجد العتيق الكائن بالرحبة مسجد الحسنية المعروف حاليا بمسجد الحاج عمر السنوسي جامع سيدي بركات جامع الدشيشة المعروف بمسجد سيدي محمد بن سالم نجامع الخندق المعروف بمسجد بن رحمون جامع لمعمرة بالصحن وهو من بقايا صرح الزاوية جامع العرصة وسنحاول التركز في دراستنا المعمارية على المسجد الملحق بالزاوية.

- **المسجد الملحق بالزاوية المختارية:** (لوحة 11،صورة ج)مخصص لإقامة الصلاة وتحفيظ القرآن الكريم وتقديم الدروس في مختلف العلوم الدينية والتربوية، وهو مربع الشكل طول ضلعه 13م؛ يتكون من ثلاث بلاطات موازية لجدار القبلة تخترقها ثلاثة بوائك عمودية عليها تحمل أقواس منكسرة تقوم على أربع مجموعات كل مجموعة تتكون من خمسة أعمدة مجتمعة، أوسطها مربع الشكل طول ضلعه 0,24م، محاط بأربعة أعمدة ثمانية الأضلاع تشبه في توضعها أعمدة جامع القصبة [1]، يعلوها سقف مقبب يتكون من تسع قباب نصف كروية، يتوسط جدار القبلة محراب مجوف عمقه 0,80م وعرض فتحته 1,40م وارتفاعها حتى بداية القوس1,90م ومن القوس إلى القمة 0,90م، وعلى جانب المحراب من الجهة اليمنى دخلة تحوي منبرا خشبيا مقاساته 0,70م عرضا و1,30م عمقا و1,40م ارتفاعا، عدد درجاته ثلاثة، وللمسجد ثلاثة أبواب معقودة وهي متقايسة عرضها 1,45م وارتفاعها 2,50م تتوزع كالتالي:

باب يتوسط الجدار الغربي والباب الثاني الجدار الجنوبي بينما الباب الثالث يقع في الركن الشمالي الشرقي، ولهذا المسجد نوافذ كثيرة، منها اثنان يقعان على جانبي الباب في الجدار الغربي (بعرض 0,65م وارتفاع 0,75م)، واثنان على جانبي الباب في الجدار الجنوبي (بعرض 1,30م وارتفاع 1,20م) واثنان في الجدار الشرقي على جانبي المحراب بنفس قياس نوافذ الجدار الغربي و في أعلى الجدار الشرقي والجنوبي والغربي ثلاث فتحات مستديرة للإنارة والتهوية في كل جدار، أما في الجدار الشمالي فقد فتحت نافذة كبيرة بعرض البلاطة الوسطى

[1] -Marcais، G، op.cit ،L'architecture…..، P429

وارتفاعها يزيد عن مترين تؤدي إلى الضريح ، فتحت على جانبيها مشكاتين أو دخلتين معقودتين مستطيلتي الشكل أسفل الجدار مخصصة لحفظ المصاحف.

- **الزوايا.**

▪ **زاوية الشيخ المختار:**

- **.مخطط الزاوية:** (المخطط 23).

تقوم الزاوية على مخطط شبه مستطيل وتشرف مساحتها على الواجهة الشرقية التي تضم المدخل الرئيسي لهذه الواجهة بابان خشبيان خصص الأول للطلبة ، بينما الثاني لزوار الضريح وفي الواجهة الغربية فتح مدخل آخر، هذا فضلا عن المدخل الذي يصل إقامة المسجد بالفناء الجنوبي للزاوية، وقد كان بها طابق علوي يؤدي إليه سلم على يمين المدخل الرئيسي للزاوية وتجدر الإشارة أن الطابق الأول قد اختفى وتفصل بين الزاوية والمقبرة جدار ، فضلا على أن هذا الجزء من الزاوية يبدو متدهورًا حيث بدأت الأعمدة الأسطوانية تتساقط . وهناك ملاحظة مهمة مفادها وجود قبة مركزية مضلعة تغطي الزاوية، وهي ما ميزت قباب العهد التركي بالجزائر[1].

- **موقع الزاوية وتاريخ إنشائها:**

.الموقع: تقع في المدينة القديمة لأولاد جلال ذكرها العياشي[2] في رحلته بقوله: (...وقرية أولاد جلال من أكبر قرى الزاب وهي قرية جامعة فيها مدرسة للطلبة المهاجرين وهم يسمون الغرباء المهاجرين وهم في قوة ومنعة من العرب لا يؤدون إليهم إتاوة، ويسمون كل من لا يؤدي إتاوة للعرب بالمجاهدين وقد صدقوا في ذلك...). أما الورتلاني[3]فيقول: (... بها عدد من العلماء والفقهاء ومسجد للطلبة ...). ونزولا عند رغبة الشيخ علي بن عمر

[1] شهي عبد العزيز: المرجع السابق، ص ص، 28 . 30.

[2] العياشي: المصدر السابق، د.ص.

[3] الورتلاني: المصدر السابق، ص 109.

في تأسيس زاوية على منهج الطريقة الرحمانية التي كان ينتمي إليها[1]. أسس الشيخ المختار الزاوية، أما عن تاريخ التأسيس فكانت سنة (1230هـ/1815م)[2].

. **تاريخ إنشائها:** أسست الزاوية على يد الشيخ المختار الجيلالي وهو من أشراف منطقة الزيبان، نسبه يرقى إلى نسب شريف مثل علي بن عمر مؤسس زاوية طولقة فهو: المختار بن خليفة بن أحمد بن عبد الله بن عبد الواحد بن...أحمد بن عبد الله بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن علي كرم الله وجهه ورضي عنه بن أبي طالب وابن سيدتنا فاطمة الزهراء ابنة سيد العالمين محمد صلى الله عليه وسلم ، ولد ببلدة سيدي خالد سنة 1202هـ1788 م، نشأ وترعرع بها ثم انتقل إلى زاوية محمد بن عزوز بالبرج أين أخذ الطريقة رفقة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي والشيخ علي بن عمر [3]، عرف بأنه صاحب الفتح الطالع والكشف اللامع والبصيرة الخارقة والكرامات الباهرة والأحوال الفاخرة والمقامات الجليلة، اشتاقت نفسه إلى شيء من الأكل فعاقبها بصيام ثلاث عشر سنة، يصوم نهارها ويقوم ليلها [4]، عند عودته أسس زاوية بقرية سيدي خالد عام 1230هـ1815م مثل ما طلب منه معلمه محمد بن عزوز، لكن لم يطل به المقام هناك فانتقل إلى أولاد جلال أين استقر ونقل زاويته التي أوقفها لطلاب العلم وحفظة القرآن وبنى قبته التي دفن بها عندما توفي يوم الأربعاء 22 من ذي الحجة 1276هـ11جويلية 1860م [5]، إضافة إلى نشاطه العلمي الديني، كان للشيخ نشاط عسكري حيث شارك في الجهاد ضد الاستعمار الفرنسي إلى جانب شريف بومعزة عام 1262هـ1846م والشيخ محمد بوزيان قائد ثورة الزعاطشة عام 1265هـ1849م.

---

[1]. أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص 90.

[2]. Louis (k.) ; Marabouts et khouans, Alger, 1884 ،p.79.

[3]. محمد الصغير المختار: **تعطير الأكوان بنشر شذا نفحات أهل العرفان**، مطبعة الثعالبية، الجزائر، 1916، ص14.

[4]. أبي القاسم محمد الحفناوي: المرجع السابق، ص564.

[5]. محمد الصغير المختار: المرجع السابق، ص ص17-18.

■ **الدراسة المعمارية:** (الشكل24)

من خلال صورة قديمة، وبعض الآثار مثل الأعمدة القائمة ومحراب مسجد الزاوية القديمة...نلاحظ تغير في عمارتها وهذا ما يبين أنها عرفت عدة إصلاحات وترميمات وحتى تجديد لبعض مرافقها، إلا أننا لم نعثر على وثائق تحدد تاريخ الترميمات، لذلك ستكون دراستنا للزاوية القائمة حاليا.

.الوصف الخارجي:

حسب بعض المعالم التي لا زالت قائمة للزاوية القديمة (آثار المسجد القديم) وصورة قديمة ووصف القائمين عليها؛ فقد كانت على شكل مضلع غير منتظم يتجه من الشرق إلى الغرب، حيث يوجد في الجهة الشرقية مسكن من طابقين للشيخ، وفي الركن الشمالي الغربي من الطابق الأول غرفة صغيرة كانت بمثابة الخلوة التي يتعبد بها، ومنها ينزل إلى المسجد حيث يوجد في الجهة الجنوبية منه خلوة على شكل قبو تحت الأرض ثم نجد ساحة كبيرة تحيط بها مجموعة من الغرف تنتظم في صفين، صف يتكون من ثلاثة غرف في الجهة الجنوبية، وصف ثاني يتكون من طابقين به خمس غرف في كل طابق في الجهة الغربية، تفتح كلها على الصحن وتحفها أروقة بها أقواس نصف دائرية محمولة على أعمدة أسطوانية.

حاليا تتكون من مستطيل يمتد من الغرب إلى الشرق مساحته (72,04م X 43,38م)، الجهة الشرقية منه مساحة واسعة خالية مقترحة حاليا للتوسيع وإضافة بعض المرافق الجديدة، لذلك فالمجموعة البنائية تتمركز في الجزء الغربي الذي يتوسطه المسجد والضريح المحاطان بالصحن الممتد طوليا في الجهة الشرقية بطول 26,20م وعرض7,15م وفي الجهة الجنوبية بطول27,85م وعرض10,30م وفي الجهة الغربية بطول 32,76م وعرض7,60م، تحفه أروقة في الجهات الثلاث التي تحيط بالمسجد إضافة إلى رواق في الجهة الجنوبية، وفي الجهة الشرقية للصحن توجد مقبرة صغيرة لأفراد عائلة بن خليفة وفي الجهة الجنوبية مجموعة من الغرف الخاصة بالطلبة يليها المطبخ، أما الجهة الغربية فهي تتكون من طابقين السفلي غرف للطلبة والعلوي يصعد إليه بدرج في الركن الجنوبي الغربي أين نجد مجموعة من الغرف ومكتبة، وفي الجهة الشمالية الغربية من الساحة الخارجية بنيت مائضة حديثة مجهزة بكل الضروريات، الجدران الخارجية

للزاوية مرتفعة إلى حدود 4,5م وسمك بين 0,50م و0,75م، بالنسبة لسقفها فهو مقبب فوق الضريح والمسجد، ومستوي فوق الأروقة وغرف الطلبة وباقي الملاحق.

للزاوية مدخلان رئيسيان في الجهة الشمالية؛ الأول خص بواجهة مرتفعة حديثة يؤدي إلى الصحن تتمثل في قبة ومئذنتين صغيرتين أسطوانتي الشكل، والثاني يؤدي إلى أروقة تفضي إلى مسكن الشيخ وقاعات الضيوف ومن ثم إلى غرفة الضريح وإلى الصحن من الجهة الشرقية، إلى جانب هاذين المدخلين نجد مجموعة أخرى من الأبواب منها ما يفتح مباشرة على الخارج، كالباب الموجود في الجهة الجنوبية بعرض 2,76م وآخر في الركن الشمالي الشرقي يؤدي إلى رواق يفضي إلى منزل الشيخ من الناحية الشرقية ثم إلى قاعات الضيوف، إضافة إلى مجموعة من الأبواب بين هذه القاعات وأخرى تفتح على الصحن خاصة بالمسجد والمقبرة وغرف الطلبة وباقي المرافق.

مظاهر الإصلاح والترميم واضحة في بعض مرافقها خاصة غرف الطلبة وهذا ما نلاحظه في السقف حيث تم تعويض بعض عوارضه المصنوعة من جذوع النخيل بأعمدة خشبية حديثة.

ونشير أن الزاوية بنيت بمواد محلية وتقنيات معروفة لدى سكان المنطقة تمثلت في المزاوجة بين الحجارة التي تستعمل في أساس الجدران ومادة البشيم ♦لباقي الجدار لتلبس بالجبس المتوفر بكثرة بالمنطقة والذي يصنع محليا من خلال طهي الحجار الكلسية في الفرن ثم يتم طحنها، أما التسقيف فلقد تم الاعتماد على جذوع النخل وجريدها وسعفها مثل التقنية التي ذكرناها في جامع سيدي موسى الخذري، أما القباب فاستعمل في تشكيلها حجارة البشيم والجبس. في الجهة الشمالية نجد غرفة الضريح، ورغم الإصلاحات إلا أنها حافظت على معظم معالمها مع تغيير بسيط يتمثل في نقل المسجد إلى جانب غرفة الضريح، وحول القديم إلى مقبرة صغيرة لأفراد العائلة والأتباع، مع إضافة غرف جديدة للاستقبال. والزاوية.

♦.البشيم: حجر كلسي جيري يعتبر المادة الأولى في صناعة الجبس.

.الوصف الداخلي:

▪ **ضريح العائلة المختارية**[1]:(لوحة11،صورةا،ب):يقع في الجزء الشرقي من المدينة القديمة لأولاد جلال[2] بحوالي 100 كلم .والمصادر التي تتكلم عن هذا الضريح شحيحة جدا، الأمر الذي جعلنا نميل للاعتقاد بأنه بني على الأرجح في الثلث الأخير من القرن الثالث عشر الهجري، وما يدعم ما ذهبنا اليه من قول إن الرجل كان مفسرًا للقرآن متطلعًا في عدة علوم وهو ما دفع بطلبة سيدي خالد أن يلحوا في طلب تأجيل سفره إلى الحج وفعلا أقام بينهم يدرس القرآن (1230هـ/1815م) وعندما احتضرته الوفاة بنوا على قبره قبة في الزاوية نفسه[3].

- مخطط الضريح (مخطط25) عبارة عن غرفة مستطيلة الشكل مقاساتها (13,1م X 8,5م) ندخل إليها من باب معقود نصف مستدير في وسط الجدار الشرقي مقاساته (0,95م وارتفاع 2,20م)، في الجدار الجنوبي فتحة تؤدي إلى المسجد، إضافة إلى ثلاث نوافذ مستطيلة الشكل واحدة بالقرب من الركن الشمالي الغربي والأخرى في وسط الجدار الغربي أما الثالثة فتقع في الركن الغربي الشمالي، مع مجموعة من الفتحات الصغيرة المستديرة الشكل موزعة في أعلى جدران الغرفة للإنارة والتهوية، كما توجد ثلاث فتحات في أسفل الجدارين الشمالي والغربي على شكل مستطيل مخصصة لحفظ الأغراض الخاصة بالضريح، مثل التي رأيناها في المسجد، وهناك رواقين يقعان على جانبي الغرفة في الجهتين الشرقية والغربية (بعرض3,1م وطول 8,15م)، ليشكل لدينا في الوسط مستطيل أصغر بطول 5,76م وعرض 3,31م، في زواياه الأربعة نجد مجموعة من الأعمدة بعدد أربعة في كل زاوية بنفس الشكل الذي رأيناه في المسجد إضافة إلى أربعة في وسط الجدار الشمالي واثنان في الجهة الجنوبية تحمل هاته الأعمدة أقواس مكسورة في الجهتين الشرقية والغربية، ونصف دائرية في جوانب الرواقين ونصفا قوس في الجدارين الشمالي والجنوبي، سقف الغرفة مقبب يتكون من قبة وسطى كبيرة تعلو ضريح مؤسس الزاوية وخلفائه، وقبتين صغيرتين وسط كل رواق.

---

[1] العائلة المختارية نسبة على المختار بن عبد الرحمان بن خليفة مؤسس زاوية أولاد جلال من شيوخ الطرق بالزاب، ولد بقرية سيدي خالد عام 1201هـ وتوفي سنة 1276هـ. أنظر: أبو القاسم سعد الله: مدارس الثقافة العربية في المغرب العربي، بين 1830 .1954، عن مجلة الثقافة، عدد 76، وزارة لا ثقافة، الجزائر، 1984، ص 58.

[2] أولاد جلال: هي مدينة قديمة وقد وصفها العياشي بقوله:((وهي قرية جامعة فيها مدارسة للطلبة المهاجرين)). أنظر العياشي: المصدر السابق،

[3] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص ص58 .59، أنظر:(.k) Louis op.cit.37-10 Pp

- الوصف العام:

هذا الضريح يضم عدة شخصيات من العائلة المختارية، وهو يشغل غرفة مستطيلة الشكل طولها4م وعرض ها 2م تتجه من الشمال إلى الجنوب فتح عليها باب شمالي عليه قوس وهو مغطى بأقبية متقاطعة، اتخذت أشكالاً ثلاثية ومعينات. يوصل إلى الضريح عبر ممر منكسر إلى اليمين ويتم الدخول إلى قاعة الضريح عبر باب خشبية صغيرة (كترية). وكما هو شائع في عمارة الأضرحة فإن غرفة الضريح قد غطيت بقباب واحدة في المركز واثنتين جانبيتين وهي محمولة على عقود تستند على دعامات قوامها أربعة أعمدة حجرية مضلعة تعلوها بلاطات خزفية من الزليج قوام زخرفتها أشكال نباتية وأخرى هندسية تمثل زهرة عباد الشمس مما يزين غرفة الضريح. تقوم في وسطه القبة المركزية على ستة دعامات وقد وجدنا هذه الظاهرة تتكرر في عديد من النماذج في العهد التركي[1].

وقد بنيت هذه القبة بالحجارة المحلية والآجر. كانت غرفة الضريح تضاء بواسطة بمصابيح طويلة وتوجد حاليا مشكاة تتدلى من مركز القبة المركزية[2]. على أن الإنارة والهواء متوفرة دائما عبر قمريات القبة الوسطى، بالإضافة إلى نافذة جدار الواجهة.

.غرف الطلبة: متعددة وذات مساحة متوسطة منتظمة في صفين؛ صف موجود في الجهة الجنوبية يتكون من طابق واحد يشتمل على ثلاث غرف لكل منها باب مستقل يفتح على الرواق الذي يحف الصحن، ونوافذ صغيرة مستطيلة الشكل تعلوها قوس منخفضة تفتح أيضا على الصحن، سقفها مستوي يقوم على جذوع النخل ، والصف الثاني يوجد بالجهة الغربية للزاوية يتكون من طابقين يشتمل كل طابق على خمس غرف متفاوتة من حيث المساحة تفتح كلها على الصحن مباشرة، الغرفة الكبيرة في الطابق العلوي استعملت كمكتبة، عرف سقف هذه الغرف عدة ترميمات مثل ما هو واضح من مواد البناء ونفس الشيء يقال بالنسبة للمطبخ و المائضة.

---

[1]Marçais (G.); L'art musulman, presse universitaire de France. Paris, 1962.p.157.

[2]Ibid. pp. 158-159

. **غرف الضيوف:** تشغل الركن الشمالي الشرقي من الزاوية، أربع غرف متفاوتة المساحة يدخل إليها من الباب الموجود في الركن الشمالي الشرقي، الأولى مربعة طول ضلعها 1,5م مخصصة للضيوف، وغرفتين مفتوحتين على بعضهما البعض مستطيلتي الشكل ومتفاوتة المساحة؛ الكبرى (11,6م X 3,80م) والصغرى(7م X 3,55م)، والرابعة تدخل من باب في الركن الجنوبي الغربي للغرفة الكبرى وهي مستطيلة الشكل (7,05م X 3,55م) بها بابين واحد في جدارها الغربي يؤدي إلى رواق مستطيل (8,52م X 2,65م)، به باب يؤدي إلى الضريح، والباب الثاني للغرفة في ركنها الجنوبي الغربي يفتح على الصحن.

- **العناصر المعمارية:** تشتمل الزاوية و ملحقاتها على مجموعة من العناصر المعمارية تتمثل في:

- **الروافع:** يوجد ثلاثة أنواع هي:

. **الاعمدة**: تميزت الزاوية المختارية بعمد خاصة لم نلاحظها في العمارة الدينية لمنطقة الزاب وحتى القريبة منها مثل ضريح خالد بن سنان، فهي عبارة عن اعمدة طويلة رقيقة جذابة من الحجر بلون بني تم صقلها لتصبح مضلعة (بثمانية أضلع) والبعض منها مربعة، في قمتها تسنن في كل زاوية من زواياها يوحي بشكل النخلة النبات المنتشر بالمنطقة ومورد رزقها، و هي تتوزع في الزاوية كالتالي:

. سبعة مضلعة الشكل في الصحن تحمل الأقواس التي يقوم عليها سقف رواق غرف الطلبة الموجود في الجهة الجنوبية، وهي بدون تاج وبقاعدة بسيطة مضلعة حديثة الصنع بارتفاع 0,20م.

. عشرون في وسط المسجد تحمل أقواس بيت الصلاة تتوزع على أربع مجموعات، كل مجموعة تضم خمسة أعمدة، الوسطى مربعة الشكل والأربعة التي تحيط بها ثمانية الأضلع، تقوم على قاعدة مربعة طول ضلعها 0,94م، وهي بسيطة تتكون من طبقتين بارتفاع 5 سم لكل طبقة وهي بدون تيجان ما عدا التسنن الذي أشرنا إليه سابقا.

. اثنان وعشرون عمود مضلع في غرفة الضريح؛ تتوزع على ستة مجموعات؛ أربعة أعمدة لكل مجموعة ما عدا المجموعة السادسة فتتكون من عمودين فقط؛ وهي تتوضع كالتالي: أربع مجموعات في أركان المستطيل الذي

يحتضن رفاة مؤسس الزاوية وخلفائه، وأربعة في وسط الجدار الشمالي للغرفة، واثنان تتوسط الفتحة الموجودة في الجدار الجنوبي للضريح وهي تحمل الأقواس التي تقوم عليها قبة الضريح الكبرى.

نوع آخر من الأعمدة موجود بالزاوية يتمثل في أعمدة أسطوانية الشكل مثل العمودين الموجودين على جانبي المحراب يقومان على قاعدة مربعة من الحجر بارتفاع 0,20م وينتهيان بتاج من الجص حديث الصنع، ومجموعة أخرى بقطر 0,40م وهي أعمدة حديثة، يمكن القول أنها عوضت الأعمدة الحجرية التي كانت تحمل سقف أروقة المسجد، أو هي نفسها الأعمدة الحجرية القديمة دعمت وحولت إلى الشكل الأسطواني لزيادة متانتها، وهذه الأعمدة تحمل سقف الأروقة التي تحيط بالضريح والمسجد، حيث نجد ثمانية أعمدة في الرواق الغربي ومثلها في الجنوبي وستة في الشرقي، تقوم على قاعدة مضلعة بثمانية أضلع بارتفاع 0,20م،

وفي الجهة الجنوبية الغربية نجد ثمانية أعمدة أسطوانية ضخمة بقطر يزيد عن 0,60م بدون قاعدة أو تاج بمثابة دعائم تحمل أقواس الرواق المحاذي للمطبخ.

. **الدعامات**: بالزاوية مجموعة من الدعامات؛ منها ستة عشر دعامة في المسجد، أربعة في كل جدار تحمل أقواس بيت الصلاة، وثمانية في غرفة الضريح تتوزع بدعامتين في كل جدار تحمل أقواس الرواقين.

. **الأقواس:** هناك نوعان من الأقواس المنكسرة كما هو الحال في أروقة ضريح خالد بن سنان والجامع العتيق ببرج بن عزوز، وأقواس نصف دائرية مثل التي استعملت في غرفة ضريح خالد بن سنان.

. **الأقواس المنكسرة:** نجدها في المسجد وغرفة الضريح يقوم عليها السقف المقبب.

. **أقواس نصف دائرية:** نجدها في أروقة الصحن وفي رواقي غرفة الضريح.

. **أقواس منخفضة:** توجد فوق أبواب ونوافذ المسجد وباب الضريح.

- **القباب:**(لوحة11، صورة د): ولما كانت الزاوية تعود إلى العهد العثماني فقد أستعمل في تغطيتها قباب كثيرة التي سادت وانتشرت في هذه الفترة ويبلغ عددها أربعة عشر قبة تتوزع كالتالي:

. تسعة تغطي المسجد وهي نصف كروية الشكل تقوم على قاعدة مربعة تم تحويلها إلى دائرية بواسطة المثلثات الكروية باستثناء القبة الوسطى التي تقوم على قاعدة بثمانية أضلع؛ وهذا أسلوب تغطية جديد انتشر بشكل واسع في العهد العثماني [1]

. أما القبة الكبيرة النصف كروية فهي تعلو رفاة الشيخ المختار وخلفائه، وهذا النوع حسب رأي كوفيه (CAUVET) يعود إلى تأثيرات تونسية وصلت إلى منطقة الزيبان عن طريق خنقة سيدي ناجي حيث يوجد مثل هذا الشكل [2]، وهي تقوم على قاعدة مربعة حولت عن طريق المثلثات الكروية إلى رقبة مثمنة، وفي منتصف كل رواق من رواقي الضريح نجد قبتين صغيرتين نصف دائريتي الشكل من الداخل ومضلعتين من الخارج، تقومان على قاعدة مربعة.

وأخيرا نجد في كل ركن من أركان رواقي الضريح قبتين منخفضتين من نوع مثمن الزوايا تقومان على قاعدة مستطيلة، وهي تشبه الموجودة في سقف مسجد القبة [3].تتوج كل قبة من القباب الاثني عشر عمودا من الجص على شكل هلال يتوسطه نجما.

وبالإضافة إلى ما سبق ذكره نلاحظ أن جدران المسجد والضريح تتوجهما شرافات على هيئة زهرة من ثلاث فصوص، وفي كل ركن من أركان البناء نجد شرافة على شكل نصف هرم نهايته على شكل هلال.

المحراب: يتوسط جدار القبلة وهو من نوع المحاريب المعقودة المجوفة على هيئة حدوة الفرس، وقد كسي جزؤه السفلي بقطع من الخزف، أما الجزء العلوي المقبب بقبيبة بسيطة تقوم على عمودين اسطواني الشكل، وهو ينتمي إلى النموذج المستعمل في محاريب المساجد الجزائرية العثمانية [4].

[1] -Dokali، R ; op.cit , PP56-57.

[2] -Cauvet. C, op.cit., PP299, 459.

[3] -Marcais ,G ,L'architecture....,op.cit. P429.

[4] -Dokali، R ; op.cit , P56.

- **الدراسة الفنية:**

تتميز الزاوية المختارية بزخرفة هامة تختلف تماما عما رأينا في باقي العمائر الدينية بالمنطقة، من حيث المواد المستعملة في الزخرفة أو في نوعيتها، فبالنسبة للمواد نجد الخزف أو ما يعرف بالزليج وهي المادة التي وظفت بكثرة لانتشار استعمالها في العهد العثماني إضافة إلى الجبس والخشب، أما أنواع الزخارف التي زينت بها الزاوية فهي العناصر النباتية والهندسية والكتابية كما سنوضح ذلك فيما يأتي:

- **العناصر النباتية**: قد استعملت بشكل مفرط وهي تتمثل في رسوم لأوراق المراوح النخيلية المتألفة من فص أو فصين وأزهار الياسمين والقرنفل والزنبق، وهي نفس الأشكال التي نلاحظها على قطع الخزف بألوان زاهية من الأصفر والأخضر والبرتقالي والبني مع خطوط سوداء على أرضية زرقاء، وهذا النوع نجده على جدران غرفة الضريح والمسجد في شكل أشرطة أو مربعات أو دوائر...، وهذه القطع الخزفية ذات الرسوم النباتية وضعت بشكل هندسي لترسم زهرة كبيرة من ثمانية فصوص تغطى قبة الضريح الكبرى من الداخل، ونفس الشكل يلاحظ في القبتين النصف كرويتين في رواقي غرفة الضريح وفي قبة البلاطة الوسطى للمسجد.
- **العناصر الهندسية:** وتتمثل في الأشكال المعروفة كالمربع والمثلث والمستطيل والمعين والدائرة، حيث استعملت بكثرة في داخل المسجد أو في غرفة الضريح ويتم تشكيلها عن طريق قطع الخزف التي تلبس الجدران، أو أن هذه القطع نفسها هي التي تحمل الزخارف التي تتمثل في رسوم منبثقة عن أشكال هندسية أساسية متماثلة تتداخل فتشكل شبكة من الخطوط تبسط إشعاعها انطلاقا من بؤر متعددة في نفس الوقت، وتتكون هذه العناصر من دائرة مركزية تندرج بها في شكل متواز دقيق؛ مربعات ومثلثات تتطابق فيما بينها لتشكل تشبيكات من المضلعات المثمنة والسداسية و النجمية وغيرها من الأشكال الهندسية التي تتداخل فيما بينها وفق منظومة زخرفيه، أما الدائرة المركزية التي وضعت في البداية فإنها تنمحي نهائيا أو جزئيا لتوحي للمشاهد بأرضية مليئة بالرسوم ، أما عن مصدر هذه القطع الخزفية يقول (جورج مارسي) " أن معظم الخزف التركي الذي أستعمل في مباني الجزائر مصدره إيطاليا وتونس وإسبانيا وفي بعض الأحيان

مرسيليا ومدينة دلف بهولندة وآسيا الصغرى " [1] وهو ما أكده الدكالي الذي ينفي إنتاج هذه القطع بالجزائر لعدم إشارة الرحالة والمؤرخين إلى ذلك وعدم العثور على آثار للأفران

التي تنتج هذه القطع [2].

و بالإضافة إلى ما سبق نجد في بيت الصلاة عند قاعدة الأقواس مجموعة من المثلثات المتتالية البارزة ترسم شكل هلال ، أما في الخارج فنجد في أعلى مبنى المسجد والضريح حزام مشكل من أنصاف دوائر بارزة بينها مثلثات صغيرة تشبه التي رأيناها في زخرفة القبة الوسطى من الخارج في الجامع العتيق ببرج بن عزوز، وفي الأسفل منها في الواجهات الأربعة نجد خمسة دوائر من الجبس بارزة صماء في الوسط تحفها مجموعة المعينات والمثلثات التي ترسم بواسطة خطوط منكسرة.

أما زخرفة الخشب بهذه العناصر تظهر في باب غرفة الضريح ذو الإطار المعقود في جزئه العلوي على هيئة قوس حدوية، والباب المستطيل مزين بالأشكال الهندسية مثل الدائرة البسيطة بلون أبيض أو مفصصة بشكل حلزوني بلونين أبيض وأخضر، ومعينات بلون أبيض إطارها بلون بني، مع خطوط مستقيمة عمودية وأخرى أفقية، ومستطيلات تحمل في جانبيها شكل قوس حدوية مدببة، والملاحظ أن كل هذه الأشكال تكون داخل مربعات أو مستطيلات غائرة.(انظر صورة:16،)،وزخرفة هامة توجد في التابوت الخشبي الذي يغطي قبر مؤسس الزاوية وخلفائه؛ عبارة عن أشكال هندسية كالمستطيل والمربع والمعين والدائرة والنجوم بالإضافة إلى أشكال النباتات من أغصان وفروع وزهور كل ذلك باستعمال التعشيق والتشبيك والنقش والتخطيط، والألوان الأخضر والأحمر والبني، مع الملاحظة أن هذه التوابيت غير متشابهة مما يدل أنها لا تعود إلى نفس الصانع ونفس الفترة.

- **العناصر الخطية:** خصت بها غرفة الضريح وبيت الصلاة؛ بالنسبة لغرفة الضريح فهي تتألف من بعض الآيات القرآنية:

[1]Marcais, G: op.cit L'architecture.... , P449

[2]-Dokali, R ; op.cit. , PP68-69.

مثل أية: ﴿ نصر من الله وفتح قريب ﴾ [1]

و﴿ إنا فتحنا لك فتحا مبينا ۞ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ [2]

و﴿ و أما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى ۞ فإن الجنة هي المأوى ﴾[3]

و﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم ۞ دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ [4]

وبعض العبارات الدينية مثل:

مثل:﴿ سبحان الله ﴾، و﴿ لا إله إلا الله ﴾، و﴿ لا غالب إلا الله ﴾، و﴿ أستغفر الله ﴾، و﴿ حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾.

وفضلا عن الآيات القرآنية والعبارات الدينية السالفة الذكر فقد نقشت بعض الأقوال المأثورة للشيخ المختار ومريديه، ونذكر من بينها ما يلي:

قال الإمام الصالح والسراج المنير لواضح الغوث اللكبر والكبريت الاحمر من منحه العزيز الجبار جزيل المواهب والاسرار حتى صار صيته في سائر الافغار الشيخ سيدي وولي نعمتي المختار مبشرا الاخوانه والزوار بدخول الجنة ومامنا لهم من النار وذالك مما انعم الله به عليه وعلينا بمعرفته حيث قال رضي الله عنه وعنا به ونفعنا والمسلمين ببركاته امين:

" ذا مقام ابرهيم من دخله ءامنيا ما يصلاش الجحيم من نيرانه الحميا..... "

أما كتابات بيت الصلاة فتقتصر على التهليل وبعض الآيات القرآنية كل منها مسبوقة بالبسملة ومتبوعة بـ (صدق الله العظيم) كمايلي:

فالشهادتان﴿ لا إله إلا الله محمد رسول الله ﴾؛تتصدر أعلى المحراب.

---

[1]. الآية:13 من سورة الصف.

[2]. الآية1: 2 من سورة الفتح.

[3]. الآية 40: 41 من سورة النازعات.

[4]. الآية 9: 10 من سورة يونس.

بينما، ﴿ وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا ﴾[1]،أعلى باب الجدار الجنوبي للمسجد.

و﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾[2]، أعلى الباب الكبير الفاصل بين المسجد وغرفة الضريح.أما آية ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾[3]، فقد نقشت أعلى المدخل الرئيسي للمسجد (الجدار الغربي).بينما نجد كتابة غرفة الضريح محفورة على الجص بالخط المغربي وبأسلوب ضعيف يدل عليها امتداد الحروف أحيانا وجمعها أحيانا أخرى، وعدم تساوي حجم الحروف وتركيبها مع بعض الأخطاء اللغوية والإملائية علاوة على استعمال الدارجة مثل: ذالك، إبرهيم، ما يصلاش، الافغار، الحميا..؛ وهذا يدل على عدم تمكن الخطاط وتخصصه ولا يتعدى كونه من الأتباع المتحمسين، والتدهور اللغوي وتدني المستوى الثقافي في هذه الفترة بالذات.

أما الكتابة في بيت الصلاة هي أيضا محفورة على الجص ودونت بخط النسخ الواضح، الملاحظ أن الكتابة الموجودة في غرفة الضريح وبيت الصلاة مختلفتان؛ وهناك فرق كبير بينهما من حيث جمالية الخط وتنفيذه مما يدل على أنها نفذت من قبل خطاطين في فترة زمنية مختلفة.

ب. مظاهر العمارة المدنية:

- **المساكن والشوارع:** تعتبر المدينة القديمة بمثابة النواة الأولى للمدينة، وبنمو المدينة في الجهة الشمالية أصبحت النواة تحتل الجهة الجنوبية. تمتاز بنظام تعميري يعتمد على التراص وضيق الشوارع والممرات، كما يعتمد على المواد المحلية كالطين وجذوع أشجار النخيل في الإنشاء لاكتساب ميزة تساعد على تلطيف الجو الحار. وقد جسدت هذه البنية المعمارية فعليا مفهوم التراص ومفهوم البيت الحصين، الذي يتمتع بالخصوصية والانغلاق نحو الداخل. ومن مميزات هذا النسيج شوارع وممرات ضيقة .و أحيان مغلقة والتدرج في الفضاء المعماري، بالانتقال من العام نحو الخاص ، و من الشارع إلي الممرات المغلقة منه إلى السقيفة إلى البيت كما نلاحظ تراكب وحدات الجوار أي الجزر السكنية حول عناصر وظيفية ذات أهمية

[1]. الآية18: من سورة الجن.

[2]. الآية 56: من سورة الأحزاب.

[3]. الآية 103: من سورة النساء.

اجتماعية واقتصادية و دينية. و قد ركزنا في دراستنا المعمارية على منزل الشيخ المختار* مؤسس الزاوية المختارية.

▪ **منزل الشيخ المختار**(شكل26): تعرف عند السكان باسم "دار الشيخ" لم تتطرق المصادر التاريخية لتأسيس المنزل لكن اعتمادا على إمام الزاوية وبعض الأعيان مثل الشيخ عبد الباقي ألسماتي، الأستاذ العمري نجيب والأستاذ والكاتب حرز الله محمد العربي أن المنزل بني سنة 1815م وهي نفس الفترة التي بنيت فيها الزاوية

- **الوصف المعماري للمنزل**: يشغل المسكن مساحة ذات شكل مستطيل غير منتظم مفتوح نحو الداخل على الحوش "الصحن" هو بمثابة المهيكل المنظم لفضاءاته الداخلية والتي تشكل مركباته الحجمية ولا يحتوي المسكن على واجهات خارجية ولا يمكن رؤيته إلا عند الاقتراب منه أو الوصول إليه تحديدا باعتبار المبني مخفيا بالمركب الديني الزاوية والسكنات التقليدية للنواة القديمة.

. **الواجهات الداخلية**: يحتوي المنزل على أربع واجهات داخلية تطل على الفناء الداخلي (وسط الدار)

. **الواجهة الشمالية**: المتصلة بكل من المطبخ والسقيفة وهي واجهة بسيطة تحتوي على بابين ونافذة أحد البابين يؤدي إلى السقيفة والأخر عبارة عن باب خشبي يؤدي إلى المطبخ يبلغ ارتفاعها12.50م أما طولها12.30م

. **الواجهة الشرقية**: وهي المتصلة بغرفتين أحدهما تلك التي تؤدي إلى الطابق العلوي وتتكون من أربع أقواس محمولة على أعمدة لها قاعدة مربعة مسبوقة برواق مسقوف عرضه1.86م نجد به بابين و نافذتين ترتفعان على الأرض ب0.96م ويبلغ ارتفاع الواجهة 12.82م أما طولها9.22م

*هو الشيخ المختار ابن عبد الرحمان ابن يوسف صاحب القبة المعروفة بمدينة سيدي خالد بن عبد الرحمان المدفون قرب ضريح خالد بن سنان ابن خليفة ابن محمد ابن عبد الله ابن عبد الواحد ابن عبد الكريم ابن عمر ابن محمد ابن علي ابن عبد السلام ابن مشيش ابن أبي بكر ابن علي ابن حرمة ابن عيسي ابن سالم ابن مروان ابن حيدرة ابن محمد ابن محمد ابن احمد ابن عبد الله ابن إدريس الأصغر ابن إدريس الأكبر ابن محمد صلي الله عليه وسلم ولد سنة1788م بسيدي خالد حفظ القران بمسقط رأسه درس الفقه بزاوية برج بن عزوز بطولقة علي يد شيخه محمد بن عزوز البرجي صاحب الزاوية مع الشيخ عبد الحفيظ الخنقي و الشيخ علي بن عمر انخرط بالطريقة الرحمانية و أصبح شيخ من شيوخها.

. **الواجهة الجنوبية**: تتصل ببقية الغرف وتتكون من أربع أقواس محمولة على خمس أعمدة لها قاعدة مربعة مسبوقة برواق مسقوف عرضه2.50م نجد به ثلاثة أبواب ونافذة ترتفع على الأرض ب0.63م ويبلغ ارتفاع الواجهة 4.28م أما طولها 1.60م

. **الواجهة الغربية**: عبارة عن كتلة واحدة صماء بسيطة بها قاعدة بنيت من الحجارة الكلسية والطين وتكسوها طبقة من الملاط الاسمنت ويبلغ ارتفاع الواجهة4.48م اما الطول9.60م.

- **التكوينات المعمارية للمسكن**(شكل27):

يتكون المنزل من طابقين ويأخذ شكلا غير منتظم مفتوح نحو الداخل علي فناء مفتوح (وسط الدار) و بمثابة المهيكل والمنظم لفضاءاته الداخلية (غرف، مطبخ،حوش....)إذ يمنح الساكنين فيه فرصة التمتع والحركة والتواصل والترابط الاجتماعي وتعتبر الخصوصية من أهم العوامل المساهمة في هيكلة المنزل وذلك وفق تدرج هرمي للمجالات من العام إلى الخاص(المدخل، السقيفة، وسط الدار، الغرف،الحوش)

. **الطابق الأرضي**:

المداخل: للمسكن مدخلان أحدهما المدخل الرئيسي يقع في الجهة الشمالية للمسكن ويؤدي إلى الرواق المؤدي إلى السقيفة أما المدخل الثاني فهو مدخل ثانوي يؤدي إلى الزاوية والذي كان يستعمل من طرف الشيخ المختار للولوج للزاوية

. **رواق المدخل**: يمثل فضاء انتقالي بين الخارج والسقيفة عبارة عن سقف برميلي يمتد من المدخل الرئيسي إلى مدخل السقيفةارتفاعه4.20م به أربع فتحات من اجل التهوية والإضاءة لها شكل مربع مقاساتها 18سم×18سم أما المساحة تبلغ23.80م استعمل في فترة من الفترات لوقوف الحيوانات التي تحمل الأغراض أو الحطب أو المحاصيل الزراعية حسب أقوال القيمين على الزاوية

.**السقيفة:** عبارة عن مساحة مغطاة لها شكل مربع تقريبا أبعادها (4.14م×3.50م) ارتفاعها2.60م يتوسطها عمود رخامي أبعاده 20×20سم لها أربع مداخل احدها عبر رواق المدخل بالإضافة إلى ثلاث مداخل أخري احدها يؤدي للسقيفة التي تعتبر فضاء انتقالي بين دار الشيخ والزاوية والثاني يؤدي إلى المطبخ والأخر يؤدي إلى

وسط الدار وهي لأجل الاستراحة كما تلعب دور فضاء للانتظار لمن يطلب الإذن بالدخول وتعتبر فاصلا بين المسكن وخارجه حيث تحجب رؤية ما في المسكن وإعطاء خصوصية للمجالات الداخلية وفقا لنمط الحياة المحلية التي تراعي الحشمة

. **وسط الدار(صحن المنزل)**:عبارة عن مساحة مفتوحة تتوسط المنزل وكل الغرف تفتح أبوابها عليها وتعتبر الفضاء الرئيسي في المسكن له شكل مربع تقريبا أبعاده(12×10.15)يستغل في العديد من الأعمال (تحضير الطعام تجمع للعائلة النوم في الليل في أيام الصيف الحارة) كما يعتبر مصدر للتهوية والإضاءة

. **الغرف**:(انظر شكل26) يحتوي المسكن على ثمانية غرف اثنان منها تقع في الطابق العلوي للمسكن أما باقي الغرف فتوجد في الطابق الأرضي وتطل على وسط الدار وتفتح على رواق مسقوف عرضه 1.80متتميز اغلبها بالبساطة وصغر المساحة تستعمل لعدة أغراض منها استقبال الضيوف، النوم، والجلوس وتتم تهوية هذه الغرف بواسطة فتحات تفتح على الفناء الخارجي أو ما يعرف بوسط الدار.

. **بيت الضياف: ذات** شكل مستطيل متصلة مباشرة بالسقيفة ذات مساحة كبيرة(3.25×9.50) م حولت حديثا وأصبحت تستغل كمطبخ لها نافذة ومدخلان أحدهما يؤدي للسقيفة والأخر يؤدي الى وسط الدار.

. **الغرفة الأولى**: شكلها مستطيل أبعادها(3.10×3.80) متهوي عن طريق نافذة تطل على وسط الدار كما تحتوي على مدفئة في الزاوية الجنوبية الشرقية بالإضافة إلى سلم في الزاوية الشمالية الغربية يعد كفضاء للربط بين الطابقين الأرضي والعلوي الذي يتكون من غرفتان ويشكل مجموع هذه الغرف مجالا واحد كان خلوة لشيخ المختار.

. **الغرفة الثانية**: مستطيلة الشكل(3.17×4.32) م تحتوي في زاويتها الجنوبية الشرقية على مدفأة كانت تستخدم قديما في فصل الشتاء تتم تهويتها بواسطة نافذة تطل على وسط الدار تستغل كغرفة نوم للعائلة القاطن في الدار باعتبارها الغرفة الوحيدة التي لازالت صالحة للاستعمال بسبب حالة التدهور التي مست بقيت الغرف.

. **المطبخ**: مستطيلة الشكل أبعادها(3.20×4.56) م كانت تستغل كمطبخ تحتوي في الجدار الجنوبي على مساحة مخصصة للطبخ موصولة بمدخنة ومعزولة عن باقي المجال بواسطة جدار سمكه10سم.

. **الغرفة الثالثة**: مستطيلة الشكل أبعادها(3.35×4.36) م تتم تهويتها بواسطة نافذة تطل على وسط الدار كانت تستغل كغرفة للنوم أما حاليا فهي غير مستغلة نظرا لحالة التدهور التي آلت إليها.

. **الغرفة الرابعة:** مستطيلة الشكل أبعادها (3.35×4.27) متتم تهويتها أيضا بواسطة نافذة تطل على وسط الدار كانت تستغل غرفة لنوم الأطفال أما الآن فهي غير مستغلة نظرا لحالة التدهور التي آلت إليها.

. **غرفة المؤونة(المخزن):** تقع في الجهة الجنوبية للمسكن أبعادها(7×6.09) م تحتوي على فتحات صغيرة ومرتفعة من اجل التهوية والإضاءة كانت تستغل كمكان لحفظ المؤونة وتخزين التمر والمحاصيل الزراعية أما الآن فهي تستغل كمكان لتربية الدواجن وذلك بعد انهيار السقف.

.**الحوش (الفناء الخارجي)**:مربع الشكل أبعاده (9.50×10.17)م خصص لتربية المواشي والدواب و الدواجن وجزء خصص لغرس النخيل كما يحتوي علي مرحاض وحمام في الجهة الجنوبية الشرقية.

. **غرف الطابق الأول**: يتكون الطابق الأول من غرفتين كانتا تستغلان كخلوة للشيخ المختار وتفتح الواحدة منهما على الأخرى أبعاد الغرفة الأولى والتي لها اتصال مباشر مع السلم(4.10×2.79)م ويبلغ ارتفاعها(3.98) م.

أما الغرفة الثانية فلها مسحة اكبر من الأولى أبعادها (4.48×3.55)م تحتوي مدفأة في زاويتها الجنوبية الغربية كما تحتوي على نتوءات محفورة داخل الجدران أبعادها صغيرة تتواجد على ارتفاعات مختلفة كانت تستخدم لوضع أغراض مختلفة خاصة بالشيخ كالكتب تتم تهوية الغرفة و اضاءتها بواسطة فتحات صغيرة ومرتفعة وهذا لتامين الخصوصية وتستغل الغرفتان حاليا كمكان لوضع الأواني و الأغراض القديمة التي كانت تستعمل قديما من طرف سكان المنزل

أما العناصر المعمارية بالمنزل كالسلم فهو فضاء انتقالي بين الطابق الأرضي والعلوي يتكون من عشر عتبات تختلف أبعادها

. **المدفأة**: بنيت بالطين ولبست بملاط الجير والطين تحتوي على فتحة لإدخال الحطب الذي كان يستعمل لإيقاد النار وتتصل من الجهة العلوية بمدخنة بنيت بنفس المواد موجهة بشكل طولي نحو السقف لإخراج الدخان.

- **قصبة أولاد جلال:**(شكل28)(لوحة11، صورة و)

ينبغي القول أن هذه القصبة كمثيلاتها في إقليم الزاب وإقليم توات، كانت تتكون من سور خارجي تتخلله أبراج في الأركان ومحاط بخندق ومدعم بوسائل دفاعية كالمزاغل لرمي الزيت والمقذوفات الحارقة، وقد فتحت بهذا السور باب خشبي صنع من جذوع النخيل وتلقى بعد هذا الباب مدخل منكسر يأخذنا لشوارع وأزقة متقاطعة، وفضلاً عن ذلك فإننا نجد المساجد وبجانبه بنيت مدرسة قرآنية وهنا يمكن القول أن هذه الوحدات نجدها متشابهة حد لا تطابق مع القصبات التي وجدت بالمملكة بالمغربية بجبال الأطلس. وهناك ملاحظة جديرة بالذكر مفادها أن شكل القصبة يكون مربع زيادة إلى احتوائها على تجمعات معمارية اتسمت في معظمها بضيق المساحة، وهي ميزة للعمارة الصحراوية. وقد أشار (Gsell) إليها خلال حديثه عن منطقة بسكرة قائلاً (القصبة عبارة عن آثار مخيم روماني تقع بحوالي 300م إلى جنوب واد جدي، تبلغ مقاساتها 175م في الغرب، أما من جهة لا شرق فتبلغ 150م، أما السور المحاط بها فيبلغ سمكه 2م يتخذ شكلاً دائريًا في الأركان، وفي الوسط بناية يبلغ طول الضلع منها 30 قدم تتخللها ساحة داخلية وقاعة ذات انحناء ...)[1] . وعند المعاينة الميدانية لأطلال هذه القصبة تبين لنا الخطأ الكبير الذي وقع فيه هذا الأخير بحيث أن السور في وضعه الحالي يمتد على مسافة 600م. لقد تأكد لنا بما لا يدعو مجالا للشك أن مواد البناء المستعملة كان أغلبها الحجارة أما الملاط فهو الطين وهذا ينطبق على ما كان مستعملاً في إقليم توات في نفس الفترة. ويدعم ما ذهبنا إليه سابقا ما أكده العياشي في رحلته:(... وقرية أولاد جلال من أكبر قرى الزاب وهي قرية جامعة ... وهم في قوة ومنعة من العرب لا يؤدون إليهم إتاوة ...)[2] .

---

[1]Gsell, (ST :)op.cit.feuilleN° 48p38

[2] . العياشي: المصدر السابق، د. ص

أما الدرعي[1] فلا يضيف شيئاً عن ما قاله هذا الأخير يمكن الاستفادة منه لرفع اللبس عن تاريخ وآثار هذه القصبة. كما لا يفوتنا أن نشير إلى أنه لم يبق من آثار هذه القصبة إلا بقايا السور الخارجي المتهدم في بعض أنحاءه، كما كان لفيضان واد جدي دور كبير في تخريب جوانب متعددة لهذا السور، هذا ما أثبتته الملاحظات لموا شاهدة العينية التي قمنا بها كما قدمناه.

- **وكالة أولاد جلال القديمة:**

وهي تقع على مسافة 4 كلم جنوب أولاد جلال المدينة، وبالضبط على حواف وادي جدي. لم تذكر في كتب الرحالة و الجغرافيين خاصة الذين زاروا المنطقة خلال القرن العاشر هجري. مثل: العياشي والورتلاني . لكن عند تصفحنا للمذكرات القسنطينية وجدنا أن هذه الوكالة كانت موجودة خاصة خلال تواجد الأتراك بالمنطقة[2].

- **الوصف العام:**

لم يبق من هذه الوكالة أي أثر يذكر، لكن حسب المقال الذي تصفحناه، نجد أن هذه الوكالة قد بنيت على طريق المسافرين خارج المدن، يقدم إليها التجار والرحالة كافة ويوفر لهم الراحة ويجنبهم مشقة السفر ليلا ومخاطره، وكان يضم إلى جانب تلك المرافق هناك حوض في وسط الساحة و مشرب البهائم المصلى، أما من حيث التنظيم فهو مربع المسقط يتكون من طابق أرضي وتحتل أركانه أبراج للمراقبة والدفاع، خاصة وأن المنطقة كانت تحف باللصوص والفتن كأنه حصن صغير.

[1]. الدرعي: المصدر السابق، ورقة 296 .297.

[2] M.G.H. Monographie de BISKRA: Op.cit. pp.32 ، 38.

- **رحبة أولاد جلال القديمة:**

وهي المعلم الأساسي الذي يرمز إلى تاريخ المدينة. لقد كانت قرية أولاد جلال من أكبر قرى الزاب كما ذكره العياشي[1]. كما أنها كانت ضمن طرق القوافل التجارية التي تمر بالمنطقة، مما سيؤدي حتما إلى وجود تبادل للسلع هناك .

- **الوصف العام:**

لقد حولت هذه الرحبة إبان الاستقلال إلى بنايات وبالتالي حذفت من الوجود . لكن عند رجوعنا إلى المقال الموجود في منشورات قسنطينة والذي تحت عنوان" مونوغرافيا والجغرافيا والتاريخ لمنطقة الزيبان، حيث يصف هذه الرحبة خلال الحكم العثماني بالمنطقة بقوله : ((... وهي عبارة عن فراغات غير مبنية والتي كثيرًا ما أخذت اسم الرحبة في المدينة الإسلامية وتعددت وظائفها تنوعت حسب الفصول وحسب أوقات اليوم وحسب المناسبات ،عبارة عن مساحة مستطيلة الشكل تقريبا وتمتاز معظم واجهاتها بالأقواس وتشكل جزءًا هامًا من المدينة لأنها المجال الملائم للقاءات والتبادلات الاقتصادية ، وهي الموضع الوحيد الذي تباع في الحبوب بكل أنواعها ومنها القمح والشعير... وكانت تقام كل يوم ما عدا أيام العيد...))[2] .

ثالثا. مدينة طولقة:

أ. النشأة والتأسيس:

تقع ضمن الزاب الظهراوي وهي مدينة قديمة حيث يذكرها البكري في موضعين فيقول[3]: "...ومن مدنها*مدينة جمونة ومدينة طولقة ومدينة مليلي..." وأيضا "...طولقة هي ثلاث مدن كلها عليها أسوار طوب وخنادق وحولها أنهار وهي كثيرة البساتين بالزيتون والأعناب والنخل والشجر وجميع الثمار، إحداها يسكنها المولدون والثانية

[1] العياشي: المصدر السابق، ص 416.

[2] R.C: Op.cit. pp. 281- 283.

[3] البكري: المصدر السابق، ص ص52، 72.

* يقصد بسكرة (الهاء تعود على بسكرة).

يسكنها اليمن والثالثة يسكنها قيس" ، ويذكرها الحموي[1]"...طولقة مدينة بالمغرب من ناحية الزاب الكبير من صقيع الجريد." ، أما ابن خلدون[2] فيذكرها ضمن مناطق الزاب.

ومدينة طولقة موغلة في التاريخ يرجعها حسن الوزان إلى العهد النوميدي، ويصفها وصفا سلبيا مثل ما رأيناه في بسكرة، لأنه زار المنطقة وهي تعيش فترة اضطرابات من خلال غارات الأعراب وتسلط الحفصيين، ويشير بأنها مدينة غنية اقتصاديا بإنتاجها التمر لكن كثرة الضرائب المفروضة على سكانها جعلتهم يعيشون في فقر وبخل، فهو يقول: " طولقة مدينة بناها النوميديون، يحيط بها سورا حقيرا ويمر قربها جدول ماء ساخن، تنتج أراضيها كثيرا من التمر وقليلا من القمح، سكانها فقراء هم أيضا، ومثقلون بالأتوات من قبل الأعراب وملك تونس لكنهم في غاية البخل والكبر، ينظرون إلى الغرباء نظرة السوء"[3]، وتؤكد الآثار المادية ما ذكره حسن الوزان بأنها مدينة قديمة، حيث عثر على بقايا قلعة محصنة بقياس30م على 22م، يسميها الأهالي القصبة (Kasbat) مبنية بالحجارة المنحوتة، الأساس مازال في حالة جيدة بالمقارنة مع المناطق العلوية، أحد أبواب هذه القلعة مازال في حالة جيدة يعرف بباب القوسة (La porte de Larccad)، يمكن القول أن هذه القلعة قد بنيت من قبل البزنطيين فوق قلعة رومانية، كما عثر على كميات كبيرة من البقايا في شمال غرب الواحة، التي تربط بعدة طرق قديمة ترجع إلى العهد الروماني مع باقي الواحات، منها طريق يبدأ من سفح جبل سلوم ويتجه إلى الجنوب الغربي وأخرى إلى الدوسن عبر طولقة وأيضا إلى مليلي دون المرور بطولقة.[4]، وطولقة مدينة علم وفقا لما جاء به الورتلاني حيث يذكر العديد من شيوخها: "...وقد دخلنا طولقة فاجتمعنا بها مع أهل الفضل والعلم " [5]

---

[1] ياقوت الحموي: المصدر السابق، المجد الرابع، ص50.

[2] ابن خلدون: العبر، المصدر السابق، ص510.

[3] .حسن الوزان: المصدر السابق، ص140.

[4] .توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، ص207.أنظر. Gsell. S, op.cit-feuilleN° 48, PP, 2-3. .

-.Dellatre. A.L, op.cit., P276.

- Baradez. J, op.cit.,PP 120-329.

- Magulonne. J, op.cit., P288.

[5] .الورتلاني: المصدر السابق، ص6.

1.مظاهر العمارة الدينية.

المساجد: هناك العديد من المساجد في منطقة الزاب الغربي بالتحديد القري المجاورة لطولقة منها الجامع العتيق ببرج بن عزوز وجامع بوشقرون(لوحة12،صورة ب) وسنركز في دراستنا الأثرية على المسجد العتيق بطولقة كنموذج معماري

- **المسجد العتيق:**

يقع المسجد في قلب مدينة طولقة[1] القديمة والتي تبعد عن الولاية بحوالي30 كلم وهو في الجهة الجنوبية الغربية منها، وبالضبط في الجانب الأيمن من الطريق البلدي رقم 13 الرابط بين طولقة وبرج بن عزوز وقد وصف الورتلاني في رحلته بقوله:(.. والمسجد في غاية، السعة وإتقان البناء إلا أنه قل عامره ...)[2]

وهناك من الباحثين من يرى بأنه يرجع إلى عهد الاحتلال البنيزطي[3] حيث كان عبارة كنيسة، وفي الفتح الإسلامي . القرن السابع الميلادي . قام عقبة بن نافع بتحويل الكنيسة إلى مسجد وصلى جمعته الثالثة هناك أي مكث ثلاثة أسابيع هناك.

لقد تعرض المسجد إلى عدة إصلاحات في الفترات السابقة لكن دون جدوى لدليل يثبت ذلك، ماعدا تلك التي عرفها متأخرًا والتي تشير إليها الكتابة الموجودة فوق الباب الشرقي للصحن. وقد جاء فيها: ((صلّى الله على آل مصطفة ... تم إصلاحه جمادي الأولى سنة 1332م)) . وهذا ما أكده حيث صرح أن ترميمه الأخير كان سنة 1910م.

---

[1]. طولقة: يقول البكري: ((...طولقة من بلاد الجريد ... وهي ثلاث مدن (البرج، مليلي، بنطيوس) كلها عليها أسوار وخنادق))، للتوسع أنظر: البكري: المصدر السابق، ص ص52 . 53، وأنظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج12، ص 912.

[2]. الورتلاني: المصدر السابق، ص 88

[3] Algérie et SAHARA ; op.cit.pp.205. 206. .

▪ **الوصف العام للمسجد العتيق**: (المخطط 29)(لوحة12،صورةد).

يأخذ المسجد شكلا مستطيلاً طول ضلعه 36م أما عرضه فيبلغ 16م وسمك جدرانه 40سم،و به أربعة واجهات علو كل واجهة 6م، فالواجهة الرئيسية بها بابان ونافذتان تطلان على الشارع، وهذه الواجهة هي المحور الذي يقسم طولقة القديمة إلى قسمين متساويين، والواجهة الثانية بها نافذتان وباب يطل على الشارع الرئيسي، والواجهة الثالثة جانبية بها لمئذنة، أما الرابعة فهي عبارة عن جدار يحتوي على ساحة كبيرة، مخصصة للصلاة، وأخرى للوضوء ومكتبة، وساحة صغيرة، أما بيت الصلاة فشكله مستطيل طول ضلعه 16م، وعرضه 15م ويتكون من أربعة أساكيب، وأربع بلاطات، عمودية على جدار المحراب، عرض كل بلاطة 3م، كما نجد في لا بلاطة الوسطى من مؤخرة بيت الصلاة غرفة يوجد بها ضريح طول ضلعه 4,80م، أما عرضها 1م .

أما الصحن فيقع بالناحية الجنوبية لبيت الصلاة ويتصل بها بواسطة مدخلين عرضهما 1,60م ،ويأخذ الصحن شكلا مستطيلا طول ضلعه 19م وعرضه 12,20م وهو غير مغطى ويحيط بالصحن أربعة أروقة عرض كل رواق 3م .

- **المئذنة**:(لوحة12،صورةج) تعتبر مئذنة المسجد العتيق، من المآذن القديمة حيث حافظت على تماسكها وصلابتها وقد وصفها الورتلاني في رحلته قائلاً:(وطلعنا إلى مئذنته (المسجد) وهي في غاية الإتقان والطول والسعة تقدر الدابة على الصعود إليها بحملها وأدراجها 124درجة ...)[1].

وتقع المئذنة في الركن الجنوبي الشرقي للصحن وهي تنتمي إلى المآذن ذات القاعدة المربعة ويبلغ ارتفاعها14م وتتكون المئذنة من طابق واحد تتخلله شرفات ويعلوه جوسق، تحتوي المئذنة على زخارف بسيطة على طول واجهتها والمتمثلة في الأشرطة التي تربط بدنها، ويمكن ارتفاع هذه المئذنة من تميز المدينتين القديمة والحديثة.

[1]. الورتلاني: المصدر السابق، ص 88.

- **مسجد عبد الرحمان الأخضري**[1] :

يقع في مليلي[2] ببلدة بنطيوس بلدية مخادمة التي تبعد بحوالي 30 كلم جنوب غرب الولاية. وقد ورد ذكره عند بعض الرحالة والمؤرخين أمثال العياشي الذي يقول عنه [3]ما يلي :

((... ومررنا بقرية " إمليلي" ظهرًا ثم دخلنا لزيارة مسجد الشيخ عبد الرحمان الأخضري وصلينا به)).

أما الورتلاني فيقول في نزهته:((وعند قرية إمليلي يوجد مسجد سيدي الشيخ عبد الرحمان الأخضري، وهو إمام الجامع بين علمي الظاهر و الباطن له تأليف مشهورة وكرامات مأثورة))[4]. أما محمد بن أحمد بن داود فيذكره في عقده بما يلي: (... يعتبر سيدي الأخضري من علماء التصوف في الجزائر وهو من تبنى فكرة نبوة النبي خالد...)[5] .

- **الوصف العام للمسجد:**

لم يبق من هذا المسجد أي أثر شاهد للعيان، وقد اختفت معالمه بالمرة وبني فوقه مسجد سنة 1929، حسب أقوال أهالي المنطقة.

- **الزوايا:**

- **زاوية الشيخ علي بن عمر**[6](لوحة12،صورةا): تقع الزاوية في الجهة الجنوبية من مدينة طولقة[7] القديمة والتي تبعد عن مقر الولاية بـ 40 كلم. لقد تأسست على يد الشيخ الصوفي رجل العلم والإصلاح سيدي علي

[1]. عبد الرحمان الأخضري: **علامة العقول و لما نقول سيدي عبد الرحمان الأخضري** صاحب التأليف العديدة الذي عاش خلال القرن العاشر في قرية (إمليلي) التي تبعد عن بسكرة بحوالي37 كلم أنظر : أحمد بن داود : العقد الجوهري، د.ت، د. ص .

[2] مليلي: قرية تنسب إلى أم ليلى من قبيلة بنرس، أنظر ابن خلدون: العبر، ج6، ص 395.

[3]العياشي: المصدر السابق، د. ص

[4]. الورتلاني: المصدر السابق، ص 89.

[5]. أبو محمد بن داود: المصدر السابق، ورقة 4.

[6]. الشيخ علي بن عمر: هو أكبر تلامذة الشيخ ابن عزوز وأقرب الناس اليه توفي رحمه الله يوم ثلاثة بربيع الأول من عام 1258هـ قتيلا غلطًا، أنظر: عبد الرحمان (بن الحاج بن علي بن عثمان): الدر المكنوز، مطبعة النجاح قسنطينة، د.ت، ص ص14 . 15.

[7]. طولقة: يرجع تاريخ طولقة قديما إلى عهد القرطاجيين وكانت مدينة بربر أنظر: البكري: المصدر السابق، ص ص52 . 53، وأنظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج6، ص 98.

ابن عثمان سنة(1780م)[1]. وحسب تصريح شيخ الزاوية الإمام عبد القادر عثمان فإن الزاوية لم تعرف تر ميمًا بل عرفت تغييرًا شاملا لصورتها القديمة وأدخلت عليها مرافق عصرية لم فتعر ها من قبل مما أفقدها صبغتها الأثرية.

- **تاريخ إنشائها:** أسست الزاوية من طرف علي بن عمر بن أحمد؛ وهو شخص عرف بالزهد والصلاح والتقوى يتصل نسبه بالحسن السبط ابن فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وابن الإمام علي رضي الله عنه وكرم وجهه فهو: علي بن عمر بن أحمد بن عمر.... بن إدريس الأصغر بن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن محمد الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ولد في بلدة طولقة حوالي سنة 1166هـ1750م نشأ ببلدته نشأة الصالحين انصرف إلى العبادة منذ مطلع حياته انقطع لقراءة القرآن الكريم وتفرغ للذكر حيث اتخذ موضعا يسمى الشهب وهو جبل قريب من طولقة بنحو 14 كلم ليقضي فيه أوقاته بالصلاة والذكر والطاعة لعدة سنوات بعيدا عن الناس والدنيا[2]، كان له ابن عم يسمى سيدي علي أيضا، من تلاميذ الشيخ محمد بن عزوز في بلدة البرج عرض عليه أخذ الطريقة على سيدي ابن عزوز، فلم يجبه إلى ذلك فأخذ يكرر عليه القول إلى أن قبل فأصطحبه إلى الشيخ ابن عزوز وأبلغه بأنه يريد أخذ الطريقة، فأجابه ابن عزوز لا يأخذ الطريقة مني إلا إذا كان متوضئا، صائما، فقال له: إنه متوضئ، صائم فقال له ابن عزوز: ما اسمه؟ قال: علي بن عمر، فقال له الشيخ ابن عزوز: تقدم أنت صاحبها، ولازم شيخه إلى أن أصبح متمكنا وأهلا للمشيخة حيث قال له شيخه: " من شيخنا لي، ومني إليك فقط " وأمره بجعل زاوية في بلدته [3] ، بعودته إلى بلدته طولقة عاصمة الزاب الغربي أسس علي بن عمر زاويته سنة 1194هـ1780م التي أصبحت منارة للعلم والعلماء وعرفت واشتهرت في كافة أنحاء الجزائر وحتى خارجها، فلقد عملت على نشر العلم وتحفيظ القرآن الكريم ومساعدة الفقراء واليتامى وأبناء السبيل وإيواء المساكين والمحتاجين وصيانة الإسلام والدفاع عنه

[1] علي بن عمر الطولقي: فاكهة الحلقوم في نبذة قليلة من أحوال القوم، رسالة محفوظة في مكتبة طولقة.

[2] . علي رضا الحسيني: **زاوية علي بن عمر طولقة (الجزائر)**، الدار الحسينية للكتاب، دمشق،سوريا، 2002، ص ص11-12.

[3] . عبد الرحمان بن الحاج بن علي بن عثمان، **الدر المكنوز في حياة سيدي علي بن أعمر وسيدي بن عزوز**، مطبعة النجاح قسنطينة، 1350هـ، ص14. أنظر. علي رضا الحسيني، المرجع السابق، ص11.

بالقول والعمل [1]، أدى علي بن عمر فريضة الحج برفقة شيخه محمد بن عزوز سنة 1231هـ1816م أين التقى بالسلطان عبد الرحمان بن هشام وهو من عائلة سلاطين فاس بالمغرب الذي دعا له الشيخ علي بن عمر بنيل السلطة بعد العودة من الحج عندما قدم دواء لشيخه محمد بن عزوز، وتحققت دعوة الشيخ الشيء الذي جعل السلطان عبد الرحمان بن هشام يكتب رسالة للشيخ يشكره فيها ويكافئه بمبلغ من المال لبناء مقامه وتوسيع زاويته والإنفاق على الفقراء والمساكين وأبناء السبيل [2]، وبعد مرور اثنان وتسعون سنة قضاها الشيخ علي بن عمر في الوعظ والإرشاد، استشهد يوم الخميس في 3 ربيع الأول سنة 1258هـ1842م وهو يسعى للصلح بين حاكم بلدة سيدي عقبة وحاكم طولقة بعد ما هاجمت مجموعة مجهولة بلدة سيدي عقبة وألحقت الضرر بها وشاع أن هذه الجماعة فرت هاربة إلى طولقة فنزل حاكم سيدي عقبة مع قوة عسكرية يترقب هذه القوة الغازية في الوقت الذي كان فيه سكان طولقة ينفون وجود هؤلاء بينهم، فركب علي بن عمر حصانه مع مجموعة من أتباعه وقصدوا معسكر حاكم سيدي عقبة، ولما اقترب الشيخ من المعسكر صاح رجل بأن الشيخ أتى، فظن أحد عساكر محمد الصغير اسمه فرحات العمري أن القادم هو شيخ بلدة طولقة فأطلق عليه النار، سقط الشيخ شهيدا فنقل إلى زاويته حيث دفن [3].

- **الوصف الحالي للزاوية:**

تتكون من أربعة أقسام لتعليم القرآن، كما تتكون من جزأين للتعليم التربوي بالإضافة إلى مسجد للصلوات وقاعات المطالعة مخصصة للباحث وحمامات ومراقد.

- **الوصف العام لملاحق الزاوية قديما:**(لوحة12،صورةب،ج).(شكل30).

لم يبق من ملاحق الزاوية إلا بعض الغرف المهدمة وبعض الجدران الخارجية بعدما سقط الجزء الأكبر من سقف الغرف الخاصة بالطلبة وهذه الملاحق تتكون من طابقين:

---

[1]. صلاح مؤيد العقبي: **الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها**، دار البرق، بيروت، 2002، ص ص394 – 395.

[2]. علي رضا الحسيني: المرجع السابق، ص ص12-13.

[3]. صلاح مؤيد العقبي: المرجع السابق، ص 396. أنظر.

. علي رضا الحسيني، المرجع السابق، ص12.

.**الطابق الأرضي:**

يأخذ الطابق الأرضي شكل مستطيل طول ضلعه 22م ، أما عرضه فلا يمكن حصره لكون جدرانه مهدمة ولم يبق من هذا الطابق سوى الجدار الغربي ، كما أن غرفة الخمسة مازالت سقوفها تتمتع بنوع من الصلابة ويحتوي هذا الطابق على ثلاثة غرف تأخذ شكلا مستطيلاً طول كل غرفة 2م ويفصل بينهما جدران سمكها 60 سم، ثم تنتقل إلى رواق مستطيل طوله 9 م وعرضه 1م وهو مفتوح على الغرفة الرابعة بباب عرضه 50سم طول ضلعها 4م وعرضها 2,60م، وهذا الرواق غير مكتمل البناء إذ نجد في مكان الجدران بقايا من الأعمدة التي ترفع السقف.

.**الطابق العلوي:**

يصعد إلى الطابق العلوي بواسطة لسلم الذي لم يبق منه سوى الجزء العلوي فقط الذي يؤدي مباشرة إلى رواق طول 9,20م ، أما عرضة فيبلغ 2م ينفتح هذا الرواق على ثلاث غرف مستطيلة لشكل الغرفة الأولى تقع في الجهة الجنوبية وطولها 6م ، أما عرضها فيقدر بـ 8,60م ، أما سمك الغرفة جدرانها فيبلغ 60 سم وهي تنفتح مباشرة على الرواق بباب عرضه 1م الغرفة الثانية تقع في الجهة الغربية طولها 9م ن أما عرضها فيبلغ 2,20م ، وهي مفتوحة في منتصف العقد الثانية الثالث للرواق . أما الغرفة الثالثة فتقع في الجهة الشرقية طول ضلعها 5م، أما عرضها فيبلغ 3م، وهي تشكل محور تناظر بالنسبة إلى الغرفة الأولى، أما الجزء المتبقي من الطابق العلوي والذي يتكون من غرفتين مهدمتين إذ يحتل مساحة 4,60م، أما العرض فيصل إلى 5م.

- **مكتبة الزاوية:** حسب تصريح الشيخ عبد القادر عثمان رئيس الزاوية حاليًا أن المكتبة ملك للعائلة وليست من أحباس المكتبة وعلى هذا فإن المكتبة مستقلة عن الزاوية ويجب أن تنسب إلى العائلة العثمانية، ومؤسس المكتبة هو العلامة الشيخ علي بن عثمان[1]. ويبدو أن المكتبة تأسست خلال مرحلتين[2]

[1]. علي بن عثمان: هو نجل علي بن عمر الطولقي ولد سنة 1240هـ ، حفظ القرآن الكريم وبعد إلمامه بالمبادئ الأولية المتداولة برز في العلوم العقلية و النقلية ومن آثار الشيخ علي بن عثمان معجم المؤلفين المكنون وله النبذة المنيعة في منهج الحقيقة توفي سنة1316هـ.

[2] عبد الرحمان بن الحاج: المرجع السابق، ص 19.

. **المرحلة الأولى:** على عهد منشئها الأول علي بن عثمان.

. **المرحلة الثانية**: على عهد ابنه الحاج الذي أكمل البناء وكان وفيا علي درب العلم

- الدراسة المعمارية:

بنيت الزاوية على أرض ملك لمؤسسها وأسرته أوقفها لعمل الخير، وفقا لمخطط بسيط يتمثل حسب وصف احد أحفاد مؤسسها الشيخ عبد القادر العثماني على أرض مستطيلة الشكل تمتد من الشمال إلى الجنوب ينفذ إليها من باب في الجدار الشمالي يؤدي مباشرة إلى صحن مكشوف، إلى يمين الصحن وعلى استقامة واحدة نجد مسجد ثم غرفة كبيرة ثم ضريح مؤسس الزاوية وإلى اليسار نجد مجموعة من الغرف الصغيرة في طابقين تليها غرف أخرى مخصصة لمختلف الاستخدامات (مطبخ، مخازن للمؤونة،...).

❖ **العناصر المعمارية:**

. **المسجد:** يستخدم أيضا للتدريس، يتقدم الزاوية على الجهة اليمنى، مربع الشكل تقريبا ينفذ إليه من باب صغير يفتح على الصحن يحتوي على محراب مجوف بسيط، تعلوه قبيبة صغيرة شبه دائرية، سقفه مستوي يقوم على جذوع النخل وسعفها وهو بدون مئذنة.

. **الضريح:** غرفة مربعة(الشكل31)يتوسطها ضريح علي بن عمر مؤسس الزاوية تعلوه قبة مخروطية الشكل أو على شكل قوس منكسر مثل القباب المنتشرة على أضرحة الزيبان.

. **غرف الطلبة:** كان بالزاوية مجموعة من الغرف صغيرة مختلفة المساحة منتظمة في طابقين تشرف على الصحن، تشتمل كل غرفة على باب ضيق لا يزيد عرضه عن 0,75م بكل غرفة نافذة صغيرة لإدخال النور، كما زودت كل منها بحنية صغيرة مجوفة في الجدار تستعمل إما لحفظ أغراض الطلبة أو لوضع المصباح، وهي مغطاة بسقف مستوي يمثل أرضية لعدد مماثل من الغرف في الدور العلوي، بنيت الزاوية بمواد بسيطة محلية تتمثل في الحجارة في الأساس والطوب المجفف للجدار (يصنع بعجن الطين وخلطه مع التبن ثم تشكيله بقوالب خاصة) وجذوع النخيل وسعفها للسقف بوضع عوارض متوازية من جذوع النخل ثم بوضع جريد النخل حتى يشكل طبقة تغطى بطبقة من السعف ثم توضع طبقة من الطين ثم طبقة من الجبس ، وبما أن

المواد التي أسست بها الزاوية كانت هشة فإن التهديم والتخريب يصيبها بين الحين والآخر، لذلك وللحفاظ على الزاوية والدور الهام الذي تقوم به؛ تم تهديمها في النصف الثاني من القرن العشرين (1968م)، ومع المحافظة على تخطيطها القديم أعيد بناؤها بمواد حديثة مع نوع من التوسيع حيث تشتمل حاليا على المسجد، والمكتبة (المكتبة العثمانية نسبة لمؤسسها على بن عثمان التي تحتوي على نفائس الكتب والمخطوطات خاصة في التفسير وعلوم القرآن)، وضريح على بن عمر، وأربعة أقسام لتعليم القرآن، وقسمان للتعليم التربوي، وقاعات للمطالعة مجهزة بالحواسيب، ومراقد، وحمامات، ومرافق أخرى.

2.مظاهر العمارة المدنية:

- **أحياء القصر:**(الشكل32)

لقصر طولقةبابان رئيسيان كبيران أحدهما يفتح في الجهة الشمالية والآخر في الجهة الجنوبية إضافة إلى باب ثالث أقل أهمية فتح بالجهة الشرقية من منشآت القصر وربطه بالواحة، وهي مصنوعة من الخشب تحمل نفس الاسم حيث تعرف هذه الأبواب باسم "البلد"،(هي مداخل القصر) يتألف كل واحد منها من مصارعين، تقفل عند غروب الشمس لضمان أمن القصر وتفتح عند طلوع الفجر من اليوم التالي والقصر مجموعة كبيرة من الأحياء أخذت تسميتها انطلاقا من الموقع الذي تحتله، أو من العمارة المميزة التي تجاورها، أو القبيلة التي تسكنها ويعد إحدى مكونات القصر العتيق التي شكلت شوارعه ورسمت معالمه العمرانية، حيث لاحظنا أن السكان قد توزعوا على المباني المتراصة وشكلوا تكتلات لأسر "حارات"، ويمكن اختصارها بذكر أهمها على النحو التالي :

- حي الدرب: يتكون من مجموعة منازل تشكل الحي الأول على الجهة اليمنى لباب البلد الجنوبي.

- حي سقيفة بن حدود: يتواجد هذا الحي بالجهة الشمالية لحارة الدرب، وقد أخذ تسميته من، السقيفة التي كانت تتواجد به والتي نسبت إلى صاحبها بن حدود

- حي الصومعة: الحي المحاذي للجامع من جهته الجنوبية، وأخذ تسمية "حي الصومعة" بسبب مجاورته لصومعة المسجد الجامع.

- حي الجامع: وهو الحي المقابل للمسجد الجامع من الجهة الشمالية، وأعطي هذا الاسم بسبب محاذاته للمسجد الجامع.

- حي الفندق: وهو الحي الواقع غرب المسجد العتيق، وحسب أعيان القصر كان بهذا الحي فندق .

- حي بن عيش: وهو الحي الواقع شرق المدينة. والمجاور لباب البلد الثالث المؤدي جهة الواحة،

- حي المسجد الصغير: وهو الحي المجاور لمسجد سيدي العدودي.

- حي الفاقة: هو آخر حي يقع جهة باب البلد الشمالي، وعرف بهذا الاسم كونه الحي الواقع فوق الأحياء بمعنى أنه الحي الشمالي الأخير.

صممت معظم منشآت القصر لتتلاق والظروف المناخية، للمنطقة والمعتقدات الدينية خاصة، ولتلبي احتياجات العائلات، بينما يصمم بعضها الآخر لتحقق حياة مترفة وتشكل هذه الظروف بالخصوص-خلفيات أثرت على تصاميم –المنازل بشكل كبير بقصر طولقة العتيق، وهنا سنحاول توضيح تأثيرها من خلال دارسة مجموعة من المنازل.

- **المنازل**: الشكل3( ) تختلف مساحات المنازل وأسلوب تصميمها داخل القصر وتتباين حسب ظروف كلمن حيث المستويات المادية إلى عدد الأفراد أو إمكانيات التوسع المسموحة (محيط عائلة المنزل)، و الفراغ المتاح داخل المنزل، فكل هذه العوامل لعبت دورا هاما في طريق الوصول إلى إقرار المساحة والأسلوب المناسبين، حيث نجد أن المنازل تأخذ أشكالا متنوعة أغلبها مستطيلة أو مربعة، وقد صممت لتكون مفتوحة للداخل حول الصحن الذي تتوزع الغرف من حوله، وبذلك يضمن النشاط الاجتماعي والأسري في ظروف تغيب عنها أعين الغرباء.

يتكون كل منزل في غالب الأحيان من طابق أو طابقين فوقهما سور قليل الارتفاع، وفناء أرضي كبير، او ما يعرف بوسط الدار، فالطابق الأرضي يضم من خمس إلى ستة غرف، واحدة مخصصة لاستقبال الضيوف، وأخرى للنوم، أما بقية الغرف الجانبية قد استغل بعضها للطبخ، وأخرى لتخزين العتاد الفلاحي والغلات

الموسمية وقد تخصص غرفة أو غرفتين كإسطبل للحيوانات إذا كان الفناء لا يسعها، كما نجد بالطابق الأرضي الكنيف، في أماكن جانبية منه.

الطابق العلوي يتم الصعود إليه في المنازل التي تتكون من طابقين عن طريق السلالم، أما عدد غرفه فغالبا ما يتكون من ثلاث غرف كبيرة، منها ما هو مخصص لاستقبال الضيوف إن كانت الغرف الأرضية لا تسع لذلك، ومنها غرف للنوم، وأخرى تستعمل كمخازن للمؤن، ويخصص جانب من الطابق العلوي يستغل كمطبخ في فصل الصيف نظرا للحرارة الكبيرة. كما نجد سقيفة محاذية للغرف تمتد على طولها أحيانا، تعلق عليها العراجين لتهويتها وتتخذ فضاء للقيلولة في الأوقات الحارة.

اما المداخل فتميزت بالانفتاح على الشوارع سواء الرئيسية منها أو الفرعية حسب موقعها، كما نجد لكل منزل مدخلا أو أكثر، فهناك مدخلان، واحد خاص بأهل البيت، وآخر خاص بالضيوف الوافدين تعد السقيفة عنصرا أساسيا في المنازل الصحراوية ،حيث تتقدم المدخل مباشرة تعد الفاصل بين الشارع والمنزل، تعمل على حجب الداخل عن أنظار الخارج، وتسهل من استقبال الضيوف ببقائهم بها تحضيرا لدخولهم لغرفة الضيوف، كما يمكن ترك المدخل بداخل المنزل الرئيسي مفتوحا لتفعيل التيار الهوائي و ضفاء البرودة، مع حجب الرؤية من الخارج نحو الداخل، أي حجب من هم داخل الفناء عن أنظار الخارج لتأكيد حرمة الأسرة و حتى لا يتمكن أي غريب من اكتشاف أسرار أفرادها، فنمط الحياة المحلي يراعي الحشمة وقد نجد السقيفة تأخذ مساحة كبيرة، حيث تستعمل بالليل ،ويقدس حرية الفراغ الخاص كإصطبل للحيوانات. تصميم القصر يبين تنظيم متدرج في المجالات من المجال العام إلى المجال نصف الخاص إلى المجال الخاص، ويتضح ذلك من خلال مختلف منشآت القصر كما يتضح من خلال الشوارع حيث نجد هناك تدرج في شوارع النسيج العمراني للقصر من الشوارع الرئيسية ذات الاستعمال العام من قبل عامة الناس إلى الشوارع الثانوية، ذات الاستعمال المشترك من قبل قاطني الأحياء السكنية إلى الأزقة والدروب الضيقة المغلقة التي تستعمل بشكل خاص من قبل أفراد عائلة واحدة تقريبا، وهذه الشوارع تربط بين مختلف مجالات ومنشآت القصر. وقد ساعدت الهيكلة العمرانية للتجمعات السكنية لقصر طولقة المعتمدة على التشابك والتراص و الارتفاع على

تقليص المساحات المعرضة لأشعة الشمس بالشوارع المتجهة شمال -جنوب، كما لاحظنا وجود السباط الذي يسمح بتظليل أجزاء من الشوارع خصوصا المتجهة شرق غرب التي تتعرض لأشعة الشمس أطول فترات النهار بالشارع الرئيسي يعرف بشارع "الملاخين والجزارين"، وقد أخذ تسميته من الأنشطة التجارية والحرفية البارزة به وهي "الملاخة والجزارة واضافة إلى الخصائص التي ميزت الشوارع الفرعية للقصر وأزقته من ضيق، ساعد كثيرا على خلق الروابط الاجتماعية بين سكان الأحياء، والالتواءات والنهايات المغلقة أو المحدودة لأغراض أمنية لاحظنا ارتفاع، المباني على جوانب الشوارع وفرت الظلال للمارة فيه.

اما الساحات والفضاءات غير المبنية نجدها بشكل كبير في قصر طولقة مقارنة بباقي القصور المدروسة، وهي تختلف من حيث أبعادها وأدوارها، فمنها الساحات التجارية الواسعة لغاية ممارسة الأنشطة التجارية وكفضاء مشترك بين جميع سكان القصر، ومنها ساحات سكانية، خاصة ببعض الأحياء لالتقاء سكان الحي الواحد التي تتوزع منها ممرات مختلفة ومتعددة ونميز لقصر طولقة ساحتين كبيرتين داخل النسيج المتراص. تعرف باسم "رحبة القمح"

- **حمام طولقة القديمة:**

يقع في مدينة طولقة القديمة، هناك من يرجع أصل المدينة إلى النومديين الذين أنشأوها على مجرى مائي ساخن أسموها بـ" تيولاشلة"[1]، ولقد ورد ذكره عند ستيفان غزال في أطلسه حيث يقول[2]: (... توجد بقايا حمام روماني بطولقة القديمة، من حجارة وقنوات تصريف المياه، ومواقد ...)، والجدير بالذكر أن هذا الحمام قد استعمله المسلمون اثناء فتوحاتهم وأدخلوا عليه تعديلات. تتوافق والقيم الإسلامية[3].

[1]Gsell (ST), op.cit . F° 48. N° 0 27

[2]Op.cit. F° 48. N° 0 27

[3] Gorges (Rozev) Les mremieres Oasis et Les Mzab (SD). P .36.

- **الوصف العام:**

لم يبق من هذا الحمام أي أثر شاهد للعيان ما عدا بعض الحجارة هنا وهناك. كانت مستعملة في جدران غرفه بالإضافة إلى المقعد الحجري.

- **سوق رحبة القمح[1] في طولقة القديمة:**

يقع في مدينة طولقة القديمة هو عبارة عن سوق ريفي خصصه السكان للتبادل التجاري لكنها منتظم على البنية المعمارية المعروفة وهي الشارع على هيئة رواق واحد اصطفت على جانبيه الحوانيت ذات حرفة واحدة وهي بيع القمح[2].

- **لوصف العام:**

رغم بقاء هذا السوق على مر السنين إلا أنه تغير نهائيًا وأصبح عبارة عن رحبة ، في الهواء الطلق، حيث يأتي اليه الفلاحون لبيع منتوجاتهم الفلاحية، وهذا ابتداء من الصباح إلى المساء . ثم يأخذون بضاعتهم، لكون هذه الرحبة لا تحتوي حوانيت كما كانت عليه خلال أواخر الحكم العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي.

3.عمران قرية ليشانة:

أ. النشأة والتأسيس.

يتميز قصر ليشانة بنسيج عمراني كثيف ومساحة صغيرة نسبيا،(الشكل34)وهو ذو شكل بيضوي وذو بِنية شعاعية مركزية إلى حد ما. حيث يشكل في مجمله كتلة متجانسة يتوسطه مسجد وسوق يمكن الوصول إليهما من مختلف الجهات ويلعب كل منهما دور المهيكل الرئيسي للقصر، سواء من ناحية الحركة والنشاط البشري أو من ناحية النسيج العمراني. وتتخلله الأزقة المتشابكة وعدد من الساحات ذات الأغراض المختلفة . كما يمتاز بالانتظام في الوحدات السكنية التي يأخذ أغلبها الشكل المربع أو المستطيل.

[1].نسبة على بيع القمح وشرائه نقدا أو مقايضة بسلع أخرى.

[2] Victor Piquet (La Civilisations. de l'Afrique du Nord ; R.A. N° 02. Année 1857. p 276.

- **مظاهر العمارة الدينية:**

هناك مجموعة من المباني الدينية المتمثلة في:

- **المساجد:**

تنتشر عدة مساجد (جوامع)[1] في القصر ويتبع البعض منها كتاتيب خاصة لتعليم القرآن (تسمى محليا بالزاوية أو المحضر ة)، وأهم المساجد الموجودة بالقصر هي:

-**مسجد سيدي سعادة**[2] : (الشكل35)(لوحة16،صورة ب)هو أهم المساجد ويتوسط القصر بجانب السوق. ومن الملاحظة الميدانية نستشف أنه قد أنشأ على انقاذ بناية رومانية قديمة كانت عبارة عن كنيسة لوحة16صورةا،ب،ج،د،و)حيث تظهر الحجارة المنحوتة الضخمة في أساساته وجدرانه. كان المسجد قد أنشأ من مواد محلية (طوب وجير تقليدي وجذوع النخيل) ثم أعيد بناؤه على يد مهندس إيطالي في أوائل القرن العشرين على أقوال سكان المنطقة، باستخدام الحجارة والجبس الصناعي .

-**مسجد سيدي لعروسي**(الشكل36)(لوحة14،صورةب،ج)ويعرف أيضا بجامع سيدي محمد بن امحمد، ويتواجد بحارة المعتب. وقد بني بم واد محلية تتمثل في الطوب والجير والحجارة وجذوع النخل. وبه قاعة للصلاة وزاوية لتحفيظ القرآن وعلى مدخله حوش به قسم مغطى (دكانة). ويعلو المسجد جهة القبلة قبة

[1]- تستعمل لفظتا المسجد والجامع في المجتمع الجزائري دون تمييز بينهما، بل أحيانا يكون الجامع أقل أهمية من المسجد. لكن في اصطلاح العمارة الإسلامية فإن المسجد يكون لخدمة حي بأكمله، ويتوقف حجمه واتساعه على عدد سكان الحي الذي يخدمه، ويمكن أن تتم فيه صلاة الجمعة، وله إمام ومؤذن، وتتوفر فيه أو ترتبط به مجموعة من الخدمات العامة المختلفة، لتجعل منه مركز إشعاع علمي وديني وثقافي للحي، ويتعدد المسجد بتعدد الأحياء. وقد كانت تسمى "مساجد الفروض الخمسة "، أما الجامع أو المسجد الجامع فهو من أهم المنشئات العامة في المدينة الإسلامية لما له من دور أساسي في حياة مجتمعها، فبجانب وظيفته الدينية كان مركزا لبحث الشؤون السياسية والدينية = والتربوية والاجتماعية. وقد كان لكل مدينة جامع واحد يقع في مركزها، ومرتبط بالسوق الخاص، وكان من الضخامة بحيث يتسع لكل الناس المكلفين بصلاة الجمعة. أنظر عثمان (عبد الستار)، المرجع السابق، ص234.

[2] كان المسجد في الأصل زاوية أنشأها الشيخ سعادة الرحماني خلال القرن السابع الهجري، وهذه الزاوية هي النواة الأولى لقصر ليشانة. وقد قاد الشيخ سعادة ثورة ضد الدواودة ببسكرة في ذلك الوقت التاريخ. أنظر: الميلي(مبارك)، المرجع السابق ج2، ص363.

ثمانية الشكل بنيت بالجير والحجارة . ويتميز محرابه بالبساطة عبارة عن تجويف في جدار القبلة تعلوه نافذاتان (لوحة14،صورةب)،وقد أعيد ترميمه خلال الفترة الاستعمارية بعد تعرض سقفه للسقوط .

-**جامع سيدي يوسف** : يقع على الجهة الجنوبية للقصر ويتكون من قاعة الصلاة وهي مبنية بالطوب وسقفها من جذوع وسعف النخيل، و من محراب بسيط لتحديد جهة القبلة . وبه ضريح سيدي يوسف تعلوه قبة ذات شكل ثماني الأضلاع ،أنشأت من الجير والحجارة . إضافة إلى زاوية لتحفيظ القرآن الكريم تتواجد بين قاعة الصلاة والضريح .

-**جامع الباب القبلي** : يقع من الجهة الجنوبية وخارج القصر، ويستعمل خاصة من طرف الغرباء دون الحاجة لدخول القصر. وبه قاعة للصلاة و زاوية لتحفيظ القرآن الكريم، وقد أنجز بمواد محلية.

مظاهر العمارة المدنية.

يعد قصر ليشانة نموذج حي في المنطقة فهو يمثل التكتلات السكنية المتلاحمة فيما بينها(الشكل37)، مشكلة بذلك مدينة أو قرية، تشغل أحيانا مساحات كبيرة وما يمكن ملاحظته حول هذا قصر هو أن بناءه يستجيب وشروط تخطيط المدينة الإسلامية، التي تكلم عنها كل من ابن الربيع والقزويني وابن خلدون. وهناك أهمية من خلالها نستطيع تتبع مراحل البناء للقصر ومكوناته ومنه التعرف على مدى قدرة الإنسان الصحراوي على التكيف والتأقلم في منطقة قاسية ومعزولة، وما هي العوامل والدوافع التي فرضت عليه الاستقرار فيها؟ هذا دون أن نغفل العلاقات الاقتصادية التي كانت سائدة في ولاية بسكرة(إقليم الزاب)والتي جددت نمط قيام الظاهرة بصفة دائمة أو مؤقتة، بحسب توفر الأوضاع المساعدة لذلك وأن هذه الحركة تفرض على الدارس أن يحدد و بشكل نسبي بأنها قد استقرت بهذه المنطقة، بعد أن وجدت لنفسها الكائن الحي و هو المدينة القصر، ونهدف من وراء دراستنا هذه إلى الوصول إلى الأسس التي قام عليها عمران قصر ليشانة وتطوره ولن يتأتى ذلك إلا بالقيام بدراسة مستفيضة لأهم مكوناته .

■ **أحياء قصر ليشانة:** يتشكل النسيج العمراني للقصر من عدد من الأحياء المتقاربة أو ما يعرف بالحارات. حيث تتكون كل حارة من عدة جزيرات، كل جزيرة عبارة عن مجموعة من المنازل المتلاحمة والتي تقطنها عائلات تجمع بينها علاقات القرابة، والحارات المتواجدة بالقصر هي:

- حارة المعتب: وتتواجد بالناحية الشمالية للقصر بمحاذاة باب البلد الذي يؤدي إليها عبر زقاق يتوسط الحارة ويمتد حتى الباب الغربي. وتتكون من مجموعة من البنايات السكنية وجامع به زاوية وبئر تعود للعهد الروماني.

- حارة الصوالح : بالنا حية الغربية للقصر، كان يقطنها اللاجئون من منطقة الزعاطشة القريبة بعد اقتحامها وتدميرها من طرف الجيش الفرنسي بقيادة العقيد هاربيون في نوفمبر1859 م واستشهاد الشيخ بوزيان الذي قاد المقاومة ضد الاحتلال .

- حارة القصر: تتواجد بالجهة الشرقية للقصر، وتضم مجموعة من السكنات ولا يوجد بها مسجد وقد بنيت في موقع كانت به منشآت رومانية ولا تزال أثارها واضحة في أساسات بعض البيوت .

- حارة الخنافرة: تحتل القسم الجنوبي الغربي من القصر والجامع وزاوية.

- **تحصينات ومداخل القصر**(مخطط37):

لا تتوفر بالقصر تحصينات خاصة بمعنى الكلمة، فلم يكن يوجد للقصر سور خاص لحمايته وإنما تلعب البيوت المحيطية المتلاصقة دور السور من خلال جدرانها الخارجية[1] التي تتميز بسماكة ومتانة زائدة وانعدام الفتحات إلى جانب أنها ذات طابقين لضمان الارتفاع الضروري للحماية. كما أن بعض الأجزاء بنيت على بقايا البناءات الرومانية التي زادت من علو ومتانة الجدران الخارجية (لوحة15،صورةب).. و لا توجد أيضا منشآت دفاعية أخرى كالأبراج والخندق وغيرها. ويتم الدخول للقصر من خلال أربعة أبواب على الجهات الأساسية الأربع، ومنها أخذت تسمياتها لوحة13، صورة د)(لوحة18،صورةا،ب،ج)

[1] - Ibid., p. 138.

- الباب الشرقي (من جهة الشمال الشرقي) ويسمى باب البلد ويؤدي إلى عين وحارة المعتب.

- الباب الغربي (من جهة الغرب).

- الباب القبلي (من الجنوب الشرقي).

- الباب الظهراوي (من الجنوب الغربي) ، ويعتبر هذا الأخير أهم الأبواب لأنه يؤدي إلى الطريق الرئيسي الذي يمتد للمسجد والسوق بوسط القصر.

- **المسالك والفضاءات العامة** :(المخطط38)(المخطط39)

لقد كان لضيق الشوارع في قصر ليشانة أهمية بالغة لما توفره من قلة تعرضها لأشعة الشمس المباشرة خاصة مع ارتفاع المباني والتنوع الحاصل ما بين الشارع و الحارة و الزقاق ولكل منها وظيفة حيث كان عرض الشارع يصل إلى أربعة أمتار و دوره التوصيل بين الأبواب الرئيسية و مركز القصر أما في الحارة فقد تراوح عرضه بين 2 أمتار و دوره الاستعمال في الحركة الرئيسية داخل الأحياء السكنية أما الزقاق فعرضه ما بين 1.5 إلى 3 إلى 2 متر تتعدد أشكال الفضاءات العامة في القصر حيث تتفرع في نسيجه شبكة من المسالك المتنوعة والضيقة في أغلبها، منها العامة وشبه العامة ومنها المغطاة والمكشوفة، وتمتاز المسالك بالتدرج وفق حجمها وأهميتها واستعمالها. فهناك محاور رئيسية عريضة نسبيا ومستقيمة نوعا ما، حيث كان توجيه الشوارع شرق -غرب أو شمال -جنوب،(لوحة14،صورة،د)في القصر خاصة من الشمال إلى الجنوب حتى يتم تحاشي تعرض واجهات المباني و الطرق إلى أشعة الشمس و لا تكون عمودية مع حركة الشمس الظاهرية.

أهمها المحور الممتد من باب البلد حتى الباب الغربي، وتتفرع منه بعض الأزقة شمالا وجنوبا . والمحور الممتد من الباب القبلي حتى الباب الظهراوي . تليها الأزقة وهي إما تفرعات من المحاور الأساسية أو تنطلق مباشرة من إحدى الباحات لتصل إلى بيت أو مجموعة من البيوت من الزقاق، وتكون ذات استعمال شبه خاص حيث يقتصر استعمالها على أهل الحارة والبيوت التي تؤدي إليها . أما الممرات فهي أضيق المسالك وتكون مغطاة في الغالب وتعتبر مسالك خاصة ، حيث تؤدي إلى مداخل البيوت مباشرة . وتمس التغطية مختلف المسالك بغض النظر عن نوعها، كما تكون دائما متقطعة حيث تبقى أجزاء مكشوفة من الشوارع

لوحة18،صورةد،و)، وذلك من أجل توفير الإنارة الطبيعية اللازمة . ونسبة المسالك المغطاة كبيرة لكن يتعذر تقديرها حاليا مع حالة التدهور المتقدمة التي آل إليها القصر لكن يبدو أنها تصل الثلث لوحة17،صورةب). كما تنتشر عدة ساحات تسمى بالرحبات، تستغل لأغراض مختلفة ، أهمها رحبة السوق الموجودة بجانب مسجد سيدي سعادة. لوحة13صورةو،ي).

- **مساكن القصر :(المخطط22)**

يتكون القصر من حوالي ثلاثمائة مسكن. كانت لوقت قريب مسكونة من طرف الأهالي حتى أواخر 1969م تمتاز بالتلاصق والتراص حيث لا يملك أغلبها إلا جهة حرة واحدة نحو الزقاق لوحة14صورةو).. وتمتاز أغلب المساكن بانتظام شكلها العام حيث يكون مربعا أو مستطيلا. كما تمتاز بصغر مساحتها وقلة عدد الغرف. وتتكون في أغلبها من طابقين. يحوي الطابق الأرضي لوحة15صورةو)،على "وسط الدار " (لوحة17صورةي) ،وهو عبارة عن فضاء معيشي لذلك فهو أوسع المجالات حيث تتراوح أبعاده بين3و5.4م. كما يلعب دور المنظم الرئيسي للحركة بين المجالات الأخرى. يحوي "وسط الدار " في كثير من الأحيان فتحة كبيرة مربعة الشكل في السقف تسمى "روزنة " لوحة17صورةد)،، تتراوح أبعادها بين1 إلى5.1 م، وترتكز زواياها على أعمدة من جذوع النخل. يتمثل دورها في توفير الإضاءة والتهوية الكافية وتعويض النقص في النوافذ، والتي تفتح في العادة في الطابق الأول لإعطاء خصوصية وحرمة لأهل المنزل واختلفت اشكال النوافذ بين المربعة والمستطيلة الشكل والتي تنتهي بعقد علي شكل حذوة الفرس(لوحة15،صورة ا،ج،د،و)،(لوحة14،صورةو)،ويتم التحكم في سعتها بواسطة غطاء من القماش أو السعف. و "وسط الدار " مع "الروزنة " يعوضان الحوش الذي يغيب في معظم المنازل . ويحوي المسكن قاعات أخرى وهي تعرف ب "بيت " أهمها المطبخ المعروف ب "الكانون " وغرفة الاستقبال المعروفة ب "بيت الضياف " . ويعتبر السلم (لوحة17،صورةا)، اهم وسيلة للولوج الطابق العلوي(لوحة17،صورةج)، فيحوي غرفة أو غرفتين[1] و "السطح " الذي يستخدم للاستفادة من ضوء

[1]- تسمى الحجرات في كثير من مناطق الصحراء بيتا أو حجرة أو دمسة (كما في سوف) إذا كانت في الطابق الأرضي ، وتسمى غرفة إذا وجدت في الطابق العلوي .

الشمس لبعض الأغراض (نشر الملابس، تجفيف التمور وبعض المنتجات الأخرى)أو للسمر والنوم ليلا في الصيف . وأحيانا يتواجد مكانه فضاء آخر هو "وسط الدار " الخاص بالطابق العلوي ، وقد زينت جدران المنازل من الداخل ببعض الزخارف البسيطة اغلبها هندسية ونباتية لتفادي الفراغ وإعطاء صبغة جمالية للمنزل (لوحة16،صورةا)، كما استعملت الجدار كوسيلة للتخزين بحيث دقت في جدرانها مسامير لتعليق الأغراض المختلفة خاصة التمور وقد استعملت مواد بناء محلية في البناء كالنخيل الحجارة وبقايا الحجارة الرومانية(لوحة14،صورةا).(لوحة17،صورةو).

قرية الدوسن*: تنوعت مظاهر العمارة الإسلامية بها وقد ركزنا في دراستنا لهذه القرية على قصر الدوسن كمظهر معماري بارز وصفه أثريا.

2: **قصر الدوسن** لوحة12،صورةا):

يقع في بلدية الدوسن، لقد تبين لنا من خلال العمل الميداني، أن القصر وافق الشروط التي جاء بها ابن أبي زرع[1] وابن خلدون[2] ثم ابن القاضي[3] فيما بعد والتي لابد منها لإنشاء المدينة وهي قول الأول: (... وقالت الحكماء أحسن مواضع المدن أن تجمع خمسة أشياء وهي النهر الجاري، والمحراث الطيب ، والمحطب القريب والسور الحصين، والسلطان ، إذ به صلاح حالها وأمن سبلها وكف جبابرتها ...)[4] . وقد جمع قصر الدوسن هذه الخصال التي هي كمال المدن وشرفها، وفضلاً عن ذلك أشار ابن خلدون إلى أنه :(... وجب أن يراعي ... دفع المضار بالحماية من طوارقها، وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها، فأما الحماية من المضار فيراعي لها أن يدار على منازلها جميعا سياج الأسوار، وأن يكون وضع ذلك في ممتنع الأماكن إما على هضبة متوعرة من الجبل ... حتى لا يوصل إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة فيصعب منالها على العدو و يتضاعف امتناعها

*تقع جنب غرب ولاية بسكرة تبعد عنها بحوالي 80 كلم يحدها شمالا بلديتي لغروس و الشعيبة وجنوبا بلدية أولاد جلال وشرقا بلديتي لغروس و ليوة يرجع ستيفن غزال أصل التسمية إلي أصول بربرية وتعني المكان المنخفض أو الأرض المنخفضة انظر: stGsel,Atlas arch,feuille48 n11,1957

[1]. ابن أبي زرع علي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، الرباط،1973، ص 33.

[2]. ابن خلدون: كتاب العبر، ج2، ص ص617. 621.

[3]. ابن القاضي أحمد: جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، ج1، الرباط، 1973، ص 42.

[4]. ابن أبي زرع : المصدر السابق، ص 33.

وحصنها ومما يراعي في ذلك للحماية من الآفات السماوية طيب الهواء للسلامة من الأمراض، فإن الهواء إذا كان راكدًا خبيثًا، أو مجاورًا للمياه الفاسدة أو المنافع متعفنة أو لمروج خبيثة، أسرع إليها العفن من مجاورتها ... والمدن التي لم يراع فيها طيب الهواء كثيرة الأمراض في الغالب ...))[1] . فإذا كانت المدن لم تراع هده لا شروط، أسرع إليها الخراب كما أورده ابن خلدون من شروط المدينة اتضح لنا أن قصر الدوسن قد وافق تلك الشروط وهنا نلاحظ أنه كان بها . نهر جار لم ينفد إلا في السنوات الماضية، واللافت للانتباه أن القصر بني . على هضبة وأحاط به سور كسوار بالمعصم كما كان بالقرب من المحطب والمرعى هذا دون أن ننسى الهواء العليل الذي كان به، وقد أضاف ابن القاضي في جذوة الاقتباس ما يلي : (حكي عن الحكماء أنها قالت : لا تستوطن إلا بلدًا فيه سلطان حاضر، وطبيب ماهر، ونهر جار، وقاض عدل، وعالم عامل، وأسواق قائمة، وقالت الحكماء أيضا : أحسن المدن هي التي تجمع خمسة أشياء : نهر جار، ومحرث طيب، وحطب قريب، وسور حصين، وسلطا قاهر، إذ به صلاح أهلها وتأمين سبلها))[2].

وعلى ضوء ما سبق توفرت في تأسيس قصر الدوسن جميع شروط بناء المدينة في العصر الإسلامي من المصادر التاريخية التي تصفحناها بشأن قصر الدوسن خلال العصر الإسلامي شحيحة جدًّا إلا بعض النتف المقتضبة على سبيل المثال ما أشار ابن خلدون في كتاب العبر حيث قال : ((... هذا البلد بسكرة هو قاعدة وطن الزاب لهذا العهد وحده من لدن قصر الدوسن بالغرب ...))[3] ،ولم يضف شيئاً يمكن أن يميط اللثام عن ما نصبوا إليه من معلومات، وهناك أخبار قليلة أوردها الوزان عن القصر مفادها : ((دوسن مدينة أزلية من بناء الرومان في النقطة التي تتاخم مملكة بجاية صحراء نوميديا، وقد خربت المدخل جنود المسلمين إلى إفريقيا لأنه كان بداخلها كونت روماني ... وقد أضرمت النيران فيها فاحترقت المنازل... وتظهر قرب الدوسن

---

[1]. ابن خلدون: المصدر السابق، ص ص617 . 621.

[2]. ابن القاضي: المصدر السابق، ج1، ص 42.

أنظر: عبد الأحد السبتي حليمة فرحات: المدينة في العصر الأوسط قضايا ووثائق من تاريخ الغرب الإسلامي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1994، ص ص15 . 17.

[3]. ابن خلدون: المصدر السابق، ج 12، ص 912.

أثار كأنها مقابر وعندما ينزل المطر يعثر فيها الصيادون على قطع غليظة من الذهب ... وقد هدم هذا القصر إثر زلزال أو طوفان ضرب المدينة ولم يبق منها سوى أسوار القصر...)[1] ، زيادة عن ذلك يقول مارمول كاربخال مضيفا معلومات شحيحة حول سكان القصر وجيرانه: (... يطوف على منطقة الدوسن أعراب أولاد سالم ...)[2] ، مما يوحي لنا بأن القصر كان يعج بالحركة خلال بداية الحكم العثماني وربما يرجع ذلك إلى فترة سابقة أي منذ استقرار المسلمين بها خلال القرن السابع الهجري. كما اعتمدنا على آراء بعض المؤرخين الفرنسيين أمثال CHERBONNEAU[3] وDELATTRE[4] وTOUSSAINT[5] بالرغم من أنها كانت متحيزة جدا للفكر الاستعماري الذي يذهب في معظمه إلى الحط من الأصول العربية الإسلامية لبلاد المغرب بإرجاع تاريخ هذه المنطقة إلى أصول رومانية، وهذا إجحاف واضح في حق منطقة الزاب عمومًا وقصر الدوسن خصوصًا .

أ. **وصف القصر** (شكل23)(لوحة12صورةأ):

نظرًا لعدم وجود دراسات حول هذا القصر، وبالتالي عدم التوصل إلى نتائج مرضية وهذا لا يتم إلا بإجراء حفرية علمية دقيقة لمعرفة نشأة وتطور القصر الأمر الذي جعلنا نعتمد على الوصف وإعطاء فرضيات وتأويلات نتيجة لتغير ملامح القصر إبان الاستعمار الفرنسي، وهنا ينبغي القول أنه بعد الكشف عن السور الأصلي الذي بلغ نحوًا من 350م على 300م وقاعدته مبنية بالحجارة المصقولة ولم يبق منها إلا بعض الحجارة والجص الممزوج بالملاط، يتراوح ارتفاع الأسوار المتبقية ما بين 1م و 50 سم وعرضها ما بين 1 م و 1,50م . والجدير بالذكر أن الأسوار في هيأتها الأولى وقبل أن يطرأ عليها الخراب كانت تحتوي في زواياها الأربعة أبراج. ونظرا لعمليات التخريب المتتالية تهدم جزء منه لكن أعيد ترميم القصر من الداخل في فترات لاحقة فتغيرت ملامحه الاصلية.

---

[1]. الوزان: المصدر السابق، ص ص، 140. 141.

[2]. مارمول كاربخال : المصدر السابق، ص 170.

[3] CHERBONNEAU : Annuaire de Constantine, 1862, p.152.

[4] DELATTRE ; Recueil de Constantine, Volume XXV, 1888-9-^274.

[5] TOUSSAINT : Bulletin de comité, 1905.p.58.

أما بخصوص المقبرة فإنها تقع في الزاوية الشمالية الشرقية لسور القصر، تقدر أبعادها بـ 150م طولاً و 100م عرضًا، وقد تعرضت هذه القبور للخراب الذي طالها من جراء فيضان الوادي أغرق نصفها، أما القبور الأخرى فلم يبق منها غير الحجارة المتراكمة بعضها على بعض وهياكل عظيمة نخرة. هذا وقد عثرنا على بقايا مطاحن داخل القصر الشيء الذي يؤكد أن مدينة الدوسن كانت نقطة إستراتيجية كونها إحدى مخازن المؤونة الرئيسية لمنطقة الزاب والمتمثلة أساسًا في القمح والشعير والتمر بشتى أنواعه[1] .

- **خلاصة:**

من خلال الدراسة الميدانية لقري الزاب الغربي توصلنا لحقيقة تاريخية وأثرية أن المنطقة شهدت ازدهارا عمرانيا كبير تجلي في العمارة التي أنتجها الإنسان المحلي بإمكانياته البسيطة وموارده الاقتصادية المحدودة ولم تخرج عمارة الزاب الغربي لولاية بسكرة في تخطيطها عن الشروط التي يجب توافرها في تأسيس المدن الإسلامية والقواعد والضوابط الفقهية الإسلامية التي تنظم المجال العمراني في هذا المجال إضافة لذلك نجد انتشار المدارس والزوايا بشكل كبير في تنافسية بين مناطق الجهة مما افرز لنا مناخا بيئيا كانت نتيجته العديد من العلماء ساهموا بشكل جلي في المنطقة كما وجدنا تأثرا وتأثيرا متبادل بين قري الزاب الغربي في الطراز المعماري سواء في العمارة المدنية او الدينية .

[1]Charbonneau ; op-cit.p.152

الفصـل الرابع:

مظاهر العمران الاسلامي بمنطقة بسكرة الشرقية

- تمهيد:

أولا. قرية سيدي عقبة:

1. مظاهر العمران الدينية.

2.مظاهر العمران المدنية.

ثانيا. قرية بادس:

1.مظاهر العمران الدينية:

2.مظاهر العمران المدنية:

ثالثا. قرية لقصر.

1. مظاهر العمران الدينية:
2. مظاهر العمران المدنية:

- خلاصة

أولا: بلدة سيدي عقبة.

تعتبر من بين البلدات التي ذاع صيتها في الزاب الشرقي لمكانتها التاريخية والدينية والعلمية، حيث تحتوي على معالم أثرية إسلامية مازالت شاهدا على الدور الذي لعبته عبر مراحل التاريخ.

1. الموقع الجغرافي:

تقع بلدية سيدي عقبة في منطقة انتقالية مناخيا، (بين نطاقين جغرافيين)، هما الشبه الجاف والصحراوي، أي المنطقة المسماة بالسهول الصحراوية، وهذا ما أعطاها موقع استراتيجي هام، كما أنها منطقة عبور للطريق الوطني رقم 83 الذي يربط مقر الولاية بكل من تبسة، وخنشلة مرورا ببلديات عين الناقة، وزريبة الوادي وخنقة سيدي ناجي إضافة للطريق الولائية رقم86 الذي يربط بلدية شتمه ببلدية الحوش مرورا بالتجمع الثانوي سريانه.

يحدها من الجهة الشمالية بلدية شتمة ومن الجهة الشمالية الشرقية، بلدية مشونش، أما الجهة الغربية بلدية بسكرة، ومن الجهة الغربية والجنوبية الغربية بلدية أوماش، أما الجهة الجنوبية بلدية الحوش والجهة الشرقية بلدية عين الناقة.(الخريطة12)

من خلال الخريطتين يتبين لنا أن موقع بلدية سيدي عقبة يتوسط الولاية. تتربع بلدية سيدي عقبة على مساحة تقدر بحوالي 254.55كلم^2 وهي مقر البلدية والتجمعين الثانويين قرطه وسريانه.

2. النشأة والتطور:

لقد شهدت المنطقة مراحل حضارية مختلفة فهي غارقة التاريخ حيث قامت على انقاذ مستعرة قديمة أسسها الرومان كتحصين ضمن تحصينات خط الليمس تعرف بتهودة وكانت النواة الاولى لمدينة سيدي عقبة وقد تطرقت لها المصادر التاريخية والجغرافية بالذكر والوصف وتهوده: قرية صغيرة تقع جنوب شرق بسكرة على بعد 4 كلم شمال واحة سيدي عقبة الحالية، واسمها مشتق من الاسم الروماني

القديم(THABUDEOS[1])، وفي "معجم البلدان" ورد لفظ تهودة بالفتح ثم الضم وسكون الواو والذال المعجمة وليس الدال مثلما هو متداول الآن، ويقول ياقوت الحموي[2]" أن تهوذة هو اسم لقبيلة بربرية بناحية إفريقيا لهم أرض تعرف بهم ".

وثابدوس(THABUDEOS)اسم لحصن من الحصون البيزنطية التابعة والواقعة على خط الليمس الذي كان يتكفل بحماية جنوب الأوراس (جبال النمامشة خاصة) وبسكرة و بادس، بها قلعة على شكل شبه منحرف اكتشفت من قبل جون براداز[3](Jean Baradez)(لوحة19،صورةب)،وهي مدينة قديمة ذكرت في الكثير من المصادر والمراجع منها ابن حوقل الذي يقول[4]: " ومن طبنة إلى بسكرة مرحلتان ومن بسكرة إلى تهوذا مرحلة*"، أما البكري[5] فيصفها أكثر من الجانب التاريخي والاقتصادي، حيث يقول" مدينة تهوذا وتعرف بمدينة السحر، وهي مدينة آهلة كثيرة الثمار والنخيل والزرع، وتهوذا مدينة أولية بنيانها بالحجر، ولها أموال كثيرة وحولها ربض قد خندق جميعه واستدار بالمدينة، وبها جامع جليل ومساجد كثيرة وأسواق وخنادق، ونهر ينصب في جوفها من جبل الأوراس، سكانها العرب وقوم من قريش، وإن كانت بينهم وبين من يجاورهم حرب أرسلوا ماء النهر في الخندق المحيط بمدينتهم يشربون منه و امتنعوا من عدوهم به "، كما يذكر أن بها بئر أولية لا تنزح وآبار كثيرة وهذا ما يتفق مع ما اكتشفه جون برداز(Jean Baradez)، ويطلعنا أيضا على وضعيتها في العصور الوسطى وعن أهم الأحداث التي عرفتها خلال الفتوحات الإسلامية على يد عقبة بن نافع بقوله[6]: " وقال في طريقه أمر إلى تهوذا وإلى مدينة بادس أعرب ما يكفيهما من العدة والجيوش، وكانا في ذلك الوقت من أعظم مداين المغرب، فلما انتهى إلى مدينة تهوذا اعتمد كسيلة بن لمزم في جيوش الروم...وقاتلوا وقتلوا جميعا، وقبر عقبة معروف بمدينة تهوذا "

---

[1] - Cambuzat . P -L, L'évolution des cites du tell en Ifrikya du VII ou XI siècle, T2, OPU, Alger, 1986, P202.

[2] ياقوت الحموي: المصدر السابق، المجلد2، ص64.

[3]Paul -Luis cambuzat ,op.cit., P203.أنظر-Baradez . J, op.cit., PP281-282.

[4] ابن حوقل: المصدر السابق، ص87.

* مرحلة مسافة تقدر بثلاث كيلومتر

[5] . البكري: المصدر سابق، ص ص72 أنظر. - 73. -Baradez . J, op.cit, P282

Cambuzat. P -L, op.cit, P204

[6]البكري: المصدر نفسه، ص74.

أما ابن عذارى[1] فذكر المدينة على أنها كانت المنطقة التي التقى فيها عقبة مع كسيلة وكانت المعركة بينهم " فركبه البربر في الجيوش العظيمة وغشيه بهم كسيلة بقرب تهودة "، ووصفه للمدينة يشبه ما جاء به البكري فهو يقول[2]"مدينة أزلية بنيانها بالحجارة، لها أسواق كثيرة وربض واحد، وبها جامع جليل ومساجد، وفنادق كبار، يسكنها قوم من البربر".

أما صاحب كتاب الاستبصار في "عجائب الأمصار" يزودنا بمعلومات هامة حول المدينة ويبين مدى حصانتها بقوله[3]: " حديقة أزلية عليها سور عظيم مبني بالحجر الجليل ولها أرباض كثيرة، يدور بجنبها خندق ولها نهر كبير ينصب إليها من جبل الأوراس....، وهي مدينة كبيرة لها حصنان وأرباض واسعة وبسائط كثيرة ومزارع جليلة...، وهي مدينة قديمة فيها آثار للأولين ولها مياه وعيون كثيرة...، وهي آخر بلاد الزاب " ، أما ابن خلدون[4] صاحب كتاب "العبر" فيرسم اسمها بحرف الدال وليس الذال، بأنها الموضع الذي أستشهد فيه عقبة بن نافع وصحبه وهي جزء من منطقة الزاب: " أولها زاب الدوسن، ثم زاب طولقة، ثم زاب مليلة وزاب بسكرة وزاب تهودا وزاب بادس "، كما اشار الورتلاني إليها بقوله[5]: " وهذه القرية كثيرة النخل والمزارع وهي على ماء جار حلو عذب بارد في الصيف ومع ذلك فهي أرض حارة في الصحراء غير أن ماءها يأتي من الجبال مملوك لبعض أهل القرية ومن كان خارجا منها، وقد تشرفت هذه القرية.... بهذا الصحابي (عقبة بن نافع) ". وبذلك فالمدينة تميزت بخصوبة ارضها ومياهها العذبة ومقصدر للاستقرار منذ الازل وهذا ما أكدته كل المصادر التاريخية والجغرافية بأنها مدينة أولية، أزلية. أما المراجع التاريخية الأجنبية فتؤكد قدمها وتحدد تاريخها مثل ستيفان كزال (Stephane Gsell) الذي يقول [6]بأنها مدينة قديمة تعود إلى العهد الروماني حيث عرفت باسمها (THABUDEOS)، تقع عند نهاية الواد الأبيض تربطها عدة طرق بمليلي و بادس، بها الكثير من الآثار الرومانية والبيزنطية التي تمتد على مساحة كيلوا متر مربع في المكان المسمى خربة بن عطية تتمثل في الأحجار المنحوتة

[1] ابن عذارى: المصدر السابق، ص29.

[2] المصدر: نفسه، ص30

[3] صاحب الاستبصار: المصدر السابق، ص ص174 -175.أنظر-Cambuzat. P -L op.cit, P205

[4] . ابن خلدون: العبر: المصدر السابق، ج6، ص ص511،173.

[5] . الورتلاني: المصدر السابق، ص114.

[6] - Gesell. S, op.cit ,feuille n°49, PP1-2.

والفسيفساء والجرار والحمامات والأبار،و يؤيده في ذلك جون برداز[1] (Jean Bardez) الذي عثر بها على الكثير من الآثار الرومانية والبيزنطية كالكتابات اللاتينية المنقوشة على الحجارة المنحوتة التي كان قد أشار إليها من قبل(Albertini)، ويضيف أنها عبارة عن قرية صغيرة تقع فوق تلة مرتفعة وهي ذات موقع استراتيجي وتعتبر حصنا هاما من حصون خط الليمس، إلى جانب اكتشاف قلعة صغيرة ذات شكل متعدد الأضلاع وشبه منحرف مبنية بحجارة منحوتة دائرية وجدرانها جد سميكة.

في ضوء ما سبق يمكن القول إن منطقة تهودة كانت عبارة عن مدينة عامرة توفرت بها كل شروط إقامة المدن (الحصانة، الخندق، المياه، وسهولة الاتصال لجلب المؤونة... الخ) وذات موقع استراتيجي وهو ما أكدته المصادر القديمة الأثرية والكتابات التاريخية. من ان قرية عقبة بن نافع قد أقيمت على أنقاض مدينة تهوده التي فقدت ومكانتها شيئا فشيئا، وتحولت إلى خراب، خصوصا بعد ما أصبح ضريح عقبة بن نافع مزارا ومقصد البركة و الدعاء. وشيئا فشيئا بدأت المناطق المجاورة له تشهد استقرارا للسكان خلال المراحل التاريخية المتلاحقة.

ويرجح أن يكون تأسيسها ونشأتها العمرانية قد جاء متأخرا يرجع إلى أوائل القرن التاسع والعاشر للهجرة وجعل العرب الساكنون من حولها يستوطنوها قصد البعد عن الفتن التي كانت دائرة آنذاك بين القبائل العربية وهجمات الأعراب على بسكرة، وفرارا من الأوبئة التي كانت تضرب منطقة بسكرة[2]بين الفينة والأخرى، خاصة وان شهرة الضريح كمزار كانت واسعة حيث كانت تستغله بعض القبائل كمورد مالي.

في هذا الصدد يقول برنشفيك[3]متسائلا " ألا توجد هناك علاقة بين موقع ضريح سيدي عقبة القريب جدا من ذلك المكان وبين الحظوة التي كانت تتمتع بها مجموعة بن عبد الوادي، الأوراسية؟ وهل كانوا يستغلون أدبيا

[1] - Baradez . J, op.cit , PP281-287. أنظر .

-Cambuzot . P-L, op.cit , P204 .

[2]الورتيلاني: المرجع السابق ص114.

[3]روبار برنشفيك: تاريخ افريقية في العهد الحفصيين القرن 13م إلى نهاية القرن 15م، ترجمة حمادي الساحلي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1988، ص325.

بل وحتى ماديا ذلك المزار المبجل؟ إلا أن هذا الطرح يخالف توزيع القبائل العربية في منطقة الزاب وفقا لما ذكره ابن خلدون.

.الجانب الغربي منه وقاعدته طولقة لأولاد محمد سباع بن يحي.

.الجانب الوسط وقاعدته بسكرة لأولاد محمد.

.الجانب الشرقي من الزاب وقاعدته بادس وتنومه فهو لأولاد ثابت رؤساء كرفه[1].

وقد بدأت عمارتها تنمو وتتطور مما ساعد اتساع عمرانها، شكل في فترة حكم الأشراف عليها خصوصا في أيام حكم الشيخ احمد بن الحاج وحفيده محمد الصغير، الذي كان شيخا عليها كسلفه ثم أصبح خليفة للأمير عبد القادر بالمنطقة وله ادوار كثيرة في محاربة الاستعمار.

3.المظاهر الدينية:

بناء على ما سبق، نتساءل عن أبرز المظاهر العمرانية التي عرفتها هذه القرية خلال مسيرتها التاريخية ومن خلال العمل الميداني والدراسة الأثرية استطعنا أن نستخلص أهم عناصرها المعمارية تمثلت أولا في:

أ. **جامع سيدي عقبة بن نافع:**

- **.ظرفية التأسيس.**

على بعد ثمانية عشر كيلومتر جنوب شرق مدينة بسكرة يقع ضريح سيدي عقبة، وجامعه الذي مازال يحمل اسمه لحد الآن. كما عرفت البلدية باسمه، فقد تطرقت له العديد من المصادر التاريخية وكذا المراجع بإسهاب.

- **نسبه.**

من المفيد جدا ونحن بصدد دراسة المظاهر العمرانية بهذه البلدية، ان نمهد له بنبذة موجزة عن حياة الفاتح عقبة بن نافع الذي ارتبط عمران المنطقة باسمه فمن يكون هذا الفاتح العظيم الذي كان له فضل السبق في نشر الإسلام؟

[1] ابن خلدون: المصدر السابق، ص7.

هو عقبة بن نافع بن عبد القيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن الظرب بن الحارث بن فهر، ومن فهر بن مالك تفرقت القبائل. وقال بن أبي الفياض إن عقبة ولد قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بسنة واحدة[1].بذلك فقد ولد على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، أما فيما يتعلق في صحبته، فوقع اختلاف كبير، منهم من يعتبره صحابي بالمولد، ومنهم من يعتبره تابعي.

ويذكر خير الدين الزر كلي[2]"هو عقبة بن نافع بن عبد القيس الأموي القرشي الفهري، (واحد هجري-ثلاث وستون هجري) الموافق لـ (ستمائة وواحد وعشرون ميلادي–ستمائة وثلاث وثمانون ميلادي). فاتح من كبار القادة في صدر الإسلام وهو باني القيروان. ولد في حياة النبي (ص)ولا صحبة له، وشهد فتح مصر وكان ابن خاله عمر بن العاص". ويؤكد علاقة النسب تلك بين عمر بن العاص وعقبة بن نافع الفهري أبو العباس البلاذري في كتابه "فتوح البلدان" حيث يقول[3] انه " لما فتح المسلمون مصر، بعث عمر بن العاص إلى القرى التي حولها الخيل ليطأهم، فبعث عقبة بن نافع الفهري وكان نافع أخا العاص لأمه". وهذا يعني ان نسب عقبة يمتد إلى أهم البطون العربية. كل من لم ينتسب إلى فهر فليس بقرشي، وقال على بن كيسان " فهر هو أبو قريش ومن لم يكن من ولد فهر فليس من قريش، وهذا أصح الأقوال في النسبة لا في المعنى"[4]. وبنو فهر بطن من بني كنانة، وهو فهر بن مالك بن النظر بن كنانة، ويقال لبني فهر من قريش الظواهر"[5]، وقريش الظواهر بنو محارب والحارث بن فهر وبنو الأردم بن غالب بن فهر وبنو هصيص بن عامر بن لؤي[6].

بالإضافة إلى هذا النسب، فقد مكنت عقبة بن نافع مشاركته في السن الرابعة عشر الفتوحات الإسلامية برفقة أبيه في الصحراء المصرية وبلاد النوبة تجربة وحنكة عسكرية كبيرة مكنته من توظيفها، وهو قائد في فتح إفريقية والمغرب. (انظر خريطة6)

---

[1] ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص19.

أنظر أيضا: ابن حجر العسقلاني: ص 80.

الأسيدي الدباغ: معالم الإيمان، ص44.

[2] خير الدين الزر كلي: المصدر السابق الجزء 5، ط2، ص 138.

[3] البلاذري: المصدر السابق، ص238.

[4] ابن عبد البر ألنمري القرطبي: القصد والأمم من الأمم، مكتبة القدسي، القاهرة، عام 1350هـ، ص 67.

[5]القلقشندي أبي العباس أحمد: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري ودار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ط3، 1991، ص554.

[6] المسعودي: المصدر السابق، ص46

ولعل طريقة استشهاده وما روي عنه من كرامات وأنه مستجاب الدعوة، جعلت من ضريحه مزارا يحج إليه الناس من كل صوب. تذكر المصادر التاريخية العديد، منها أنه أقام بمكان اسمه اليوم (ماء فرس) ولم يكن به ماء فأصابهم عطش شديد أشرف منه عقبة وأصحابه على الموت. فصلى عقبة ركعتين ودعا الله، وجعل فرس عقبة يبحث فيه برجليه في الأرض، حتى كشف عن صفات فانفجر منها ماء. فجعل الفرس يمس ذلك الماء فأبصره عقبة فناد في الناس أن احتفروا فحفروا حسبا، فشربوا واستقروا وسمي ذلك ماء فرس[1].

ويعتبر كارل بروكلمان[2] عقبة المؤسس الحقيقي للحكم العربي في إفريقيا الشمالية حيث يقول "انه على الرغم من اجتياز عقبة بجيوشه مناطق القبائل البربرية حتى الأطلس الأوسط، فإن البربر لم يخضعوا له خضوعا كاملا. فقد فر زعيمهم كسيله لينظم بالاتفاق مع الحاميات البيزنطية الباقية في البلاد للمقاومة ضد العرب. بعد ذلك قسم عقبة جيشه في غير حذر، واندفع في الطريق إلى جبال الأوراس على رأس فرقة صغيرة. وفي سنة 683م أوقع به البربر عند تهودا على طرف الصحراء الكبرى، فقتل وقتل المسلمين جميعهم. ويتفق اغلب المؤرخين على أن عقبة وصحبه، بما فيهم أبو المهاجر الذي كان في وثاقه استشهدوا بطريقة شجاعة تنم عن صفات هؤلاء الفاتحين وعن إيمانهم بعقيدتهم. ويصف في هذا الصدد ابن عذارى

المراكشي [3]هذه الطريقة أي استشهاده "إن عقبة لما وصل إلى مدينة طبنة[4] أمر أصحابه فتقدموا ثقة منه بما دوخ من البلاد، وأنه لا يقوم له أحد ... فصرف أصحابه إلى منازلهم عند قربهم منها، وصار هو إلى مدينة تهودة لينظر فيمن يصلح لها من الفرسان. فلما انتهى إليها في بقية من معه وكانوا قليلا نظر الروم إليهم فطمعوا فيهم، فأغلقوا باب حصنهم وجعلوا يشتمونه ويرمونه بالحجارة والنبل وهو يدعوهم إلى الله عز وجل، فلما توسط البلاد بعث الروم إلى كسيله بن لمزم الأربي وقيل البر نسي...فركبه البربر في الجيوش العظيمة وغشيه

---

[1] عبد الحكم: المصدر السابق، ص 53.

[2] كارل بروكلمان: تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7 ،1977، ص 127.أنظر أيضا: شارل أندري جوليان: تاريخ أفريقية من الفتح الإسلامي حتى 1830م ج2، ت محمد مزالي والبشير بن سلامة، الدار التونسية،1978، تونس، ص22 "ومعلوم أن جثمان عقبة مدفون في مسجد الواحة التي تحمل اسمه (سيدي عقبة) على بعد 5كلم جنوب تهوده تحت قبة متواضعة البناء يحج إليها أحفاد الذين ساهموا في مقتله"

[3] ابن عذارى المراكشي: المصدر السابق، ص 29. انظر أيضا

. ابن عبد الحكم، فتوح البلدان، المصدر السابق ص، ابن خلدون: تاريخ بن خلدون، المصدر السابق، ص 172.

[4]طبنة: ذكرت في العديد من المصادر، منها الاستبصار والبكري وابن خلدون " وهي مدينة كبيرة قديمة عليها صور من طوب ولها حصن قديم عليه صور من صخر جليل ضخم متقن البناء من عمل الأوائل ولها أرباض واسعة وهي مما افتتح موسى بن نصير حين دخل بلاد إفريقية والمغرب وبلاد الأندلس فبلغ سبيها 20 ألف رأس .... ولم يكن من القيروان إلى سجلماسة مدينة أكبر منها.

بهم كسيله بقرب تهودة[1]. فنزل عقبة (رضه) وركع ركعتين، وقال لأبي المهاجر: ألحق بالمسلمين فقم بأمرهم فأنا أغتنم الشهادة فقال له أبو المهاجر وأنا والله أغتنمها معك. فكسر كل واحد منهما جفن سيفه وكسر المسلون كذلك أغماد سيوفهم وأمرهم أن يترجلوا عن خيولهم، فقاتلوا قتالا شديدا حتى بلغ منهم الجهد وكثر منهم الجراح وتكاثر عليهم العدو، فقتل عقبة وأبو المهاجر ومن كان معهما من المسلمين ولم يفلت منهم أحد إلا بعض وجوههم أسروا ففداهم صاحب قفصه وبعث بهم إلى زهير بن قيس".

وعلى مسافة ثمانية كيلومترات جنوب تهودة التي دارت بقربها المعركة دفن مع أصحابه بجوار بسكرة، فأصبح مدفنه مزارا ومحلا للبركة في المغرب الأوسط وتخليدا لهذه الذكرى عرفت القرية كلها باسم سيدي عقبة.[2] وقبر عقبة اليوم بمدينة تهوده على مقربة منها بمرحلة[3]، ونرجح ان عقبة بن نافع اتخذ مسلكا من طولقة إلي سيدي عقبة متبعا طريقا معروفا عند الرومان كما ان هذه المنطقة من بين القلاع التي أقامها الرومان على مصبات الاودية في منطقة الاوراس (انظر خريطة 4).

كما يذكر ابن خلدون " أولئك الشهداء عقبة وأصحابه بمكانهم ذلك من أرض الزاب بهذا العهد. وقد جعل على قبره أسنمة ثم جصص، واتخذ عليه مسجدا عرف باسمه وهو في عداد المزارات ومطان البركة، بل هو أشرف مزور من الأجداث في بقاع الأرض بما توفر فيه من عدد الشهداء من الصحابة والتابعين الذين لا يبلغ أحد"[4]كما يقول إنه أسر من الصحابة يومئذ، محمد بن أوس الأنصاري ويزيد بن خلف القيسي ونفر معهم ففداهم بن مصاد صاحب قفصه[5]، ولعل هؤلاء الأسرى هم من دل على قبر عقبة وأصحابه.

ونعود الان إلى دراسة وبحث مسالة بناء جامع عقبة ابن نافع لم تشر المصادر التاريخية إلى تأسيس جامع عقبة بن نافع وتاريخ بنائه فاكتفي الرحالة والجغرافيين بالإشارة إليه دون البحث عن تاريخ تشييده وإنشائه،

---

[1] تهوده: ذكرتها المصادر التاريخية ووصفتها، بأنها مدينة كبيرة قديمة أزلية، عليها صور عظيم مبني بالحجر الجليل، ولها رياض كبيرة ولها أرياض كبيرة. يدور بجميعها خندق ولها نهر كبير ينصب إليها من جبل أوراس، فإذا كانت بينهم وبين أحد حرب وخافوا النزول إليهم أجروا ماء ذلك النهر في الخندق المحيط ببلدهم، فامتنعوا منه. وهي كثيرة البساتين والزرع والنخل وجميع الثمار. انظر البكري المصدر السابق وابن خلدون المصدر السابق.

انظر أيضا: FN 49, st.Gsell: atlas archeologique"مدينة على مصب الوادي الأبيض مدينة رومانية ثابيديوس.

[2] رشيد بورويبة وآخرون: الجزائر في التاريخ (العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 23.

[3] الاستبصار: المصدر السابق، ص175.

[4] ابن خلدون: المصدر السابق، ص 172

[5] نفسه، نفس الصفحة.

مثل البكري، ابن خلدون، الورتلاني، والعياشي ويقول لوبون[1] "أن هذا المسجد هو أقدم أثر ديني إسلامي في إفريقيا". إلا أن المصادر التاريخية والمادية تنفي ذلك فهناك ما هو أقدم منه وهو مسجد القيروان الذي أمر ببنائه عقبة بن نافع سنة خمسون للهجري الموافق لـ ستمائة وسبعون ميلادي.

كما يذكر كارل بروكلمان[2]" والواقع أن المسجد الذي يضم رفاته في المنطقة التي تحمل اسمه سيدي عقبة جنوبي بسكرة، هو أقدم أثر في فن العمارة الإسلامية في إفريقية ويعود إلى وقت كانت فيه العمارة لا تزال بسيطة بدائية". ويضيف قائلا " فكانت المساجد تتألف من فناء، في أحد طرفيه سقيفة على غرار بيت النبي في المدينة، ولكن هذه البساطة لم تلبث أن أصبحت زيا قديما."[3]

إلا أن المصادر التاريخية والأثرية تدحض هذه الآراء، فمسجد القيروان الذي اختطه عقبة بن نافع في سنة 50 هجرية. يعد أول أثر ديني إسلامي في المنطقة، وحتى الشواهد الأثرية التي توجد بالمسجد والضريح، فهي لا تعطينا صورة واضحة على تأسيس المسجد. فشاهد القبر الموجود على ضريح عقبة بن نافع يفتقر للسنة التي وضع فيها أما الكتابة المنقوشة على جزء من عمود روماني* جلب من خرائب تهودة التي توجد في إحدى زوايا المسجد فهي والمؤرخة 128 للهجرة لا تعطينا صورة واضحة على تأسيس المسجد (صورة19ج)، وحاول جورج مارسي[4] أن يقارن بين الكتابة الكوفية التي وجدت على الضريح وكتابة وجدت في القيروان في القرن الخامس هجري الموافق لـ الحادي عشر ميلادي. وعلى أساس ذلك يؤرخ لبناء الجامع، ويرجح عبد العزيز شهبي[5] تاريخ بنائه إلى الفترة الممتدة ما بين، القضاء على مملكة الكاهنة سنة 82 هجري الموافق لـ 701 ميلادي وبين نهاية حكم أسرة الفهريين في إفريقية سنة 140 هجري الموافق لـ 758 ميلادي.

---

[1] Gustave le bon: la civilisation des arabes, S.N.E.D, Algérie. p196

[2] كارل بروكلمان: المرجع السابق، ص127.

[3] المرجع نفسه، ص140.

* عثر عليها الباحث والمؤرخ زهير الزاهري في قرية قرطة القريبة من مسجد سيدي عقبة في ثمانينات القرن الماضي وقام بوضعها في مسجد سيدي عقبة

[4] Marçais. George :l architecture musulmane d'occédent, PP ,70-71

[5] شهبي عبد العزيز: مساجد الزاب ووادي ريغ دراسة أثرية معمارية، رسالة دكتوراه درجة ثالثة، جامعة الجزائر، 1984، ص20.

وقد تطرقت بعض المراجع التاريخية لهذا المسجد حيث يقول الدكتور حسين مؤنس[1]"لا نزاع في أن هذا المسجد يعتبر أقدم مساجد المغرب بعد مسجد القيروان، فالراجح أنه نشأ أول الأمر بحا أو روضة في الموضع الذي استشهد فيه هذا الصحابي الفاتح العظيم... ولا شك أن المسجد قد تناولته يد الترميم مرة بعد مرة قبل أن يصل إلى شكله الحالي، ولكنه ما زال محتفظا بهيئته البسيطة التي ترجع إلى عصوره الأولى".

حسب الأستاذ الدكتور صالح يوسف بن قربة فإن قضية تاريخ بناء مسجد عقبة بن نافع مازالت معلقة بسبب غياب الأدلة التاريخية وانعدام القرائن المادية الأثرية المعاصرة، وليس بين أيدينا مصادر أدبية وأثرية تحدد لنا تاريخ تأسيس مسجد سيدي في الوقت الحالي[2]

وقد شهد المسجد إصلاحات وترميمات عدة من قبل الأهالي في البداية(شكل 44)، وتواصلت مع مر الزمن حسب إمام المسجد (الزبيري)، منها ما قام به الأغالبة عندما كانت منطقة الزاب خاضعة لهم، من إضافات وفي عهد حكم الأمير الزيري المعز بن باديس ما بين(406هـ و454هـ) الموافق لـ(1062م و1106م) حيث تم ترميم وإصلاح المسجد وتم إضافة شريط كتابي جاء فيه " هذا قبر عقبة بن نافع الفهري "، بالإضافة إلى صنع ووضع الباب التذكاري الذي صنع وزخرف في مدينة طبنة والمعروف حاليا بباب طبنة.[3]كما يذكر المؤرخين و علماء الآثار كغولفن[4]،بورويبة،[5]ومارسي[6]. حيث يقول هذا الأخير" ففي النصف الأول من القرن الحادي عشر تلقى مسجد سيدي عقبة الزخرفة التي نتأمل آثارها "[7].

ويحاول جورج مارسي التأكيد على عمليات الإصلاح التي تعرض لها المسجد بقوله "... هناك مستند آخر يسمح لنا أيضا بتحديد التاريخ (أي تاريخ الإصلاح) وهو الكتابة الكوفية المنقوشة على الحجر (لوحة19،صورة د) ، والتي هي الآن مرصعة في إحدى زوايا الضريح... ليس لها تاريخ، ولكن شكل الحروف يعطينا معلومات مفيدة

[1] حسين مؤنس: المرجع السابق، ص231

[2] بن قربة صالح يوسف: أبحاث ودارسات في تاريخ وآثار المغرب الإسلامي وحضارته، دار الهدى، عين مليلة،الجزائر.2011، صص14-59

[3] ابن خلدون: المصدر السابق، ص 217.

[4] Lucien. Golvin: le Maghreb centrale à l'époque des Zirides P.P 86,90.

[5] Bouruiba ,Rachid .L'art religieux musulman en Algérie, S. N .E . D. 2Edition, Alger 1981, P57.

[6] Marçais. George : l'architecture musulmane d'occident, PP ,70-71.

[7] Marçais. George : mélange d'histoire et d'archéologie op.cit., P156.

وتقريبا كل الحروف التي تكونها. لها ما يشابهها في خطوط الكتابة التونسية الموجودة في مقابر القيروان، والتي تعود إلى القرن الحادي عشر ميلادي.[1]ويذكر بورويبة، أن إصلاح المسجد تم على يد المعز بن باديس الزيري عندما هجم على الزاب في الفترة ما بين 429 هجري الموافق لـ 1037 ميلادي، والذي أقام سنتين في المنطقة في هذه الظروف، يكون قد تم إصلاح وتجهيز المسجد.[2]كما شهدت المرحلة العثمانية إصلاح المسجد وطالته يد الترميم، والشواهد كثيرة حيث تؤرخ لذلك الكتابات الموجودة بالمسجد والتي تعود إلى 1800م وفقا لقراءته لكلمة د. شير على الكتابة المنقوشة على المحراب.

وحسب إمام المسجد الزبيري وعبد المجيد بن حبة وزهير الزاهري، وهم من أعيان المنطقة. وحسب رواياتهم فقد كان الأهالي يقومون بعمليات الترميم وفقا لطبيعة المنطقة و طرق البناء المحلية، و التي تعتمد على المواد الأولية كاللبن و التبن و جذوع النخل و الجص، ونظرا لطبيعة المنطقة المرفولوجية و الفيزيولوجية، و التي تتميز بوجودها في منخفض وملتقى أودية كوادي العرب و الوادي الأبيض ووادي مزيرعة و التي كلها تصب في شط ملغيغ، وعادة ما يؤدي ذلك إلى حدوث فيضانات و إلى كوارث طبيعية ولهذا يسارع السكان المحليون بالترميم و التجديد كلما سنحت الفرصة(شكل45)، مثلما حدث بعد الاستقلال حيث تعرضت المنطقة بأكملها(الزاب) إلى فيضانات كبيرة سنة 1960م. هذه الترميمات والإصلاحات التي تمت على المسجد جعلت من الصعب تحديد تاريخ بنائه رغم محاولات البعض، إلا أن عمليات الترميم الأخيرة التي أدخلت على المسجد في إطار الاهتمام به كمعلم تاريخي أثري سنة 1997م. كشفت عن المواد الأولية المستعملة في بنائه، كالأعمدة والتيجان، وهي عبارة عن أعمدة حجرية بيزنطية نعتقد أنها من بقايا مدينة تهودة، التي خربت بعدما أصبح الضريح عامل جذب للسكان(لوحة 19،صورةو،ي).

[1]Marçais. George : op.cit., même p.

[2]بورويبة رشيد: الكتابات الأثرية في المساجد الجزائرية، ص229.

- **الدراسة المعمارية لجامع عقبة بن نافع:**

  - **الوصف العام للمسجد**[1] **:**(لوحة 24، صورة و)

يشغل المسجد مسطحا غير منتظم مقاساته (60م.x37م)(شكل46) يتكون من بيت صلاة يتوسط المبني، ويحيط به من الجهات الثلاثة: الشمالية، الشرقية، الغربية. ويتقدم الجامع بيت الوضوء وعدد من الغرف الملحقة به.ندخل إلى الجامع من بابه الرئيسي الموجود بالناحية الجنوبية عرضه 12متر، وينقسم إلى أربعة مداخل صغيرة يفصل بينها ثلاث دعامات، تحمل في أعلاها عقودا نصف دائرية الشكل.

بهذا نصف جامع سيدي عقبة ضمن المساجد غير المنتظمة الشكل (شكل47،48)، فقد كانت المساجد في الفترة الإسلامية المبكرة تنحصر في حدود مربعة أو شبيهة بالمربع، ثم بدأت حدود المسجد تخضع لمقتضيات العمران وتتقيد بالمكان المخصص لها[2]. أما المسجد بصفته النموذج الأول للعمارة الإسلامية الدينية، الذي نشأ تلقائيا حسب متطلبات فريضة الصلاة[3]. فالمسجد النبوي في المدينة هو أول مسجد أختط في الإسلام.[4](انظرشكل04)

وبهذا فإن الشكل العام لجامع سيدي عقبة يشبه مسجد الأقمر بالقاهرة، ومسجد عليبتشينوالمسجد الداخلي للقصبة بمدينة الجزائر[5]. أما الجدران فتتميز بالسمك، حيث يبلغ سمكهم 80سم، ونجد أن مواد البناء المستعملة هي مواد محلية الصنع تتمثل في الطين والحجارة، إضافة إلى تلبيس الجدران من الداخل بمادة الجص على غرار المسجد النبوي بالمدينة[6].

---

[1] محمد بن عبد الله الزركشي(ت794ه): إعلام الساجد بأحكام المساجد دار الكتاب المصري القاهرة ودار الكتاب اللبناني بيروت تحقيق أبو الوفا مصطفي المراغي ط2،1989، ص26 "فهو مفعل بالكسر اسم لمكان السجود، وبالفتح اسم مصدر قال أبو زكريا الفراء: كل ما كان على فعل يفعل كدخل فالمفعل منه بالفتح أسما كان أو مصدرا ولا يقع فيه الفرق مثل دخل دخلا. قال في الصحاح: والمسجد بالفتح جبهة الرجل حيث يصيبه السجود".

: اصطلاحا: مؤسسة دينية، اجتماعية، سياسية، تربوية، اقتصادية ويسمى حاليا ومجازا بدار العبادة لما أتى على دوره الريادي من تقلص. من المعروف عن المسجد هو إقامة الصلوات الخمس به بين الجماعة بالإضافة إلى صلاة الجمعة ولكن ما ورد هو أحد أدوار المسجد، وسمي مسجدا لأنه مكان للسجود لله، ويطلق على المسجد أيضا اسم جامع، وخاصة إذا كان كبيرا، وقد أشار حسين مؤنس إلى أن ذكر المسجد والمساجد المسجد الحرام ورد في القرآن الكريم بلفظها ثمانية وعشرين مرة

[2] فكري احمد: مساجد القاهرة ومدارسها، ج1، العصر الفاطمي، دار المعارف، مصر، 1965، ص126.

[3] سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون: دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ط2، ذات السلاسل، الكويت، 1986، ص456.

[4] المرجع نفسه: ص471.

[5]Dokali(R), les mosquées de la période turque d'Alger S.N.E.D planche2et9, Alger 1974, p88

[6] شافعي فريد: العمارة العربية في مصر الإسلامية، مجلد1، (عصر الولاة)، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، مصر، 1970، ص65.

- **بيت الصلاة:** (لوحة24، صورة و)

تأخذ بيت الصلاة في جامع سيدي عقبة شكلا غير منتظم، مقاساته(23مX22 م) على غرار مسجد سوس بتونس والقرويين بفاس[1]، والمسجد البراني للقصبة بمدينة الجزائر[2].يحيط بها أروقة من الناحية الشرقية والغربية، ويتألف من سبع بلاطات عمودية على جدار المحراب تجتازها سبعة أساكيب موازية له، يبلغ عرض البلاطة الواحدة 2,40م، ولكنها تختلف من حيث الطول، فبلاطة المحراب والثلاثة التي على يسارها يعادل طولها عمق بيت الصلاة، أما البلاطات الثلاث على يمين المحراب فطولها 12,90م، ويرجع هذا الاختلاف في المقاسات إلى وجود الضريح وقاعة على يمينه.

فيما يخص الاساكيب فهي تختلف من حيث المقاسات إذ يبلغ عرض أسكوب المحراب والثلاثة التي تليه 3,30م، أما طولها فيعادل طول ضلع بيت الصلاة، و الأسكوبين الآخرين الموجودين بمؤخرة بيت الصلاة محصورين بين الجدار الشرقي وجدار الضريح يبلغ عرضهما 2,70م، أما طولها فيقدر بـ 9,60م، ويليهما أسكوب أخير محصور بين الجدار الشرقي وجدار المئذنة، ويبلغ عرضه3,90م أما طوله 12,60م. و تنحصر جميع الاساكيب بين ستة صفوف من الأعمدة يحمل كل صف منها بائكة من العقود.بيت الصلاة (لوحة25، صورة ا،ب،ج)و (لوحة26صورةو).

-الصحـن:

يختفي الصحن بجامع سيدي عقبة، حيث تم تعويضه برواق من الناحية الشمالية والشرقية .

. الرواق الشمالي: عبارة عن مضلع غير منتظم طوله 25,50م، وعرضه يتراوح ما بين 8,50م و12,50م، ويشتمل على صفين من الدعامات بكل صف ثمانية دعامات وصف ثالث يشتمل على ثلاث دعامات فقط.

.الرواق الشرقي: فيبلغ طوله 21,20م وعرضه يتراوح ما بين 5,90م و6,20م ويشتمل على صف واحد به سبعة دعامات وفتح بمقدمة الرواق من الجهة الجنوبية مدخل عرضه 2م. لهذا فإن جامع سيدي عقبة يخرج عن نمط المساجد العامة لأن للصحن أهمية كبرى في عمارة المسجد، وكل مساجد شمال إفريقيا أخذت نمط

[1]Bouruiba Rachid : apport de l'Algérie a l'architecture religieuse arabo- islamique, O.P.U, Alger, 1986, PP 64-65 .

[2]Dokali (R) :op.cit ., p 2

صحونها من مسجد القيروان قبل القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي وبهذا فهو يصنف ضمن المساجد الصحراوية الخالية من الصحون، حيث حلت محلها أروقة للضرورة المناخية، وهذا يختلف عن المساجد الأخرى في المنطقة منها جامع سيدي موسى الخذري أو مسجد أولاد جلال على غرار المسجد النبوي إذ أن عمقه أكبر من عرضه[1]. وكان الصحن بمسجد سيدي عقبة عبارة عن رواق يحيط ببيت الصلاة وهو يمتد من الزاوية الشرقية إلى الزاوية الغربية مثل أروقة المساجد العثمانية بتونس وطرابلس) [2].

وموقع الصحن بالجانب فهذه ظاهرة عرفتها المساجد الفاطمية، كما نجدها بجامع حسان بالرباط الذي يعود إلى الفترة الموحدية، وهو يحتوي على صحنين جانبيين شرقي وغربي[3]. ويذكر هنري سيمون وجود مدخل ورواقان بالمسجد[4] .

-ملاحق المسجد:

يحتوي جامع سيدي عقبة على العديد من الملحقات كلها مستحدثة، ما عدا غرفة الضريح التي سبق تأسيسها الجامع، ومنها غرف عددها تسع أهمها غرفتين على يسار المحراب وثالثة بالركن الأيمن للجدار الجنوبي إضافة إلى غرفة رابعة بجدار الضريح وكل هذه الغرف مخصصة للتعليم الديني وإيواء الطلبة على غرار جامع القيروان والزيتونة في كل من المغرب وتونس[5]. وقد كانت تستعمل للتعليم ومسكن للطلبة وتؤدي وظيفة مأوي للائمة والزوار وذلك لان المسجد كان عبارة عن زاوية دينية وعلمية بالإضافة إلى دوره الرئيسي وهو مسجد للصلاة والحلقات الفقهية وقد أزيلت معظم هذه القاعات والغرف من المسجد بعد إصلاحه وما بقيت إلا غرفتان وقاعتان حيث نجد غرفة في الزاوية الجنوبية وغرفة في الزاوية الشرقية لبيت الصلاة وقاعة في الزاوية الشرقية للمسجد[6]. كما تزود المسجد بئر تقع في الجزء الجنوبي.

---

[1]Golvin .(Lucien) : la musqué ses origines, sa morphologie ses diverses, fonction son rôle dons la vie musulman plus spécialement en Afrique du nord, édition palais d'hiver, Alger, 1960, P48.

[2]Bouruiba, (R) : note sur les plans des mosquées, p52

[3]Grandet (D) Architecture et urbanisme islamique O.P.U, Alger, 1992, P39.

[4]Simon.h: notes sur le musoleé de sidi Okba, "revue africaine" anneé1909, p46

[5] فكري أحمد: مساجد القاهرة ومدارسها، العصر الفاطمي، ج1، دار المعارف، مصر1965، ص126.

[6] رشيد بورويبة: المساجد الأثرية: المرجع السابق، ص53.

-غرفة الضريح:(لوحة 24، صورة،ج) تشغل مساحة مربعة 25م2، طول ضلعها 5م وتعلوها قبة بسيطة، وفتح في جدارها الجنوبي باب عرضه 3م يطل على بيت الصلاة. فتح فيها مدخل على الجهة الشرقية وهو مخصص للنساء. أما الضريح فهو يتوسط الغرفة مجصص

-المداخل :(لوحة 26، صورة ي):

يحتوي جامع سيدي عقبة على سبعة أبواب موزعة على الشكل التالي:

الأول: يقع على مستوى الأسكوب الثالث

الثاني: على مستوى الأسكوب الرابع

الثالث: على مستوى الأسكوب السادس، وتؤدي جميعها إلى الرواق الشرقي ويبلغ عرضها 1,30م .

بابا رابعا: بالبلاطة الأولى على يسار المحراب يؤدي إلى غرفة، ويبلغ عرضه1م.

بابا خامسا: بين البلاطة الأولى والثانية على يمين المحراب، يؤدي إلى غرفة الضريح ويبلغ عرضه 3م .

أما الباب السادس: فقد فتح بالأسكوب السابع ويؤدي إلى المئذنة، ويبلغ عرضه متر الباب الأخير: يوجد بالبلاطة الثالثة الواقعة على يمين المحراب بالزاوية الشمالية الغربية عرضه 1,30م، ويؤدي إلى غرفة مستطيلة الشكل، ويبلغ ارتفاع جميع الأبواب 2,50م. أما المدخل الرئيسي للجامع، فيقع في الناحية الشمالية وعرضه 12م وتتوزع عليه ثلاث دعامات تقسمه إلى أربعة مداخل صغيرة، ويؤدي هذا المدخل إلى رواق الجامع.

ويعود هذا الإكثار من الأبواب، إلى كبر حجم بيت الصلاة، وللتقليل من الازدحام عند دخول المصلين. كما أن المساجد المبكرة تميزت بتعدد المداخل، خاصة بالجدران الجانبية غير جداري القبلة والمؤخرة[1]. إضافة إلى امتياز هذه المداخل بالبساطة على غرار المساجد المبكرة .

[1] فكري أحمد: المرجع السابق، ص 55

-النوافذ:

تحتوي بيت الصلاة بجامع سيدي عقبة، على العديد من النوافذ مختلفة المقاسات، وعدة شمسيات على يمين المحراب. نجد كذلك نوافذ صغيرة عند طرفي كل بلاطة بأعلى الجدران، وتكمن وظيفية النوافذ، في الإضاءة. أما قلة الفتحات والنوافذ فراجع ذلك لحرارة المناخ بالمنطقة وعوضت بالمداخل، للسماح بأكبر قدر من التهوية والإضاءة.ومن الواضح أن وجود الفتحات في الحوائط الحاملة من شأنه إضعاف المبني، ولتجنب ذلك وجب تقليل الفتحات ذات الاتساع الكبير، وتفضيل الفتحات الضيقة وتعويض الضيق بعمل ارتفاعها كبير نسبيا[1].

-وسائل الدعم:

. الأعمدة:(لوحة25، صورة ب،ج) يحتوى الجامع، على ستة وثلاثين عمودا(سارية) مغطاة بالجص، تتوزع على ستة صفوف. الثلاثة الأمامية منها تشتمل على ثمانية أعمدة، أما الثلاثة الخلفية ففي كل صف منها أربعة أعمدة، وقد استعملت في هذه الأعمدة جذوع النخيل، وربطت ببعضها البعض لإعطائها القوة. وقد سمحت عمليات الترميم الأخيرة التي أجريت على المسجد من اكتشاف أعمدة حجرية بيزنطية، نعتقد أنها جلبت من موقع قريب، وهو تهودة بعد خرابها واستعملها سكان المنطقة في بناء المسجد (لوحة 24صورةأ، ب) ويذكر سيمون[2]أن بيت الصلاة في مسجد سيدي عقبة تحتوي على صفوف كثيرة من الأعمدة وهي من حجارة الاوراس وهي مغطاة بطبقة سميكة من الجص.

-التيجان:

وجد العرب في جميع البلاد التي وصلوها، عددا كبيرا من المباني الرومانية والبيزنطية المتداعية أو المهجورة، وانتفعوا بأعمدتها وتيجانها كما تشهد بذلك مبانيهم الأولى التي تضم عددا غير قليل من الأعمدة الغريبة المصدر.

[1] محمد عبد الستار عثمان: أخميم في العصرين القبطي والإسلامي (دراسة تاريخية أثرية)، مجلة العصور، الإسكندرية، 1982 ص239.

[2]Simon.h: op.cit, pp36-46

يبرز لدينا نوعان من التيجان تتمثل في الشبه منحوتة والمزينة بورقة الاقنثة. ويظهر النوع الأول ببيت الصلاة التي تحتوي على ستة وثلاثين تاج شبه منحوت (لوحة 25،صورة،ب)،(الشكل49)وهي مغطاة بطبقة من الجص، يبلغ ارتفاعه الكلي 60سم، ويتكون من جزأين، الجزء العلوي عبارة عن متوازي الأضلاع، ارتفاعه 30سم وطول ضلعه 48سم. أما الجزء الأسفل، فهو عبارة عن هرم مقلوب قاعدته أسطوانية قطرها30سم عند القاعدة و48 سم عند القمة، أما ارتفاعه 30سم. وقد جلبت من تهوده بعد خرابها وهذا ما دلت عليه عمليات الترميم الأخيرة التي أجريت على المسجد سنة1997م.

وهذا النوع من التيجان انتشر في العهد البيزنطي حيث يأتي التاج على شكل مخروطي ناقص مقلوب، القاعدة الكبرى أعلى التاج، والصغرى تكون أسفل التاج، أي عند التقائه بالبدن وهو مشتق من الأعمدة الساسانية[1]وهذا ما يخالف ما توصل إليه الدكتور بورويبة عندما قارن هذا النوع من التيجان بالتيجان التي تعود إلى العهد الزيري أو الحمادي[2].

-الدعامات:

يحتوي جامع سيدي عقبة، على ستة وعشرين دعامة مربعة الشكل، طول ضلعها واحد متر (1م)، وتتوزع بالرواقين المحيطين ببيت الصلاة من الناحية الشمالية والشرقية على الشكل التالي:

_صف عمودي موازي للجدار الشرقي لبيت الصلاة، به سبع دعامات .

_صف آخر به ثلاث دعامات فقط.

وقد أنجزت كلها من المرمر ولا تحمل عقودا، أما بداخل بيت الصلاة، فنجد خمس دعامات مستطيلة بجدار القبلة، اثنتين على يسار المحراب وثلاثة على يمينه، وخمس دعامات أخرى بجدار الضريح، والثلاثة الأخرى بالجدار الشرقي، وهي تقابل صفوف الأعمدة، ويبلغ عرضها(50سم)، كما تبرز عن الجدار بحوالي (45سم)،

[1] شافعي فريد: المرجع السابق ص، ص151،150.

[2]Bourguiba. (R) : Apport de l'Algérie op.cit., p 32

في حين يقدر ارتفاعها بحوالي(3م)، وهي منجزة من مادتي اللبن والحجارة، وقد استعملت لتدعيم الجدران لحمل العقود، ووجد هذا النوع من الدعامات في كافة مساجد الجزائر كجامع ندرومة، والجزائر وتلمسان[1].

-العناصر المستعملة بين التيجان والعقود:

تختفي كل هذه العناصر بجامع سيدي عقبة، فلا نجد إلا أخشاب التثبيت المتمثلة في قضبان العرعار استعملت لتثبيت فتحات العقود (لوحة 25صورة ا،ب،ج) وتعلو هذه القضبان التيجان في المسجد. إن استعمال العوارض الخشبية، عملية تقليدية في الفن الاغلبي، إلا أنها عرفت قبل ذلك بالمسجد النبوي، وجامع القيروان، وكافة المساجد المبكرة، كما استعملت بمساجد مصر كجامع عمرو بالفسطاط[2].

-العقود: (لوحة 25، صورة أ،ب، د)

يعتمد سقف بيت صلاة جامع سيدي عقبة، على ثلاثة وثلاثين عقد موازية لجدار القبلة، وتتوزع على ستة صفوف .

. الثلاثة الأمامية، كل منها يشتمل على بائكة مكونة من سبعة عقود .

. الثلاثة الخلفية، يشتمل كل منها على بائكة بها أربعة عقود، هذا بالإضافة إلى عقدين عموديين على جدار القبلة، وهما يكتنفان جانبي القبة التي تتقدم المحراب، وتأخذ شكلا مدببا وهي خالية من الزخرفة، ماعدا تلك التي تعتمد عليها القبة فهي مزينة بأخاديد ، يبلغ قطر العقود(2،40م) وعرضها(48سم)، أما ارتفاعها فيبلغ 2م. وقد أستعمل العقد المدبب في العمارة الإسلامية لأول مرة في قبة الصخرة و قد هاجر من الشرق منذ العصر الأموي مع الجيوش الفاتحة نحو الغرب، حيث استقر وازدهر هناك[3]،وهو الأكثر انتشارا في الجزائر، حيث وجد بالجامع العتيق بتنس، والجامع الكبير بقسنطينة، إضافة إلى الجامع الكبير بتلمسان.[4]

---

[1] Ibid. p71

[2] Golvin. L : la mosquée ses origines sa morphologie, p58

[3] Bourouiba(R) : Apport de l'Algérie, op.cit., p131 .

[4] شافعي فريد: العمارة العربية الإسلامية ماضيها، حاضرها، مستقبلها، ط، 1982، جامعة الملك سعود، ص202.

- **العناصر المعمارية .**

-**المحراب:** (لوحة 25، صورة و)(الشكل50)

تأخذ مشكاة محراب الجامع شكلا مجوفا مستدير الشكل، عمقه يقدر بـ70سم وعرضه 1,40م، أما ارتفاعه فيقدر بحوالي 2,80م، ونجد على جانبي المحراب مجموعة من ثلاثة أعمدة أنجزت من مادة الحجر، وتأخذ شكلا أسطوانيا، ارتفاعها حوالي 1,30م أما قطرها 19سم، ويعلو كل عمود تاج شبه منحوت أنجز هو الآخر من مادة الحجر.

بالنسبة للعمود الخارجي: يعلوه تاج أسطواني تزينه أخاديد عمودية تنتهي بطوقين عند الطرفين، ويبلغ عرضه19سم، أما التاج الذي يعلو العمد الأوسط فهو على شكل هرم مقلوب تزيينه أخاديد عمودية على شكل زوايا كؤوس، وينتهي هو الآخر بطوقين عند الطرفين، عرضه عند القاعدة السفلي 9 سم، أما عند القاعدة العليا 23 سم.

أما العمود الداخلي: فيعلوه تاج هرمي مقلوب ومزين بأخاديد، وينتهي بطوقين عرضه عند القاعدة العليا 32سم، أما عند القاعدة السفلي 13سم. ويبلغ ارتفاع جميع هذه التيجان 26سم. وقد وجدت الأعمدة المجمعة على جانبي المحراب، بمسجد سيدي أبي مروان بعنابة وجامع قسنطينة، إلا أنها اقتصرت على عمودين فقط بهذا الأخير[1].

يعلو المحراب عقد نصف دائري على غرار المسجد الأقصى، ويبلغ ارتفاعه 1,20م، أما قطره 1,40م، وتحيط به حنيتين لهما نفس شكل العقد.

تتكون الحنية الداخلية من مربعات بسيطة تتناوب مع مربعات مزخرفة، حيث يتكون كل مربع من أربعة مربعات صغيرة يتكون كل منها من أربعة مثلثات، ومن تقاطع هذه الأوتار يتكون لدينا شكلا معينا ضمن إطار المربع الكبير. أما بالنسبة للحنية الخارجية فتزينها مثلثات مرسومة بواسطة خطوط منكسرة تشكل معينات ومثلثات ومربعات، وينقسم كل واحد منها إلى ثمانية مثلثات يشكلها تقاطع وترين وقطرين داخل مربع.أما

[1]Bourouiba.(R) : Apport de l'Algérie, op.cit., p48

الحافة المستطيلة، فترتكز على عمود ين جصيين يأخذان شكلا حلزونيا، وزينت الحافة بواسطة خطوط مستقيمة ومثلثات. أما بالنسبة للشريط الأفقي الذي يعلو الحنيتين المحيطتين بعقد المحراب، فهو مزين بنفس العناصر الزخرفية التي تزين باقي أقسام المحراب، ويتوسط هذا الشريط نافذة صغيرة مستديرة وضعت فيها مروحة ذات أربع شفرات.

-العناصر الزخرفية: (لوحة 25، صورة، و)

الشكل الداخلي للمحراب: جزأه العلوي ارتفاعه 20،1م وتكلله نصف قبيبه مزينة بأخاديد عددها ثلاثين، وهي تأخذ شكل ربع دائري وتنطلق على شكل أشعة من نصف دائرة تعلو الطنف الذي يحيط بقاعدة هذا القسم

- **الكتابات التذكارية التسجيلية:**

تحتوي نصف الدائرة على نقش يتمثل في كتابة من أربعة سطور، نقرأ في كتابة حلية المحراب النص الآتي:بنا هذا/المسجد المعضم/محمد بن كبير تونسي دشير./

شريط طره المحراب:

1. الحمد لله هاذي تذكرتنا من نظر فيها بعدما يدو لنا برحمة والغفران لكاتبها احمد بن الحاج التواتي العافية الباقية العالية تم بنيانه على يد اسطي محمد بن كبير التونسي عام 1214من الهجرة الرسول . نقشت هاتان الكتابتان على أشرطة من الجص بداخل محراب الجامع، تقع الكتابة الأولي بداخل حلية عند قاعدة قبة المحراب، وتقع الثانية أسفل منها بداخل شريط يمتد أفقيا، طوله 2,75م وعرضه22سم، وتقع هذه الأخيرة في سطرين بينما تقع الأولي في أربعة أسطر. نفذت كل منهما بخط النسخ المغربي بأسلوب الحفر البارز بنقط الاعجام. والملاحظ في هذه الكتابة استعمال الكاتب أو النقاش لألفاظ عامية مثل هاذي. فضلا عن وجود أخطاء إملائية، ككتابة فعل بني بالألف الممدودة عوض المقصورة وكلمة المعظم بدون اشالة و

التنسي عوض التونسي، ويمكن القول إن قراءة الدكتور بورويبة وردت فيها أخطاء كقراءته لاسم الكاتب محمد بن عمر والصواب بن بكير وكلمة[1].

تتكون الكتابة من عدة عناصر هي:

أسم الصانع /الحمدلة. الدعاء/اسم كاتب النص /تاريخ البناء /صيغ دينية.

هذه الأخاديد الموجودة بنصف قبيبة المحراب، هي شبيهة بتلك الأخاديد الموجودة بمحراب الخاساقي، وفي ضريح شابح ومحراب مسجد الدار بالمنستير، وكلها مؤرخة بالقرن الخامس الهجري الموافق للحادي عشر الميلادي، ووجدت بعد ذلك في بعض الأضرحة بالقاهرة، كمشهد الست كلثوم، ولها أمثلة بالجزائر كمحراب الجامع الكبير بقسنطينة، ومحراب سيدي لخضر ومحراب بيت صلاة الطابق الأول بمسجد عبد المؤمن[2].

أما القسم الأسفل من داخل المحراب: فارتفاعه 1,60م، ويحتوي على زخرفة هندسية تتمثل في سبعة أعمدة جصية مغطاة بزخرفة، قوامها عناصر هندسية عبارة عن مثلثات وتتناوب هذه الأعمدة مع ست لوحات مستطيلة خالية من الزخارف، وتعلوها عقود منخفضة ويعلو العقود هي الأخرى شريطا يتكون من أشكال هندسية عناصرها عبارة عن مربعات، ينقسم كل واحد منها إلى أربعة مربعات صغيرة وثمانية مثلثات، وقد أنجزت كل الزخارف على مادة الجص. (شكل51)

-المنبـــر. (لوحة 25، صورة ي) (شكل52)

استعمل المنبر[3] منذ ظهور الإسلام، وجاء في السنة النبوية أن رسول الله صلي الله عليه وسلم، استعمل جذع نخلة:(انظري غلامك النجار يعمل لي أعواد أكلم الناس عليها)[4]، وهي من طرفاء الغابة. وجاء في السنة النبوية

---

[1] بورويبة رشيد: الكتابات الأثرية،1979، ص229.

[2] Bourouiba(R) : Apport de l'Algérie, op.cit., p156

[3] منبر: نبرت الشيء رفعته وبالتشبيه سمي النبر منبرا لارتفاعه وعلوه والمنبر مرقاة الخطيب في الجامع ولا يستخدم هذا المصطلح في الوثائق لغير دلك. والمنابر شائعة في الكنائس الديرية وغير الديرية، بما فيها كنائس وادي النطرون، حيث يوجد منبر في دير أبي مقار
انظر "دراسات وبحوث في الآثار والحضارة الإسلامية" الكتاب الثاني (الفنون)دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية مصر، ط1، 2005، ص15.

[4] صحيح مسلم: المرجع السابق، ص218.

الشريفة (يستحب جعل المنبر في الجامع لأجل الخطبة)[1]. وكان هذا المنبر في أول الأمر بسيطا، ثم سار يحظى بالعناية وصار يصنع من الخشب أو من الرخام[2].

يعود منبر جامع سيدي عقبة إلى فترة الاحتلال الفرنسي، ويبلغ ارتفاع مدخله 1،70م، أما عرضه95سم في حين يقدر طوله بـ2م، ويحيط به إطارين داخلي وخارجي وهو مصنوع من الخشب.

. بالنسبة للإطار الداخلي:

فهو يحتوي على قاعدة، هي في نفس الوقت إحدى درجات السلم التي يبلغ عددها خمس، كما يحتوي كذلك على قائمتين مزينتين بشريط من الزخارف النباتية، قوامها أغصان متشابكة، ويعلو الإطار الداخلي عقد حدوي الشكل يتكون من عدة فصوص، ويحيط بالعقد إطار مربع نقشت به الكتابة التالية :

(هذا عمل على بن محمد الساسي التغزويني في21 رجب سنة 1274هـ/1858م تاب الله عليه آمين. محمد، أبوبكر، عمر، عثمان، على رضي الله عنهم، محمد سيد الكونين من الثقلين الفريقين من عرب وعجم، هذا منبر سيدي عقبة الصحبي، تم وضعه على يد المكرمين السيد بلقا سم بن الحاج وأبنه السيد الأكحل عام 1274من الهجرة /1858م). كتبت بخط النسخ المغربي بأسلوب الحفر البارز.

. أما الإطار الخارجي:

فيشمل على قائمتين وعارضة تزينها أفاريز من الأغصان المتشابكة فيما بينها، ويتم حفظ المنبر في غرفة على يمين المحراب، عمقها2م وعرضها1م ويقدر ارتفاعها بـ3م وتأخذ فتحتها شكلا مستطيلا، ويعلو المشكاة عقد نصف دائري يعلوه هو الآخر ثلاثة عقود صماء بارزة، وأكثرها بروزا وسمكا العقد الأوسط. ويشتملا جانبي المشكاة على إفريز من الزخارف الهندسية قوامها المربعات، التي تنقسم إلى مثلثات بواسطة وترين وقطرين مزدوجين، ونفس هذه الزخارف تزين واجهة المحراب .

- **نظام التغطية:**

استعمل في تغطية المسجد مجموعة من الوسائل منها القبة والسقف المسطح:

[1] عبد الله كامل موسى عبده: المسلمون وآثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين (موسوعة العمارة الإسلامية مجلد1، دار الآفاق العربية، ص30.

[2] حسن باشا: موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، ص221.

-القبة:

لا جدال في أن القبة من العناصر المعروفة منذ آلاف السنين، غير أن القباب في العصر العربي الإسلامي قد امتازت بظاهرة هامة هي، أن معظمها يتميز بقطاع مدبب وذلك بفضل ابتكار وانتشار استعمال ذلك النوع من العقد، الذي صار علما من أعلام العمارة العربية الإسلامية[1] يحتوي جامع سيدي عقبة على قبتين، الأولي تغطي غرفة الضريح أما الثانية فتتقدم المحراب.

- **قبة الضريح :**(لوحة 26،صورة، ا)

فهي من الخارج تأخذ شكلا نصف كروي أملسا، وتعتمد على قاعدة مثمنة الأضلاع، حيث يفتح بكل ضلع منها نافذة صغيرة. أما من الداخل فإن انتقال القبة من القاعدة المربعة إلى المثمنة تم بواسطة المثلثات الكروية، ويبلغ ارتفاع القبة 1,50م، في حين يبلغ قطرها حوالي 3م، وهي خالية من الزخارف. وأقيمت القبة فوق الدفن بعد ظهور الإسلام بفترة طويلة، ويرجع ذلك لتعارضه مع العديد من الأحاديث النبوية الشريفة، فقد جاء عن جابر رضي الله عنه قال: "نهي رسول الله صلي الله عليه وسلم أن يجصص القبر، وان يعقد عليه وان يبني عليه"[2]. ويعتقد أن بناء الأضرحة على القبور يذكر بالمباني التي كانت مخصصة لعبادة الأوثان في العصر الجاهلي، وخوفا من أن تصبح هذه الأماكن مزارا ويعظم أصحابها. لذلك أبتعد المسلمين أول الأمر عن بناء الأضرحة فوق القبور.[3]

- **القبة التي تتقدم المحراب :** (لوحة 25،صورة،د)

فهي الأخرى تأخذ شكلا نصف كروي أملسا يعلوها جمور نحاسي، كما ترتكز على قاعدة مثمنة يفتح بكل ضلع منها نافذة صغيرة، وترتكز القبة من الداخل على أربعة عقود تشبه عقود بيت الصلاة، وتزينها أخاديد عددها حوالي سبعة عشر أخدود. ويتم الانتقال من القاعدة المربعة إلى المثمنة بواسطة المثلثات الكروية، ويحمل كل مثلث في وسطه محارة بارزة، وهذا العنصر ليس حكرا على الموحدين "حيث وجد في العمارة القديمة لما قبل الإسلام كما استعمل في مختلف العمائر الإسلامية خاصة في مسجد القيروان بتونس في

[1] فريد شافعي: المرجع السابق، ص 177.

[2] صحيح مسلم: باب الجنائز، ص229

[3] صالح لمعي: القباب في العمارة الإسلامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ص23.

القبة التي غطت المنطقة المربعة أمام المحراب وتؤرخ في نحو سنة 64هـ/863م وتتميز هذه القباب بخاصيتين هامتين:

1. أنها أقدم القباب من ذات القطاع المدبب، والذي شيدت عليه الفتحات والعقود والأقبية والقباب.

2. أن ذلك الشكل المدبب قد أصبح هو السائد في شرق العالم الإسلامي، وهو نفس النمط الذي شيدت عليه أيضا قبة المربع أمام المحراب في جامع تونس، المعروف بجامع الزيتونة المشيد في سنة 250هـ/864م. وقد انتشر هذا النموذج من القباب ذات الضلوع المحدبة من الخارج والمقعرة من الداخل في النصف الثاني من العصر الفاطمي في مصر، وبخاصة فوق الأضرحة التي كثر بناؤها في تلك الفترة. بينما كانت توضعفي المساجد فوق المربع أمام المحراب"، ومسجد قرطبة بالأندلس. وكانت تعبأ منطقة الانتقال (الرقبة)،

وكانت عند المرابطين محصورة فقط في المثلثات الكروية لما تحت القبة[1]، وتنقسم القاعدة المثمنة الأضلاع إلى قسمين أسفل وأعلى.

يحتوي القسم الأسفل على نقوش كتابية جاءت في سطرين غير واضحي الكتابة: يحتوي السطر الأول على: الحمد لله وحده لا شريك له، له الحمد وله الشكر وهو الرحيم.... رسول الله ...الكريم، يا من دخل وخرج من بعد... أول كل شيء وآخره.

أما السطر الأسفل: فهو غير واضح الكتابة ماعدا كلمتي (باسم .... الله....)

أما القسم الأعلى، فيحتوي على زخرفة قوامها عناصر هندسية منقوشة على مادة الجص، تتمثل في أربعة مربعات كبيرة، ينقسم كل واحد منها إلى أربعة مربعات صغيرة، ويحتوي كل منها على ثمان مثلثات يشكلها تقاطع وترين وقطرين، ويرسم ضمن المربع الكبير الأول معين يشكله التقاء الأوتار الأربعة، ويفصل بين المربعات الكبيرة أشرطة خالية من الزخرفة، ويفتح في وسط هذه الزخارف ثماني شمسيات، كل شمسية بضلع من أضلع القاعدة المثمنة، وتحمل كل شمسية نفس الزخرفة السابقة مع إحاطتها بإطار بارز يفصلها عن مستوى الزخارف السابقة الذكر.

[1] عقاب محمد الطيب: لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية ،1990، ص31.

أما الغلاف الكروي للقبة، فيفصله عن القاعدة المثمنة أي رقبة القبة طنف بارز عن مستوى القبة، ويكسو الغلاف سلسلة مترابطة من العقود الموضوعة فوق بعضها البعض، والتي يقل عددها كلما ارتفع مستوى الغلاف الكروي.

لقد جاءت القبة التي تتقدم محراب جامع سيدي عقبة شبيهة بالقباب المبكرة، على نحو ما كانت عليه قباب القيروان التي كانت تتكون من ثلاثة أجزاء.

وقد تطورت زخرفة القبة حيث تعددت الخطوط الهندسية وأخذت العقود رسما أكثر وضوحا[1] أما عن وجود المثلثات الكروية للانتقال إلى القاعدة المربعة إلى المثمنة فقد أبتكر الشاميون هذه الطريقة، ثم انتقلت إلى بيزنطة وإيطاليا، ويوجد أقدم مثل إسلامي بالحجرة الساخنة، في كل من قصير عمرة وحمام الصرخ.[2]

بالنسبة لمادة البناء فإن كل القباب أنجزت بواسطة الطوب وتمت تغطيتها بطبقة سميكة من الجص.

- **السقف المسطح:**(لوحة 27، صورة،ب)

تم تسقيف الجامع بواسطة جذوع النخيل وجريده، وأضيف إليه كل من الجص والطين لتلبيسه. وفيما يتعلق بجامع سيدي عقبة فقد بقي به جزء من السقف الأصلي، وباقي أجزاء السقف الأخرى غطيت بمادة الإسمنت و الزخارف الجصية الحديثة مما أخل بالناحية الجمالية له(لوحة 26،صورة،د)، ويتدلى من السقف ثريات نحاسية تعود إلى الفقرة العثمانية حسب ما صرح به إمام الجامع.

- **المئذنة**[3] :(لوحة 26، صورة، ب) (شكل53)

---

[1] سالم عبد العزيز السيد: المرجع السابق، ص، ص 431 / 433.

[2] شافعي فريد: المرجع السابق، ص 142.

[3] غوستاف لوبون: حضارة العرب ترجمة عادل زعيتر، الطبعة3، القاهرة،1956، ص527. أوجبت ضرورة دعوة المؤمنين إلى الصلاة وفقا لأحكام الدين، إقامة المآذن فوق جميع المساجد الإسلامية كما هو معلوم. وتختلف أشكال هذه المآذن باختلاف البلدان اختلافا أساسيا، فهي مخروطة الشكل في بلاد فارس، ومربعة في بلاد الأندلس وإفريقية واسطوانية ذات مطفأة في أعلاها في تركية، ومتنوعة الشكل في كل طبقة، منها بمصر. ومآذن العرب كأكثر مبانيهم متوجة على العموم بأنواع الشرف ذات الأشكال المختلفة المعروفة بأقسام الحواجز الواقعة بين الكوة

وتعتبر مئذنة سيدي عقبة، من بين أقدم المآذن في شمال إفريقيا، ورغم ذلك حافظت على تماسكها وصلابتها، ويصفها الورثلاني في رحلته1179م/1765هـ قائلا:(... في وسط هذا البسيط وفي مسجده مئذنة كبيرة عظيمة متقنة البناء، وفي أعلاها عمود يزعم الحجاج أن من تمسك بذلك العمود وحركه، وقال أقسمت عليك أيتها المئذنة بحق سيدي عقبة ألا ما تحركت فتهتز) انظر: الورتلاني: المرجع السابق، ص104

تقع المئذنة بالركن الشمالي الشرقي لبيت الصلاة، وهي تنتمي إلى نمط المآذن ذات القاعدة المربعة، ويبلغ ارتفاعها حوالي16م، وتمتاز بالتراجع نحو الداخل كلما زاد ارتفاعها، حيث يبلغ طول ضلعها عند القاعدة 5 م، ليتراجع إلى3,50م عند القمة.تتكون من طابق واحد ارتفاعه 14م، وتكلله شرا فات ويعلوه جوسق أسطواني الشكل ارتفاعه 2م، وتكلله هو الآخر قبيبة يعلوها جمور نحاسي، وجاءت شبيهة بمئذنة جامع قلعة بني حماد التي تتكون هي الأخرى من طابق واحد.[1]

تحتوي واجهات المئذنة على زخارف بسيطة ومتنوعة تمتد على طول واجهتها، حيث يشتمل القسم الأسفل من واجهتي المئذنة الشمالية والشرقية على مستطيلين غائرين يفصل بينهما شريط بارز، ويزين كل مستطيل منهما نصفا عقدين منخفضين ومتشابكين، إضافة إلى وجود فتحة مستطيلة بالجانب الأيسر، أما الواجهتان الغربية والجنوبية فتختلف زخرفة قسمهما الأسفل عن الواجهتين السابقتين، حيث تشتمل كل منهما على نافذتين أصمتين متجاورتين يعلوهما عقد نصف دائري، ونشير إلى أن الجزء الذي يحتوي على النافذتين يمتاز بالبروز قليلا عن باقي جدار المئذنة، وقد فتح بأعلى هذا الجزء فتحتين مستطيلتين تعلو الواحدة منهما الأخرى.أما القسم الأعلى من المئذنة ففتح بكل وجه من وجوهه الأربعة نافذتين غائرتين يفصل بينهما إفريز بارز، وبأعلى كل نافذة نجد ثلاثة عقود نصف دائرية الشكل مرتبة فوق بعضها البعض، وبأسفل النافذة نجد شمسية مزينة بزخارف هندسية قوامها مربعات ومثلثات، ويعلو النافذتين طوق متعرج ذو أخاديد من القرميد والجص، ويعلو الطوق سور منخفض مكلل بثمانية شرا فات مقوسة الشكل، وبالنسبة للجو سق فهو أسطواني الشكل ارتفاعه 2م، ويخلو من الزخرفة ماعدا القبيبة التي تكلل أعلاه، القبيبةجمور نحاسي به كرة نحاسية. ندخل إلى المئذنة من بيت الصلاة بواسطة مدخل من الجهة الشرقية عرضه 90سم أما ارتفاعه 1.80م، ونصعد إلى قمة المئذنة عبر سلم يلتف حول نواة مصمتة ومربعة الشكل(شكل11ب) طول ضلعها 1,20م، ويبلغ عدد درجات السلم أربع وخمسين درجة، ويقدر سمك الواحدة منها حوالي 20سم أما عرضها 80سم، وترتكز درجات السلم على جريد النخيل الذي يربط بين النواة وجدران المئذنة، وقد أستعمل

[1] R: Bourouiba :op.cit,P 280.

لبنائها اللبن والطين والجص، إضافة إلى جريد النخل، وقد جاء مدخل المئذنة الموجودة ببيت الصلاة على غرار مسجد الثلاثاء ببني سوس بتلمسان[1]. أما النواة المربعة الشكل و المصمنة فجاءت على غرار أغلبية مساجد الجزائر وحتى مساجد المشرق العربي، أما الشرفات المسننة فهي ظاهرة تعرفها المآذن الإسلامية بكثرة، وهي من الزخارف الساسانية المعمارية التي انتقلت إلى الفن الإسلامي وكانت معروفة منذ العصور القديمة في فارس، والعراق وأواسط آسيا، وأنتشر استعمالها في الأطراف العليا للعمائر) [2].

المئذنة	ضلع البرج في القاعدة	ضلع البرج في القمة	ضلع النواة في المركز
سيدي عقبة	3,70م	2,70م	1,50م
سيدى موسي الخذري	3,70م	3,20م	1,20م
سيدي عيسي بو شقرون	3,70م	1,50م	40سم
جامع أولاد جلال	3,70م	1,70م	70سم
سيدي الحافي	3,80م	2,50م	1,10م
سيدي المبارك بالخنقة	3،10	2,50م	1,10م

جدول(رقم1) يوضح تباين مقاسات سلم مئذنتي مسجد سيدي لمبارك وسيدي عقبة مقارنة بباقي مساجدا الزاب من عمل الطالب

باب المئذنة	المكان	الارتفاع	العرض	السمك
سيدي عقبة	بيت الصلاة	1,80م	90سم	80سم
سيدي موسي الخذري	بيت الصلاة	1,80م	80سم	70سم
سيدي عيسى بوشقرون	بيت الصلاة	1,30م	76سم	30سم
جامع أولاد جلال	الصحن	1,80م	84سم	40سم
سيدي الحافي	الصحن	1,50م	75سم	60سم
سيدي المبارك بالخنقة	الصحن	2،51م	60سم	40سم

جدول(2) يوضح اختلاف مقاسات بابي مئذنة سيدي لمبارك وسيدي عقبة مقارنة بباقي مساجد الزاب من عمل الطالب

[1].Bouruiba .R : op.cit, p51

[2] شافعي فريد: المرجع السابق ص، 181.

درجات سلم المئذنة	عددها	ارتفاعها	عرضها	جوفها
سيدي عقبة	24سم	20سم	80سم	25سم
سيدس موسي الخذري	73سم	20سم	90سم	30سم
سيدي عيسى بوشقرون	50سم	28سم	70سم	54سم
جامع أولاد جلال	80سم	20سم	60سم	30سم
سيدي الحافي	36سم	20سم	90سم	40سم
سيدي لمبارك بالخنقة	62سم	20سم	60سم	30سم

جدول(3) يوضح اختلاف ارتفاع مقاسات علو مئذنتي سيدي عقبة وسيدي لمبارك مقارنة بمآذن الزاب عموما من عمل الطالب

الملاحظ من خلال الجدول رقم 1و2 و3 أن مئذنتا مسجد سيدي عقبة ومسجد سيدي المبارك لا يختلفان عن باقي مساجد الزاب من حيث التصميم العام

- **العناصر الزخرفية بالمسجد:**

. وصف الباب التذكاري لجامع سيدي عقبة (باب طبنة): (لوحة 26، صورة،ج) (شكل54) يحتوي جامع سيدي عقبة على باب تذكاري كان موجودا بالمدخل الثالث لبيت الصلاة، وعند إصلاح الجامع وإعادة ترميمه تم تحويله إلى الزاوية الغربية لبيت الصلاة، ويعتبر حاليا تحفة فنية بالزخرفة التي يحملها. يرجع الدكتور رشيد بورويبة والباحث جورج مارسي تاريخ إنجاز هذه التحفة إلى النصف الأول من القرن الخامس هجري الموافق للحادي عشر ميلادي حيث يعود للفترة الزيرية، إذ أهداه المعز بن باديس الزيري إلى الجامع. ويثبت ذلك العلاقة الموجودة بين حروف كتابة الضريح، والحروف التي تزخرف الآثار التونسية التي تعود هي الأخرى إلى القرن الحادي عشر، إضافة إلى التشابه الكبير بين زخرفة باب جامع سيدي عقبة وزخرفة الأخشاب المنقوشة بالجامع الكبير بالقيروان، والتي كلها إلى عهد المعز بن باديس الزيري[1] .

[1] 26 Bourouiba.R : apport de l'Algérie, op.cit., p234

•البـاب:

يبلغ عرضه 35،1م وارتفاعه75،2م وينقسم إلى أربعة ألواح بواسطة قضيبين وغطاء فصل بالوسط، ويبلغ عرض كل قضيب وسمكه 5سم، قسمه الاعلى له شكل ثلاث قرضات، أما باقي القسم الأسفل من القضيب فتشغله أوراق وغصون ملتوية إضافة إلى سبعة مسامير العارضة والإطار .

يتكون الباب من إطار به ركيزتين، ارتفاعهما 2,70م وعرضهما20سم، وكذلك عارضة عرضها1,72م وارتفاعها 24سم.

•الركيزتان:

تحتوي كل ركيزة على لوحتين مختلفتي العرض، حيث يبلغ عرض اللوحة الداخلية 8سم وتزيينها أغصان وأوراق، أما اللوحة الخارجية عرضها12سم، وتتكون من لويحات مستطيلة تتناوب مع لويحات مربعة، يبلغ عدد اللويحات المستطيلة ستة(6) ويزينها غصنان متناظران، بالنسبة للمحور العمودي يليها عقد ثلاثي الفصوص ويزينها غصنان متناظران، ويشغل القسم الأسفل معين في وسطه زهيرة على شكل قلب، أما زوايا اللويحة فتشغلها ورقة الاقنثة المثلثة الزوايا، إضافة إلى وجود أغصان متشابكة وأوراق، كما نجد أغصان موضوعة أفقيا تزين اللويحة الرابعة، أما اللويحة الخامسة فهي تشبه في زخرفتها اللويحة الأولي، في حين زخرفة اللويحة السادسة هي غير واضحة المعالم، أما اللويحات المربعة فعددها خمسة وتزينها على التوالي :

اللويحة الأولي بها أوراق داخل مثلثات، أما الثانية فيها ورقتي الاقنثة مطويتين على ساقهما الأوسط وتحتويان على ورقة الاقنثة مفتوحة على وجهها، أما اللويحة الثالثة فتحتوي على شبه مروحة تتكون من اثنتي عشر شفرة، في حين تحتوي اللويحة الرابعة على زهيرة ذات أربعة فصوص، أما زخرفة اللويحة الأخيرة فهي غير واضحة، وتحتوي الركيزتين اليمني واليسرى على مسامير نحاسية تتوجها من الأعلى إلى الأسفل .

• العارضـة :

تعلو الباب وتتوسطها لوحة مربعة وتزينها أغصان ملتوية وأوراق تشغل كل اللوحة، الأولي مستطيلة والثانية على شكل منحرف، فيما يتعلق باللوحة المستطيلة فتزينها غصون ملتوية ومتشابكة وأوراق، أما اللوحة

الشبه منحرفة فهي تقع أسفل اللوحة السابقة وهي أقل ارتفاعا منها، ويزينها صفا من الغصون الملتوية والأوراق. إضافة إلى وجود ثلاثة عشر مسمار مخروطية الشكل وموضوعة على خط الفصل بين اللوحتين، وعلى جانبي هذه العارضة نجد ورقة كبيرة مطوية وأخري على شكل مروحة.

•الساكف:

يبلغ ارتفاعه 25سم وهو يخرج عن إطار الباب بحوالي 20سم من كل جانب، وتزينه مجموعة تتكون من ثمانية دوائر صغيرة تربطها حلقة مستديرة، وهي موجودة بداخل مضلعات سداسية ومتشابكة فيما بينهما.

- **أنواع الزخارف الموجودة في المسجد:**

اهتم المسلمون بالفنون الزخرفية[1]، وأعطوها عناية كبيرة في عمائرهم خاصة الدينية منها، وعلى غرار كل المساجد تنوعت الزخارف في مسجد عقبة بن نافع منها النباتية، الهندسية والكتابية.

الزخارف النباتية:

تتنوع بين الغصن، الساق، الورقة، الزهرة و الثمرة وتتوزع على كامل المسجد، ومن أهم هذه العناصر الأغصان والتي أخذت أشكالا ملتوية وحلزونية متناظرة على محور عمودي، إضافة إلى أغصان مرتبة أفقيا. وقد استعملت هذه العناصر من طرف الفنان في زخرفة الباب التذكاري بالجامع، وأنجزت هذه الزخارف على الخشب بطريقة الحفر الغائر. كما يظهر كذلك لدينا عنصر ورقة الاقنثة مرسومة على وجهها تارة، وعلى جانبيها تارة أخري ومنها حتى الأوراق المطوية، وهي ذاتها تزين الباب التذكاري للمسجد، وأيضا الورقة المزدوجة وهي تزين الزليج والورقة المنفردة مرسومة على جانبها وهي تزين أيضا الزليج.

العنصر النباتي الثالث الذي يوجد بجامع سيدي عقبة يتمثل في الزهرة حيث تنوعت منها ذات الأربعة فصوص منقوشة مع الكتابة الكوفية، والزهرة ذات ستة فصوص وثمانية فصوص تزين الزليج داخل بيت الصلاة.الثمرة مرسومة على الزليج ولكنها غير واضحة المعالم .

[1] المقصود بالفنون الزخرفية: هنا هو تلك الرسوم التي تزين الآثار الثابتة من عمائر مختلفة، أو تزين التحف المنقولة المصنوعة من الفخار والخزف، ومن الكتان والصوف والحرير، وغيرها من مواد النسيج، ومن الخشب والعاج ومن المعادن والزجاج ومن الجلد والرق والورق.

- **الزخارف الهندسية**:(انظر الشكل51)

وجدت الأشكال الهندسية بكافة أنواعها ما عدا الدائرة، واستعملت هذه العناصر بالجامع، حيث نجدها تزين داخل المحراب وخارجه، وتتكرر نفس الزخرفة على جانبي مشكاة المنبر. وقد نقشت هذه الزخارف على مادة الجص، ونجد كذلك بلاطات خزفية تعود إلى الفترة العثمانية بدلالة إمام الجامع.

وتتكون كل بلاطة من مربعات، ينقسم كل واحد منها إلى نصفين، (أي مثلثين) أحدهما أخضر والآخر أصفر اللون، إضافة إلى شمسية مربعة الشكل بها زخارف هندسية، ونفس هذه الأشكال تزين منطقة الانتقال ورقبة القبة، وقد نقشت كلها على مادة الجص، وتحتوي هذه الزخرفة على الخط أو السطر والمثلث والمربع والمستطيل ونشاهد هذه الأشكال الهندسية على النحو التالي:

.**الخط أو"السطر"**: خطوط مستقيمة، متوازية، متقاطعة، منحنية ومنكسرة (في القوس والأخاديد، والزوايا القائمة والحادة، المثلثات، والمربعات، والمستطيلات والمعينات)

.**المثلث**: تتنوع منها، المتسلسلة والتي تكونها الخطوط المتقاطعة وداخل المربع، والموضوعة فوق بعضها البعض.

.**المربعات**: والتي تتكون نتيجة الخطوط المتقاطعة، والمنكسرة والمربع المقسم، إلى أربعة مربعات، والمنقسم إلى مثلثين.

. **المستطيل**: نتيجة الخطوط المتقاطعة والمنكسرة.

. **المعين**: نتيجة الخطوط المتقاطعة ضمن مربع.

. **الدائرة**: تتنوع هناك السداسية الفصوص، والتي تنتمي إلى مجموعات من خمس دوائر وذات شكل مروحة ذات أثني عشر شفرة.

- **الزخارف الكتابية:** يطلق لفظ "خط" على صور الحروف ورسومها التي تكون الكتابة، ولعل هذا المصطلح قد استمد لفظه من الآية الكريمة[1]﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك﴾[2]

وإذا كانت الزخارف الهندسية والنباتية، التي أبدع المسلمون في مجالها قامت على أساس ما عرفته الفنون القديمة، فإن الزخارف الكتابية كانت من ابتكارهم وأصبحت من مميزات الفنون الإسلامية بصفة عامة[3].

أخذ الخط العربي حظا وافرا في زخرفة جامع سيدي عقبة، حيث وجد بالمحراب والمنبر والضريح ورقبة القبة أمام المحراب، ومن الخطوط التي وجدت في مسجد سيدي عقبة.

. **الخط الكوفي**[4]: هو من الخطوط العربية الأولي ظهر قبل الإسلام بسنوات ليست بالقليلة[5]، وعرف الخط الكوفي تطورا بفضل الخطاطين والنقاشين المسلمين إلى عدة فروع زخرفية وقد وجدت كتابة ذات سطر واحد منقوشة على لوحة حجرية موضوعة حاليا عموديا على جانب باب الضريح كتبت بخط الكوفي المورق[6] جاء فيها:

(هذا قبر عقبة بن نافع رحمه الله)، وتختفي من النقش، النقط والاعجام مما يؤكد أنه يعود إلى فترة مبكرة.

.**الخط النسخي**: تعمل بكثرة في منطقة المغرب الإسلامي، ونقشت به الكتابة الموجودة بنصف الدائرة الواقعة بالقسم الأعلى من المحراب وقد استعمل في ذلك خط النسخ العثماني والتي جاء فيها (...الحمد لله هذي تذكرتنا...)، إضافة إلى نقش آخر على لوحة بالجدار الشمالي الشرقي للضريح، جاء فيها (يا واحد يا احد أغفر لعبدك اسمه...)

---

[1] محمد عبد العزيز محمد: القيم الجمالية في الخط العربي، "مجلة العصور "المجلد1، الجزء1، 1986 ص ص 65/54.

[2] سورة العنكبوت: الآية48.

[3] محمد عبد العزيز محمد: نفس المرجع، ص60.

[4] تطور الخط الكوفي المبكر بأحرفه الهندسية ذات الزوايا القائمة، والذي يعتبر أساس معظم الخطوط العربية، وقد استخدم في العصر الأموي لأول مرة، كجزء من الزخرفة على الجدران والجرار، ووصل الخط الكوفي درجة الكمال في أواسط القرن الثاني الهجري الموافق للنصف الثاني من القرن الثامن ميلادي، فكان الخط الذي يرسم به القرآن، وبقي كذلك لأكثر من ثلاثة قرون تلت. أنظر: وجدان علي بن نايف: سلسلة التعريف بالفن الإسلامي "الأمويين، العباسيين، الأندلسيين "دار البشير للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ص704.

[5] مرتاض محمد: الخط العربي وتاريخه، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر،1994، ص58.

[6] كامل بابا: روح الخط العربي، دار العلم للملايين دار لبنان للطباعة والنشر، ط3، 1994 ص67 (وهو خط كوفي دخل فيه العنصر النباتي مما زاد في جمال هذا النوع من الكتابة الذي برز في القرنيين الرابع والخامس الموافق ل القرنيين الحادي عشر الثاني عشر)

.**الخط الرقعي**: أستعمل في كتابة الشريط الذي يحيط برقبة القبة التي تتقدم المحراب بالجامع، وتمتاز بتداخل وتلاصق حروفها مما صعب قراءتها كاملة، ماعدا جملة (الحمد لله وحده).

. **الخط التوقيعي**: أستعمل بمنبر الجامع، ويرجع إلى الفترة الاستعمارية بدليل ما احتوته الكتابة نفسها (..عمل على بن محمد الساسي التغزويني في 21رجب سنة 1224هـ/1858م).

تنوعت المواد المستعملة في الزخرفة منها الجص، الزليج، الرخام، الحجارة والخشب، حيث استعمل الجص في زخرفة المحراب وإطاره، والقبة الموجودة أمامه وجانبي مشكاة المنبر وشمسيات جداري المحراب والضريح والمئذنة، وأستعمل في تلبيس وسائل الدعم والجدران.

. الجص: أستعمل في تلبيس وكسوة جدران المسجد كذا زخرفته ويظهر ذلك جليا في المحراب وحنيته والقبة التي تتقدمه

. الرخام: استعمل في صنع السواري والقواعد والتيجان.

. الزليج: استعمل في تزيين جداري المحراب والضريح .

. الحجارة: استعملت في التيجان والسواري التي جلبت من جبال الاوراس المجاورة للمنطقة. أما الخشب: فنجده استخدم في صناعة المنبر والأبواب والأخشاب التي تثبت وسائل الدعم، وتنوعت بين العرعار وجذوع النخيل في التسقيف، وخشب الأرز في صناعة باب المسجد (باب طبنة)، وكذا على جدار الضريح الذي نقشت عليه الكتابة، والتي تدل على (عمر التنسي...) .

ب .الاضرحة:

على غرار باقي مناطق الولاية انتشرت الأضرحة في منطقة الزاب الشرقي، فهي إما أضرحة لمؤسسي الزوايا الدينية أو أضرحة للأولياء الصالحين، وما يميز بعضها أنها عبارة عن مساجد مأتمية صغيرة سقوفها من أخشاب النخيل، بها أقواس بسيطة وركائز متينة، جدرانها سميكة بزوايا خالية من كل حدة، تشتمل على قباب مختلفة الأشكال منها المخروطي والمخروطي الحاد أو على شكل قوس منكسر أو النصف كروي، تنتهي

جدرانها في كل زاوية بشرفات متدرجة أو ما اسماها جورج مارسي بالهرم المقطوع نذكر منها:(لوحة 20، الصورة أ،ب)

- **ضريح عقبة بن نافع وإشكالية الموقع:**(لوحة 24، الصورة،ج،د)(شكل55).

ظهرت كتابات كثيرة محاولة طمس التاريخ الإسلامي للمنطقة، وذلك بالتشكيك في وجود جثمان عقبة بن نافع بمسجده. ومن بين هؤلاء هنري سيمون في مقاله تحت عنوان "نقاط حول جامع سيدي عقبة"، والذي يستدل في مقاله بنصوص بعض المؤرخين المسلمين كالنويري وابن خلدون والعدواني واضعا استنتاجات وتحليلات لا مكان لها من الصحة. وللرد على هذه الاستنتاجات نتتبع مسار جيش عقبة عند عودته إلى القيروان للرد عليها.

من المحتمل جدا أن يكون عقبة بن نافع وجيشه المتكون من حوالي ثلاثمائة مجاهد، قد عبروا المسلك المعروف ب(طريق) ممر الثنية الوسطي، ويصب هذا الأخير في بلاد الضاية ويربط بين طبنة ومنطقة الزاب (طريق الصحراء) (انظر خريطة رقم 5)، ومن ثم اتجه عقبة ومن معه نحو طولقة عبر بلاد السلقة حين قام حسب الرواية المتداولة، والتي يذكرها الواقدي[1]بفتح المدينة وتحويل كنيستها البيزنطية إلى مسجد، والقيام بصلاة ثلاث أو ست جماعات بالمسجد. ومن طولقة إلى تهودة تكون المسيرة عبر مليلي مرورا بالمسلك المعروف ب(طريق) اوماش الرابطة بينها وبين قرية سيدي عقبة[2].(خريطة 13)

وبالتالي يكون موقع جيش عقبة بن نافع رضي الله عنه بجنوب مدينة تهوده، وهو ما يتطابق مع موقع قبره الآن. ولو افترضنا أن عقبة بن نافع أتخذ مسلكا آخر دون هذا كالقادم من بسكرة مثلا، لكان موقع قبره بشمال غرب تهودة وليس بجنوبها، كما أنه لا يوجد نص مكتوب ومروي يذكر أن عقبة بن نافع قد مر عبر بسكرة أو غيرها ماعدا القصة المذكورة بطولقة. فإذا من المؤكد أن عقبة ورجاله قد عبروا (الطريق) المبين سابقا وليس غيره نحو تهوده.

وتثبت المصادر الأثرية والتاريخية وجود هذا المسلك آنذاك حيث يؤكدون بأنه في الاتجاه الجنوبي الشرقي لطبنة، وذلك نحو القنطرة توجد (طريق) رومانية معروفة تعبر ضاحية الضاية وتتلاقى هذه الطريق مع مسلك

[1] الواقدي محمد: فتوح إفريقية، مطبعة ومكتبة المنار، ج2، 1966، ص3.

[2] محمد دبوز: تاريخ المغرب الكبير، ج2، دار إحياء الكتب العربية، عيسى الحلبي وشركاؤه، 1963، ص.123

سبع مقاطع وهو يربط قاعدة لمباز بالصحراء[1].وإن تتبعنا هذا المسلك في خريطة شبكة الطرق لإفريقيا الرومانية (انظرخريطة4) نجد أن هذا المسلك يعبر طولقة التي تكون مرتبطة بطريقمع مليلي، التي تتصل بدورها بتهودة عبر طريق لم يزل رسمها مجهولا، بالرغم من أنها مذكورة ومحددة المسافة في لائحة بوتينجر. حيث يحددها بأربع وعشرين ميل[2].

وقد اختلف المؤرخون، حول إن كان عقبة قد هاجم مدينة تهودة أم لا. فالنويري [3]يقول بأن السكان قد أغلقوا أبواب حصونهم. رموه بالسهام والحجارة. وشتموه حين كان يدعوهم للإسلام، وهذا يعني بأن جيش عقبة قد اقترب من أسوار المدينة. أما ابن عذارى[4] فيذكران عقبة بن نافع لما اقترب من تهودة بوغت من طرف الروم والبربر. بينما يقول ابن خلدون[5]، بأن هذا الجيش قد هاجمه البربر بغتة بنواحي تهودة، وحسب الموقع الحالي لقبر عقبة والشهداء، تكون صيغة أبن خلدون أقرب إلى الواقع. فهذه القبور تقع على بعد ستة كيلومترات جنوب أسوار مدينة تهودة، وهي الصيغة التي تطابق نص البكري حول قبر عقبة.

ومن هنا فإن الطريق العابر من طبنة إلى تهودة، وموقع كل من المعركة والقبور. كلها تثبت أن مكان قبور الشهداء المعروفين الآن، هو المكان الصحيح والمؤكد الذي جرت فيه المعركة فعلا وأستشهد ودفن فيه عقبة بن نافع وأصحابه رضي الله عنهم. (شكل56)

- **قصة الكشف عن القبر:**

تضاربت الآراء حول موضوع القبر ومكان دفن عقبة بن نافع. حيث ينفي هنري سيمون وجود القبر، ويظن أن قبر عقبة اختير تلقائيا لأحياء ذكري الفاتح فقط .وأثناء البحث حول موضوع القبر رويت لنا قصة لا نتردد في تدوينها لأهميتها وللثقة البالغة في مصادر روايتها، وهي تدور حول أعمال الترميمات التي تمت في عهد الشيخ أحمد بن الحاج محمد بن الحاج محمد بن الحاج التواتي وهو من شرفاء البلدة سنة 1214 هجري الموافق لـ 1799 ميلادي. تقول الرواية بأن الشيخ أحمد بن محمد بن الحاج تقلد مشيخة بلدة سيدي عقبة في سنة

[1] المدينة العربية: العدد 113 مارس أفريل2003 عدد صفحات المقال 57.43

[2]st.Gsell, atlas archeologique . F/N49

[3] النويري:

[4] ابن عذارى: المصدر السابق، ص 29

[5] ابن خلدون: المصدر السابق، ص221

1774 ميلادي وفي عام 1778ميلادي إثر زيارته لقسنطينة، وذلك ليبارك للحاكم التركي صالح باي حجة للبقاع المقدسة، ألقي عليه القبض من طرف السلطة التركية وذلك لمواقفه المناوئة لها، فقد أمتنع الشيخ عن أداء الإتاوات ودفع الضرائب مطالبا السلطة التركية بالقيام بواجباتها والتزاماتها إزاء البلدة ومواطنيها. ودام سجن الشيخ مدة سنتين ذاق فيها ويلات العذاب لكن ضغط الرعية أدى إلى تراجع الأتراك عن حكمهم ثم إطلاق سراح شيخ البلدة. وبعد خروجه من السجن ورجوعه إلى مسقط رأسه سيدي عقبة، أخذت تساؤلات تطرأ على باله وذلك من أثر ما عاناه في السجن. فأخذ يفكر في سبب تواجده مع عائلته وقومه بهذه المنطقة الصحراوية، والذي لم يكن إلا للاعتناء والإشراف على قبر عقبة بن نافع والبلدة التي تحتضنه. بدأت هذه التساؤلات تثير قلقه وتعكر صفو باله، كما أدخلت بعض الشك من ناحية وجود جدث الفاتح بالقبر، حينئذ عزم الشيخ على التأكد من ذلك وكانت في نيته أن يرحل عن المكان دون إفشاء السر في حالة ما لم يجد الجدث في القبر. وبالفعل قام بتنفيذ فكرته فأوعز الأمر إلى أحد خدمه وألزمه السرية، وكان العمل تحت غطاء أعمال ترميم للقبر وكان عازما على قتل الخادم في حال عدم وجود الجدث والرحيل بعد ذلك. أثناء تنفيذ هذه العمليات الترميمية وجد فوق القبر اللوحة الحجرية المشهورة والمنقوش عليها "هذا قبر عقبة بن نافع رضي الله عنه"، وكشف شيخ البلدة حينئذ عن القبر وأطلع على جثمانه وأثناء تحضير القبر وترميمه وضع الجدث في حجرة مفتي البلدة آنذاك وهو الشيخ بلقا سم بن منصور الأول (ابن محمد).

تواترت الرواية أبا عن جد في عائلة ابن منصور، إلى أن رواها الشيخ عبد المجيد بن حبه رحمه الله عن شيخه محمد بن المنصور المدعو "ابن دايخة " وهو دفين مدينة برج منايل، وتواترت الرواية أيضا لدي شرفاء بلدة سيدي عقبة وسمعها الأستاذ التواتي بن لمبارك عن والده الشيخ الهاشمي بن المبارك إمام مسجد عقبة بن نافع رحمه الله.

- **ضريح أبو المهاجر دينار:**
  - **-الموقع:**

يقع ضريح أبو المهاجر دينار جنوب منطقة سيدي عقبة؛ تهوده سابقا وهذا ما أشار إليه الورتلاني بقوله: " وزرنا من كان في القرية أيضا (سيدي عقبة) وقد قيل إن بعض الصحابة مدفون في بعض نواحيه، وقد زرناه

والحمد لله وزرنا من كان في القرية جملة وتفصيلا أحياءا وأمواتا." [1]وفي منطقة الحوش وعند مصب وادي جدي في شط ملغيغ نجد أضرحة سيدي بوناب وسيدي مسعود وسيدي دحمان وسيدي محمد الصالح وكلها ذات قبة بشكل مخروطي حاد،

نصل إلى القول ان أضرحة منطقة الزاب بسيطة في بنائها، تتكون إما من غرفة واحدة مغطاة بقبة وإما من غرفتين، غرفة الضريح وغرفة تتقدمها قد تكون مغطاة بسقف مستوي أو قبة منخفضة أو مكشوفة بمثابة صحن للضريح.

وأضرحة الزاب غالبا ما تطلى بالجير الأبيض ومواد بنائها بسيطة ومحلية ويوجد تشابه كبير بينها وبين أضرحة منطقة الجريد خاصة نفطة في الجنوب التونسي[2]، ويرى جورج مارسي أن هذه الأشكال وصلت إلى الجزائر عن طريق تنقل البدو الرحل وعلاقتهم بالدول المجاورة خاصة مصر والسودان أين يوجد الكثير منها[3].

4. المظاهر المدنية. (انظر شكل 43)

بعد استشهاد الفاتح عقبة بن نافع، قرب مدينة تهوده .تم استيطان السكان بجوار ضريحه ، وظهرت النواة الأولى لمدينة سيدي عقبة، وبحسب الرواية الشفوية ظهرت أول حارة لنشأة هذا التجمع السكاني وهي حارة البليدة، ثم تشكلت بعد ذلك المدينة من مجموعة حارات وفقا للنظام القبلي، إلى أن أصبحت تحتوي على سبع مجمعات سكنية) هي: حارة البليدة، حارة سيدي عسكر، حارة أولاد عمر، حارة أولاد الطاهر، حارةسي التومي، حارة أولاد طارد، حارة أولاد العربي، وبمرور الزمن توسعت مدينة سيدي عقبة عبر مراحل إلى أن وصلت إلى ما هي عليه حاليا.

- **مكونات المنزل المعمارية:**(شكل57)

هي منازل طينية[1] بالدرجة الأولى وهي السمة الغالبة على الشكل العمراني للمنزل الذي يسود السهول والمناطق القريبة من الوديان التي يسهل بها الحصول على الطين وتحويله إلى لبن، وتتركب من دور أرضي وطابق، ونادرا

[1].الورتلاني، المصدر السابق، ص114.

[2] -Ibid , P 454.

[3] -Marcais .G. L'architecture musulman....,PP436-437

جدا ما تكون من ثلاثة طوابق، محاطة بجدران عالية من الخارج سميكة تصل إلى أكثر50 سم، اما في عملية التسقيف فاستعمل جذوع النخيل كمادة أساسية في التسقيف لوفرتها بالمنطقة وسهولة التعامل معها(لوحة21،صورة د،و)أما من الداخل هناك فناء من تطل عليه الغرف وتكون هذه المساكن المتراصة بجانب بعضها البعض نسيجا عمرانيا فريدا، يتميز بضيق المسافات بينها ، والدروب المنحنية التي تحجب الشمس وتوفر الظل والبرودة في آن واحد، يضاف إلى ذلك أن قلة التوصيل الحراري للبن أو الطين تجعل داخل المنزل دافئا شتاء رطب صيفا مما يزيد من راحة السكان. اما المنازل ذات واجهات صماء وفتحات قليلة ضيقة لتسرب الهواء والضوء (لوحة21، صورة ب،ج)،لا تسمح لمن هو بالخارج رؤية خصوصية ما بداخل المنازل، ومن فتحات ذات شبابيك حديدية أو ذات شبابيك جصية.

- **المداخل:** (لوحة22 ، صورة د)

يعد المدخل عنصر معماري أساسي في أي مبنى بشكل عام، وقد أدى المدخل دوار هاما في تكوين واجهات العمائر الأثرية الإسلامية، تتميز مداخل المنازل في مباني هذه مدينة سيدي عقبة بالبساطة حيث تتكون من مصراع واحد ولبعضها مدخلا من مصارعين ومنها من صنع بالألواح ومنها ما صنع من الخشب، أو من جذوع النخل، وعدد آخر منها لم نجد له أثرنتيجة هجرانها وانهيار المباني (لوحة22 ، صورة و، ي).

- **السقيفة:**

هو فضاء ممهد للدخول، و يعتبر مجال عبور الزائر إلى الداخل من المجال النصف خاص إلى المجال الخاص، وهي ذات إضاءة أقل من الخارج، تكون على علاقة مباشرة مع بيت الضياف، ورأينا من خلال دارسة عدة نماذج وجود السقيفة عند المدخل مباشرة بشكل مستطيل، تتراوح أبعادها ما بين4x3م و3.5x2.5م ومنها ما وجدت بمدخل خارجي ومدخلين داخليين، أحدهما يؤدي إلى بيت الضياف مباشرة ، والثاني يولج إلى وسط الدار، ومنها ما جاءت بمدخل خارجي وآخر داخلي يوصل إلى الصحن، وكل المداخل لم تكن على خط واحد لتحقق الغرض المشار إليه سابقا ألا وهو الخصوصية.

[1] - هذا النمط الخاص بالمسكن الطيني واسع الانتشار في العالم أجمع وبخاصة في المناطق الحارة، لمزيد من المعلومات أنظر: محمد مدحت جابر عبد الجليل، المرجع السابق. ص81

- **الفناء:** (لوحة21، صورة د)

الفناء الداخلي أو ما يعرف بالحوش، وسط الدار هو مساحة مكشوفة تتوسط المنزل محددة لإضاءة وتهوية الوحدات الداخلية للمنزل وقد يكون مغلقا في حالة ما يكون محاطا بالوحدات السكنية في الجوانب الأربعة مفتوحا عندما يكون محاطا بالوحدات من ثلاثة جوانب .والفناء الداخلي من بين العناصر المعمارية التي جاءت لتلبي بالدرجة الأولى حاجيات الإنسان بحيث كان اختيار المسقط المنفتح نحو الداخل في المسكن الخاص، أين تمر حياة الإنسان من خلال المنزل بمعزل عن امتداد المنازل الأخرى وتكون الواجهة الخارجية عبارة عن الحجاب الذي يحمي سكان هذا المنزل .

يعتبر الفناء من بين العناصر المعمارية التي قامت لمعالجة بيئة ناجحة فهو عنصر يعمل كمنظم لدرجات الحرارة داخل المسكن في الليل و النهار عن طريق توزيع الحمل الحراري في داخل المبنى الذي بدوره يوفر مزيدا من الإحساس بالراحة الحرارية. و من بين أدوار الفناء الداخلي كذلك عزل الضوضاء و ذلك بحكم وضعه في المبنى و إحاطته بالعناصر الداخلية فيشكل بذلك حاجزا طبيعيا و فعالا ضد الضوضاء الخارجية وتزيد فعاليته و دوره البيني عندما يتم زراعة هذا الأخير و تنسيقه و وضع المسطحات المائية التي تزيد من خفض درجة الحرارة داخل عناصر المنزل التي تحيط بالفناء الداخلي ، وهو القلب النابض بالحركة الداخلية لأفراد الأسرة ووسيط حركي يؤمن الانتقال دخولا وخروجا من غرفة إلى أخرى، أو من قطاع معيشي إلى آخر، وتلعب هذه المساحة دوار أساسيا في ضمان الشمس والهواء، حيث تزود الغرف بالنسيم البارد خاصة أيام الصيف الحارة، كما أنها تساعد على إمداد بقيت الغرف بالضوء، وهي أيضا متنفس لأفراد الأسرة، والصحن أو الحوش هو رمز الحياة، ومركز الجذب لكل العناصر لكي تنتظم وتطل عليه في وجهة نظر بعض المفكرين المسلمين، هذا ويعتبر الفناء الحلقة الاربطة المميزة لكل العمائر الدينية أو المدنية الإسلامية[1]والفناء في الحقيقة هو قلب وجوهر المبنى بمعنى القلب في الجسم الإنساني.

[1] - محمد حسين جودي، العمارة العربية الإسلامية "خصوصيتها، ابتكاراتها، جماليتها"، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، 1998، ص62

شكل الفناء عنصر اساسيا في عمارة البيت ، ويكون مربعا في أغلبها ، ونجد أن اتساعه متفاوت من بيت لأخر بين(50إلى 70م^2) تنفتح عليه نوافذ واسعة في الغالب، ويعتبر حر الصيف العامل المناخي السلبي الأول في إقليم الزاب الذي أدى إلى اعتماد البيت التقليدي على الصحن كملطف حراري في المقام الأول، وتتمثل الخاصية الحرارية الأولى في أن جدران أقسام المنزل المختلفة المحيطة بالفناء تؤمن لأرضها[1] حماية من أشعة الشمس المباشرة خلال غالبية ساعات النهار، وتتركها مفتوحة للسماء المنعشة نسبيا، والصحن يسمح بدخول التيارات الهوائية الباردة التي تعمل على تخفيض درجة حرارة الجو في فصل الصيف، وكذلك دخول حرارة الشمس إليه في فصل الشتاء للحصول على الدفء.

- **المطبخ:**

المطبخ هو المكان أو الغرفة المخصصة للطهي، يشكل هذا المجال حيز على علاقة مباشرة مع وسط الدار كما يوجد أحيانا مجال خاص للطهي في السطح، ووجدنا بعض المطابخ بالطابق الأرضي تأخذ شكل إيوان منفتح على الفناء، وقد أخذت جل المطابخ مداخن تسمح بنقل الدخان إلى الأعلى، وهي على العموم بين المربع والمستطيل صغيرة المساحة مقارنة بباقي الغرف المعيشية.

- **الغرف:** (شكل58)

أغلب غرف منازل بلدة سيدي عقبة ذات أشكال مختلفة بين المربع والمستطيل تختلف استعمالاتها حسب الحاجة، لها مداخل بسيطة، وبها كوات داخلية وأحيانا أقيمت بها كوات خارجية بجدار الفناء شكلها بين المربع والمستطيل (لوحة22، صورة ج)، اما عدد الغرف فيختلف من منزل، لآخر يتراوح بين غرفتين إلى خمسة غرف بالطابق الأرضي، ولا تتعدى ثمانية غرف بالمنزل الواحد. كما وجدنا منازل كبيرة كانت تسكنها عائلة كبيرة متكونة من ثلاث الى أربع اسر.

- **بيت الضياف:**

او الغرفة المخصصة لاستقبال الضيوف وهي ذات علاقة مباشرة بالسقيفة تحاذيها في أغلب الأحيان، وقد أخذت الشكل المستطيل بمساحة معتبرة تتساوى تقريبا مع مساحة الغرف المعيشية لا تقلعن 12م ^{2} في

[1] ناصر الرباط: ثقافة البناء وبناء الثقافة، رياض الريس للكتب والنشر، لبنان، 2002 ص، 232.

الغالب، لها مدخلين أحدهما يسمح بالولوج إلى داخلها عن طريق السقيفة خصوصا في حال قدوم زوار أو ضيوف للمنزل، والآخر يربط دار الضياف بالفناء.

- **المخزن:**

هي غرف خاصة بالتخزين كل ما تحتاجه العائلة من مؤونة وخصوصا تخزين التمر والمعدات اللازمة للنشاط الفلاحي حسب طبيعة المنطقة، تحتوي على فتحات صغيرة لغرض التهوية، مساحتها أخذت جوانب جانبية في المنزل تختلف من منزل لآخر بحسب الحاجة، ومخازن إضافية بالطوابق العلوية تساعد على العمل خصوصا عند ضرورة التهوية أو الحاجة لأشعة الشمس بالنسبة لمحصول التمر، بالسطح الغالب على محاصيل الواحة بالمنطقة.

- **السلالم:**(لوحة22، صورة ا،ب)

السلم هو عنصر معماري هام من عناصر البناء الداخلية، يتألف من الدرجات بين أدوار المبنى، وجاءت سلالم المنازل بسيطة، ومتآكلة لم تستطع مقاومة العوامل الطبيعية والبشرية ، نماذجها قليلة لأن عددا كبيرا منها إنهار، ووجدنا منها ذات القلبة وذات القلبتين، استخدمت بها الألواح وقطع صغيرة من جذوع النخل في إقامة الدرجات، (لوحة22،صورةأ) يتم استعمالها من خلال الفناء للوصول إلى السطح[1] الذي يشكل مجال معيشي مهم لا يمكن الاستغناء عنه على مدار السنة تقريبا، حيث يستعمل السطح غير المسقف ، لتجفيف الملابس أو الصوف ، أو وضع المحاصيل للتهوية وتعريضها لأشعة الشمس كما يستعمل للنوم والسمر ليلا في فصل الصيف حيث الهواء المنعش.

- **الساحات:**

الساحات هي تلك الفراغات غير المبنية التي كثيرا ما أخذت اسم الرحبة في المدينة الإسلامية [2] وشكلت جزءا هاما منها، وكانت الوظيفة الأساسية لها على مر العصور هي ممارسة الأنشطة الجماعية للسكان سواء الدينية منها أو الاجتماعية أو التجارية أو السياسية، وإن كانت بعض من هذه الأنشطة تغلب على وظيفتها إلا

[1] - السطح وهو ظهر البيت وأعلى كل شيء أنظر: -الفيروز آبادي، المصدر السابق، ص 286

[2] . - إبراهيم بن يوسف: المرجع السابق، ص85

أنها شكلت أهم مجالات اللقاء بين السكان في المدينة[1] ، ونجد لمدينة سيدي عقبة رحبة أو ساحة مقابلة للمسجد الجامع تم توسعتها حديثا بعد إزالة عدد من المنشآت المدنية، وهي اليوم لا تؤدي كل الأدوار التي كانت تؤديها في السابق وأصبحت تشكل مجال يعمل على امتصاص كثافة واكتظاظ المصلين عند الصلوات الجامعة ، كما نجد ساحات صغيرة تخص بعض الأحياء التي نجدها شبه خالية من السكان .

- **الشوارع:**(لوحة20، صورة ج،د،و)(الشكل57)

تعتبر الشوارع والطرق والدروب والمسالك العنصر الأساسي في تشكيل هيكل الأنوية التقليدية، فهي بمثابة الشريان الذي يربط بين القلب وبقية أطرافه، فتنظم بذلك الحركة وتربط بين مختلف النشاطات، فهي تربط بين مختلف العناصر العمرانية والمعمارية المشكلة للمحيط العمراني، والتي من خلالها يتم اكتشاف النسيج العمراني وقراءته، وتنقسم الطرق النسيج العمراني القديم إلى ثلاث أنواع حسب دورها وأهميتها وسعتها وهي:

- **الشوارع الرئيسية:**(لوحة20، صورة ج)

وهي ممرات تربط بين الأبواب والساحة العمومية أو المسجد وتعد الشوارع الرئيسية من عناصر الحركة الأساسية لمدينة سيدي عقبة، فهي وسيلة اتصال بين داخلها وخارجها، فهي تقوم بربطها مع المناطق المجاورة لها كالبساتين والمقابر أو القصور القريبة منها، ويتم عبرها أيضا الاتصال بالوحدات الرئيسية كالمداخل والرحبة والمركز الذي يشغله المسجد الجامع وتتقدمه الساحة الفسيحة، وقد تغيرت كثيرا شوارع المدينة العتيقة بسبب التدخلات البشرية الكبيرة والتطورات العصرية الجديدة التي شهدتها، لكن يمكن ان نميز بين شارعين رئيسيين: الأول هو الشارع الرئيسي الممتد شمال شرق إلى الغرب و هو يربط بين الواحة في الجهة الشرقية وباب المدينة في الجهة الغربية مرورا بالمسجد الجامع ، وقد جاء بعرض واسع لا يقلعن 7 أمتار، أما طوله فيزيد عن 230م وهناك شارع رئيسي ثان يمتد باتجاه جنوب شرق ، انطلاقا من المركز وصولا إلى الباب الرئيسي بالجهة الجنوبية الشرقية

[1] عبد الباقي إبراهيم: المرجع السابق.ص 35

- **الشوارع الثانوية:**(لوحة20، صورة د)

هي شوارع من المستوى الثاني، وهي طرق عامة خاصة أقل أهمية من الطرق الرئيسية العامة، أين تتميز بسيطرة سكان الحي، وهي تربط بين الشوارع الرئيسية وشوارع أكثر خصوصية تتفرع منها، وقد وجدنا منها أجزاء مسقفه، ولم نستطع إجراء دارسة وصفية كاملة لها، فهي شوارع لا تتضح بشكل كبير بفعل تأثير الأشغال العمومية والتدخلات البشرية والطبيعية التي أدت إلى سد بعض الشوارع، لكن مخطط النواة نلمس منه وجود شارع ثانوي يتفرع إلى شارعين إثنين يوصلان إلى البابين الشماليين ، يمتد باتجاه شمال وشمال غرب انطلاقا من المركز، يتميز بالالتواء وقلة الاتساع ، وتتفرع منه عديد الأزقة المغلقة، كما نلحظ شارع ثان يتفرع من الشارع الرئيسي الممتد شرق غرب يأخذ اتجاه الجنوب ثم ينحني إلى الجنوب الغربي ، يتميز بكثرة الالتواءات والضيق يتفرع إلى شارعين اثنين ينتهيان بأزقة مغلقة، وهذين الشارعين الثانويين هما أطول الشوارع الثانوية كما نجد شوارع ثانوية أخرى بامتداد قصير تتفرع بالأخص من الشارع الرئيسي الممتد شرق غرب.

- **الازقة غير النافذة الشوارع الثانوية:**(لوحة21 ، صورة أ)

تمثل المستوى الثالث، وهي شوارع ضيقة تربط بين الممرات الثانوية والأحياء السكنية أو بين الجزيرات فيما بينها، نميزها بأنها غير نافذة في نهايتها تنتهي بساحة داخلية أو رحبة تتوزع حولها البيوت، تعرف باسم العائلة التي تسكنها، وهي مكيفة من ناحية الاتساع مع ،متطلبات الحياة اليومية للساكن وما تمليه البيئة التي يعيش فيها كأن تسمح للإنسان بمروره ودابته محملة، وهي ممرات خاصة تخلوا من الحركة والنشاط، وقد درسنا نموذجين جاءت أطوالها لا تزيد عن 15م، وعرضها لا يتعدى 3.5م، وأحيانا تتخلل الدروب ممرات أكثر ضيقا من الأزقة وهو ما يطلق عليه اسم "الدريب فتحت به أبواب أخرى للمنازل، ويعتبر ، " الدريب الوحدة العائلية لسكان القصر، بينما يمثل الدرب الحد الفاصل للتجمعات العائلية وأحيانا للحي القبلي كله، ويقدم لنا مخطط المدينة وجود ما لا يقل عن14 زقاق بنهاية مغلقة تشكل الحدود النهائية لامتداد الشوارع داخل المدينة.(لوحة20،صورة،و)

- **الأبواب:**

الأبواب مفردها باب، والباب هو المدخل في سور المدينة أو واجهة المسجد، أو جدار بيت، أو بين الغرف، وقد يكون الباب بمصراع واحد أو إثنين أو أكثر[1] أما أبواب أسوار المدن كانت مرتفعة، ، بحيث يمكن للفارس أن يلجها وهو على ظهر فرسه ويحمل العلم أو الراية أو الرمح الطويل دون أن يميل، وتأخذ هذه الأبواب أسماء مشهورة معروفة، ففي كل مدينة أبواب معروفة المكان والاسم ، وترتبط بها غالبا أحداث تاريخية[2] وقد تكلم العديد من المؤرخين والجغرافيين عن أهمية الأبواب أمثال القزويني، الذي جعل تعدد فتح الأبواب ضرورة حتى لا يتزاحم الناس في الدخول والخروج من باب واحد، بل يدخل المرء ويخرج من أقرب باب إليه[3]، ومدينة سيدي عقبة تتميز بوجود ثمانية أبواب تحيط بها من كل الجهات تربط بينها وبين المحيط الخارجي وتتصل بدورها بالممرات المهيكلة للحي، حيث نجد ثلاث أبواب بالناحية الشمالية ، وباب بالجهة الشرقية ، وباب بالناحية الجنوبية الشرقية، وبابين جهة الجنوب، وباب أخير بالجهة الغربية، وتتميز بطابعها الوظيفي المرتبط بالواحة بشكل كبير، فقد كانت الأبواب تتميز بالبساطة والحجم المتوسط ومداخلها بشكل سقيفة.

ومن خلال دارسة مدينة سيدي عقبة وجدناها محاطة بالنخيل من أغلب الجهات وسكناتها تتميز بالتراص والتداخل فيما بينها الأمر الذي حقق شبه مناخ معتدل محلي ووفر الحماية من الرياح المؤذية خاصة الرياح الحارة المحملة بالرمال والأتربة، وجاءت المنازل ذات واجهات بسيطة صماء قليلة الفتحات تمنع دخول الرياح وتحقق خصوصية داخلية بعيدة عن أنظار الغرباء(لوحة21،صورة أ)، وجاءت شوارع النسيج العمراني التقليدي ملتوية ومنها المسقفة توفر الظل لمستعمليها والحماية من الشمس والرياح (لوحة20،صورة،د)، مع وجود الساحات التي حققت التهوية العامة، وجاء البناء بمواد محلية متوفرة في المنطقة من جذوع النخيل وطوب الطين الذي يحقق الجو الأمثل داخل الغرف، فهذه التركيبة العمرانية وهذا التصميم الأصلي يتلاءم مع الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والمناخية للمنطقة وسكانها.

---

[1] . يحي وزيري، المرجع السابق، ص 11.

[2] المرجع نفسه: ص 39.

[3] . - زكرياء بن محمد القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد، دار الصادر، بيروت، لبنان، 1980، ص8

أما قرية تهودة البائدة والتي كانت عامرة وفق المصادر والمراجع التاريخية التي تناولتها بالوصف في الفترة الرومانية (لوحة23، صورة و، ي). فبعد هجرتها من السكان بعد الفتح الإسلامي، شيئا فشيئا استقر بها السكان وتكونت قرية صغيرة علي أنقاضها ولم يختلف عمرانها كثيرا عن بلدة سيدي عقبة حيث انشات منازل من طابق وطابقين، كما استعملت نفس مواد البناء المستعملة في بلدة سيدي عقبة الغير بعيدة عن بلدة سيدي عقبة (لوحة23، صورة ا،ب،ج)(شكل رقم 61)

ثانيا: بلدتا بادس ولقصر:

من بين قرى الناحية الشرقية لولاية بسكرة (الزاب الشرقي)، والتي ضاع صيتها في فترات سابقة خاصة الحقبة الرومانية وأثناء الفترة الإسلامية لكن شيئا فشيئا تلاشى دورها وأصبحت من القرى البائدة المهجورة.

1. الموقع الجغرافي:

تقع بلدة بادس في أقصي الشمال الشرقي للولاية حيث تبعد على مقر الولاية بحوالي 100كلم يحدها شمالا بلدية خنقة سيدي ناجي وجنوبا زريبة الحامد وشرقا الفيض وغربا زريبة الوادي.

2. النشأة والتطور:

تجمع المصادر الشحيحة التي تكلمت عليها أنها أي (بادس) ،(باديا‌س) أو (باديوس) موغلة في التاريخ حيث ارتبط اسمها بالاحتلال الروماني والبيزنطي وانتهاء بالفتح الإسلامي لبلاد المغرب وبالرغم من أهميتها التاريخية والحضارية إلا أنها لم تحظ بالعناية الكافية من قبل الباحثين. أسست في عهد الإمبراطور تراجان(trajan) خلال القرن الاول الميلادي لتكون نقطة ارتكاز للجيش الروماني على تخوم الصحراء ازدادت اهميتها لوقوعها ضمن ما يعرف بتحصينات خط الليمس لمنع قبائل الجيتول الصحراوية من التسلل نحو الشمال، كما أن موقعها بين الطريق الرابط بين فسيرا(بسكرة)غربا وبين ماسكولا(خنشلة) شمالا وقفصة بتونس شرقا و تبسة(تيفست)التي تقع شمال شرق بادس، حيث سمح هذا الموقع الاستراتيجي لها من لعب دور استراتيجي عبر الحقبات التاريخية والبقايا الأثرية التي مازالت لحد الآن تدل على المكانة التي لعبتها منها بقايا المعسكرين المعسكر الذي يحيط بالقلعة(لوحة 27،صورة ي) وهو محصن أما المعسكر الثاني فكان عبارة عن مرتفع محاط بسور دائري اتخذ سكنا للمدنيين(لوحة 28،صورة أ،ب،ج) وقد تم ذكر المدينة ضمن قائمة مدن

بوتنجر(petinger[1])، أما أصل التسمية فيعود إلى القائد الروماني الذي اشرف علي تخطيطها وبنائها (باديوس)أو(باداياس).

أما المدينة في الفترة الإسلامية فلقد تطرقت العديد من المصادر التاريخية والجغرافية لها بشكل عام، حيث ذكرها البكري[2]"ومنها إلي مدينة باديس مرحلة وبمدينة باديس حصنان فيهما جامع وأسواق و بسائط ومزارع جليلة و يزدرعون بها الشعير مرتين في العام علي مياه سائحة كثيرة عندهم"، إلا أن هذا الذكر والوصف خاص بمدينة بادس أو(باداياس الرومانية)التي كان لها شأن كبير في المنطقة، وحولها قري كثيرة . وقد شهدت المنطقة عموما استقرار قبائل عربية هلالية، والتي هاجرت من المشرق خلال القرنيين السادس والسابع الهجريين الموافق لـ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين، ويذكر ذلك ابن خلدون "وهؤلاء هم المودعات وهم موطنون بجبل أوراس مما يلي زاب تهوده.[3]وغلبهم رياح و الذواودة، فنزلا بلاد الزاب و اتخذوا بها الآطام والمدن، مثل الدوسن، وغريبوا، وتهوده، و تنومه، و بادس وهم لهذا العهد من جملة الرعايا الغارمين لأمير الزاب".[4]

وجاء في معجم البلدان لياقوت الحموي "بادس بكر الدال المهملة وسين غير معجمة: اسم لموقعين بالمغرب، قال: أبو طاهر احمد بن محمد سمعت أبا الحجاج يوسف بن عبدون بن حفاظ الزناتي بالإسكندرية يقول: سمعت ابا عبد الله البادسي الفقيه وهو من بادس فاس لا من بادس المغرب"[5] ولا شك أن ذكر المدينة له أكثر من دلالة وأهمية.

[1]R.cagnat.l'armée romaines d'Afrique et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs 2ed. Paris.1912

[2]البكري: المسالك والممالك، المجلد 2 ، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2003. ص257.

[3]ابن خلدون: المجلد 6، المصدر السابق، ص28.

[4]ابن خلدون: المصدر نفسه: ص ص،28-30.

[5]ياقوت الحموي: المصدر السابق ص317

أ. مظاهر العمران الدينية:

- **الأضرحة:**(لوحة28 ،صورة و، ي) من خلال معاينتا الميدانية لبقايا المدينة لم نجد إلا بعض المباني المنهارة فوق تلة هي بقايا بادس البائدة أما القرية المجاورة لها والتي لا تبعد إلا ببعض الكيلومترات والمعروفة بالقصر فهي تتوفر علي بعض الأضرحة البسيطة وهي لا تختلف على باقي أضرحة الولاية في شكلها المخروطي منها ضريح سيدي يحي حيث يوجد في غرفة بركن من أركان صحن المسجد (الشمال الشرقي) ،يعاني الإهمال غير مجصص كما لم نجد أي نوع من الزخرفة ، استعمل في بناء غرفة الضريح مواد بناء بسيطة كاللبن بها غرفة فتح بابها ونافذتها الي الداخل نحو صحن المسجد(لوحة28 ،صورة د).

أما **الضريح الثاني:**(لوحة 28، صورة و) فهو لسيدي علي بن يحي يوجد بمسجد القرية، يأخذ مكانا داخل بيت الصلاة داخل غرفة صغيرة مربعة الشكل2/2م، يعاني أيضا الإهمال بحيث يخلو من أي نوع من الزخرفة بسبب هجرة السكان للبلدة، والتحول لمسجد حديث أين أصبحت تقام الصلوات والصلوات الجامعة.

- **المساجد:**

يتميز مسجد لقصر بشكله المربع حوالي 10/10م وبواجهته الصماء، حيث لا نجد نوافذ في جدرانه الخارجية ماعدا واحد في الجدار الجنوبي الغربي في نفس الجهة التي فتح فيها المدخل الرئيسي للمسجد. (لوحة29، صورة د) أما بيت الصلاة تبلغ مساحتها 6/6م بسيطة مبلطة، كما فتح في الجهة الشمالية باب يؤدي للصحن المكشوف (لوحة29، صورة ب)، أما الأعمدة الحاملة للسقف فتميزت بالبساطة والسماكة، حيث تصل الى50/50سم استعمل فيها اللبن(لوحة29،صورة ي). أما محراب المسجد ففتح في جدار القبلة تميز بالبساطة أيضا يعلوه عقد ذو حذو ة الفرس. (لوحة 29، صورة ا)

اما السقف فاستعمل التسقيف المسطح لبيت الصلاة، حيث استعملت مواد الخشبية كجذوع النخيل وسعف النخيل والجريد للتسقيف، واستعمل العرعار كروابط بين الأعمدة الحاملة للسقف. (لوحة30، صورة ب،ج)

ب. مظاهر العمران المدنية:

- **مكونات المنزل المعمارية:** لم يختلف المنزل البادسي عن باقي المنازل بالزاب الشرقي، حيث تميز بالاتساع والبساطة وتتكون في اغلبها من طابق واحد، ونادرا ما نجدها تتكون من طابقين. كما وظفت فيه مواد محلية كالطين والبن والحجارة ومواد نباتية، كجذوع النخيل و العرعار و السرو. كما تميزت واجهات المباني بالبساطة وقلة الفتحات نحو الخارج وتوجيها للداخل لإضفاء الخصوصية للساكنين (لوحة 30، صورة أ)

- **المداخل:** (لوحة 30، صورة د) تميزت اغلب المباني المتبقية المهجورة والتي درسناها بمداخل بسيط خالية من أي زخرفة ما عدا بعض المداخل التي استعملت فيها عقود بسيطة بغرض الزخرفة (لوحة 31، صورة ج) منها المدخل الرئيسي للمنزل حيث تغلق بمصراع بسيط ومصنوع من جذوع النخيل الألواح ومدخل جانبي يؤدي لبيت الضياف التي جعل لها بابا لوحدها

- **السقيفة:** الممر الرئيسي المولج للمنزل (لوحة31، صورة أ)، تراوحت سمكها ما بين 3/3م وجدناها في اغلب المنازل المدروسة.

- **المطبخ:** خصص له غرفة بسيطة في ركن من أركان المنزل تميزت بالبساطة أيضا.

- **الغرف:** جاءت اغلبها مستطيلة الشكل تراوحت بين الثلاث والأربع غرف. مختلفة المساحات مخصصة للنوم تتوزع بين الطابق الأرضي والطابق الأول. (لوحة30، صورة و) واستعمل المعماري البادسي تقنيات بسيطة لإضفاء لمحة جمالية في مبانيه، وذلك بتكسية جدران الغرف (لوحة30، صورة ي)، كما استعمل في عملية تسقيف المنزل وملاحقه، الخشب بأنواعه (لوحة30، صورة ب،ج)

- **بيت الضياف:** أخذت مكان في زاوية من زاويا المنزل لها مدخل خارجي يؤدي للشارع تراوحت مساحتها مابين4/4 إلى 5/5 م.

- **المخزن:** عنصر معماري أساسي في المنزل مخصص لتخزين مختلف الأغراض، خاصة وان المنطقة معروفة بخصوصيتها الفلاحية وإنتاجها للحبوب مثلما ذكرت المصادر التاريخية، كالبكري أن القمح كان يزرع مرتين في السنة إضافة لمنتوج التمور.

- **السلالم:** تميزت بالبساطة تربط الطابق الاول بالأرضي، ويختلف عدد درجاتها حسب ارتفاع المبني وتركيبته المعمارية.
- **وسط الدار أو الفناء:** لا يخلو منزل ببلدة بادس من هذا العنصر المعماري نظر للظروف المناخية التي تميز المنطقة والمعروفة بارتفاع درجة الحرارة يتميز في اغلب المنازل بالاتساع بسبب وظائفه المتعددة سواء الأسرية، كالنوم أو تعريض بعض الأغراض للشمس، أو السمر أوقات الحر... الخ.(لوحة 30، صورة أ)
- **الساحات:** نظرا لهجرة السكان للقرية وبقاء عدد قليل، وانهيار اغلب المباني لم نجد ساحات واضحة المعالم ماعدا واحدة بجوار المسجد، تميزت بالاتساع منفتحة على شوارع نافذة.
- **الشوارع:** تميزت بتنوعها بين الرئيسة والثانوية والحادة أو ما تعرف بغير النافذة وكذا تعرجها، لتوفير الظل والخصوصية.

نستخلص من خلال دراسة معالم بلدية بادس وقرية لقصر أن عمارتها سواء كانت دينية او مدنية جاءت بسيطة في هندستها المعمارية وفق الإمكانيات المحلية المتاحة والتي طوعها لتلبية احتياجاته ملتزمة بالمعايير الدينية

- **خلاصة:**

في نهاية هذا الفصل ومن خلال المعاينة الميدانية للمواقع المدروسة نستخلص ان المعماري في منطقة الزاب الشرقي وبالتحديد ببلدة سيدي عقبة وبلدة بادس وقرية لقصر، اعتمد على معرفته الذاتية في إنتاج عمارة محلية في طابعها المعماري ،الزخرفي ، والعمراني وفق ثقافته ومعتقداته لاحظنا ذلك سواء في العمارة الدينية كالمساجد والأضرحة أو العمارة المدنية خاصة المنازل أين أعطي عناية و أهمية بالغة للمسكن من اجل توفي نوع من الخصوصية والحرمة كما انه وظف المواد المحلية كالطين وجذوع النخيل في عمارته مستفيدا من بيئته المحلية وهي الطابع الواحاتي الذي تتميز به المنطقة وكذا إعادة توظيف مواد البناء التي وجدها في خرائب تهودة البائدة، ولكن بشكل عام لم نجد اختلافا جوهريا بين نمط العمارة في الزاب الغربي وكذا الزاب الشرقي ماعدا في بعض النواحي المعمارية منها استخدام بعض المواد في البناء كالحجارة الجيرية مثل أولاد جلال او

سيدي خالد أو الدوسن ويعود ذلك لتركيبة الأرض الجيولوجية بالمنطقة أما منطقة الزاب الشرقي فكان النصيب الأكبر للطين باعتبار المنطقة مصبا لأودية كثيرة تأتي من الكتلة الأوراسية، أهما وادي العرب. أما التكوينات المعمارية للمنزل فهي تتوافق وطبيعة المجتمع المحلي بشكل عام. إلا أن الملاحظة الجوهرية التي يمكن الخروج بها هو فقدان هذه البلدات مكانتها المرموقة التي كانت تعرفها في فترات سابقة.

البـــاب الثاني

الدراسة التطبيقية (عمران خنقة سيدي ناجي)

- **تمهيد**

إذا كان السكن هو النواة الأولى للنسيج العمراني[1] فهو الذي يوفر السكينة، فإن النسيج العمراني هو اللبنة الأساسية في تكوين المدينة، فهو الذي يعطي للعلاقات الوظيفية في القرية او المدينة الرفاهية والسلاسة ويوطد العلاقات بين أفراد العشيرة والمجتمع. إن المتجول في المناطق الصحراوية الجزائرية يلاحظ بوضوح أنواعا وأنماط كثيرة من السكن وأشكالا من الأنسجة العمرانية هي القصور او ما يعرف-الأنسجة العمرانية القديمة.

نلاحظ هناك نوعان من القصور الأولي محصنة بسور وتعرف بعدد كثيف من المساكن من الداخل ذات شوارع ملتوية جزء منها مغطاة للتوفير الظل والراحة والأخر مفتوح أما القصور المفتوحة فهي غير محصنة وتعرف بشوارع أوسع وأكثر تهوية وهي اقل كثافة على مستوي المساكن كالأولى.

ونحاول التطرق إلى كيفية تطور وماهية أنماط الأنسجة العمرانية التي أنتجت في قصر خنقة سيدي ناجي وتحديد خواصها المورفولوجية والنمطية ومدى تأقلمها مع عناصر البيئة المحلية ومحاولة إيجاد مقاربات جديدة تعتمد على تطور هذه الأنماط للخروج بنمط تحليلي نعتمد من خلاله على تحديد خصائص أنسجة عمرانية لهذه القصر وتقييم مدى تأقلمها مع عناصر البيئة المحلية واستجابتها للمتطلبات وتطلعات المستعملين وتمحورها وتأقلمها مع مسار العصرنة.

إن إنتاج الأنسجة العمرانية بمنطقة خنقة سيدي ناجي كانت تخضع لمرجعية اجتماعية أكسبتها تجانسا وتوافق عمراني.

[1]-شاع استخدام تعبير النسيج العمراني في العديد من الأدبيات والمراجع والتقارير والدراسات العمرانية وتتباين مفاهيمه ومدلولاته فقد يستخدم ليعني تكوين العام لشبكات الحركة والفراغات المفتوحة لمنطقة ما أو ليعبر عن العلاقة بين الكتل المبنية والفراغات المفتوحة المحصورة بين هذه الكتل والمحيطة بها. كما هو مجموع ملامح نظام الفراغات البينية أو شبكات الحركة والإيصال وما يرتبط بها من فراغات معابر الحركة الفراغات والمسارات (ويمتد أيضا ليسجل أصناف البناء على قطع الأرض والخطط والقطاعات .-نسب ونظام البناء وأنماطها

مدخل عام

تاريخي وجغرافي حول خنقة سيدي ناجي

أولا: التعريف بالبلدية.

- **الموقع الجغرافي.**
- **الموقع الإداري.**
- **إشكالية التسمية.**

ثانيا: لمحة عن المناخ السائد في منطقة سيدي ناجي. (الحرارة التساقط، الرطوبة الرياح)

ثالثا: اختيار موقع الخنقة.

رابعا: ظرفية التأسيس.

أولا: التعريف بالبلـدية:

1. الموقع الجغرافي: (خريطة، 14) (لوحة 31، صورة جوية د)

تقع بلدية خنقة سيدي ناجي في منطقة الزاب الشرقي أقصي شرق بسكرة، وهي تتوضع في أقدام سلسلة الاوراس بالضبط في أقدام جبال النمامشة، وتبعد عن مقر الولاية "بسكرة" بحوالي 100 كلم، وترتبط بها بواسطة الطريق الوطني رقم83 ويعد المحور الرئيسي في هيكلة مجال البلدية وفي الحركة والاتصال، وبمسافة 25كلم عن مقر الدائرة زريبة الوادي شرقا.

2. الموقع الإداري:

بلدية خنقة سيدي ناجي تابعة إداريا لدائرة زريبة الوادي، ولاية بسكرة تتربع على مساحة 80كلم^2 وحدودها كالآتي:

الشمال الشرقي: بلدية خيران (ولاية خنشلة)

الشمال والشمال الغربي: بلدية الولجة (ولاية خنشلة)

الشرق: بلدية جلال (ولاية خنشلة)

الجنوب الشرقي: بلدية بابار(ولاية خنشلة)

الجنوب والجنوب الغربي: بلدية زريبة الوادي (ولاية بسكرة)

تضم تجمعين سكانيين:

أ. النواة القديمة وتتميز (شكل62 أ،ب)

بموضع محصور بين الجبال ووادي العرب، نسيج رديء ومواد بنائه طينية(لوحة31،صورة ي)، كما يتميز بعدم التنظيم في محاوره الداخلية. (لوحة 31، صورة و)

ب. النواة الجديدة(البرج): (شكل63)

تكونت نتيجة لنقص الأراضي الخاصة بالتوسع العمراني في النواة الأولي، لذلك كان التفكير في تكوين نواة أو تجمع جديد موازية للطريق الوطني 83.

3.إشكالية التسمية:

أ. إسم الخنقة: جاء في القاموس المحيط[1] أن الخانق الشعب الضيق والزقاق المختنق: المضيق ومختنق الشعب مضيقه والخانق مضيق في الوادي والخانق شعب ضيق في الجبل، وأهل اليمن يسمون الزقاق خانقا[2]. كما أن اسم الخوانق ارتبط بالزوايا في المشرق، حيث يذكر ابن بطوطة[3] "وأما الزوايا فكثيرة، وهم يسمونها الخوانق واحدتها خانقه". و بما أن هذا المصطلح غير شائع في بلاد المغرب، رغم أن بلدة خنقه سيدي ناجي بدايتها الأولى كانت عبارة عن زاوية للتصوف والعبادة، إلا أننا نرجح أن تسمية الخنقة تسمية جغرافية تعني الفج والمضيق بين جبلين، (لوحة32صورةأ)و كثيرا ما يضاف إلي اسم آخر، فيقال خنقة كذا وكذا، ومن ثمة أضيفت الخنقة إلى الجد الأول للأسرة سيدي ناجي.

وقد عرفت قبل ذلك مكانا مهجورا يرتاده النعام ولهذا سميت قديما أيضا "مورد النعام". فالمنطقة كان يرتادها النعام إلى وقت قريب، وقد حمل عرب الصحراء عدة مرات نعامات يافعة ارتفاعها أربعة أو خمسة أقدام إلي أحمد باي[4].إلا أن ستيفان غزال يذكر وجود أثار قرية بربرية على الجهة اليمني من وادي العرب[5]. وقد أضيفت لها تسميات عدة، أهمها "تونس الصغيرة" نظرا لتشابه عمرانها ومكانتها الاقتصادية والثقافية. كما أنها شبهت بمكة، ويورد ذلك الورتلاني بقوله "قيل أنها تشبه مكة في وضعها وفي البركة، غير أن التشبيه فيه بعض التعالي لكن كلام الأولياء مقبول، فيقول بما يوافق الشرع من غير تلبيس ولا

---

[1] الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ص1138.

[2] لسان العرب: باب الخاء، المجلد الثاني، ص 325.

انظر أيضا: لسان العرب، المجلد3، ص190، مصطلح "الزقاق"، والتي تعني السكة يذكر ويؤنث، والزقاق الطريق الضيق دون السكة، وأيضا طريق نافذ وغير نافذ.

[3] ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت لبنان،1980، ص37.

[4] فندلين،شلوصر: المصدر السابق، ص101.

[5] St. Gsell: Atlas,f.N49.

التباس"[1]ولعل تشبيه أهالي المنطقة الخنقة بمكة، كان جغرافيا أكثر منه شيئا آخر، فمكة تنحصر بين جبلين وكذلك خنقة سيدي ناجي.(لوحة32،صورةب)

نستخلص في الأخير أن اسم الخنقة اسم للمكان الجغرافي الذي يقع فيه، من ثم أصبح اسما على علم فعرفت به المنطقة.

ب.طبيعة المنطقة جغرافيا:

تتموضع خنقة سيدي ناجي بين السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي شرقا ووادي العرب غربا وهي عبارة عن سهل منبسط تكون نتيجة ترسبات وادي العرب على مر السنين.

- **لمحة عن المناخ السائد في خنقة سيدي ناجي:**

- المناخ:

يلعب المناخ دورا أساسيا في تأسيس المدن أو القصور وكذلك في نموها وتطورها فكلما كان المناخ مساعدا على المعيشة زاد ذلك في الاستقرار والتطور والعكس صحيح كما انه يتحكم في توجيه الشوارع والأزقة والبيوت وحتى في اختيار مواد البناء لذا كان لازما علينا أن نفهم المناخ السائد في منطقة خنقة سيدي ناجي" السفوح الجنوبية لمنطقة الاوراس" حتى يتسنى لنا تفسير بعض المظاهر في مجال العمارة والبناء، ومن هنا نسلط الضوء على ثلاثة عناصر ألا وهي الحرارة والأمطار والرياح.

تمتاز منطقة خنقة سيدي ناجي، بمناخ انتقالي ما بين الجاف والصحراوي الجاف لكونها تحت التأثير المباشر للأطلس الصحراوي، فموقع خنقة سيدي ناجي الجغرافي على السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي تخضع لتأثير منطقتين مختلفتين حراريا، المناخ المتوسطي من جهة والصحراوي من جهة أخري، وبذلك المناخ الذي يسودها مناخ متوسطي قاري، بارد ورطب شتاءا، وحار وجاف صيفا.

[1]الورثيلاني الحسن محمد: نزهة النظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تحقيق ونشر محمد أبي شنب ط2،دار الكتب، بيروت ،لبنان، ص..زار الخنقة في طريقه للحج، حيث يمر بها طريق رئيسي للحجاج، وبقي هذا الطريق إلي وقت قريب يستعمل كممر رئيسي للحج ترتاده جموع في مواكب من الغرب الجزائري ومن المغرب الأقصى، حيث يستعملون وسائل الركوب التقليدية الخيل والبغال وكذا السير علي الأقدام .

- **الحـرارة:**

من خلال المعدلات الشهرية للقياسات القصوى والدنيا في منطقة خنقة سيدي ناجي، سواء كانت مطلقة أو نسبية في الفترة في سنة 1999. نلاحظ أن ارتفاع درجة الحرارة في شهر أوت، حيث يكون متوسطها42،6م أما متوسط درجة الحرارة المنخفضة، فسجلت في شهر جانفي2،16 م°وبذلك تعد أشهر جوان، جويلية، و أوت أسخن أشهر السنة. فارتفاع درجة الحرارة أُثر سلبا على المباني في خنقة سيدي ناجي، التي هي أساسا طينية .

- **التساقـط:**

يتميز التساقط بخنقة سيدي ناجي بالتذبذب وعدم الانتظام، وعادة ما تسقط على شكل أمطار فجائية، فتتسبب في خسائر مادية وبشرية هائلة. ويقدر معدل التساقط السنوي بـ190,3ملم، فهي غير كافية لقيام زراعة في المنطقة، إلا أنها اشتهرت بكثرة ثمارها ونخيلها ومرد ذلك، تركيز شيوخ خنقة سيدي ناجي منذ تأسيسها على استغلال وادي العرب كمورد أساسي للتزود بالمياه، سواء للشرب أو الفلاحة فأنجزوا قنوات للري كما استغلوا القنوات الرومانية في المنطقة، فأنشئوا "ساقية موسي" و"سيدي محرز"و "قطع الوادي"...الخ. أما الرطوبة فتتميز البلدة بالجفاف والرطوبة المنخفضة، حيث تبلغ 41%

- **الريـاح:**

نظرا لوقوع خنقة سيدي ناجي في منخفض تحت جبال الاوراس، جعلها تتعرض لنوعين من الرياح:

الأولى: "باردة" شمالية وشمالية غربية، وتهب عادة خلال أشهر (نوفمبر، ديسمبر، جانفي، فيفري، مارس، أبريل).

الثانية: "حارة" جنوبية وجنوبية شرقية المعروفة "بالسريكو"حارة وقوية ومحملة بالرمال، تهب في أواخر فصل الربيع والصيف. ويكون هبوبها من شهر مارس إلى شهر أوت مما يؤثر على النشاط العام في الخنقة.

ج. إختيار موقع الخنقة:

لقد تطرقت العديد من المصادر التاريخية والجغرافية للمنطقة بشكل عام، حيث ذكرها البكري[1] "ومنها إلى مدينة باديس مرحلة وبمدينة باديس حصنان فيهما جامع وأسواق و بسائط ومزارع جليلة و يزدرعون بها الشعير مرتين في العام علي مياه سائحة كثيرة عندهم"، إلا أن هذا الذكر والوصف خاص بمدينة بادس أو (باداياس الرومانية) التي كان لها شأن كبير في المنطقة، وحولها قري كثيرة.

أما كتب الرحالة، فتعطينا وصفا أكثر دقة منهم العياشي الذي ذكرها في رحلته للحج. كذلك الورتيلاني عن الخنقة قائلا "الخنقة قرية مباركة طيبة، ذات نخل وأشجار بين جبلين"[2].

يقول ابن خلدون[3] في شروط اختيار الموضع لبناء مدينة: "وجب أن يراعي فيه دفع المضار بالحماية من طوارقها، وجلب المنافع وتسهيل المرافق لها: فأما الحماية من المضار، فيراعي لها أن يدار على منازلها سياج والأسوار، وان يكون وضع ذلك في ممتنع الأمكنة، إما على هضبة متوعرة من الجبل، وإما باستدارة بحر أو نهر، حتى لا يوصل إليها إلا بعد العبور على جسر أو قنطرة، فيصعب منالها من العدو ويتضاعف امتناعها وحصنها" ونجد هذا الشرط متوفر في موضع الخنقة كوادي العرب،[4](لوحة32صورةد)تحصين طبيعي من الجهة الشرقية، أما من الشمال فالقرية محمية بأكثر من 100كلم من الجبال أما من الجنوب فهي محمية بالصحراء[5].ومما يراعي في ذلك للحماية من الآفات السماوية:

طيب الهواء للسلامة من الأمراض، فإن الهواء إذا كان راكدا خبيثا، أو مجاورا للمياه الفاسدة، أو لمنافع متعفنة، أو لمروج خبيثة، أسرع إليها العفن من مجاورتها، فسرع المرض للحيوان الكائن فيه لا محالة.

---

[1] البكري: المسالك والممالك، المجلد2، تحقيق جمال طلبة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2003.

[2] الورتيلاني: المصدر السابق، ص117.

[3] ابن خلدون: الجزء 1(المقدمة)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، ص370.

[4] سعي بهذا الاسم لان الأعراب كانوا يسلكونه سنويا في رحلتي المصيف ذهابا وإيابا، ينبعث هذا الوادي من رافدين أحدهما من جبال بني ملول في الاوراس، والثاني من جبال ششار، ويمر بالخنقة ثم يصب في مكان يدعي الفيض، ومنه إلى شط ملغيغ. وكان هؤلاء، يأتون من أولاد بوحديجة وأهل الفيض والخذران والسوافة وأولاد نايل، وغيرهم من القبائل مارين بأعداد هائلة من الجمال والمواشي وغيرها من الحيوانات، ومعهم خيامهم ولوازمهم في حركة دؤوبة في آخر فصل الربيع و أوائل فصل الخريف.

[5] G. mercier :Khanguet sidi Nadji, quelques inscriptions arabes inédites, p145

أم جلب المنافع والمرافق للبلد فيراعي فيه أمور:

منها الماء بأن يكون على نهر، أو بإزائها عيون عذبة ثوة. ووادي العرب يوفر ذلك حتى في الفصول الحارة، ولا أدل على ذلك من تركيز الرومان على المنطقة وإنشاء قنوات الري بها على ضفاف هذا الوادي حينما كانوا مستقرين بالمنطقة.[1](شكل64)

وقد شهدت المنطقة عموما استقرار قبائل عربية هلالية، والتي هاجرت من المشرق خلال القرنيين 6 و7 الهجريين الموافق لـ 12و13الميلاديين، ويذكر ذلك ابن خلدون[2]"وهؤلاء هم المودعات وهم موطنون بجبل أوراس مما يلي زاب تهوده. وغلبهم رياح و الذواودة، فنزلا بلاد الزاب و اتخذوا بها الاطام والمدن، مثل الدوسن، وغريبوا، وتهوده، و تنومه، و بادس وهم لهذا العهد من جملة الرعايا الغارمين لأمير الزاب".

- **ظرفيـة التأسيس:**

تأسست خنقة سيدي ناجي علي يد "سيدي المبارك" مع بداية القرن الحادي عشر للهجرة الموافق للقرن السادس عشر الميلادي، ونسبها إلي جده الأول "سيدي ناجي" تبركا. ويرجع أحفاد سيدي المبارك نسبهم إلى ثالث خلفاء الرسول صلي الله عليه وسلم، عثمان بن عفان رضي الله عنه. وقد جاء في الكناش أن نسبهم هذا في كتاب الأنساب للشيخ يحي بن سلامة، وفي الدرر و العقيان في أخبار بني زيان، وفي تاريخ الوزير لابن أبي الضياف[3]

إلا أن ما جاء في كتاب "منار الإشراف علي فضل عصاة الأشراف" للشيخ عاشور بن محمد وهو من علماء الخنقة، يذكر نسبه إلي نسل الرسول صلي الله عليه وسلم أي فاطمة الزهراء وعلي بن أبي طالب رضي الله

[1] St.Gsell: Atlas،f.N, 49

[2] ابن خلدون: كتاب العبر: المصدر السابق: ص ص،30،28.

[3] ابن أبي الضياف: تاريخ الوزير،

عنه[1] ويعزز هذا الطرح رواية متداولة ليس ببعيد عن خنقة سيدي ناجي، وبالتحديد في قرية "تبويحمد" التي استقر فيها الابن الثاني لمحمد الطيب، والتي ترجع نسب الأسرة إلي الرسول صلي الله عليه وسلم.

ويقول عبد الغاني بن حسين[2]وهومن أحفاد أسرة بن ناجي أن ما جاء في الكناش العائلي، يرجع أصول الأسرة إلي عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين. حيث كان آباء سيدي المبارك يسكنون الأندلس في عهد الخلفاء الأمويين، ولكن غادروها بعد سقوط غرناطة ليستقروا بتونس في عهد الأمير الحفصي مولاي حسين[3].

وبالتالي يتفق أغلب الباحثين على أن أسرة ابن ناصر أحفاد سيدي المبارك، تعود في أصولها إلي عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وقد أخذت اسمها من الأمير الأموي عبد الرحمن الناصر حاكم قرطبة الملقب "بالناصر"[4].

وقد ساعد على استقبال هذه الأفواج من المهاجرين الأندلسيين، الانهيار الديمغرافي الذي شهدته افريقية في منتصف القرن8هـ .(14م). بالإضافة إلي الاستقرار الذي كانت تعيشه الدولة الحفصية[5] ، حيث عاش جد الأسرة "سيدي ناجي " وابنه "سيدي قاسم" فالتف حولهما العديد من الأتباع و المؤيدين نظرا لشهرتهما، "فسيدي ناجي "كان رجلا عالما وتقيا تمتع باحترام كبير، وقد حضرته الوفاة بتونس فدفن بها، وقبته موجودة حاليا بساحة النخيل مازال الناس يتبركون به إلي يومنا هذا. وقد جمع "سيدي قاسم"

---

[1] عاشور بن محمد: منار الإشراف علي فضل عصاة الأشراف ومواليهم من الأطراف المطبعة الثعالبية، الجزائر، الطبعة 1، 1332هـ/1914.ص180. (يذكر: العالم العلامة الشيخ الأكبر، الولي الكامل، المحمول الحامل، الظل الظليل الشامل، القطب الغوث، الشمس الطاعة علي الدياجي،أبو البركات الشيخ المبارك ابن الشيخ القاسم ابن الشيخ ناجي، الشريف الحسني الإدريسي المنصوري الناجي

[2]من أحفاد أسرة بن ناجي يشتغل أستاذا في التعليم المتوسط بزريبة الوادي.

[3]Marthe.et Edmond Gouvion: kitabAayane el maghariba, imprimerie oriental Fontana frères, 1920, p39.

[4]هو عبد الرحمان بن محمد بن عبد الله المر واني،تولي الإمارة سنة 300هـ الموافق لـ912م استطاع أن يوحد الأندلس بعد انقسامها ويقضي علي الفتن والثورات ويتصدى للفاطميين في المغرب والممالك المسيحية في شمال الأندلس وفي سنة 317هـ الموافق ل 929ميلادي أعلن نفسه خليفة وتسمي بأمير المؤمنين ولقب بالناصر لدين الله وكنيته أبا المطوف، أمه أم ولد اسمها مزنه وقد بلغت في عهده الأندلس شأن كبير وقد كانت وفاته سنة350 للهجرة الموافق ل961م انظر الحميدي: جدوة في تاريخ علماء الأندلس ،تحقيق روحية عبد الرحمان الريفي، دار الكتب العلمية بيروت 1997،ص18 انظر أيضا: المقري نفح الطيب تحقيق إحسان عباس مج1ص342

ابن الكر دبوس: تاريخ الأندلس، ص58

[5]عبد العزيز فيلا لي : جوانب من الحياة الثقافية والفكرية لمدينة قسنطينة في العهد الحفصي، **مجلة سيرتا**، العدد 10، افريل 1988، السنة السادسة، جامعة قسنطينة، الجزائر (من65/72)ص67 .

كتابات والده في مؤلف سماه "كتاب سيدي ناجي" وهو تأليف في الأخلاق والشريعة عرف انتشار واسعا في الزوايا التونسية[1]. وقد أوضح ابن خلدون ذلك بقوله "أجاز الأعلام وأهل البيوت على أرض المغربين وكان قصدهم إلي تونس أكثر لاستفحال الدولة الحفصية بها"[2].

وبعد وفاتهما رحل أبنائهما بأعراشهما متجهين نحو تلمسان للوصول إلي الغرب(فاس)، ولا نعرف في الحقيقة الأسباب التي دفعتهم علي مغادرة تونس، ألا يمكن أن يكون ذلك مرده تزايد مكانة أحفاد سيدي ناجي في تونس خاصة ابنه قاسم، الذي ورث مكانة أبيه في العلم والذي جمع مؤلفات أبيه في كتاب لقي رواجا كبيرا في الزوايا التونسية مما أصبح يهدد مكانة السلطان الحفصي.؟ ولا تلك التي منعتهم من الوصول إلى المغرب،

وحسب الكناش[3]فإنهم وصلوا حتى جبال تسالة ثم ضربوا بعد ذلك في الأرض جنوبا إلي ورقلة وتوقرت ووادي سوف ووزان و تقميط والزاب الشرقي والفيض.(وجرت كلمتهم في الأوطان المذكورة بالإصلاح، و انتشر أمرهم وجرت لهم العوائد بالزكاة والعشر) وظلوا أعوام علي تلك الحالة، إلي أن انتقلت الولاية إلي سيدي المبارك[4]،فوقعت مطاردات بينه وبين الشابية[5]،وقد تعرضت قافلة سيدي المبارك للطوارق و بمعجزة تمكن من النجاة، رحل علي إثرها إلي بادس ثم حل "بالخنقة" التى أستقر بها سنة 1011هـ/1602م ،يرافقه عدة أتباع ينتمون إلى أعراش وقبائل شتي وفدوا معه و استقروا وإياه منهم: لواته، سدراته[6]

[1]Marthe.et Edmond Gouvion:op.cit.p39:

انظر أيضا كريمة بن حسين" نبذة تاريخية عن بلدة خنقة سيدي ناجي إبان العهد العثماني" المجلة: المغربية.

[2]ابن خلدون عبد الرحمان: المصدر السابق، الجزء6، ص ص684،683 .

[3]الكناش مذكرة تاريخية عائلية افتتح التسجيل بها الشيخ "محمد بن الطيب" المتوفى سنة 1154 هـ ، ويعد الكناش تراثا عائليا تسجل فيه كل الأحداث العائلية وأهم الظهائر والرسائل وأحداث المنطقة وتواريخها .

[4]كريمة بن حسين:خنقة سيدي ناجي إبان العهد العثماني، (الذكري المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجيم1602م/2002م) 2002م" من53إلي66"الجزائر، ص55 .

[5]Gustave. mercier: Khanguet sidi nadji, quelques inscriptions arabes inédites, In Recueil des Notices et mémoires de la société archéologique Constantine,1915,p145

[6] من المحتمل جدا أنها هاجرت معه من ورقلة خاصة أن صدراته كانت قائمة بالقرب من ورقلة أثناء رحلته في الصحراء.

،هزابرة، طرود، زهانة، دريد، نهد، زناته، شمسات، أولاد خيري، بني كثير، بني زرق، أولاد جوين، مناع، الكلبة، أغموقات[1]

استعان سيدي المبارك بهؤلاء الأتباع الذين أسلموا أمرهم له في تسير شؤونهم، على تشييد وتعمير الخنقة. فعمل على إنعاشها عمرانيا وثقافيا و اقتصاديا، وذلك ببناء زاوية يعلم فيها تعاليم الدين الإسلامي[2]، أصبحت تستقطب إليها الطلاب من كل مكان والمناطق المجاورة، كما اهتم بتخطيط الخنقة وتشييد المباني وغرس النخيل والأشجار المثمرة، واستغل القنوات الرومانية التي وجدها في المنطقة وأسس ساقية موسي[3].فتوسعت البلد وعلا شأنها لما أشتهر به سيدي المبارك من مكانة علمية ودينية، الأمر الذي جعل أهالي البلاد القريبة ينضوون تحت لوائه ولو معنويا، ويعودون إليه في كل أمور دينهم ودنياهم وينال ثقتهم وتقديره.

وبعد سنوات من الاستقرار والعمارة، توجه سيدي المبارك لأداء فريضة الحج، وعند عودته أتجه إلى الاعتزال والعبادة، إلي أن توفي سنة1031هـ/1622م[4]،وقد ترك ثلاث أبناء محمد، وتواتي، وأحمد، هاجر كل من محمد وتواتي البلدة إلي تونس ليتولي أخوهم الأكبر مكان أبيهم، وقد أتبع نفس النهج الذي سلكه والده في العلم والتقوى.

ومن إنجازاته توسيع زاوية الخنقة، التي أصبحت تجلب إليها طلاب العلم بنواحي البلدة ومن جهات أخري من تونس والجزائر[5].ذلك ما أثار إعجاب الحكام العثمانيين الذين عملوا على التقرب من شيوخ الخنقة وربطهم بالحكم المركزي. وكانت سياستهم آنذاك قائم على احترام الزعامات المحلية بما فيها العلماء والشيوخ الزوايا، والتحالف معها ومنحها امتيازات مادية ومعنوية. وقصد كسب تأييد شيوخ الخنقة

[1]كريمة بن حيين: المرجع السابق ص55 . بالإضافة للقبائل التي كانت مستقرة في المنطقة الفطناسة وأولاد نبول انظر: كتاب أعيان المغاربة ص41.

[2]Marthe.et Edmond Gouvion:op.cit,p41

[3]Ibid:p41

[4]كريمة بن حسين: المرجع نفسه، ص55 .

[5]Marthe.et Edmond Gouvion.op.cit.p41

وولائهم، منح يوسف باشا لقب "شيخ[1]الخنقة وجبل ششار" أحمد ابن سيدي المبارك[2]أصبحت الخنقة ولو اسميا تابعة للسلطة المركزية بقسنطينة، على الرغم من احتفاظ شيوخها باستقلالهم شبه التام[3].

وقد عمل الحكام العثمانيين، على مساعدتهم في إنجاز الكثير من المشاريع الاقتصادية، خاصة في عهد أحمد بن سيدي المبارك، في شق ساقية "سيدي محرز" وذلك في سنة 1049هـ/1640.

كما منحوه امتيازات مادية هامة، منها جباية زكاة وعشر الزاب الشرقي وجبل ششار، وفقا لما تضمنته الرسالة التي وجهها إليه يوسف باشا[4]، المنسوخة بتاريخ 1050هـ، أعفي فيها جميع أفراد العائلة من المكوس والضرائب والخدمة العسكرية[5]، و أصبحت تحتل مكانة هامة لدي الحكام العثمانيين، بفضل الدور الذي لعبه شيوخ الخنقة في المنطقة وحالة الأمن التي كانت تسود المنطقة وضواحيها، ونفس الشيء في عهد محمد باشا[6].وقد أشاد البايات في رسائلهم بهذا الدور، وعبروا عن ارتياحهم لذلك.

فقد جاء في رسالة من رجب باي نسخت بتاريخ 1081هـ مايلي "...أما بعد، قدمنا للناحية القبلية بقصد نظر البلاد والعدل بين الرعية، نزلنا بأرض أولاد شيخ البركة الولي الصالح المبارك بن ناجي، ولما نزلنا نحو البلاد وتفقدنا حالها وجدناهم عمدة البلاد وغاية بين أيدينا في الحب والنصيحة، يطعمون الطعام ويقرون الضيف ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر "[7].

إن المكانة التي تمتع بها شيوخ الخنقة ووزنهم في المنطقة، هي التي جعلت الحكام العثمانيين يلجؤون إليهم في حل النزاعات، و يختارونهم للتفاوض مع خصومهم سواء من البايات أو الولاة أو القبائل المختلفة، حيث كان لهم نفوذ روحي علي الأسر الحاكمة في المنطقة خاصة وخاصة أسرة بوعكاز الذواودة و أحرار

---

[1] شيخ مصطلح يستعمل للدلالة على منصب سياسي أي رئيس السلطة المحلية يشرف على قبيلة أو مجموعة قبائل.

[2]Marthe.et Edmond Gouvion : op.cit., p42

[3]جميلة معاشي (الأسر الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ إلى القرن 13هـ) دراسة اجتماعية سياسية، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة،1992م، ص82.

[4]داي تونس وقعت الحدود في عهده بين الجزائر وتونس سنة 1628م بواد ملاق ومجردة

[5]Gustave. Mercier :khanguet sidi Nadji: Origine de sidi El mebarek, op.cit., p155

[6]داي تونس حارب قبائل الحنانشة وأدخلهم تحت سلطانه بعدما انتصر عليهم سنة 1644م انظر أيضا:Mercier Gustave op.Cit p155.

[7]كريمة بن حسين : خنقة سيدي ناجي إبان العهد العثماني، المجلة المغاربية، العدد90/89، السنة1998م، عدد صفحات المقال 23، منشورات زغوان تونس، ص55 .

الحنانشة لوجود الخنقة بين نفوذ الأسرتين[1].ويذكر بن عاشور :أهل رياسة بسائط الزاب و ما والاها من الجبال والهضاب، سيماهم في وجوههم من أثر الشرف "[2]. وكان سيدي احمد وأقرباؤه من الذين تكفلوا بهذه المهمة بكل نجاح ولعبوا دورا مهما في تهدئة الأوضاع بالمنطقة.

واصل " محمد الطيب "الذي تولى الولاية سنة 1077هـ / 1667م[3]، إنجازات والده أحمد حيث ضاعف من غرس الأشجار المثمرة والنخيل، واهتم بنشر العلم و الدين وتقرب البايات منه لكسب وده، يدل على ذلك الظهائر[4]التي تلقاها من "خير الدين" باي قسنطينة، سنة 1084هـ و "عبد الرحمان شاكور" باي قسنطينة أيضا المسمى "دلي باي" سنة 1090هـ و "شعبان باي " سنة 1105[5].

وقد أشاد البايات في رسائلهم بخصال العالم الجليل، والمكانة المعززة التي يحظى بها لديهم وحرصهم على الاحتفاظ بهذه المكانة وتوسيع امتيازات الأسرة وصلاحياتها، منها رسالة وجهها إليه "عبد الرحمان فاس" جاء فيها " إننا أوصينا عليهم أي (أولاد سيدي مبارك) بالرحمة و الاحترام، فلا يهضم لهم جانب، ولا يقاسون بما يقاس به غيرهم لأنهم سلف صالح ودخان قديم، ليأخذوا زكاة الله و عشوره، إعانة لهم على قراءة القرآن وإطعام العلماء وعابري السبيل و الفقراء المساكين، لأنهم أهل لذلك ومحل لهم".[6]

استمرت خنقة سيدي ناجي في تأدية دورها الثقافي و السياسي في عهد "محمد بن محمد الطيب"، الذي تولى تسييرها شؤون البلدة سنة 1107هـ /1696م بعد تنازل أخيه له عن رياسة الزاوية نتيجة المرض، وأستقر غير بعيد عن الخنقة بقرية تابويحمد[7]،وكان هذا الأخير فقيها و عالما في الشريعة الإسلامية، له عدة مؤلفات منها مخطوطة بعنوان "عمدة الحكام وخلاصة الأحكام في فصل الخصام " يتكون من أكثر

---

[1] جميلة معاشي: المرجع السابق، ص79.

[2] عاشور بن محمد: المصدر السابق، ص180.

[3] Gustave. mercier : op.cit ,p156

[4] تعني وثائق رسمية تسجل فيها حقوق الأسرة في المنطقة من طرف السلطة العثمانية.

[5] Ibid:p156

[6] كريمة بن حسين: المرجع السابق، ص 4.

[7] Gustave mercier : op.cit., p156. أنظر أيضا Gouvian (Marthe et Edmont) op.cit. .p42.

من مائتي صفحة ألفه في 10شعبان1152هـ[1].،به أبواب فقهية عدة تخص المعاملات كالتضمين، و الأراضي، و الوصايا، والإرث، و حدود السرقة، و الزنا، و القذف،... الخ. وأهم ميزة لهذا المخطوط استشهاد الشيخ بأقوال وأحكام العلماء والقضاة والأئمة السابقين، ناسبا كل قول لصاحبه بأمانة بالغة تدل على إطلاعه الكبير وثقافته الفقهية الواسعة ونزاهته العلمية.

اهتم في عهده[2]بالفلاحة والتعمير، فقام بشق قناة تعرف "ساقية قطع الوادي" والتي أصبحت تسقي أكبر بساتين الخنقة. كما كان له الفضل في إعادة بناء مسجد سيدي المبارك في سنة 1147 هـ / 1734م[3]، وكان بالإضافة إلى ذلك قائدا سياسيا بارعا تم الاعتماد عليه في الظروف الصعبة، كوسيط بين بايات قسنطينة و بايات تونس لحل نزاعات كبيرة بينهم. وقد شاع صيته فنال تقدير واحترام الولاة العثمانيين، الذين عملوا على كسب وده. ويذكر ابن أبي الضياف "أن علي باشا كان لديه وصاية وتأثيرين كبيرين علي الخنقة وبسكرة، وكان يفرض عليهم الإتاوات خاصة علي النمامشة ... وكانوا يعترضون ركب الحجاج، ففي سنة 1164هـ/1750م تعرضوا لموكب الحجاج الفاسي، و عالو فيه وأخذوا منه خيلا وإبلا وأحمالا و أمولا، وتوزعوه فرفع الحجيج أمرهم إلي علي باشا فوعدهم باسترداد أموالهم من النمامشة، فأستدعي الشيخ محمد ابن الحاج أحمد شيخ الخنقة والشيخ الفقيه العالم ابن العباس أحمد التليلي صاحب "فريانة"[4] وغيرهما ممن يشار إليه في تلك الجهة"[5]،فتلقى ظهائر من" أحمد باي" و "مصطفى داي الجزائر" و "على باي" ابن صالح باي و"حسين باي بوكمية" الخ .

وكانت الزيارات متبادلة بينه وبين الحكام العثمانيين، حيث قام بزيارات متعددة إلى كل من الجزائر و قسنطينة و تونس، منها ما كان للمجاملة والتهنئة، و منها ما كان للسعي في الصلح أو غيره[6].

---

[1]عبد الحليم صيد: "علماء من الخنقة وليانة "الذكري المئوية الرابعة لتأسيس خنقة سيدي ناجي "1602م .2002م" (98إلي113) ، ص98، الجزائر .

[2]كريمة بن حسين: المرجع السابق ص5.

[3]نقش هذا التاريخ علي يسار المحراب.

[4]فريانة تعني قرية سريانه القريبة من خنقة سيدي ناجي.

[5]أحمد بن أبي الضياف: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1963، ص132.

[6]Gustave ،mercier:op.cit,p156

وكل زياراته والزيارات الأخرى التي وقعت في عهد أجداده أو من بعده، مسجلة في الكناش بتواريخها وأهدافها ونتائجها. وقد وجد عند الجميع حسن الوفادة والرعاية والترحاب وقضاء الحاجة[1]. وبالمقابل زار الخنقة في عهده أو في عهد والده، كثير من البايات والولاة من تونس وقسنطينة والجزائر وهكذا كانت الخنقة ملجأ للبايات و الولاة، وحتى أفراد الجيش الإنكشاري الذين كانوا يلجؤون لدى شيوخها أثناء أوقات المحن لكي يتوسطوا لهم لإنقاذ حياتهم. أو استرجاع حكمهم أو حل نزاعات فيما بينهم، نظرا لما يتمتع به هؤلاء الشيوخ من سمعة طيبة واحترام كبير لدى الحكام العثمانيين. ووفي سنة1195 هـ كان قدوم الشيخ أحمد بن جلاب الذي كان حاكما بتوقرت ترك عياله وخدمه بالخنقة، وذهب لنفطه، فأنزلوا بدار بوعلاق وكرم مثواهم وأحسن إليهم وبقوا نحو ستة أشهر بها[2] .

و في وسط هذه البيئة النشيطة جدا ثقافيا وسياسيا و اجتماعيا، عاش"أحمد بناصر" الذي خلف والده في تولي أمور الخنقة سنة 1154هـ /1741م، وقد أخذ هذا الاسم تخليدا لذكرى سلفه الأمير الأموي "عبد الرحمان الثالث" حاكم قرطبة الملقب "بالناصر"[3]وقد تحصل على لقب شيخ الخنقة وجبل ششار"1641م"، وأعترف فيما بعد من طرف محمد باشا في رسالة من يوسف باشا إلي أحمد بن ناصر بن المبارك في رجب 1050هـ /1063هـ الموافق لـ 1653 م/1649 م[4].

اتبع "أحمد بناصر" أثار أوائله في العمارة و الإصلاح، فقد قام بخدمة السواقي لسقي البساتين و الغابات، كما استصلح الأراضي الزراعية المعروفة باسم "الجعدي" في الزاب الشرقي حوالي 4000هكتارالقريبة من بادس[5]، ومن أهم إنجازاته إتمامه لمشروع والده ، فمن ماله الخاص بني روضة

[1]محمد موهوب بن أحمد بن حسين: "قصة خنقة سيدي ناجي عبر أربعة قرون من تاريخها"، (الذكري المئوية الرابعة لنشأة خنقة سيدي ناجي (2002/1602). بحوث في تاريخها وسكانها وترجمات لبعض من أعلامها.. السنة،مارس،2002 (من7إلي 52)،عدد صفحات45، الجزائر ص 19: أنظر أيضا كريمة بن حسين :"خنقة سيدي ناجي إبان العهد العثماني"، المجلة المغاربية، العدد90/89، السنة1998.

[2]محمد موهوب بن أحمد بن حسين: المرجع السابق، ص 20.

[3]Gouvian (Marthe et Edmont), op.cit., p43

[4] Ibid.: p42

[5]Ibid: p45

سيدي المبارك و المنارة، وصحن الجامع، و القبة و ذلك في سنة 1171هـ /1758م، وعمر المسجد بتعليم العلم و القرآن العظيم، وزوده بمدرسين للطلبة الذين كان يسهر على راحتهم وتدريسهم بنفسه[1].

ربط "أحمد بناصر" كذلك علاقات صداقة وتعاون مع بايات قسنطينة الذين جددوا له الولاية، فكان كل باي يعين على قسنطينة يرسل له ظهائر اعترافا بحكمه على المنطقة[2]. وقد لعب على غرار أسلافه دورا كبيرا في تسوية النزاعات التي كانت بين كل من بايات قسنطينة وتونس، فتميزت فترة حكمه بكثرة أسفاره بين تونس وقسنطينة و الجزائر لتحقيق الوفاق بين الايالتين، ولعب دور الوسيط بين التونسيين والجزائريين حيث كان البايات و الباشاوات يختارونه في مرات عديدة كمبعوث[3]، كتدخله مثلا لإطفاء نار فتنة وقعت في سنة 1157هـ بين باشا الجزائر و باشا تونس.

ولعل ما ميز حكمه، سياسته الهادفة إلى توطيد علاقة أسرته أكثر ببايات تونس، الأمر الذي أثار شكوك باي قسنطينة"أحمد بن على" المسمى "القلي"[4] في إخلاص أحمد بناصر لحكمه ،وساد الاعتقاد لديه بأنه ينوي الانفصال عن بايلك قسنطينة و التحالف مع بايات تونس[5].وزاد من قوة هذا الاعتقاد قيام الشيخ ببناء قلعة عسكرية تسمى "برج البطحاء" على مشارف الخنقة نصب عليها أربع مدافع[6]، زوده بمدافع لحمايتها من أي اعتداء أجنبي وصد الغزاة عنها، خاصة وأن حروبا طويلة كانت قائمة بين الخنقة وسكان "ليانة"[7]، وكذلك بينها وبين الشابية، إلا أن الباي "أحمد القلي" استغل غياب أحمد بناصر فهاجم الخنقة وألحق بها خسائر مادية هامة[8].

---

[1] كريمة بن حسين: المرجع السابق، ص60.

[2] Gustave، mercier : op.cit ,p160

[3] Gouvian (Marthe et Edmont), op.cit. p42

[4] الباي أحمد بن علي الملقب بالقلي لأنه اشتغل أغا في القل حكم ما بين 1757م/1771م

[5] Gouvian (Marthe et Edmont), op.cit. , p45

[6] Ibid. :p45

[7] حول هذا الصراع أنظر: مقال محمد موهوب بن أحمد بن حسين المرجع السابق، ص ص21/20 .

[8] Ibid: p45

ومما يؤكد توطيد العلاقة بين خنقة سيدي ناجي وتونس ، قيام " على باشا" باي تونس بمنح " أحمد بناصر " قطعتين واسعتين من الأراضي الزراعية واحدة "بماطر" و الأخرى "ببنزرت"[1]وذلك تعويضا له عن الخسائر الكبرى التي لحقت بالخنقة و اعترافا بالجميل الذي قدمه له أهلها أيام فراره من تونس حيث التجأ إليها مع أفراد عائلته وحاشيته ، و وجد بها كرم الضيافة ومساعدة سكانها الذين وقفوا إلى جانبه حيث مكث حوالي70يوما[2].وبعد أن استرجع حكمه وعاد إلى تونس توطدت أكثر الصداقة التي كانت تربط الأسرة بباي تونس .تتضح هذه الصداقة في إعطاء باي تونس تعليمات لولاتهم في كل المقاطعات باستقبال أحفاد سيدي المبارك بكل شرف و اعتزاز، و إرضائهم في كل شيء، ومصاحبة الفرسان لهم عند مدخل المدينة، وكذلك الأمر بالنسبة لرحلة العودة حيث تتم مصاحبتهم و إكرامهم حتى خروجهم من الأراضي التونسية[3] .

حافظت خنقة سيدي ناجي على هذا التقدير وهذه المكانة أثناء حكم "حسين"[4] الذي خلف والده "احمد بناصر" سنة 1210هـ / 1794م، وكان هذا الأخير قد مات مقتولا على يد "بوزيان" قائد الشابية[5]في صحراء نقرين خلال أحد أسفاره إلى تونس.

اتبع "حسين" أعمال سلفه الاقتصادية والعمرانية والعلمية، فغرس الأشجار والنخيل بالمكان المسمى "الولجة" و "الفيتون"[6]وقام بترميم صومعة مسجد سيدي المبارك، وتفرغ لتعليم الطلبة. الذين توافدوا عليه من كل صوب. وكان أيضا رجلا سياسيا نشيطا، ضاعف من أسفاره إلى الجزائر وقسنطينة وتونس . وقد توسع في عهده نفوذ الأسرة، التي حافظت على سلطتها الدينية على المنطقة، وعلى بعض الأسر الحاكمة، كأسرة بوعكاز، و النمامشة و الحنانشة، وأحرار مناصر... الخ.

---

[1] Ibíd. : p45

[2] Gustave mercier:op.cit,p159

[3] حمودة بن محمد بن عبد العزيز: الكتاب الباشي الجزء الأول، الدار التونسية للنشر 1970، ص270، نقل عن جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 82 أنظر: أيضا mercier: Gop.cit, p.159

[4] وهو الذي عرفت الأسرة باسمه، والتي ذكرها كتاب أعيان المغاربة بأنها من الأربع الأسر الكبيرة في الجنوب القسنطيني، ص39.

[5] كريمة بن حسين: المرجع السابق، ص61. إلا أن G .mercier..op.cit p .160يذكر تاريخا مغايرا لما ورد في الكناش العائلي وهو1780م.

[6] G.mercier. op.cit, p160.

أصبحت خنقة سيدي ناجي في نهاية العهد العثماني مركزا عمرانيا نشيطا، كما أصبحت الطريق الرئيس للتجارة بين تونس و الجزائر، فسكان الصحراء كانوا يتاجرون تجارة كبيرة بالتمر والصوف، وتقود القوافل مابين جملين وثلاثمائة جمل إلي تونس و قسنطينة[1]. فقد تم الاهتمام بتشييد المباني التي تشبه الطراز المعماري بتونس.

ويذكر غوستاف مارسي[2]أثناء زيارته الخنقة "منازل رائعة من الآجر بتناسق غير معروف في واحات الجنوب من حيث الهندسة المعمارية الشبيه بالمدن التونسية وهو تشبيه ليس مجانيا "يذكر أيضا" هذه المدينة الصغيرة التونسية المترامية في وسط شاوية الاوراس وجبل ششار"[3].كما تم الاعتناء بتخطيطها وفقا لشروط المدينة الإسلامية، وهذا يدل علي العبقرية التي تمتع بها أهل الخنقة. فقسمت إلى خمس حارات، أطلق عليها أسماء بعض القبائل التي استقرت بالخنقة منذ تأسيسها مثل: حارة "كرزدة" و حارة" لواته" و حارة" سدراتة"[4]، و كل حارة تضم عادة مسجدا وسوقا ومحلات.

وتطورت بها صناعة المجوهرات والفضة والنحاس والروائح والعطور، واختصت كل عائلة، بنوع معين من الحرف، واحدة في الحدادة، وواحدة في الطب، وأخرى في الإدارة والشؤون العامة[5]. وأصبحت خنقة سيدي ناجي تعرف" ببلدة الخمس حارات، وخمس مساجد، وخمسة سواقي، وخمس أبواب"[6].و لعل ما زاد

---

[1] فندلين شلوصر:المرجع السابق، ص101.

[2] op.cit, p141.

[3] .Ibid., p153

[4] نجد بعض الأسماء تدل علي أسماء قبائل تقطن الصحراء، كصدراته القريبة من ورقلة، ولواته لعلها هاجرت مع سيدي المبارك عند مروره بالمنطقة.

[5] انظر ابن الربيع"سلوك المالك في تدبير الممالك"تحقيق ناجي التكريتي 192 حيث يحدد شروط المدينة الإسلامية بثمانية شروط هي:

1. أن يسوق إليها الماء العذب للشرب حتى يسهل تناوله من عسف.
2. أن يقدر طرقها وشوارعها حتى تتناسب ولا تضيق.
3. أن يبني فيها جامعا للصلاة في وسطها ليقرب على جميع أهلها.
4. أن يقدر أسواقها بكفايتها لينال سكانها حوائجهم من قرب.
5. أن يميز قبائل ساكنيها بأن لا يجمع أضداد مختلفة متباينة.
6. إن أراد سكناها فليسكن أفسح أطرافها وأن يجعل خواصه كنفا له من سائر جهاته.
7. أن يحوطها بسور خوف اغتيال الأعداء لأنها بجملتها دار واحدة .
8. أن ينقل إليها من أهل الصنائع بقدر الحاجة لسكانها ."

[6] وهو ما يتوافق مع عدد الحارات والمساجد والسواقي التي أنشها شيوخ الخنقة والأبواب التي كانت مثبتة علي مدخل كل حارة وكان أي غريب عن البلدة لا يسمح له بالدخول إليها إلا بعد التحقق منه وهذا ما أكده الإمام الدر يدي.

من شهرة الخنقة في العهد العثماني، هي مكانتها العلمية إذ أصبحت منذ القرن الحادي عشر للهجرة، قلعة من قلاع العلم والمعرفة يؤمها الطلاب من كل صوب .

من خلال هذا التقديم المختصر لمراحل تأسيس خنقة سيدي ناجي وأهم المراحل التاريخية التي مرت بها يساعدنا ذلك في فهم عمارة الخنقة ووظائفها.

- **خلاصة**

ومن الملاحظات التي يمكن أن نخرج بها:

-المنطقة لم تكن مهجورة من قبل، فبقايا القرية البربرية تدل على تواجد بشري سابق في المنطقة.

-الواحة كانت ممر رئيسيا للقوافل المتنقلة من الصحراء نحو الشمال، أو من الجزائر وحتى المغرب الأقصى إلي الحجاز في مواسم الحج.

-مساحة الواحة ضيقة عكس مدينة بادس المجاورة التي لا تبعد عنها إلا بمسافة قليلة والتي توجد في منبسط، وهذا ما جعلها عامل طرد للسكان في العهد الروماني والبيزنطي. ضف إلي ذلك وجودها في منخفض، و هو عبارة عن طمي و أتربة ترسبت من وادي العرب، و بذلك لا تستوعب العدد الكبير من السكان.

-الواحة كانت عرضة لفيضانات وادي العرب المجاور لها من حين إلى آخر، هذا كان عامل طرد للسكان

-موقعها المحصن جعلها ملجأ للفارين والملاحقين سواء من الأفراد أو القبائل على مر الحقبات التاريخية، خاصة وأن المنطقة جغرافيا شهدت صراعات كبيرة.

الفصل الخامس:

عمارة خنقة سيدي ناجي الدينية

- تمهيد

1. المساجد
2. الأضرحة
3. المدرسة الناصرية
4. المقابر

- خلاصة

■ **تمهيد:**

تطور فن العمارة عبر مختلف حقب التاريخ بفعل الإرادة الإنسانية التي عبر عنها الفرد او الجماعة، لذا تعتبر إرادة القوى البشرية المحرك الأساسي والمباشر للتفاعل الجدلي، بين المادة الخام وتحولاتها اللاحقة إلى مباني جميلة. وقرن بعد قرن، تراكمت الحلول المعمارية ذات الكفاءة العالية والمعالجة الذكية والنتائج الإبداعية لتحافظ على خصوصية المكان الذي أقيمت فيه. هذه الحلول التي وظفها التراث المعماري عبر قرونه المديدة[1].

يقول المعماري حسن فتحي" لقد أدت الخبرات التي تراكمت عبر ألاف السنوات إلى تطوير لأنماط بناء قليلة التكاليف توظف فيها المواد المتوفرة محليا والقدرة على تهيئة المناخ الملائم.... وكانت هذه العمارة على درجة عالية من التعبير الفني"[2].

سنتناول في هذا الفصل عمران بلدية خنقة سيدي ناجي كيف نشأ وماهي المؤثرات التي تأثر بها وكيف اثر على المناطق المجاورة.

أولا: المظاهر الدينية.

1.المساجد:

أ. مسجد سيدي المبارك بن ناجي.

- **ظرفية التأسيس.**

يعد " مسجد سيدي المبارك " المعروف كذلك، " بالجامع الكبير " و " جامع الجمعة " من أهم المراكز العلمية بالمنطقة(شكل65)، يعود تأسيسه – كما سلف الذكر– إلى سنة 1147هـ /1734م، ذلك ما تدل عليه كتابة موجودة على يسار المحراب تذكر بأن " محمد بن محمد الطيب "هو الذي بني المسجد في أواسط صفر من سنة 1147هـ (لوحة32،صورةو).وهي كتابة تأسيسية تخلد ذكرى بناء المسجد، نفذت بخط مغربي بأسلوب الحفر البارز، يتميز هذا الخط كغيره من كتابات هذا المسجد، بعدم الإتقان والجودة ورسم بعض الكلمات وفق الرسم

[1] الناجم، علي عثمان: قيم المكان الموروثة أهميتها العمرانية، بيروت، لبنان،1998، ص122.

[2] فتحي، حسن، الطاقات الطبيعية والعمارة التقليدية، بيروت1988، ص89.

القرآني، وهو ما نلمسه في كلمة الفقرا بدون همزة. فقد تضمنت الكتابة اسم باني هذا المسجد، وهو الشيخ محمد بن محمد بن الطيب بن احمد بن المبارك في التاريخ المذكور وهو سنة 1147من الهجرة النبوية.

لا نعلم على وجه التحديد، فيما إذا كانت عملية البناء هذه مجرد عملية تجديد وتوسعة للمسجد الذي بناه جده، أم هي إعادة بنائه كلية من طرف هذا الحفيد الشيخ محمد بن محمد الطيب.

وما يلفت الانتباه في هذه الكتابة، هي الدعاء بالرحمة لمؤسس المسجد وهي ظاهرة عامة في الكتابات الموجودة في المسجد والمدرسة والضريح، حيث لا تخلو واحدة من هذا النوع من الدعاء مما يجعلنا نعتقد بأن الكتابة، أنجزت بعد وفاة هؤلاء وهو الأمر المستبعد بحكم أن الدعاء بالرحمة يجوز في حق الميت كما يجوز في حق الحي.

إلا أننا نرجح أن هذا التاريخ يدل على إعادة بناء للمسجد وتوسعة الذي كان قائما، والذي كان في الأساس زاوية أسسها الشيخ سيدي المبارك لتعليم العلوم النقلية والعقلية، وتلقين الطريقة الناصرية الشاذلية، والتي أصبحت وجهة لطلاب العلم والتصوف من كل مكان ودفن بجوارها حيث ضريحه الآن في الركن الغربي الشمالي للمسجد الحالي سنة 1031 هـ/1622م، وأصبحت شيئا فشيئا تحمل اسم مسجد سيدي المبارك.(شكل66)

ولذلك نعتقد أن المسجد الذي أسسه سيدي المبارك، لم يكن على صورته الحالية، فالتوسيعات المتعاقبة والترميمات التي أجريت عليه غيرت الكثير من ملامحه، بسبب مواد البناء المستعملة فيه المحلية اللبن، والتي لا تقاوم الظروف المناخية القاسية من حرارة وجفاف ضف إلى ذلك الموقع الذي أسس فيه وهذا ما يجعلها عرضة للفيضانات من وادي العرب المجاور.

وقد تم تجديد وتوسيع المسجد على يد الشيخ محمد بن محمد الطيب في عام 1147هـ/1734م. وتم تركيب الباب الغربي في شوال من نفس العام الموافق لـ14مارس 1734م[1]، مثلما سبق ذكره ثم تم تجديده وتوسيعه عام1171هـ الموافق لـ 1758م على يد الشيخ أحمد بن ناصر بن محمد الطيب من ماله الخاص، والذي قدر بـ8112 سلطاني ذهبي[2]، وأضاف له المدرسة التي عرفت بالمدرسة الناصرية، ويدل على ذلك الكتابة المنقوشة على

[1].G mercier: op.cit.., p149. إلا أن الكتابة التي نشرها مارسي غوستاف هو تاريخ 1146هـ قرأها له سي محمد رشيد بن حسين

[2]السلطاني الذهبي، يساوي في تلك الفترة ما بين 5إلى 6 فرنك مصري و8,35 فرنك جزائري و67,73 فرنك.

انظر: كتاب أعيان المغاربة ص233

أيضا.148 mercier G: op.cit. p

بابها الغربي(لوحة32، صورةي)،وكذا بناء الدمس وقبة ضريح سيدي محمد المبارك، والروضة ويدل على ذلك الكتابة المنقوشة على بابها. إلا أن عمليات الترميم العشوائية للروضة تم طلاء الكتابة مما صعب قرآتها[1]، كما تم ترميم صومعة المسجد(المئذنة)على يد الشيخ حسين بن أحمد بناصر الذي تولي المشيخة في عام 1210هـ الموافق لـ 1794مبعد سقوطها سنة1789م[2]، ولهذا الغرض أحضر من تونس بنائين الاصطا "على البنزرتي" وأخوه "محمد وقاسم" الصفا قسي وأربع صناع للآجر في عهد حمودة باشا[3].

جاء في هذه اللوحة الجصية طولها 0.54سم عرضها 0.44سم بخط مغربي(لوحة32صورةو) :

1. بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله/.

2. وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده/.

3. بني هاذا المسجد المبارك على يد أفقر الورا/.

4. وخديم شراك نعال الفقراء تقي الجنان /.

5 . المستمسك بسنة والد النظر بن/.

6. عدنان الشيخ البركة سيدي محمد بن محمد/.

7. بن الطيب رحمه الله وثبت أجره غفر الله له وجميع/.

8. المسلمين "ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا/.

9. هم يحزنون"[4] بتاريخ أواسط صفر الخير من/.

10. سنة سبع وأربعين ومائة وألف/.

---

[1] نشرها غوستاف مارسي، ووجد تضارب بين التاريخ المكتوب بالأحرف والمكتوب بالأرقام، حيث كتب بالأرقام 1161هـ أما بالأحرف 1171هـ.

[2] Ibid. p160

[3] عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص309 "حمودة باشا حكم تونس من1196هـ/1229هـ الموافق لـ1782م/1814م" هو من أشهر البايات الحسينيون بتونس، عمل علي التخلص من تدخلات حكام الجزائر في شؤون تونس، فأرسل حملة بقيادة سليمان الكاهية حاصرة قسنطينة 1221هـ الموافق لـ1806م، ونجح في صد هجوم الجزائريين، مما اضطرهم إلي التراجع عن البلاد التونسية سنة1222هـ الموافق لـ1807م .

[4] سورة يونس: الآية 62.

- **.الوصف العـام للمسجـد:**

إن بناء المساجد، فن عربي إسلامي قائم بذاته يبدو تأثيره في كل مكان دخله الإسلام[1].

يأخذ جامع سيدي المبارك بن ناجي شكلا مستطيلا (الشكل67)، 26×13م يتكون من بيت الصلاة، والمدرسة الناصرية الملاصقة لبيت الصلاة من الناحية الشمالية، وكذا الميضأة(المطهرة)، ومن الناحية الغربية ضريح سيدي المبارك وتحديدا الركن الشمالي الغربي منه، أما الركن الجنوبي الغربي، فيوجد ضريح الشيخ بن حسين محمد، إضافة لذلك صحن ملحق بالمسجد غير مغطى يستعمل للصلاة في فصل الصيف مبلط بالآجر الأحمر.

.بيت الصـلاة: (لوحة33، صورة أ) (الشكل68)

تأخذ بيت الصلاة في جامع سيدي المبارك شكلا غير منتظم، طول ضلعها17,50م ، أما العرض فيبلغ 13,60م وبذلك يبلغ جوفه 210,80م، على غرار مسجد سيدي عقبة، ومسجد سوس بتونس والقرويين بفاس[2] و المسجد البرانى للقصبة بمدينة الجزائر[3].

تحتوي بيت الصلاة، على خمس أساكيب موازية لجدار القبلة وسبع بلاطات عمودية على جدار القبلة (المحراب)، ويبلغ عرض البلاطة الواحدة2,30م، أي تقريبا المسافة الموجودة في بلاطات مسجد عقبة بن نافع، ولكنها تختلف من حيث الطول. فبلاطة المحراب والثلاثة التي على يمينها يعادل طولها عمق بيت الصلاة، أما البلاطات الثلاث التي على يمين المحراب فطولها11,20م. ويرجع هذا الاختلاف في المقاسات إلي وجود الضريح "أحمد بن ناصر" في الركن الشمالي الغربي لبيت الصلاة.

أما الاساكيب (لوحة33صورة أ)(فهي تختلف من حيث المقاسات، إذ يبلغ عرض أسكوب المحراب2,30م، أما طولها فيعادل طول ضلع بيت الصلاة. والاسكوب الأخير عرضه 2,30م، أما طوله فيبلغ 15م.

وتنحصر جميع الاساكيب بين خمس صفوف من الأعمدة يحمل كل صف منها بائكة من العقود، أما الجدران فيبلغ سمكها 60سم، وهي تقريبا سمك جدران مسجد سيدي عقبة.

---

[1] نعيم قداح: حضارة الإسلام وحضارة أوربا في إفريقيا الغربية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1974، ص145.

[2] شافعي فريد: المرجع السابق، ص 65.

[3] Bourouiba(r) : **Apport de l Algérie**, pp64_65.

.**الصحن:**(لوحة33، الصورة ب)(الشكل69)

يحتوي مسجد سيدي المبارك على صحن يقع في الجهة الغربية من المسجد وهو أيضا غير منتظم الشكل طول ضلعه على يمين المحراب 7,15م أما على يساره فيبلغ طوله 9,70م أما طول ضلع الصحن على جدار القبلة "المحراب" فيبلغ 7,10م به رواق عرضه 1,20م محمول على دعامات(أعمدة) (لوحة33،صورةد) يبلغ عددها احدي عشر دعامة مصنوعة من الحجارة ومبلط بالآجر الأحمر جلب من تونس أيام أحمد باشا.

.الدعامات والأعمدة:

يحتوي مسجد سيدي المبارك على عدد كبير من الأعمدة(السواري) (الشكل70) (لوحة33، صورة و) موزعة في كامل المسجد وملحقاته. وهو ما يخالف المساجد الصحراوية وهي غاية في الإتقان ويعود ذلك إلي الحرفيين والصناع الدين جلبهم أحمد بناصر والذين خلدوا أسمائهم مثلما تدل عليه الكتابة المنقوشة في المسجد. فقد كان التعاون بين الجهة الشرقية عموما و خنقه سيدي ناجي خصوصا وعلى سبيل المثال لا الحصر مدينة تقرت والتي اتسعت على عهد بني جلاب وأقيمت بها القصور والجوامع التي أسسها بعض المهندسين التونسيين[1]وهي ذات شكل أسطواني أملس البدن.

. ففي بيت الصلاة:

تتوزع الأعمدة على خمس صفوف عددها أربع وعشرين عمودا وهي حسب الرواية الشفوية تعادل عدد أحرف الشهادتين "لا إله إلا الله محمد رسول الله". كل أسكوب يضم ست أعمدة(لوحة33، صورة أ)، وكل بائكة تضم أربع أعمدة، وتبلغ المسافة بين هذه الأعمدة 2,30م، أما ارتفاعها فيبلغ 2,10م. أما قواعد السواري، فنجدها ترتكز على قواعد مربعة الشكل (لوحة33صورةد).

[1] عثمان الكعاك: المرجع السابق، ص301.

. أما في المدرسة الناصرية:

فهي تتوزع على طابقين، ففي الطابق الأرضي عمودان بنفس ارتفاع الأعمدة داخل بيت الصلاة. أما الطابق الأول، فيحتوي على ست أعمدة أصغر طولا من الأعمدة الموجودة في بيت الصلاة والطابق الأرضي (لوحة34، صورة أ). وتتميز قواعد التيجان بزخرفة مغايرة لقواعد الأعمدة الأخرى.

أما في الروضة الخاصة بضريح سيدي المبارك، فيوجد عمودان أمام باب الضريح أقل سمكا من باقي الأعمدة.

. أما في صحن المسجد:

فيضم عشرة دعامات تستعمل لحمل العقود الحاملة للسقف، والذي يشكل رواق موازي لجدار القبلة(بائكة) متساوية الارتفاع 2,40م، أما المسافة بين هذه الأعمدة، فهي تتراوح مابين 1,70م و1,80م. (لوحة33، صورة ج)

.التيجان:

تتميز التيجان المستعملة في مسجد سيدي المبارك بالدقة والإتقان (لوحة34، صورة ب)(شكل71)، وهي منحوتة وتتكون من جزأين: الجزء العلوي عبارة عن متوازي الأضلاع، أما الجزء الأسفل فهو عبارة عن هرم مقلوب قاعدته اسطوانية، وقد أنجزت التيجان من مادة الحجر. وتزينها أشكال هندسية بسيطة. عددها...و ارتفاعها الإجمالي... ويتكون من قسمين: القسم العلوي عبارة عن متوازي الأضلاع به زخرفة بسيطة أما الجزء الأسفل فشكله اسطواني كما نجد التيجان الكورنثية في صحن المدرسة الناصرية. (لوحة34، صورة ج)

.العقود:

يعتمد سقف بيت صلاة جامع سيدي المبارك على تسعة عشر عقد موازية لجدار القبلة، وتتوزع على خمس صفوف كل صف يشتمل على بائكة مكونة من خمس عقود، بالإضافة إلي عقدين عموديين على جدار القبلة وهما يكتنفان جانبي القبة التي تتقدم المحراب وتأخذ شكلا نصف دائري (شكل72) (لوحة34، صورة و)،وهي خالية من الزخرفة يبلغ قطر العقود 1,60م وعرضها20سم.

أما في الصحن، فيحتوي على عشرة عقود على نفس الطراز ونفس القياسات.

.العناصر المستعملة بين التيجان والعقود.

تستعمل عناصر بين التيجان والأقواس للزيادة في رفع وسائل الدعم والسقف، وتشتمل على الوسادة أو الكتف والركيزة و الطنف(لوحة35، صورةأ)(شكل73)، وكانت هذه العناصر مستعملة في مسجدي دمشق، وعمرو بالفسطاط، والجامع الكبير بالقيروان، وجامع الزيتونة، ومساجد صفاقص، وسيدي أبي مروان بعنابة، و قسنطينة والجزائر، وتنس القديمة، وتلمسان وندرومة[1].

بالإضافة إلي أخشاب التثبيت المتمثلة في قضبان من خشب العرعار، وقد استعملت لتثبيت فتحات العقود وتعلوا هذه القضبان التيجان. بالإضافة إلي قضبان حديدية حديثة استعملت لزيادة التثبيت (لوحة35، صورة ب) . واستعمال العوارض الخشبية عملية تقليدية في الفن الإسلامي الاغلبي، إلا أنها عرفت قبل ذلك بالمسجد النبوي، وجامع القيروان وكافة المساجد المبكرة، كما استعملت بمساجد مصر كجامع عمرو بالفسطاط.

. المداخل(شكل74)

ورد في الأثر عن النبي صلي الله عليه وسلم "يجب اتخاذ الأبواب للمساجد لتصان عن التراب وتنزه عما لا يصلح فيها من غير الطاعات بالغلق"[2]يشتمل مسجد سيدي المبارك مجموعة من المداخل مختلفة المقاسات والموزعة على الشكل التالي.

- المدخل الرئيسي(لوحة35،صورة د) ، ويوجد في الجهة الغربية للمسجد يدخل إلي السرايا عن طريق "الرحبة" متقن الصنعة يبلغ ارتفاعه 2,70م أما عرضه 1,70م يحتوي بدوره مدخل صغير(بويب) يبلغ إرتفاعه1,20م وعرضه 45سم. (شكل75)

✓ **بيت الصلاة**: تشتمل على ثلاثة أبواب:

- باب يتوسط الجدار الشمالي(الخلفي لبيت الصلاة)، ويدخل للمدرسة الناصرية ارتفاعه 2,40م ، أما عرضه فيبلغ 1,60م.(شكل75)(لوحة35،صورة ج)

[1]bouruiba .r: note sur les plans des mosquée, pp78-35.

[2]عبد الله كامل موسى عبده: المسلمون وآثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين(موسوعة العمارة الإسلامية،مجلد1، دار الآفاق العربية،ص31

- باب يتوسط الجدار الشرقي، (لوحة35، صورة ي) وهو الباب الرئيسي يبلغ ارتفاعه 2,85م، وعرضه 1,50، إلا أنه غير متقن الصنع مثل الباب الغربي . (شكل76)

- الباب الثالث فيتوسط الجدار الغربي لبيت الصلاة ارتفاعه2,30م وعرضه1,30م. (شكل77)

- باب على جدار القبلة على يسار المحراب عرضه93سم، أما ارتفاعه فيبلغ 2,35م، وآخر على يمين المحراب يدخل إلي مقصورة الإمام يبلغ ارتفاعه 1,60م وعرضه 75سم. (شكل78)

- باب يدخل للمدرسة الناصرية على الجهة الشرقية، يبلغ إرتفاعه2,20م وعرضه 1,17م. (شكل79)

تعددت الأبواب بمسجد سيدي المبارك على غرار المساجد الجامعة الكبيرة، وخاصة أن خنقة سيدي ناجي كانت القلب النابض لتلك الجهة و الحظوة، التي كانت تتمتع بها كطريق لقوافل الحج والتجارة ورحلة المصيف للقبائل من الصحراء (خريطة15).

ضف إلى ذلك أنها كانت مقصد للطلبة العلم، ولهذا كان مسجد سيدي المبارك مسجدا جامعا رغم وجود أربع مساجد في البلدة، ولهدا تعددت المداخل للتقليل من الازدحام عند دخول وخرج المصلين، كما أن المساجد المبكرة تميزت بتعدد المداخل خاصة بالجدران الجانبية غير جداري القبلة والمؤخرة[1].

والملاحظ في مسجد سيدي المبارك، هو وجود مدخل خاص بشيخ الخنقة وأسرته وهو المدخل الغربي المؤدي للرحبة والسرايا، وهو ما نجده في المساجد المبكرة، وكذا في مساجد مصر، وبغداد، والشام، والذي يكون فيه المسجد ملاصقا لدار الإمارة، ويؤدي وظيفة أمنية للحاكم أو شيخ المدينة. كما أن المسجد كان يمثل مكان الحل والربط في المسائل الدينية والدنيوية، ويعود إلصاق قصر الخلافة أو الإمارة بالمسجد الجامع، منذ عصر الخلفاء الراشدين في عهد الخليفة عمر بن الخطاب 17هـ الموافق لـ 638م، بعدما تعرض بيت المال للسرقة في الكوفة[2]. ويستعمل الباب الصغير للأطفال، أما على اليمين للرجال وعلى اليسار للنساء، ويستدل على صفة الطارق من خلال معرفة موضع الطرق.

[1] فكري أحمد: المرجع السابق، ص143.

[2] وجدان علي بن نايف: **سلسلة التعريف بالفن الإسلامي** "الأمويين، العباسيين، الأندلسيين" دار البشير للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ص26.

. النوافـــذ:(شكل81-82)

يتميز مسجد سيدي المبارك، بقلة النوافذ مقارنة بالمساجد الأخرى، ويعود ذلك لموقع المسجد والذي يعد من المساجد الصحراوية للتقليل من الحرارة وكذا الرياح الحارة. وتتواجد النوافذ في أعلى جدران بيت الصلاة، ففي الجدار الغربي توجد نافذتان وأخري على الجدار الشرقي، والملفت للانتباه في مسجد سيدي المبارك وجود نوافذ هي أقرب إلي أبواب صغيرة توجد في أسفل الجدران لبيت الصلاة، ففي الجدار الشمالي توجد نافذة تطل على المدرسة الناصرية يبلغ مقاسها العرض90سم وارتفاعها1,45م، أما على الجدار الغربي فيبلغ عرضها1م وارتفاعها 1,44م، ونافذة على يسار الباب الرئيسي ارتفاعها 1,40م وعرضها1م.وهي نوافذ ذات شبابيك مقضبنة للضرورة الامنية(شكل84)

وقد ارتبط توزيع النوافذ بالمنشآت الدينية ارتباطا واضحا بوظيفتها، فقد جرت العادة في العصور الإسلامية الأولي بوضع النوافذ في الثلث العلوي من الجدران الخارجية، ومن أمثلة ذلك الجامع الأموي بدمشق، ومسجد سامراء، وجامع أحمد بن طولون والجامع الأزهر، ووضع النوافذ بهذه الهيئة كان في إطار تحقيق متانة إنشاء الجدران المشتملة على هذه النوافذ، حيث إن وجود النوافذ في الحوائط الحاملة من شأنه إضعافها، وبالتالي فإن الإقلال منها كان اتجاها عاما دعمه عمل النوافذ ضيقة نسبيا، وتعويض هذا الضيق كان بالارتفاع نسبيا وجعلها في الأجزاء العليا من الجدار كلما أمكن[1]. ولهذا نجد أن مسجد سيدي المبارك لم يخرج عن هذه القاعدة خصوصا ومساجد الزاب عموما .

- **العناصر المعمارية:**

.المحـراب:

تأخذ مشكاة جامع سيدي المبارك شكلا مجوفا بحنية نصف دائرية، عمقها 1,80م وعرضها1,70م، أما ارتفاعه فيقدر بحوالي 2,75م (شكل85) (لوحة36،صورةج)، وبذلك فهو بنفس ارتفاع محراب مسجد عقبة بن نافع، والشيء الملاحظ الجوف، فهو متسع ويعطي الإمام راحة أكبر، وعلى جانبي المحراب نجد ساريتان أنجزتا من مادة

[1] محمد عبد الستار عثمان: **أضواء على أهمية الإنشاء في تاريخ العمارة الإسلامية**، مجلة العصور، المجلد الخامس، ج 2، السنة 1990، عدد صفحات المقال24 صفحة(255/231)، ص246، دار المريخ للنشر لندن بريطانيا.

الحجارة، وتأخذ شكلا أسطوانيا، ارتفاعها حوالي 1,48م، ويعلو كل منهما تاج منحوت من الحجر (لوحة38صورةو) (شكل86)، وبذلك فهو يختلف عن مسجد عقبة ابن نافع ويشبه محراب جامع قسنطينة[1].

يعلو المحراب عقد نصف دائري، ارتفاعه 1,50م، أما قطره1,80م، وتحيط به حافة مستطيلة ترتكز على عمودين جصيين يأخذان شكلا حلزونيا، وزينت الحافة بواسطة خطوط مستقيمة ومثلثاتمنحوت من الحجر(لوحة38،صورةأ، ج،د)، أما بالنسبة للشريط الأفقي الذي يعلو الحنيتين المحيطتين بعقد المحراب فتزينه أشكال هندسية ونباتيةمنحوت من الحجر(لوحة39،صورةأ).

أما الشكل الداخلي للمحراب، جزؤه العلوي تكلله نصف قبيبة مزينة بأخاديد، وهي تأخذ شكلا ربع دائري وتنطلق على شكل أشعة من نصف دائرة تعلو الطنف، الذي يحيط بقاعدة هذا القسم. وتحتوي نصف الدائرة على نقش يتمثل في كتابة من سطر جاء فيها: "العافية الباقية والعز والهناء وناقشه أحمد بن عمر التونسي لطف الله به"(لوحة37صورةأ،ب)، ومن خلال مقارنة ما جاء في كتابة محراب مسجد سيدي المبارك والكتابة في محراب مسجد سيدي عقبة، نستخلص التشابه في الأشكال الهندسية ونفس الاسم المنقوش في كوشة المحرابين وهذا يدل أن نفس الصانع وهو الاصطا احمد بن عمر التونسي، من رمم المسجدين، خاصة أن المسجدين شهدا نفس الترميمات و الإصلاحات سنة1800م، فالروابط الأسرية بين الأسرتين في كل من الخنقة وسيدي عقبة ساهمت في ذلك.

هذه الأخاديد الموجودة بمحراب الخاسقي وفي ضريح شابح ومحراب مسجد الداز بالمنستير المؤرخة بالقرن الخامس الهجري الموافق لـ الحادي عشر الميلادي، ووجدت بعد ذلك في بعض الأضرحة بالقاهرة كمشهد الست كلثوم ولها أمثلة بالجزائر كمحراب الجامع الكبير بقسنطينة ومحراب جامع سيدي لخضر ومحراب بيت صلاة الطابق الأول بمسجد عبد المؤمن[2]، أما الجزء الأسفل من المحراب فارتفاعه 1,55م، وهو خالي من أي زخرفة عكس جامع سيدي عقبة.

[1]Bourouiba.(r) : Apport de l Algérie, P.48

[2]Bourouiba.(R) **: op.cit**, p156.

.المنبـر:

يعد منبر مسجد سيدي المبارك (لوحة36،صورةو)، والذي يعود للقرن الثامن عشر حسب الرواية الشفوية، ويعود صنعه إلي 1147هـ الموافق لـ 1734م، أي أثناء عمليات الترميم التي شهدها المسجد في عهد الشيخ محمد بن محمد بن الطيب والذي جلب صناع وحرفيين من تونس الاصطا "أحمد بن عمر الشريف الجبايلي" حسب الكتابة المنقوشة على يسار المحراب. يبلغ طوله 1,95م، أما عرضه 65سم، ويتكون من خمس درجات متوج في أعلاه بعقد خشبي مفصص على شكل حذوة الفرس، ويحيط بالعقد إطار مربع الشكل، بالإضافة لعصا الإمام التي تعود لنفس الفترة التي أنجز فيها المنبر، والتي تتوج في أسفلها بالحديد.

ويتميز المنبر بميزة قلما وجدت في المنابر الجزائرية و الإسلامية، وهي انه متحرك على عجلات حديدية، وجعل لهذا الغرض سكة حديدية تفي لهذا الغرض، وجعل له فجوة (مشكاة) في جدار القبلة عمقها 2م وعرضها 70سم، وارتفاعها 3م وتأخذ فتحتها شكلا مستطيل تسمح بإدخاله وإخراجه منها، ويتم إغلاق الباب مما يوفر أفضلية للمكان واستغلاله في الصف الأول، فمسجد سيدي المبارك هو مسجد جامع للبلدة، ولهذا يزداد أعداد المصلين يوم الجمعة بغرض سماع خطبة الإمام من جهة، ومستجدات البلدة من جهة أخري، وكذا التشاور في أمورهم الدينية والدنيوية بحضور شيخ البلدة وأعيانها. ولم تقتصر وظيفة المسجد على الصلاة، بل كان المسجد أيضا مركز الحكم والإفتاء والعلم والإعلان، وغير ذلك من أمور الدين والدولة، ومن ثم علت منزلة المسجد عند المسلمين[1] لهذا راع صانع المنبر هذه الأسباب، فكان المنبر على هذه الصفة المبتكرة.

وقد ورد عن النبي صلي الله عليه وسلم" يستحب جعل المنبر في الجامع لأجل الخطبة"[2]،وأيضا " يكره اتخاذ المنبر الكبير الذي يضيق على المصلين، إذا لم يكن المسجد متسع الخطة، قال الرافعي وقال القاضي الحسين: إن كان لا يضيق لسعة المسجد لم يكره، وإن كان يضيق المكان عليهم لا يجوز...وهذا كله في المنبر الذي لا يزال من مكانه، أما لو كان له خزانة وراءه يرد إليها بعد الخطبة، كما هو بالإسكندرية وغيرها فلا، لان حال الخطبة لا

[1] حسن باشا: **موسوعة العمارة والآثاروالفنون الإسلامية**، مجلد1، ط1، دار أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1999 ص131.

[2] عبد الله كامل موسى عبده: **المسلمون وآثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين**، موسوعة العمارة الإسلامية، مجلد الأول، دار الآفاق العربية، ص30.

صلاة "[1] وحسب الإمام عبد الكريم الدريدي، فإن هذا المنبر أصبح نموذجا لبعض منابر المساجد في الجزائر. و يعد بحق هذا المنبر تحفة فنية حيث نلاحظ عليه الفن الأرابيسك[2]، ويتجلى ذلك في النقوش والزخارف النباتية و استعمال الألوان.

- **نظام التغطية :**

استعملت عدة طرق للتسقيف في مسجد سيدي المبارك هي:

. **القبة**[3](لوحة36، صورة ي)(شكل88)

لقد انتقلت القباب إلى العمارة المغربية، إما من التأثيرات المشرقية أو البيزنطية، حيث ظهرت القبة أمام المحراب في المسجد الجامع في القيروان[4]، ونجد في مسجد سيدي المبارك أقواس، هي أقواس تامة نصف دائرية الشكل، شبيهة بتلك التي استعملت في المسجد الأقصى، وقلعة بني حماد، ومسجد سيدي أبي مدين، ومسجد سيدي الحلوى بتلمسان.

و يمكن التمييز بين أربع قباب:

الأولى: تتقدم المحراب، تأخذ شكل نصف كروي أملسا ترتكز من الداخل على قاعدة مثمنة بها نوافذ تؤدي وظيفة الإضاءة داخل بيت الصلاة، وترتكز من الداخل على أربعة عقود تشبه عقود بيت الصلاة. وقد وجدت القباب في المساجد أمام المحراب منذ الفترات الإسلامية الأولى، فنراها في الجزء الأوسط من الرواق العرضي أمام المحراب بالجامع الاموي 97هـ/705م، وفي المسجد الأقصى بعد

إعادة بنائه في عهد الخليفة المهدي 163هـ/780م، والمسجد الكبير بالقيروان 248هـ/862م، و المسجد الكبير"[5].

---

[1] المرجع نفسه، ص03.

[2] التعريف الدقيق لكلمة أرابيسك أنه نوع خاص من التشكيل بأوراق الأشجار والأعناب المحورة ابتدعه العرب المسلمون

[3] صالح لمعي: **القباب في العمارة الإسلامية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ص23 "القبة هي كلمة مرادفة في البناء الإسلامي لكلمة تربة أو مدفن أو ضريح".

[4] عبد الكريم عزوق: **القباب والمآذن في العمارة الإسلامية** ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر

[5] صالح لمعي: المرجع السابق، ص19.

القبة الثانية: فهي تغطي ضريح سيدي المبارك، وقد أضيفت إثر التجديدات و التوسيعات التي أجريت على المسجد في عهد الشيخ أحمد بناصر بن محمد الطيب عام 1171هـ الموافق لـ 1758م والمقدر "8112 سلطاني من الذهب"، وفقا للكتابة المنقوشة على الباب الغربي للمدرسة الناصرية"بسم الله الرحمن الرحيم صلي الله على سيدنا محمد وسلم بنينا هذا المسجد والقبة المباركة على يد أفقر الورى وخديم شيراك الفقراء المتمسك بسنة محمد خير الورى أحمد بن ناصر بن محمد الطيب غفر الله ذنوبه وستر يوم العرض عيوبه عام واحد وسبعين ومایة وألف"(1171هـ/1758م) كتبت عليها آيات قرآنية وزخرفتها حديثة.

القبة الثالثة: تتموضع فوق ضريح بن حسين محمد بن حسين.

القبة الرابعة: وهي قبة المقبرة أو "التربة" مثلما يقول سكان البلدة، وهي من القباب الموضوعة على طنبور، فتحت في رقبتها نوافذ متعددة قصد السماح للضوء بالوصول إلى الداخل.

وبشكل عام فللقبة دور معماريا يتمثل، في التغطية وطرد القوة الحرارية والتقليل منها، على الفراغات الداخلية للمبني، لكونها لا تتعرض لأشعة الشمس كاملة في وقت واحد. عكس ما ينال السطح المستوي، لأن شكلها يسمح للجزء المظلل بمد حركة الهواء الحار، وكذلك الرغبة في الحصول على تعدد من التكوينات المعمارية بقصد قطع الملل عن الناظرين، وتشد أنظارهم إلى ما هو متعدد الجوانب ومختلف التكوينات من العمارة[1].

. السقف المسطح:

كما استعمل التسقيف المستوي والذي نعتقد أنها كانت بجذوع النخيل واللبن مثل باقي معالم خنقة سيدي ناجي والتي مازالت البعض تحافظ على المواد الأصلية، إلا أن الترميمات الحديثة التي تمت على المسجد في أوائل الثمانينات 1980م أخفت الملامح الأصلية للسقف، وأثناء زيارة أبو القاسم سعد الله للمنطقة وجد أعمال الترميم جارية وذكرها في كتابه تجارب في الرحلة[2].

[1] محمد الطيب عقاب: **قصور مدينة الجزائر**" أواخر العهد العثماني "دار الحكمة، الجزائر 1999، ص186.

[2] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق ص،

إلا أنه وبمقارنة طريقة تسقيف المسجد بالمدرسة الناصرية نلاحظ انه استعملت مادة الآجر و الجص ومادة "التافز" [1] جلبت من الجبال المطلة على خنقة سيدي ناجي.

أما طريقة التسقيف الحالية، فهي طريقة البراميل واستعمال أعمدة حديدية(عوارض) للتثبيت تبلغ المسافة بينها المتر، و مادة الإسمنت، وتتدلي من السقف ثريات نحاسية(قناديل) تعود للفترة العثمانية على نفس الطراز و النمط والأشكال الزخرفية التي توجد في مسجد سيدي عقبة. (لوحة41،صورةد،و)

كما يتدلى من السقف في الأسكوب الأول المقابل لجدار القبلة(البائكة المقابلة للمحراب) بيضتا نعام، وحسب إمام المسجد عبد الكريم الدريدي، فهي تعود إلي تأسيس المسجد وربما جلبت من مكان آخر للتذكير بالاسم الأول للبلدة وهو مورد النعام.(لوحة41،صورةي)

. المئذنة:[2](لوحة36،صورةد)(شكل89)

تعتبر مئذنة جامع سيدي المبارك من بين أقدم المآذن في الزاب، حيث يعود تاريخ بنائها إلى 1146هـ الموافق لـ 1734م في عهد الشيخ محمد بن محمد الطيب الذي رممت المئذنة في عهده واستعان بصناع تونسيين" كما سبق ذكره" وهو الاصطا أحمد بن عمر الشريف الجبايلي. وقد رممت المئذنة في عهد حسين بن ناصر بعد سقوطها 1789م، والذي تولي المشيخة عام 1210هـ الموافق لـ 1794م[3].تقع في الركن الشمالي الغربي للمسجد وملاصقة لضريح سيدي المبارك، والمرجح أنها كانت بسيطة في أول بنائها بساطة المسجد أو الزاوية الأولي التي أنشأها شيخ الزاوية سيدي المبارك.

والمئذنة عنصرا معماريا أساسيا في العمارة الإسلامية، جاءت نتيجة حاجة وظيفية لدعوة المسلمين للصلاة[4].

---

[1] التافز: مصطلح محلي يستعمل من طرف سكان المنطقة، وهي عبارة عن حجر رسوبي مشكل من حبيبات رملية متماسكة فيما بينها بواسطة ملاط سيليسي أو كلسي وتميل هذه الحجارة إلي اللون الأحمر المصفر، نظرا لاحتوائها علي أكسيد الحديد من المرتفعات المجاورة للبلدة لونها يميل للاحمرار وتتميز بالصلابة .انظر علي حملاوي، نماذج من قصور منطقة الأغواط ص 293

[2] صالح بن قربة: **المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطي**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986، ص2 "الصومعة تطلق على المآذن في المغرب والأندلس، وسميت بالصومعة لمشابهتها في بعض طرزها لأبراج الزهاد، وهذه التسمية معروفة الآن في المغرب العربي." انظر أيضا: سعيد عبد الفتاح عاشور وآخرون (دراسات في الحضارة العربية الإسلامية ص461) يرجع انتقال اسم المنارة (minaret)إلى اللغات الأوربية واستعماله ليعبر عن المئذنة. عندما تطور برج المئذنة إلى منارة على سواحل المغرب العربي، كما صارت فيما بعد "صومعة" عندما استخدمت كخلوة للعباد.

[3] Mercier : op.cit., p157. G..46 أنظر : أيضا كتاب أعيان المغاربة : المرجع السابق، ص

[4] رئيف مهنا وبن مجد: **نظريات العمارة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر ص29.

تتميز مئذنة مسجد سيدي لمبارك، بعدم توسطها المسجد وجاءت مستقلة عن بيت الصلاة وهذا ما يخالف المآذن العباسية التي تقع على نفس المحور مع المحراب وبعض المساجد المرينية، كما في المنصورة بتلمسان وبعض مساجد الموحدين[1]، وهي تنتمي بذلك إلى المآذن ذات القاعدة المربعة يبلغ ارتفاع بدنها حسب القياس الذي قمنا به 23,80م، أما عرض المئذنة عند القاعدة يبلغ 3,10م، أما الجوسق (البرج العلوي للمئذنة) فيقدر إرتفاعه1,40م، ويعلو الجو سق قبيبة حادة هي بمثابة جمور مبنية بالآجر ارتفاعها حوالي 2م يصعد له بدرجتين. وبذلك يكون ارتفاع المئذنة من القاعدة إلى آخر الجمور 25,80م. وبداخل البدن سلم يرقي عليه المؤذن إلي أعلى المئذنة، ويتوسط هذا السلم الفراغ الواقع مابين الجدار الخارجي للمئذنة، والدعامة المركزية المربعة وهي دعامة صماء كما هو الحال في مآذن المغرب الأوسط[2].

يبلغ عدد درجات سلم المئذنة61 درجة ودرجتين صغيرتين إلي القبيبة (الجمور)، و تتكون المئذنة من طابق واحد، أما الجوسق به شرفة تمكن المؤذن من الحركة بها ثمانية نوافذ معقودة، تفصل بينها سواري شبيهة بالسواري الموجودة في المسجد، مصنوعة بنفس الطريقة.(لوحة34،صورةي) وحسب الأستاذ عبد الغاني بن حسين فإن المئذنة كانت أطول من طولها في الوقت الحالي، وكانت تحيط ببدنها مظلات (أشرطة)، مصنوعة من الخشب على شكل رف مائل بارز. لها مدخل في الجدار الجنوبي يدخل للصحن يبلغ ارتفاعه 1,25م وعرضه60سم. أما الشرفة فهي مكشوفة وهي على نمط شرفات المآذن التي تكون في المناطق الصحراوية، وتخلو المئذنة من أية زخرفة في بدنها ماعدا الجص الذي يكسوها، وبذلك فهي تشبه المآذن الموحدية التي شيدت من الآجر على شكل برج له قاعدة مربعة تعلوه شرفات[3].وقد استخدمت المئذنة أيضا للمراقبة فهي تشرف على جميع جهات الخنقة، خاصة أن خنقة سيدي ناجي لم تكن دائما في حالة وفاق مع جيرانها كقرية ليانة وبعض القبائل المجاورة.

[1] عزوق عبد الكريم: المرجع السابق، ص54.

[2] عزوق عبد الكريم: المرجع السابق، ص51.

[3] صالح بن قربة: المرجع السابق، ص48.

- **الصحن:**(لوحة33، صورةب)(انظرشكل69)

يحتوي مسجد سيدي المبارك على صحن، يقع في الجهة الغربية للمسجد. غير منتظم الشكل، مضلع يستعمل للصلاة في وقت الصيف أين تكون الحرارة في أوجها. يوجد به رواق موازي لجدار القبلة(أسكوب واحد)،تقدر أطوال أضلاعه: الجزء على يسار محراب الصحن تقدر ب9,70م أما الجزء المقابل للمحراب فيبلغ طوله7,10م، أما الضلع على يمين المحراب فيبلغ 7,15م، ويرتفع سقف هذا الرواق على عشرة عقود، بنفس عقود بيت الصلاة موزعة على الشكل الآتي:

- ثلاثة عقود مقابل المحراب على يسار المحراب، أربع عقود على يمين المحراب وثلاثة عقود. ترتكز هذه العقود على عشرة سواري نحتت بنفس طريقة باقي سواري المسجد الجامع، ارتفاعها2،40 م، أما عرض هذا الرواق(الاسكوب) فيبلغ 1,20م، أما المسافة الفاصلة بين هذه السواري فتتراوح مابين 1,65م و1,80م.

وقد بلطت أرضية الصحن بالآجر الأحمر، الذي صنع بمواد محلية على يد صناع تونسيين الذين جلبوا في عهد حسين بن أحمد بن ناصر الذي تولي المشيخة عام1210هـ الموافق لـ 1794م، وهم الاصطا على البنزرتي وأخوه محمد وقاسم الصفاقصي وأربع صناع للآجر، أما اليد العاملة البسيطة فكانت من أبناء المنطقة.

والملفت للانتباه في هذا الصحن هو محرابه الغاية في الإتقان، والذي يشبه إلى حد كبير محراب مسجد القيروان في زخرفته ودقة صنعه. (لوحة42، صورةد)(انظرشكل87)يعلو جزئه الأعلى عقد على شكل حذوة الفرس، يبلغ جوفه(عمقه) 65سم، أما العرض عند القاعدة فهي 1,18م، أما ارتفاعه فيبلغ 2,07م، أما قطر العقد فيبلغ 90سم. وموقع الصحن بالجانب فهذه ظاهرة عرفتها المساجد الفاطمية كما نجدها بجامع حسان بالرباط الذي يعود إلى الفترة الموحدية وهو يحتوي على صحنين جانبيين شرقي و غربي[1].

ب. مسجد السوق:(لوحة59، صورةأ) (شكل90)

يقع قبالة السوق ولهذا عرف بهذا الاسم لم يبقي منه إلا الأطلال بعد هجرة سكان الخنقة من النواة القديمة والاستقرار غير بعيد عنها في النواة الجديدة "البرج"

[1]Grandet (D): **Architecture et urbanisme islamique**, O.P.U, Alger, 1992, P39

- **الوصف العام للمسجد**: يتميز المسجد بشكله المربع حيث تتراوح اضلاعه12×12م له مدخلين مدخل من الجهة الجنوبية وهو المدخل الرئيسي يبلغ ارتفاعه2،20م أما عرضه 1م فتح في الشارع الرئيسي المؤدي للسوق كما فتحت نافذتان في نفس الجدار، استعمل التبليط في زخرفة اطر المدخل الرئيسي والنافذتين(انظر لوحة59،صورةأ). أما المدخل الثاني فيعتبر ثانوي فتح في جدار الجهة الشمالية يؤدي إلي شارع ثانوي بدوره يؤدي إلي السوق والمباني المجاورة(انظر لوحة59،صورةج)تتكون بيت الصلاة من ثلاث بلاطات وثلاث اساكيب أما الدعامات التي ترتفع عليها العقود فتتميز ببدن مربع الشكل يتراوح سمكه50سم(انظر لوحة59،صورةب) كما تتميز أرضية بيت الصلاة بالتبليط أما المحراب فيتميز ببساطته المعمارية حيث ينتهي بعقد علي شكل حذوة الفرس وبروز تجويفه إلي الخلف أي خارج عن جدار القبلة(انظر لوحة59،صورةد) وهذا ما وجدناه في مسجد سيدي المبارك وفي نفس الوقت فتح مدخل إلي مقصورة الإمام التي تضم البروز الناتج عن المحراب. فتحت في جدرانه كوات صغيرة لاستعمالها في وضع المصاحف و أشياء أخرى. تأخذ المئذنة زاوية منفصلة عن المسجد، تتراوح أبعادها عند القاعدة 2م×2 أما ارتفاعها 4×4، إلا أن الملاحظ عدم وجود الجزء العلوي منها حيث تعرض للانهيار وقد خصص لها مدخل مستقل عن بيت الصلاة يؤدي إلى السلم الذي يولج لها عدد درجاته10

ج. مسجد المعروف بمسجد حي لواتة:(لوحة62، صورةأ،ب،ج)(شكل91)

من بين المساجد التي كانت لها أهمية في الخنقة يقع أقصى الناحية الشمالية الشرقية للبلدة وجدناه في حالة يرثي لها بسبب الأمطار ولكننا حاولنا دراسة ما تبقي من أجزائه المعمارية.

- **.الوصف العام للمسجد**: يتخذ شكل غير منتظم أما بيت الصلاة فيتراوح طول ضلعها 11×11م بها بائكة من العقود النص دائرية يحمل عليها السقف أما المحراب عبارة عن تجويف بسيط العمق في جدار القبلة خالي من الزخارف كما فتحت كوات صغيرة في جدار القبلة لوضع المصاحف أو قناديل الإنارة الخاصة بالمسجد استعمل في تسقيفه مواد خشبية كأشجار السرو و العرعار وجذوع النخيل كما يتوفر المسجد على صحن يستعمل للصلاة أوقات الحر الشديد في فصل الصيف تبلغ مساحته 8×8م يوجد في الشمالية الغربية به غرفة واسعة مغلقة من الممكن أنها كانت ميضأة المسجد.

د.مسجد عبد الحفيظ الخنقي:(لوحة63، صورةد)يقع بجوار منزل مؤسس الزاوية الحفيظية وهو عبد الحفيظ الخنقي التي تبنت الطريقة الرحمانية في الجهة اين أسس الشيخ زاويته في القرن الثامن عشر وتبني مقاومة الاستعمار الفرنسي حيث قاد مع شيخ الزاوية الصديقية القريبة من الخنقة ببلدية البغيلة* حيث قتل القائد سان جرمان

- **.الوصف العام للمسجد:** بسبب عمليات التجديد والترميم المتتالية زالت ملامحه القديمة تأخذ بيت الصلاة شكلا غير منتظما (لوحة63،صورةي)حيث يتراوح أطوالها بين 10×9م بها ثلاث بوائك ترفع عليها سقف بيت الصلاة أما الأعمدة الحاملة ذات شكل مكعب منحوتة من الحجارة وحسب قيم المسجد فإنها جلبت من منطقة أولاد جلال وتم استعمال العوارض بين العقود كداعامات(لوحة63،صورةو).أما المحراب لا يختلف كثيرا عن المحاريب الأخرى حيث يعلوه عقد على شكل حذوة الفرس يرتفع على ساريتن غاية في الاتقان .اما طريقة التسقيف فاستعمل السقف المسطح والقباب حيث نجد قبة تعلو المحراب ثمانية الاضلاع فتحت فيها ثمانية نوافذ(لوحة64،صورةب) وقبة تعلو غرفة الضريح خالية من أي زخرفة تذكر والملاح اننا وجدنا بئر بالمسجد مازالت لحد الان بها الماء ومازالت تحافظ على طريقة استخراج الماء (لوحة64،صورةج)

أما غرفة الضريح (لوحة64، صورةد،و)فتوجد في الجهة الشمالية الشرقية للمسجد تتراوح أطوالها 3×3م ندخل إليها عن طريق باب ذو مصرعين غاية في الإتقان ،يحتوي على زخارف هندسية استعملت فيها المسامير الحديدية تماثل تلك الزخارف المستعملة في أبواب مسجد سيدي المبارك والمدرسة الناصرية أما تسقيفها استعمل فيه نظام القبة

2. الأضرحة:

يتميز مسجد سيدي المبارك بميزة منفردة عن بقية مساجد الجزائر، وهي تعدد الأضرحة فيه، والتي تعد كمزارات تضم شيوخ الزاوية الذين هم في نفس الوقت شيوخ الخنقة البارزين، والذين أرتقوا إلى مصاف الأولياء

*حوالي 30كلم عن بلدية خنقة سيدي ناجي

الصالحين. ونجد ما يشابه ذلك في العمارة السلجوقية أين يتم إلحاق المدرسة بالمدفن، وهي قاعدة العمارة السلجوقية(470هـ /708هـ)الموافق لـ (1077م /1308م)[1].

و يورد صالح لمعي[2]، في هذا المجال وعلى سبيل المثال تربة درويش باشا والي دمشق)982هـ الموافق لـ 1574م، وهي تقع ضمن مجموعة معمارية تتألف من جامع ومدفن ومكتب(كتاب)، والقبة لها طنبور من طابقين. ولهذا نجد ثلاث أضرحة بارزة لشخصيات لعبت دور كبير في تاريخ خنقة سيدي ناجي وهم على الترتيب :

- **ضريح سيدي المبـارك**:

يقع ضريح سيدي المبارك، مؤسس بلدة الخنقة في الجهة الشمالية الغربية للمسجد و هو ملاصق للمئذنة من الجهة الغربية لها. داخل روضة مربعة الشكل، يبلغ طول ضلع الروضة3,70م،(شكل92) ندخل له من مدخل يبلغ ارتفاعه 1,95م وعرضه 93سم، أما سمك جدار الروضة فيبلغ 55سم، وبذلك فهو لا يختلف عن سمك جدران المسجد.

وتحتوي الروضة على نافذتين فتحتا في الجدار الغربي مربعتا الشكل تقريبا 45سم على40سم(صورة86)، ونافذة فتحت في الجدار الجنوبي للروضة، عرضها72سم، وارتفاعها 84سم وتوجد في الضريح كتابة نقشت، على لوحة من الحجر مستطيلة بخط النسخي المشرقي جميل يحتوي على نقاط الاعجام وحركات الإعراب، استخدم فيه النقاش أسلوب التركيب كما حملها ببعض الزخارف النباتية على شكل مراوح مزدوجة تنتهي ببراعم. ونفذت الكتابة بأسلوب الحفر الغائر المملوء بالرصاص، وهي طريقة شائعة في العهد العثماني[3]. تقع الكتابة في أربعة أسطر ونلاحظ اختلاف أسلوب الكتابة التي تتميز بأسلوبها الفني الرفيع الذي يميزها عن باقي كتابات الخنقة جاء فيها:

1. بسم الله الرحمن الرحيم وصلي على سيدنا محمد وسلم /.

---

[1] صالح لمعي: المرجع السابق، ص31.

[2] صالح لمعي: المرجع السابق: ص29.

[3] عبد الحق معزوز ولخضر درياس: **جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر**، ج1 (كتابات الشرق الجزائري)، مطبعة ومر الجزائر 2000، ص73.

2. أودع على أبن حسين[1] باك شهادة أن لا إله إلا الله/.

3. محمد رسول الله يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتي الله/.

4. بقلب سليم[2]/.

5. ناقشها أوصطا حسين سنة1151/.

وحسب عبد الغاني بن حسين[3]، فإن الروضة كانت تضم خزانة بها كتب قيمة يستفيد بها الطلبة وسكان خنقة سيدي ناجي.

- **.ضريح أحمد بن ناصر:** (لوحة36،صورةأ)

يقع في الركن الشمالي الغربي لبيت الصلاة داخل روضة مربعة الشكل، حيث يبلغ طول ضلعها2،40م وبذلك تقدر مساحة الروضة ب5,76م، و يحيط بها جدار خشبي في أعلاها، كتابة نقشت على الخشب صعبة القراءة للإهمال الذي طال الضريح والروضة معا، مقارنة بالأضرحة الأخرى.

- **ضريح بن حسين محمد بن حسين:**

وهو من العلماء الأجلاء للخنقة"1316هـ/1413هـ الموافق لـ1899م/1993م"[4]حسب اللوحة الشاهدية على الضريح. يقع في الركن الجنوبي الغربي للمسجد يطل على الصحن، وهو مربع الشكل زخرفت قبته بآيات قرآنية وفتحت في جداره الجنوبي نافذة تطل على الشارع، عليها لوحة رخامية كتب على الإطار المحيط بها وبخط مغربي" الكتابة."و مزخرفة بأشكال نباتية غاية في الإتقان وهي عبارة عن مزهرية تنبعث منها زهور وأوراق نباتية

---

[1] المرجع نفسه: ص73 "هو علي باي بن حسن باي تونس(1169هـ. 1169هـ/1735م .1756م)كانت له علاقات طيبة مع الشيخ أحمد بن ناصر وكان كلما توجه إلي تونس إلا ونزل ضيفا عند علي باي فكان يجد عنده كل الترحاب وكرم الضيافة حيث كان الباي يجري عليه المؤن والإعانات ويودعه بالمنح والهدايا وفي عام 1150للهجرة ثار ضده رعاياه وهرب إلي موضع يقال له الفيض ليس ببعيد عن الخنقة بعدما تاه ورفاقه في الصحراء ولما سمع به أحمد بن ناصر ذهب إليه وأستقدمه إلي الخنقة فأكرمه غاية الإكرام ومكث هناك سبعة أشهر بالخنقة قبل أن يستقبله باي قسنطينة حسين بك ليعود باي تونس إلي بلده معززا مكرما بعد أن اجتمعت حوله الاعراش و القبائل.

انظر.G. mercier: op.cit

وأيضا: "الذكري المئوية الرابعة لتأسيس الخنقة" مقال للأستاذة كريمة بن حسين (نبذة تاريخية عن بلدة خنقة سيدي ناجي إبان العهد العثماني ص66/53.

[2] سورة الشعراء: الآية 88.

[3] من أحفاد أسرة بن حسين أستاذ التعليم المتوسط بخنقة سيدي ناجي.

[4] عالم ولي صالح زاهد صوفي ولد بخنقة سيدي ناجي وبها نشأ، وتوفي ودفن.وأخذ العلم والطريقة الرحمانية عن الشيخ محمد المدني بن محمد المكي الخنقي.

خماسية الفصوص وثمانية الفصوص ونجد هذا النوع من الزخرفة قد انتشر بشكل كبير في العهد العثماني الذي انتشر في القرن الثامن عشر(لوحة41،صورة1)

3.المدرسة الناصرية:

من أبرز ما ميز العمارة الإسلامية في شرق العالم الإسلامي وغربه، الاهتمام الكبير ببناء المدارس والتي يعد إنشاؤها من المنجزات العظيمة من الناحيتين العلمية والفكرية، وكذلك من الناحية المعمارية الفنية[1]. وقد كان للمساجد والزوايا والربط (أو الأربطة) التي انتشرت في شتي أنحاء المغرب العربي، دور كبير في الحياة الدينية والاجتماعية والحربية في المجتمع المغربي في العصر الإسلامي. ويشير الونشريسي إلي وجود ظاهرة الاجتماع على الذكر وتلاوة القرآن في المساجد[2].

أ. ظرفية التأسيس:

كان تأسيس خنقة سيدي ناجي أول أمرها حول نواة مركزية وهي زاوية، لتلقين العلوم ومبادئ التصوف وتعاظم هذا الدور مع مرور الزمن وتزايد السكان وانتشار مكانة شيوخها في نواحي الزاب الشرقي والاوراس. ورغم أن قرية ليانة القريبة منها كانت أقدم منها تأسيسا وعلما إلا أن صيت علماء خنقة سيدي ناجي فاقها في وقت قصير. وقد ساهمت المدرسة الملحقة بالمسجد في شهر ة البلدة، وتشير الكتابة الموجودة على ساكف من الحجارة على هيأة لوحة مستطيلة الشكل، طولها 1.50م وعرضها 25سم مثبتة فوق المدخل الجنوبي للمدرسة، نقشت عليها كتابة تأسيسية بخط مغربي رديء، تتكون من أربعة أسطر. نقرأ في كتابة هذا الساكف الحجري، أنها بنيت على يد" احمد بناصر " بن محمد الطيب بتاريخ أواخر رجب سنة 1171 هـ الموافق لـ 1758م وهو الذي جدد بناء المدرسة والجامع والقبة و الدمس من ماله الخاص، والذي قدر آنذاك ب8112سلطاني ذهبي ونقرأ النص التالي :

1.الحمد الله وحده بنيت هذه المدرسة المباركة المسماة الناصرية على يد أفقر الورا./

2.و خديم الفقراء المستمسك بسنت محمد خير الورا أحمد بن ناصر شكر الله صنيعه./

---

[1] حسين أمين: المدارس الإسلامية في العصر العباسي وأثرها في تطوير التعليم "بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية في ندوة الحضارة الإسلامية في ذكري أحمد فكري 1986م) الإسكندرية مؤسسة شباب الجامعة 1983م ص103.

[2] كمال أبو مصطفي جوانب من حضارة المغرب الإسلامي. من خلال نوازل الونشريسي. مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية1997،ص109.

3. وأمده من الثواب جزيله ربنا تقبل من إنك أنت السميع العلم بتاريخ أواخر رجب من عام إحدى وسبعين ومایة وألف./

نستخلص مما سبق، أن أحمد بن ناصر يرجع إليه الفضل في بناء أو على الأقل في إعادة بناء المسجد والقبة معا، ويذكر صاحب مخطوط "تعريف بناء عمارة الخنقة" أن العمل بدأ العمل فيه حوالي 1151من الهجرة (انظر لوحة32،صورة ي). وكانت تضم خمسة عشر غرفة وحاليا ثلاثة عشر غرفة للطلاب الوافدين من خارج الخنقة. وقد اعتبرت من أشهر المدارس في غير العواصم، وبذلك فمنطقة الزاب عرفت ظهور المدارس في وقت مبكر، فكانت مقصد طلبة الزيبان ووادي سوف والاوراس و زواوة وحتى قسنطينة و عنابة بل وتونس وطرابلس أيضا[1]. وتنسب المدرسة الناصرية إلى احمد بن ناصر مجدد بنائها وليس إلى الطريقة الناصرية كما يعتقد البعض[2].إلا أن محمد موهوب بن أحمد بن حسين وهو من أحفاد أسرة بن حسين، فيري عكس ذلك وينسبها إلي الطريقة الناصرية التي انتشرت بالخنقة آنذاك بواسطة عمه سيدي عبد الحفيظ بن محمد الطيب دفين تبويحمد أو(تبويحمت)، عن الشيخ الغرياني عن الشيخ محمد بن محمد بن ناصر الدرعي المغربي[3].والمرجح أن المجادلات والمناظرات التي كانت تتم في حلقات الدرس بين الطلبة، والتي عادة ما تخرج عن الآداب العامة للمسجد، ضف إلى ذلك زيادة عدد الطلبة الوافدين لتلقي العلم من مختلف المناطق، جعلت القيمين على الزاوية التفكير في إنشاء مدرسة منفصلة عن بيت الصلاة، فالقرن الرابع هو الذي أظهر هذه المعاهد الجديدة التي بقيت إلي أيامنا[4]. وقد عرفت بلاد المغرب ظهور المدارس منذ نهاية القرن الخامس الهجري/أواخر القرن الحادي عشر

[1] أبو القاسم سعد الله: زيارة إلى خنقة سيدي ناجي مجلة سيرتا معهد العلوم الاجتماعية جامعة قسنطينة، العدد1980،3م، ص116 أنظر أيضا تجارب في الأدب والرحلة لنفس المؤلف ص261.

[2] كريمة بن حسين: خنقة سيدي ناجي إبان العهد العثماني المجلة التاريخية المغاربية منشورات التميمي، زغوان الجمهورية التونسية، العددان90/89، ماي 1998م.

[3] محمد موهوب بن أحمد بن حسين: قصة خنقة سيدي ناجي عبر أربعة قرون من تاريخها، الذكري المئوية الرابعة لتأسيس خنقة سيدي ناجي الجمعية الناصرية دار الهدي عين مليلة، ص ص 17/16 (من 7إلي 52) الجزائر،2002 م.

[4] آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (أو عصر النهضة في الإسلام) الجزء1تحقيق عبد الهادي أبو ريدة، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ،ط1، 1986 ص300.

الميلادي وقد انتشرت في عهد المرابطين ومن أشهر هذه المدارس مدرسة فاس ومدرسة سبته كما انتشرت المدارس المرابطية في طنجة أغمات و سجلماسة وتلمسان ومراكش[1].

ب. الوصف العام للمدرسة:(شكل93)

لقد رعى في تخطيط المدرسة " مبدأ التخطيط على الداخل مع وجود عامل الوظيفة، المتمثلة في تحديد الغرض الأساسي من البناء والذي يكمن في وجود كتلة الصحن ككتلة أساسية داخل التكوين المعماري. لا ترتبط بالوظيفة ولكنها تمثل عنصر التجميع للوحدات المعمارية من حوله، ولذلك فإن عنصر الصحن يعد من العناصر الأساسية في جميع المنشآت الدينية والمدنية[2]".

ندخل إليها من الباب الرئيسي، الذي يقع في الجهة الغربية يبلغ ارتفاعه 2,20م أما عرضه1,70م وعن طريق رواق ذو سقف مبرمل أستعمل فيه الآجر المشوي(المحروق)(شكل94). ندخل إلى ساحة تتوسط المدرسة وهي بمثابة صحن يسمح بتهوية المدرسة، وكذا يعطي إمكانية للطلبة بالتحرك والدراسة، مبلط بالآجر الأحمر بنفس الطريقة التي بلط بها صحن المسجد والمدرسة. تتكون من طابقين الطابق الأول مخصص للدراسة مازالت المحارات التي كانت يستعملها طلبة المدرسة تتوسط صحن المدرسة .

ونصعد للطابق الأول عن طريق سلم يتوسط صحن المدرسة، أين توجد غرف الطلبة على يسار السلم ويمينه والتي كانت تؤدي وظيفة مأوي للائمة ومسكن للطلبة والزوار، وقد خصصت لكل طالب غرفة صغيرة مجهزة بمسرجة وحصيرة ووسادة. تتميز جدران الغرف بخلوها من أي زخرفة وكان يقيم في كل غرفة طالبين أو ثلاثة من خارج البلدة، وقد كان هذا النمط سائدا في المدارس المغربية عموما[3]. وتوج هذا الطابق بشرفة تطل مباشرة على صحن المدرسة بها عقود ترتكز على سواري منحوتة بنفس طريقة باقي السواري في المسجد، وبهذه المدرسة مكتبة و مطهرة وأحواض ماء لمحو الألواح (لوحة).

[1] محمد محمد الكحلاوي: "المدارس المغربية دراسة أثرية ومعمارية "مجلة العصور، المجلد6، ج1، (117/71) ص73/72 السنة1990م.

[2] محمد محمد الكحلاوي: ص83.

[3] محمد محمد الكحلاوي: نفسه، ص79

- **الوصف المعماري والأثري للمدرسة:**

✓ **الوصف الخارجي:**

مازالت عمارة المدرسة الناصرية تحافظ علن ناحيتها المعمارية القديمة، بفضل الترميمات التي كانت تجري عليها بالنسبة لقاعة الطلبة ودار الضيوف وصحن المدرسة، وكذا استمرارها في وظيفتها التعليمية لسنوات متأخرة. إلا أنها أصبحت في الوقت الراهن مهجورة وفقدت مكانتها التي كانت تشتهر بها في الزاب الشرقي وحتى التراب التونسي، ندخل إليها من الباب الموجود بالجدار الشمالي مباشرة لصحن المدرسة، كما ندخل لها من الباب الرئيسي المقابل للشارع على الجهة الشمالية عرضه 1.40م اما ارتفاعه فيبلغ2.20م، ووجود مدخلين للمدرسة سببه التصاقها بالمسجد حيث يوفر المدخل الداخلي للإمام والطلبة المقيمين بالدخول لبيت الصلاة بحرية أما المدخل الرئيسي فيسمح لطلبة القرية بالدخول.

✓ **الوصف الداخلي:**

يتكون التصميم العام للمدرسة، من قاعة رئيسية هي المقصورة والسقيفة التي تتقدمها، فبعد أن نجتاز الباب الرئيسي ندخل إلى السقيفة او الصحن التي تقدر مقاساتها ب 3.70 م وعرضها 1.40 م شكلها مستطيل وبها باب في الجدار الأيسر ندخل من خلاله إلى المقصورة (لوحة 42، صورةب).

أما الخلوة فتعرف عند أهل القصر بالمقصورة، و هذا العنصر المعماري نجده عادة في المساجد، وفها كان يقوم الشيخ أحمد دريدي بإلقاء الدروس اليومية على طلبته، ويبلغ طول هذه القاعة 6.80 م وأما عرضها فيبلغ3.70 م، ولهذه القاعة مدخل صغير طوله 1.80 م و عرضه 0.70 م. تقوم هذه القاعة على عقود نصف دائرية عددها ثلاثة على شكل قوس كبير. العقد الأول يبلغ طوله 2.20 م وعرضه 2.14 م تفصله مسافة 1.60م عن المدخل. أما العقد الثاني طوله 2.80م وعرضه 2.50 م وسمكه يصل إلى 0.60م. ويأتي في الأخير العقد الثالث.

4: المقابر (التربة):(لوحة49 ،صورة أ،ب،ج،د)

ملحقة بمسجد سيدي المبارك بمحاذاة المدرسة الناصرية وعلى شمال مسجد سيدي المبارك، توجد مقبرة العائلة التي تضم قبور عائلة بن حسين وبعض العائلات ذات الحظوة في بلدة خنقة سيدي ناجي، وتعرف هذه

المقبرة لحد الآن عند الأهالي باسم "التربة"، وهي التسمية الشائعة في المشرق العربي بشكل كبير، والملفت للانتباه شواهد القبور التي وضعت على هذه القبور، والتي تتميز بتشابهها بشواهد القبور العثمانية[1]. (لوحة50صورةأ،ب،ج)والتي تؤرخ لأصحابها. نجد بعض القبور عليها عمائم من الرخام تدل على أن صاحب القبر كان يشغل مكانة كبيرة بين سكان خنقة سيدي ناجي، إما دينية أو سياسية أو اجتماعية، وبذلك نجد التأثير العثماني على البلدة بشكل واضح. هي شواهد جنائزية من الرخام منقوشة بطريقة الحفر الغائر، واستعمل خط نسخي بسيط في الكتابة الشاهدية، وهي مزدحمة وليست مميزة وإلى حد ما غير متقنة، وحسب التاريخ المدون عليها فهي متأخرة. وتخلو النصوص التذكارية التي تعلو بلاطات هذه الشواهد من أي زخارف، ماعدا اسم ولقب المتوفى، وتاريخ الوفاة والبسملة، وهناك بعض الزخرفة على عمامة موضوعة على احد القبور زخرفت بزخارف نباتية.

وقد أستعمل في تسقيف المدفن(التربة) التسقيف المسطح والقبة معا، والتي فتح في رقبتها نوافذ لتوفير الإنارة للتربة. ولعل ارتباط القبة بالشكل السماوي يكون الجواب عن التساؤل في تغطية المدافن بالقباب، وخاصة عندما نعلم أن القبة تمثل السماء عند المسيحيين وخاصة في القرن الرابع الميلادي في سوريا وفلسطين[2]، وقد استمر إنشاء القبة فوق القبور بعد ذلك في أماكن وسنوات متباعدة في العمارة الإسلامية.

واغلب الظن أن تصور السماء بالقبة تدعمه بعض التفسيرات الخاصة بآيات من الذكر الحكيم، حيث أن أقرب تصور للسقف المرفوع بدون أعمدة، هو القبة في الآية الكريم ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم أستوي على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمي يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم

[1] محمد عبد العزيز مرزوق: الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة بيروت، لبنان، ص147"يسميها أهل المغرب بالمقابريات مفردها مقابرية، وكذلك أهل الأندلس، وهي ألواح من الحجر أو الرخام توضع فوق القبور لتدل بما عليها من كتابات علي من يرقد في القبر، وهذه العادة قديمة عرفتها الأمم السابقة علي الإسلام، وعنيت بها عناية ملحوظة الفراعنة اليونانيين والرومان والبيزنطيين والعرب قبل الإسلام عرفوا شواهد القبور واستعملوها بعد الإسلام .وأقدم شاهد قبر جاهلي هو شاهد امرئ القيس بن عمر المعروف بنقش النمارة الذي كشف عنه المستشرق الفرنسي دوسو في صحراء نماره بالشام وهو يؤرخ في سنة238م.وأقدم شاهد قبر إسلامي الذي عثر عليه في المقبرة الإسلامية بمدينة أسوان في صعيد مصر، وهو يؤرخ في سنة 31هـ/641م.

[2] صالح لمعي مصطفي: المرجع السابق، ص 23.

توقنون﴾[1] وأيضا في قوله تعالي﴿ خلق السماوات بغير عمد ترونها وألقي في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾[2].

كما توجد مقبرة ثانية على الجهة الشرقية، تضم قبور لعائلات لها مكانة إلا أنها ليست بنفس البناء والزخرفة على القبور، مثل المقبرة الأولي. أما باقي سكان خنقة سيدي ناجي فكانت لهم مقبرة عامة خارج البلدة.

- **خلاصة:**

من خلال هذا الفصل نستنتج أن مكانة وسمعة بلدة خنقة سيدي ناجي ارتبطت ارتباطا وثيقا بمسجد سيدي المبارك والمدرسة الناصرية .إن الوظيفة التي يشترك فيها كل من المسجد و المدرسة و الزاوية عبر التاريخ الطويل الذي قطعته الحضارة الإسلامية هو نشر التعليم بجميع أنواعه، بغض النظر عن تخطيط وهيأة كل منهما، وقد نتج عن ذلك خلط في مفهوم هذه المؤسسات الدينية و التعليمية بالنسبة للباحثين و الدارسين بين وظيفة الجامع والمسجد والمدرسة والزاوية، لأن في كثير من الأحيان كانت بعض المساجد تابعة لزوايا معينة وبعض الزوايا كانت عبارة عن مدارس ألحقت بها مساكن للطلبة، وكثيرا ما كانت النصوص الوقفية تشير إلى تأسيس زاوية و جامع ومدرسة في نفس الوقت،كما كانت بعض الزوايا تابعة لبعض المساجد المعينة، فهذا التداخل يظهر في الاسم والوظيفة معا .

وتتجلى وظيفة المدرسة في مهمتها الرئيسية وهي التدريس، فهذه الوظيفة كانت تتم داخل مسجد سيدي لمبارك في المقام الأول قبل ظهور المدرسة الناصرية كمنشأة مستقلة. و كانت المدرسة ملحقة وتابعة للمسجد، والأمثلة عن ذلك كثيرة في دولة الإسلام، حيث كانت المساجد مقرا للتعليم، إذ تعقد فيها حلقات لهذه الغاية.

أما من الناحية الأثرية، فان كلا من مسجد سيدي لمبارك وكذا المدرسة الناصرية وظفت في إنشائهما مواد بناء محلية وخارجية كألواح الجليز المستورة من "ايطاليا"، أما من الناحية الزخرفية فقد تنوعت بين النباتية و الهندسية والكتابية وبين التأثيرات المحلية والخارجية. أما اليد العاملة فكانت محلية في اغلبها كما استعين بيد عاملة خارجية كالمرممين من تونس أبرزهم الاسطي عمر التونسي.

---

[1] الآية2.سورة الرعد

[2] الآية10.سورة لقمان

الفصل السادس:

عمارة خنقة سيدي ناجي المدنية

- **تمهيد**

1-السور

2-الأحياء والمنازل

3-الأسواق والشوارع

4-منزل أسرة بن حسين المعروف باسم السرايا

5-أقسامه وتكويناته المعمارية

6 منزل سيدي عبد الحفيظ الخنقي

- **خلاصة**

- **تمهيد:**

كانت الأنماط المعمارية على مر العصور دائما انعكاسا صادقا للبيئة الحضارية التي كانت تسود كل مرحلة من المراحل التاريخية المتلاحقة ومن قديم الزمان أقيمت مدن على أطراف الصحراء حيث ساعدت البيئة الحارة بظروفها الطبيعية والاجتماعية على خلق نمط معين متلائم معها، فقد ساعدت البيئة الحارة على توجيه الإنسان للداخل سواء كان للحي أو المسكن أو في المدينة ككل حتى يتوفر عامل الحماية من الظروف المناخية ولقد ظهرت التشكيلات المعمارية على مستوى التخطيط بصورة عضوية وتلقائية دون الارتباط المسبق باعتبارات تشكيلية أو معمارية معينة وبذلك أصبحت العمارة التقليدية تعبر بصدق عن الوظيفة والبيئة الطبيعية والثقافية والاجتماعية السائدة.فمن خلال التلاصق الشديد الحاصل بين المباني في مدينة الخنقة، هناك رغبة في تحقيق تظليل كثيف للمباني و الممرات ودوافع أخرى اقتصادية وأمنية واجتماعية، فكان اختيار الموقع وكيفية التعامل مع البيئة وتضاريسها وطبيعة مناخها إلى استخدام معالجات ووسائل للتخفيف من التكلفة لتحسين البيئة الداخلية والخارجية و الاقتصاد في استهلاك المجال وعدم هدر الثروة العقارية الموجودة.

إن التعرف على السمات التي يفرضها المناخ الصحراوي على شكل العمارة يفرض التعرف على العوامل المناخية المؤثرة على هذا الشكل وكيفية اختيار الحلول المناسبة بما يتلاءم مع راحة الإنسان في المكان الذي يعيش فيه والتي تحقق توفير الحالات المناخية الملائمة له داخل المبنى وهي أشعة الشمس،الرياح، التبخر والرطوبة يقوم النسيج العمراني للقصور وفق تقاليد حضارية سائدة ناتجة من تفاعلات عدة عوامل، أهمها العامل الاجتماعي، كما يستجيب للشروط التي يسير عليها مجتمع القصر وهي منبثقة من الدين الإسلامي الحنيف الساعي إلى تطبيق مبادئ الشريعة الإسلامية في الحياة وهي المحافظة على الحرمة والاحترام بين الناس وكذا النظافة والتعاون فيما بينهم، مصداقا لقوله تعالى:" و تعاونوا على البر والتقوى

ولا تعاونوا على الإثم و العدوان"[1]، وكذلك في قوله: " و اعتصموا بحبل الله جميعا و لا تفرقوا"[2]، لذلك نلاحظ أن مساكن القصر بخنقة سيدي ناجي بنيت متراصة إلى بعضها البعض تعكس صورة التضامن والتعاون بين السكان لقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم- :"المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا"، إضافة إلى ما نجده من تفسير لهذا النوع من التخطيط في المراجع الأجنبية[3]، على أنه تخطيط يمكن من الحصول على أقل قدر من درجة الحرارة باعتبار أن المناطق الصحراوية شديدة الحرارة، اعتمد إنسان الخنقة في توفير الأمان له من أي خطر خارجي سواء كان بشري أوحيواني خاصة مع زيادة أهمية المنطقة على الصعيد السياسي والاقتصادي في المنطقة والدفاع عن المنطقة إنشاء سور يقوم بهذه الوظيفة.

أ. الوصف العام:(انظر شكل 62 أ،ب)

1. السور: يحيط بقصر خنقة سيدي ناجي سور[4]، تتخلله أبراج ومن الروايات الشفوية انه كان يحيط بالبلدة إلا انه انهار و أعيد بنائه ورغم وجود تحصين ألا وهو الجبال المحيطة، إلا انه انشأ سور لزيادة الأمن للبلدة من الغرباء وحتى الحيوانات المفترسة التي تنزل من الجبال والمناطق المجاورة. ومع ازدياد أهمية البلدة اقتصاديا وسياسيا-أصبحت ملاذا للفارين من الحكم العثماني، و حتي من المناطق المجاورة كتونس، بسبب التنافس على الحكم طرفا في حل النزاعات بين قبائل المنطقة- لجأ شيوخ البلدة لبنائه وإقامة أبراج فيه مزودة بالمدافع حسب الروايات المتداولة والمتوارثة إلا أننا من خلال دراستنا الميدانية لم نعثر علي هذه الأبراج حيث اندثرت معالمها وبقيت أسماء هذه الأبراج مثل "برج الغدير" الذي كان يتواجد في الناحية الشمالية الشرقية للبلدة من الخارج على دعامات هرمية الشكل، تفتح بالسور مداخل رئيسية تغلق عند الضرورة بأبواب خشبية صنعت من أشجار النخيل(لوحة32،صورة أ،ب). كما

[1] الاية2، سورة المائدة.

[2] الآية 103، سورةآل عمران.

[3] حملاوي علي: نماذج من قصور الاغواط، ص24.

[4] CHabou،(M):op.cit. , p 9

يحفر خندق حول القصر يملأ بالماء عند الضرورة بواسطة قنوات تحتية لكن في بلدة خنقة سيدي ناجي عوض بوادي العرب الذي اعتبر تحصينا طبيعيا، (لوحة32،صورة د) . وتعتبر الأسوار ضرورة عمرانية أساسية، فهي تعد رسما حدوديا للفراغ القابل للتعمير[1] حيث تشيد الأسوار أولاً ثم تليها بقية المباني.

2. الأحياء والمنازل:

تعتبر الحماية من أشعة الشمس في المناطق الصحراوية من الأمور الضرورية التي راعاها المعماري الخنقي لحماية المباني التي يستعملها ومن الطرق الناجحة التي توصل إليها الإقلال من الأشعة المباشرة والمنعكسة التي تسقط على واجهات المبنى بالإضافة لحماية المبنى من الأشعة الساقطة ويتأثر حماية المبنى من هذه الأشعة بعدة عوامل:

- توجيه المبني: حيث يخضع اختيار التوجيه في العمارة الصحراوية لاعتبارات الشمس أكثر من خضوعه لحركة الرياح ومن منطلق كان التوجيه الأفضل والأمثل للفتحات هو الشمال ويأتي التوجيه بعد ذلك حيث تكون عملية التظليل أسهل ما يمكن، ويعطي الفناء الداخلي إمكانية أكبر لتوجيه الفتحات في الاتجاهات السليمة كما ينظم عملية التبادل الحراري.
- شكل المبنى: يتميز شكل المبني بعدم الاستطالة مما يحقق أكبر قدر من الفضاءات الداخلية بعيدا عن الأحوال المناخية الخارجية وبذلك يحقق الاستقرار الحراري الداخلي يمتاز شكل المبنى أيضا بالكتل المركبة المسقطة للظلال حيث تزداد كمية الظلال في الأشكال الأكثر تعقيدا.
- مواد البناء المستعملة: حيث وظف الإنسان الخنقي مواد بناء ذات السعة الحرارية العالية كالطين والطوب والحجر بأنواعه والتي يمكن زيادتها بزيادة سمك الجدار وذلك للتغلب على خاصية المدى الحراري الكبير الذي تتميز به هذه المنطقة.

[1] إبراهيم بن يوسف: المرجع السابق، ص84.

- الرياح: وظف الإنسان الخنقي ذكائه في التعامل مع تأثير الهواء وحركته حيث تؤثر الشمس في حركته فيكون الهواء الحار اقل كثافة من البارد لذلك يصعد إلى الطبقات العليا تاركا الهواء البارد في الأسفل ومن العناصر التخطيطية والمعمارية تستخدم على أساس هذا المبدأ التخطيط المتراص والفناء الداخلي ولهذا تميزت اغلب المدن الصحراوية بخاصتين تخطيطيتين رئيسيتين وهما:
- شوارع متعرجة ضيقة مفتوحة ومغلقة.
- أفنية داخلية مكشوفة ملحقة بحدائق داخلية

كما استعمل المعماري الخنقي ذكائه لتوفير نسبة من الرطوبة في الجو داخل المنزل باستعمال الملقف*في الداخل أما في الخارج يتم تزويد الهواء بالرطوبة قبل دخوله للمبنى بواسطة رش النباتات المحيطة بالمبنى بالماء واستخدام أحواض المياه ووضعها في مسار الرياح حيث تزود الهواء بالرطوبة قبل دخولها المبني.

أ. الأحياء:

بنيت أحياء القصر على شكل مدرج تبدو فيه المساكن وكأنها معلقة والسبب في ذلك راجع إلى ارتفاع كل بيت عن الآخر بسبب طبيعة التضاريس وذلك دون المساس بحرمة الجار وإلحاق الضرر به (لوحة31، صورة ي). (لوحة32، صورة ج) حيث تتوزع المساكن على كل مساحات القصر، كما تنقسم هذه المجموعات السكنية بدورها إلى أحياء اتخذت أسماءها سواء من الخصائص الطبيعية لموقعها أو الوظيفية أو من القبائل التي تقطنها مثل: حارة لواتة، حارة صدراته، حارة الجبس وحارة السوق"و هذا ما نجده في باقي القصور بولاية بسكرة او الصحراوية المجاورة مثل حي أولاد سرغين"، و"حي لحلاف" بالأغواط، و"حي بني سيسين"، و"بني وقين" و"بني إبراهيم" بورقلة وأحيانا تنسب إلى الولي الصالح المدفون بها مثل: "حي سيدي بوعزيز" و "سيدي بوجنان" بتقرت[1].

*هو عبارة عن مهوي يعلو عن المبني وله فتحة مقابلة لاتجاه هبوب الرياح السائدة لاقتناص الهواء المار فوق المبنى والذي عادة ما يكون أبرد ودفعه إلى داخل المبنى ويفيد الملقف أيضا في التقليل ن الغبار والرياح التي تحملهما الرياح عادة التي تهب على الأقاليم التي تهب علي الأقاليم الحارة

[1] حملاوي علي، نماذج من قصور ...، ص 25

وهذا التقسيم للأحياء إن دل على شيء فإنما يدل على الانتماء القبلي لكل مجموعة مثلما عرف في أغلب المدن الإسلامية[1]، تخضع هذه الأحياء رغم اختلاف الانتماء القبلي لها إلى ما يسمى بالوحدة الجماعية المنبثقة من القصر ومن المنشآت العمومية كالمسجد الجامع والسوق والشوارع الرئيسية فرغم احتواء كل من الأحياء على مصلى أو مجموعة من المصليات لتأدية الصلوات الخمس إلا أن صلاة الجمعة والأعياد الدينية تقام بالجامع العتيق أو الكبير وهو عادة ما يشغل الوسطية بالقصر وهو مسجد سيدي لمبارك أو ما يعرف بجامع الجماعة، إلا أن هذه الأخيرة ليست بالأمر الضروري حيث وجدنا مسجد سيدي لمبارك وزاويته بعيد عن وسط البلدة واخذ مكانه مسجد السوق الذي يتوسط البلدة و ربما يرجع ذلك للنمو الذي عرفته بلدة خنقة سيدي ناجي مع مرور الزمن(انظرشكل65). إذن هي ظاهرة اجتماعية الهدف منها تقريب المسجد لكل جهات القصر، وبذلك يسهل على المصلين التوجه إليه من جميع الأطراف يربط هذه المساكن مع المسجد و ببعضها البعض مسالك وممرات تختلف مقاساتها كل حسب وضيفتها ويراعي في ذلك المقياس الذي يسمح بمرور أقصى ارتفاع وأضخم شيء وتنقسم إلى ثلاثة أنواع حسب دورها وأهميتها:

ب. المنازل:

تتكون المساكن في قصر خنقة سيدي ناجي من طابق أو طابقين، وذلك حسب قدرة مالكها، يعلوها سطح تبنى فيه غرفة، تتميز هذه المساكن بالبساطة في التخطيط، كما يتميز المدخل بالانكسار أو ما يعرف بالسقيفة ودورها يكمن في الحفاظ على حرمة البيت من الغريب الواقف على الباب، يلي المدخل الصحن أو الفناء ويعتبر عصب الحياة بالنسبة للمسكن فمنه يستمد المسكن الهواء والضوء والسبب في ذلك أن المساكن لا تفتح بها نوافذ تطل على الشارع وإن فتحت فهي صغيرة وفي أعلى الجدار حتى لا تكشف حرمة المرأة داخل بيتها و تتوزع حول الفناء وحدات البيت من غرف يتقدمها رواق الهدف منه التقليل من أشعة

[1]Marçais (G) ; «la conception des villes dans L'islam», INREV ALG, T.2, Alger, 1945p526.أنظر أيضا

- إبراهيم بن يوسف إشكالية العمران و المشروع الإسلامي، مطبعة أبو داوود، الجزائر، 1992، ص 64.

الشمس الحارقة خاصة في فصل الصيف(لوحة53، الصورة ي) (لوحة54، الصورة ا،ب) تعرف هذه الأخيرة "بالسباط" في منطقة وادي ريغ، و"بالسلام" بمنطقة ورقلة و"بأسكلو" في إقليم توات[1]، تعتبر هذه الأروقة المكان المفضل للمرأة للقيام بمختلف الوظائف المنزلية[2]، أما الغرفة التي تبنى في السطح فهي خاصة بتخزين المنتجات الزراعية وتعرف محليا بمخزن الخزين.

- **المحيط الخارجي للمسكن** :(لوحة63، الصورة ب، ج)(شكل95)(شكل96)

إن المتأمل للمظهر الخارجي لمساكن خنقة سيدي ناجي أنها لا تخرج عن نمط القصور الصحراوية يلاحظ بأن لها واجهات صماء وبسيطة خالية من أي عنصر زخرفي ما عدى في بعض العناصر الرمزية التي تعلو عتب الأبواب، كما نلاحظ أنها لا تفتح بها نوافذ تطل على الشوارع بل وجهت إلى الداخل وفتحت على الفناء باستثناء فتحات صغيرة أو ما يعرف بالميازيب الخاصة بتصريف مياه الأمطار والتي تظهر من حين لأخر بأعلى الجدران الخارجية، وإذا ما حدث وفتحت نوافذ أو ما يسمى بالكوى فهي عادة ما تكون صغيرة وتفتح بأعلى الجدران الهدف منها تزويد المسكن ببعض من الضوء والهواء.

أما فيما يخص أبواب مساكن المنازل، فنلاحظ أنها فتحت في الشوارع الفرعية النافذة أو الغير نافذة، كما أنها غالبا ما تفتح من جهة الشمال إلى الجنوب في المناطق الحارة، وذلك لتفادي تعرضها لأشعة الشمس لمدة طويلة، كما أن هذا التوجه يساعد على استقبال الرياح الشمالية المحملة نوعا ما بالرطوبة مما يؤدي إلى التخفيف من شدة الحرارة، كذلك يفضل فتحها على الأزقة المغطاة للتخفيف من حدة أشعة الشمس.

والميزة الملاحظة في عمارة خنقة سيدي ناجي هو استعمال العقود بشكل كبير في عمارة خنقة سيدي ناجي حيث لا يكاد منزل يخول من هذا العنصر المعماري الزخرفي وان دل هذا فإنما يدل على تحكم المعماري الخنقي في طرقة بناء العقد بصورة كبيرة(لوحة52،الصورة أ)(لوحة51، الصورة ج)(لوحة57،الصورة د)

[1]- حملاوي على، المرجع السابق، ص 28.

[2]- Hamlaoui(A) ; «remarque sur l'origine et le rôle du sabbat dans l'architecteur de la région de l'oued RIG». revue d'études archéologique. Hommage au professeur R.Bourouiba institut d'archéologie. université d'Alger. N°.3, 1995. P.33

- **المحيط الداخلي للمسكن:** (لوحة53، الصورة ب)

لم يقتصر تأثير العامل المناخي على التصميم العام للمسكن في خنقة سيدي ناجي وحسب، بل تعداها إلى التأثير على التوزيع الداخلي للوحدات المكونة له، مما دفع بسكان القصر إلى البحث عما يوفر لهم الحماية من هذه العوامل دون المساس والتعرض لحرمة الجيران، ونتيجة لذلك كان التوجه في حياتهم إلى الداخل وتوزيع وحدات المسكن حول الفناء على غرار ما فعلته المجتمعات الإسلامية وهي ظاهرة أضحت من أهم مميزات العمارة الإسلامية[1]، ويتكون البيت من الداخل من:

- **المداخل:**(لوحة58، الصورة ج)(لوحة51، الصورة أ،ب،ج)

أنشئت مداخل المساكن في المناطق الجنوبية بشكل محوري، ثم تحولت فيما بعد إلى النظام المنكسر فأصبحت السمة البارزة التي طبعت أغلب مداخل مساكنها، لما تميزت به من مزايا تتماشى وتعاليم الدين الإسلامي الذي يهدف إلى عدم كشف أسرار المساكن والحفاظ على حرمة وحرية من بداخله، وهذا ما يسمح بترك باب المسكن مفتوح طوال النهار من أجل الاستفادة من التيار الهوائي بينه و بين الفناء، ولقد جاءت بمصراعين ونادرا بمصراع واحد أما شكل اطر الأبواب فتنوعت من حيث الشكل حسب طبيعة المنزل ومكانة ساكنيه حيث وجدنا منها ما ينتهي بمستطيل و أخرى تنتهي بعقد(لوحة51، الصورةأ،ب،ج،) كما استعمل الإنسان الخنقي الشمسيات فوق مداخل المنازل لتوفير الضوء والهواء و السماح بحركة الهواء داخل المنزل بين المدخل والفناء(لوحة50، الصورة د) .تميزت فتحات المداخل أو الأبواب بانخفاض ارتفاعها، بما يسمح بدخول حمار محمل كما تميزت مداخل المساكن بعدم تقابلها وذلك لحفظ حرمة من بداخلها عند فتح وغلق الباب أو عند الدخول والخروج وهي سمة استمدت أصولها من أحكام الشريعة الإسلامية الداعية إلى حرية الفرد في المجتمع دون الإخلال بحرمات هذا الأخير وبالنظام العام له، وما المنازعات والقضايا التي كانت تحدث في القديم بين المسلمين حول الأبواب وضرر الكشف منها إلا دليل واضح على تمسك المسلمين بتطبيق تعاليم الدين الإسلامي في حياتهم أما مداخل و أبواب المحلات بسوق

[1]- ثروت عكاشة، المرجع السابق، ص61.

الخنقة فكسرت القاعدة حيث نجد تقابل أبواب المحلات بحيث لا يشكل ضررا. أما أقفال هذه الأبواب فاختلفت بين البسيطة الخشبية والحديدية(لوحة52، الصورة د،و،ي) اما في مسجد سيدي المبارك والسرايا ومسجد عبد الحفيظ الخنقي(لوحة64، الصورة د)فقد وجدنا أن الأبواب اختلفت عن باقي عمارة خنقة سيدي ناجي من حيث الصنعة والزخرفة ولعل مرد ذلك مكانة الزاوية والمسجد ومكانة ساكني السرايا من أحفاد الشيخ المبارك وهم أسرة بن ناصر حيث زخرفت اطر المداخل و الأبواب بأشكال هندسية ونباتية وكتابية حيث استعملت الحجارة المنحوتة بشكل متقن نقش عليها كتابات تأسيسه مثلما وجدنا في باب المدخل الشرقي و الغربي للمسجد سيدي المبارك والمدرسة الناصرية كما استعملت المسامير الحديدية في الزخرفة و قباضتان حديديتان(لوحة52، الصورة ب،ج)

- **السقيفة:**(لوحة56، الصورة د)

تأتي السقيفة بعد المدخل مباشرة وهي تؤدي مباشرة إلى وسط الدار أو الصحن تعتبر السقيفة نقطة انتقال ما بين العالم الخارجي وداخل المسكن، وهي أيضا إحدى المكونات الأساسية للمسكن، من حيث أنها تحافظ بالدرجة الأولى على حرمته وأسراره فلا تسمح للوافد إلى المسكن من رؤية من بالصحن من حريم، كما أنها عبارة عن قاعة للانتظار بالنسبة الغرباء حتى يتم استقبالهم، ويستعملها أهل المسكن في الصيف للقيام ببعض الأعمال المنزلية مثل طحن الحبوب الجافة كالقمح والشعير، أو تجرى بها أعمال النسيج، وذلك لما تمتاز به من برودة وهواء منعش، كذلك يستخدمها رب البيت لربط دابته.

لقد استمر هذا النوع من المداخل في العمارة الإسلامية وذلك لما يمتاز به من خصائص دينية، مناخية وعسكرية، فأولها مراعاة التقاليد الدينية من حرمة وعدم كشف من بداخل المسكن، وثانيها توفير جو ملائم يساعد على تخفيف درجة الحرارة صيفا، وآخرها راجع إلى الاستحكامات العسكرية أو الحربية لأن

البيوت الإسلامية كانت أشبه في تصميمها بالحصون والقلاع، ولقد ظهر هذا النوع من المداخل في بداية العصر الإسلامي واستمر حتى العهد العثماني[1].

- **الصحن (الفناء):**(لوحة53، الصورة ب،) (لوحة52، الصورة أ)

عبارة عن ذلك الفراغ المقفل أو شبه المقفل الذي تشكله حوائط مستمرة أو شبه مستمرة من جهاته الأربعة في حالة الشكل الرباعي أو أكثر في حالة الشكل المتعدد الأضلاع وتطل على الفناء الداخلي عناصر المبنى الأخرى وهو مفتوح للهواء الخارجي من اعلي ويمكن أن يوجد في المنزل الواحد أكثر من فناء تصل مع بعضها البعض عبر ممرات أو من خلال بعض الغرف يعد الفناء المجال المركزي أو العصب الحيوي الذي يقوم عليه المسكن[2]، فهو بمثابة الوعاء الذي يخزن الهواء البارد أثناء الصيف، والهواء الدافئ أيام الشتاء البارد كما يساعد على إمداد الغرف بالنور والهواء، ويساعد على تلطيف الجو بداخلها عندما تشتد الحرارة وقد أثبتت التجارب على أن درجة الحرارة بوسط الدار تنخفض بمقدار درجتين عن درجة الحرارة السائدة بالمنطقة[3]، ولقد وجد فيه المسلمون ما يلاءم حياتهم الاجتماعية والوظائف اليومية بالنسبة للمرأة، فهو يمكن من الحفاظ على حرمة المرأة من خلال توفير ما تحتاج إليه دون أن تضطر إلى الخروج خارج البيت، وهو ما يسمى بالانتماء الداخلي أي محاولة توفير الجو الخارجي داخل المسكن، فهو كما يقول الريحاوي" هو النافذة التي يطل منها الإنسان على الكون اللانهائي، تظلله على الدوام قبة السماء، بما فيها من كواكب ونجوم وغيوم، يحس عندئذ بالحرية المطلقة، وتسترخي فيه روحه كلما أرهقه طغيان الماديات واخنقه ضيق الشوارع و ما فيها من ازدحام، وهو مكان التقاء أفراد الأسرة أيام أفراحها و أقراحها[4].

---

[1]- رفعت موسى محمد، الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر في أواخر العهد العثماني، ط1، الدار المصرية اللبنانية القاهرة، 1993، ص 204.

[2] - محمد الطيب عقاب، المرجع السابق، ص 89.

[3] عثمان عبد الستار، المدينة الإسلامية، ص 304.

[4]- الريحاوي عبد القادر، "البيت في المشرق العربي الإسلامي"، المؤتمر العاشر للآثار من 15 إلى 18 نوفمبر 1982 تلمسان، ص 17.

- **الفناء الداخلي**: (لوحة58، الصورة ج)

الفناء الداخلي أو ما يعرف بالحوش، هو وسط الدار استعمل لإضاءة وتهوية الوحدات الداخلية للمنزل وقد يكون مغلقا في حالة ما يكون محاطا بالوحدات السكنية في الجوانب الأربعة مفتوحا عندما يكون محاطا بالوحدات من ثلاثة جوانب. والفناء الداخلي من بين العناصر المعمارية التي جاءت لتلبي بالدرجة الأولى حاجيات الإنسان بحيث كان اختيار المسقط المنفتح نحو الداخل في المسكن الخاص، أين تمر حياة الإنسان من خلال المنزل بمعزل عن امتداد المنازل الأخرى وتكون الواجهة الخارجية عبارة عن الحجاب الذي يحمي سكان هذا المنزل. يعتبر الفناء من بين العناصر المعمارية التي استعملت لمعالجة البيئة الحارة في منازل خنقة سيدي ناجي فهو عنصر يعمل كمنظم لدرجات الحرارة داخل المسكن في الليل والنهار عن طريق توزيع الحمل الحراري في داخل المبنى الذي بدوره يوفر مزيدا من الإحساس بالراحة الحرارية. ومن بين أدوار الفناء الداخلي كذلك عزل الضوضاء وذلك بحكم وضعه في المبنى وإحاطته بالعناصر الداخلية فيشكل بذلك حاجزا طبيعيا وفعالا ضد الضوضاء الخارجية وتزيد فعاليته و دوره البيني عندما يتم زراعة هذا الأخير وتنسيقه ووضع المسطحات المائية التي تزيد من خفض درجة الحرارة داخل عناصر المنزل التي تحيط بالفناء الداخلي. ومن خلال معاينة بعض أفنية المنازل وجدانها تحتوي في وسطها على آبار لتزويد السكان بالماء على غرار السرايا.(لوحة58، الصورة د،و)

- **الأروقة**:(لوحة53، الصورة ي)(لوحة45، الصورة د،و)(لوحة46، الصورة ج،و،ي)

تعتبر الأروقة جزءا لا يتجزأ من الفناء، فهي مكملة للدور الذي يقوم به وتعتبر واسطة أو فاصل بين الفناء والغرف والمرافق الأخرى المحيطة به، فهي الهيكل الأمامي للغرف، تحيط الأروقة بالفناء من الجهتين أو الأربع جهات ذات فتحات متسعة تساعد على تلطيف الجو والتقليل من حدت أشعة الشمس فهي تعد بمثابة الحاجز المكسر لها بحيث لا تتعدى كأقصى حد وسط الغرفة فقد استطاع الإنسان الخنقي أن يوظف هذه الهندسة في الناحية المعمارية في مساكن الخنقة وتؤكد الدراسات العلمية على أنه كلما زاد

اتساع الفتحات التي يدخل منها الهواء وضاق مخرجه كلما زادت نسبة تهوية المبنى[1]والعكس صحيح فالملاحظ لفتحات مساكن الخنقة المتمثلة في الفناء والأروقة وأبواب الغرف والمخرج الرئيسي يرى بأن أغلبها كبيرة وهو ما يسمح باستغلال قدر كبير من التيار الهوائي كما أن الأروقة تمنح الحرية للمرأة عند التنقل تحتها وهي أيضا تؤدي وظيفة معمارية ألا وهي حمل كلا من ممر وسقف الطابق الأول.

- **الغرف:** (لوحة54، الصورة ا)(لوحة53، الصورة ج)

تتوزع الغرف في منازل خنقة سيدي ناجي حول الفناء، و تميزت هذه الأخيرة بالبساطة، وعدم وجود أي تعقيدات معمارية، فكانت هذه البساطة هي السمة البارزة والأساسية في كل العمائر، حيث أخذت الغرف شكل مستطيل وتميزت بالضيق، وهذا الشكل يسهل عملية التسقيف أكثر من الشكل المربع كما أنه يساعد على قوة احتمال السقف الخشبي، على اعتبار أن التسقيف في المناطق الصحراوية يكون بمواد محلية وهي الخشب كجذوع النخيل وشجر العرعار التي لا يتجاوز طولها المترين والنصف، تتميز الغرف بعدم وجود زوايا قائمة، وعدم استقامة جدرانها ، ويعود السبب في ذلك إلى عدم انتظام المسكن بصفة عامة في خنقة سيدي ناجي، وهي ضرورة أملتها ظروف عمرانية بحتة مثل ضيق الشوارع وانكسارها أحيانا بزوايا غير قائمة وانحسار موضع الخنقة الضيق بين المرتفعات ووادي العرب، والميزة الرئيسية في الغرف أنها لا تفتح بها نوافذ باستثناء باب المدخل مما يساعد على اختزان الهواء لمدة طويلة من اليوم وإذا ما حدث وفتحت النوافذ فهي تكون عبارة عن فتحات صغيرة أو ما يعرف بالكوى تفتح على مسافة عالية من أرضية الغرفة حتى لا يتمكن المرء من التطلع وكشف عورات الآخرين. وقد لجا المعماري الخنقي علي فتح نوافذ الغرف للداخل أي مطلة على الصحن او ما يعرف بالفناء الداخلي وعلى الأروقة في الطابق الأول(لوحة48، الصورة و)(لوحة50، الصورة و)(لوحة51، الصورة و)

تزود الغرف أيضا بمداخن أو مواقد تشغل أحد زوايا الغرفة(لوحة55، الصورة أ،ب)، وذلك من أجل التدفئة في فصل الشتاء، كما تحتوي المساكن على غرفة عادة ما تكون في الطابق العلوي، وهي خاصة

[1]- حملاوي علي، المرجع السابق ص 247.

بتخزين المونة وتسمى بيت التخزين وتكون بعيدة عن أعين الناس حتى لا يكشف ما بداخلها، وهي عبارة عن غرف صغيرة مرتفعة عن مستوى الأرضية مقسمة فيما بينها بجدران وتعلوها سدة تجفف عليها بعض المواد الغذائية.

- **المطبخ:** (لوحة54، الصورة د،و،ي)

يعتبر من أهم المرافق الرئيسية في مساكن الخنقة، وهو عبارة عن غرفة عادة ما تكون صغيرة الحجم، توجد بالطابق الأرضي من المسكن، تتميز بالبساطة وتحتوي على مواقد أو مداخن تشغل إحدى الزوايا على غرار ما عرف بالبيوت الإسلامية [1]، ثم تصعد على شكل أنبوب تنتهي في أعلاها بثقب يسمح بتسرب الدخان إلى الخارج.

- **المراحيض:**

تقع المراحيض في أماكن معزولة عن جناح المعيشة ومحجوبة عن الأنظار وذلك حتى يتمكن الفرد من قضاء حاجته دون إحراج، وهي تعتبر من أهم الملحقات الصحية في المسكن، عادة ما يكون شكلها بسيط عبارة عن غرفة صغيرة تحتوي بداخلها ثقب لتصريف الفضلات، كما أنها تطل على دورات المياه في أغلب الأحيان على الشارع حتى لا تسبب بأذى للجار بواسطة فتحة مغلقة يتم نزع حجارتها بكل سهولة أثناء عملية التفريغ، وتعتبر هذه البقايا بمثابة أسمدة تستغل لأغراض الفلاحة والزراعة.

- **السطح:** (لوحة45، الصورة و)

استغل السطح من طرف أهل المسكن في عدة أغراض، منها تجفيف بعض المواد الغذائية أو نشر الغسيل والصوف يتم الصعود إليه بواسطة سلم موجود في أحد جوانب المسكن، والسطح هو فضاء شاسع يحتوي على غرفة أو غرفتين وغرفة للخزن ويستغل في المساكن الضيقة كمكان للاستراحة أو النوم ليلا في فصل الصيف ولقد سورت السطوح بواسطة جدار وذلك لتفادي حوادث السقوط، كما تحافظ على

[1]- فريد شافي، العمارة العربية في مصر الإسلامية، مجلد1، عصر الولاة 358هـ/639/969م، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، 1970 ص433.

ستر عورات الجيران بحيث يكون علو الجدار أو ما يسمى بالستارة حوالي (1.5م - 2م) وذلك حتى لا يتمكن مستغل السطح من التطلع إلى جاره أو العكس .(الشكل97

هذه باختصار أهم المكونات والخصائص المعمارية للمسكن بقصر خنقة سيدي ناجي وأهم المميزات التي يتميز بها كل عنصر وتتمثل في مميزات مناخية، دينية اجتماعية والتي قام المعماري المسلم باحترامها وتطبيقها في المنطقة. وكنماذج ركزنا في دراستنا على:

أولا: منزل أسرة بن حسين المعروف باسم السرايا.(لوحة48، الصورة و،ي)

1. الوصف العام للسرايا(المنزل):(انظرشكل65)

- **التصميمات العامة:**

تمتاز السرايا(أو منزل عائلة بن حسين) بطابع التربيع والتكعيب تقريبا مثل تصميمات قصور مدينة الجزائر، التي تعود للفترة العثمانية حيث يبلغ طول ضلعها16م، أما العرض 12م. وبذلك لا تختلف عن نمط القصور العثمانية بمدينة الجزائر العاصمة، مثل قصر عزيزة(25م ×20م)، وقصر حسين باشا[1]. هذه التصميمات موجودة في تاريخ العمارة الشرقية، حيث بينت الاكتشافات الأثرية وجود مبان ذات طابقين بسلم داخلي وغرف حول الصحن، وزعت حسب الوظيفة المعيشية لذلك المجتمع.

لم يخرج منزل عائلة بن حسين عن هذا النمط المعماري، فهو يحتوي على طابق أرضي يشتمل على المرافق الصحية والمعيشية، وكذلك على غرف خاصة للضيوف بينما الطابق العلوي يحتوي على غرف للنوم[2] ونجد شبيهها في تخطيط القصور الأموية الأولي في بادية الشام وقد تم على أساس الفناء المركزي المكشوف الذي تدور حوله وحدات المسكن الكبير[3]وما يسترعي الانتباه في السرايا أن واجهتها تقع في زقاق ضيق بعيد عن مواجهة الشوارع الكبرى والعامة المتميزة بكثرة الحركة النشطة كما أنها تقع في غير مواجهة مراكز الجذب العامة كالأسواق والمرافق العامة ولعل السبب في هذا الاختيار لواجهة المنزل من المجانبة والابتعاد

[1] محمد الطيب عقاب: المرجع السابق، ص51.

[2] صالح لمعي: عمارات الحضارات القديمة، ص53.

[3] سلسلة التعريف بالفن الإسلامي: المرجع السابق، ص456.

منها المحافظة على الخصوصية لسكان المنزل وعدم السماح لأقصى حد ممكن للعامة من مشاهدة الداخلين والخارجين من السرايا ويتميز واجهة السرايا بالبساطة وعدم الإتقان ويتميز بمدخل محلي بعقد حذوة الفرس المرتكز على عمودين من الآجر(لوحة44، الصورة أ)وهو بنفس الوقت مدخل للرحبة وتختفي الظلة أو(كنة) التي تعلو المداخل عادة. يقع على الجهة الجنوبية يبلغ ارتفاعه 2,75م أما عرضه 2,15م والرحبة عبارة عن رواق كبير يفصل مسجد سيدي المبارك والسرايا يبلغ طوله 12م أما العرض حوالي 4م.(لوحة43، الصورة د)

- **السقيفة:**

تتخذ السقيفة مكانا بارزا في المسكن الجزائري الإسلامي بصفة عامة، وفي القصور بصفة خاصة[1].و تتوفر السرايا على سقيفة أو دهليز تتصل بالطابق الأرضي للسرايا، وتسمي السقيفة الأمامية أو الصغرى بينما السقيفة الأساسية التي تأتي بعدها، بالسقيفة الكبرى. ونلاحظ في هذه الأخيرة أنها سقفت بطريقة العقود المتشابكة (الأقبية)،(لوحة45، الصورة ج)وعلى اليمين يوجد قبو وهو مكان للاجتماع والاستراحة.(لوحة44، الصورة و)

وتتميز الساحة المقابلة لها بالاتساع وهي في نفس الوقت ممر يؤدي إلى صحن المنزل، طوله10أمتار،(لوحة43، الصورة و)كما تحتوي السقيفة الأمامية على مقاعد(دكانات)على جانبي السقيفة(لوحة43، الصورة ي): مقعدين على الجهة اليسرى ملاصقين للمسجد، واثنين على الجهة اليمني ملاصقين لجدار السرايا يواجهان بعضهما البعض مخصصة للجلوس وتبادل أطراف الحديث.

[1] محمد الطيب عقاب: المرجع السابق، ص55.

- **الصحــن:**(لوحة44، الصورة ب)

يجب على المأوي أن يوفر كل راحة جسدية ممكنة لصاحبه، وهذه الراحة يمكن تأمينها فيزيائيا بخلق بيئة صحية داخليا وخارجيا، هذه البيئة لا يمكن خلقها إلا بتوفر الهواء والشمس، فالهواء والشمس عنصران طبيعيان لا يمكن الاستغناء عنهما في الأبنية لأنهما من المساعدات الأساسية لحياة الإنسان[1].

يعتبر الصحن أو الفناء (وسط الدار) المجال المركزي والعصب الحيوي في المسكن الجزائري الأصيل[2]. فالصحن هو الواسطة بين الغرف والمرافق الأخرى، فضلا عن وجود الأروقة بينه وبين الغرف التي تقوم بدور المعدل للحرارة على الغرف، سواء في فصل الصيف أوفي فصل الشتاء. بالإضافة إلى إضفاء طابع الجمال والحيوية على السرايا، وتبلغ مقاسات أضلاع الصحن 6,10م، وبذلك فهو مربع الشكل يشبه صحون القصور العثمانية في مدينة الجزائر[3].

فالصحن عامل مساعد على تلطيف الجو ومعدل للحرارة أو موزع لها، سواء في النهار أو أثناء الليل. ففي النهار تكون دورة الشمس في الصحن موزعة بكمية مناسبة على كامل المنزل، بحيث لا يكون التركيز على جزء واحد دون آخر بل يكون التوزيع الشمسي دائريا على كل جوانب المنزل الداخلية، أما في الليل فيتسرب الهواء البارد على طبقات أفقية في الصحن مما يسمح له بالتسرب رويدا رويدا إلى داخل الغرف، خاصة وأن المنطقة تقع في منطقة ذات مناخ حار. أيضا يسمح للمرأة داخل المنزل بقضاء جل وقتها سواء من أجل القيام بالأعمال المنزلية المختلفة أو الترويح عن نفسها أو لاقامة الأفراح.

[1] رئيف مهنا وبن مجد: المرجع السابق، ص 3.

[2] عقاب المرجع السابق: ص60.

[3] المرجع نفسه : ص61.

2: أقسام السرايا (المنزل):

- **أقسامه المعمارية:**

يمكن تقسيم المنزل إلى عدة طوابق، والملاحظ أنه يمثل بحق ناطحة السحاب في منطقة صحراوية تتميز ببساطة مساكنها. نظرا لارتفاعه الملحوظ مقارنة بباقي منازل الخنقة خصوصا، والنمط العمراني المعروف في منطقة الزاب عموما، حيث يبلغ ارتفاعه ارتفاع مئذنة مسجد سيدي لمبارك الملاصقة له.

- **الطابق الأرضي**: (لوحة44، الصورة ج)(شكل98)يتوفر على غرف موزعة في الجوانب الأربعة التي تطوق الصحن، وهذه الغرف متفاوتة المساحة والحجم ويعود ذلك لوظيفة كل غرفة.

على الجهة الشمالية للمنزل توجد غرفة مستطيلة، يبلغ طولها حوالي 6م من المحتمل أنها كانت تمثل المطبخ، حيث تكثر في جدار الغرفة مشكوات تستعمل عادة لوضع الأواني وأغراض المطبخ. كما توجد في الجهة الغربية للصحن غرفة كبيرة مقسمة إلى غرفتان صغيرتان يفصلهما بابا، ارتفاعه1م و عرضه 90سم يؤدي إلى الحديقة الملحقة بالسرايا. أما ارتفاع أبواب الغرفتان الصغيرتان فيقدر بـ 90سم، أما العرض80 سم وحسب الأستاذ عبد الغني فقد كانتا تستعملان كخلوة لشيخ الخنقة (والزاوية) يتعبد فيها. ويتواجد في هذا الجانب من المنزل مدخل ثاني ارتفاعه1,80م وعرضه1,20م، نرجح أنه خاص بحريم المنزل. فهو يعطي نوع من الخصوصية لساكني المنزل عكس مدخل المنزل على الرحبة والمقابل مباشرة للمسجد والطريق المؤدي للدمس. يتوسط هذا الصحن بئر يتزود منه أهل السرايا وهي صفة تميزت بها المنازل ذات الطابع الإسلامي. (لوحة47، الصورة أ)

- **الطابق الأول:**

(لوحة45، الصورة د)(لوحة46، الصورة ج،و،ي)(شكل99)نصعد إلى الطابق الأول عن طريق سلمين مثبتان إلى الجدار الجنوبي للمنزل.

- الأول: ملاصق مباشرة للمدخل الشرقي للسرايا، وهو كما سبق ذكره خاص بسكان المنزل

- الثاني: يتوسط الجدار الجنوبي للمنزل، ويقع مباشرة تحت الرواق الرابط بين الجهة الجنوبية للمنزل والشمالية منه. ويؤدي هذا السلم إلى الطابق الأعلى للمنزل ومنه إلى السطح (لوحة47، الصورة د،و،ي)(لوحة48، الصورة أ، ب). وسلم آخر محاذي للجدار الغربي للسرايا، ويؤدي مباشرة للدمس. يحتوي هذا الطابق على غرف (لوحة45، الصورة أ،ب)نعتقد أنها كانت تستعمل كغرف للنوم فهي تحتوي على نوافذ تطل على الشارع والداخل، وهي مربعة الشكل مسيجة(مقضبنة بشباك من الحديد المتقاطع أفقيا وعموديا) (لوحة46، الصورة ب)تشبه تلك النافذة المسيجة الموجودة على الجدار الجنوبي لضريح محمد بن حسين. وهذه الغرف أكثر تنظيما و اتساعا عن غرف الطابق الأرضي، وهي موزعة على الجهات الثلاث المشرفة على الصحن الشمالية، والغربية، والجنوبية الشرقية، تشرف على رواق (مساحة يستعملها قاطني المنزل في الحركة والتنقل)،يبلغ عرضه2،20م أما الارتفاع فيقدر ب2،20م، أما طول هذا الرواق فهو 70،12م .(لوحة46، الصورة و)ولحماية مستعملي الطابق الأول من سكان المنزل من السقوط، طوق الطابق الأول بحاجز خشبي يحيط به من الجهات الأربع المطلة على الصحن لا يتعدى ارتفاعه1,20م، وهو مثبت بين الأعمدة "السرايا" (وهي مربعة البدن حسب الترميمات التي أجريت على السرايا) التي ترفع العقود التي ترفع سقف الطابق الثاني(شكل100)، عددها ثلاثة على الجهة الغربية المطلة على الصحن، وثلاثة في الجهة المقابلة، وعلى الجهة الشمالية والجنوبية عقدان، وكلها عقود نصف كروية، تبلغ المسافة بين هذه الأعمدة 30،2م أما ارتفاعها2م،إلا أن هذا الحاجز اندثر ولم يبقي له أي أثر، وقد استنتجنا ذلك بمقارنة المنزل بمنزل مجاور له يشبهه في النمط العمراني وهو لأسرة بن حسين، وقد أكد وجوده الأستاذ عبد الغاني. (لوحة46، الصورة و)أما الجهة الشرقية فقد استعملت كممر ورواق يربط بين جانبي المنزل شمالا وجنوبا، وفي نفس الوقت تقسم المنزل إلى جزأين، شرقي وغربي، يبلغ عرضه 1،90م، أما طوله فيبلغ 10،7 م ينتهي بمدخل يؤدي إلى غرفة(لوحة46، الصورة ي).

نرجح أن القسم الغربي من الطابق الأول، كان يستعمل كجناح خاص بالضيوف القادمين للخنقة، حيث نجده أكثر إتقانا من حيث الزخرفة والتي يدل عليها بقايا الألواح الحجرية المنقوشة بأشكال هندسية

ونباتية غاية في الإتقان مازالت مثبتة على نوافذ الغرف والأبواب، وهي تشبه نوافذ القصور العثمانية لمدينة الجزائر[1].(انظر لوحة46، الصورة ب)

ونرجح أن القسم الشرقي من المنزل أضيف، بعد الإضافات التي قام بها أحمد بناصر على مسجد سيدي المبارك (المدرسة والدمس والقبة وكذا بناء القلعة) في سنة1171هـ الموافق لـ 1758م، حيث نجد أن الغرفة الموجودة في الجانب الشمالي للمنزل في الطابق الأول، هي في نفس الوقت هي جزء من سقف الدمس. وفتحت فيها نوافذ تطل على الشارع.

وفتح في هذا الطابق مدخل يؤدي إلى غرفة مستطيلة بها سلم يؤدي إلى الدمس، والملاحظ في هذه الغرفة وجود نوافذ تختلف عن باقي النوافذ الموجودة في باقي أنحاء المنزل، نرجح استعمالها كنوافذ للمراقبة والحراسة نظرا لشكلها الشبيه بنوافذ المراقبة التي توجد في الأبراج والقلاع ونعتقد أنها أضيفت في الفترة الاستعمارية.

وقد وجدت ما يعرف **بالمخازن**،(لوحة46، الصورة أ)وهي ملاحق للمرافق التي تتصل بالحياة الاجتماعية للسكان، فطبيعة الظروف الاجتماعية التي كان عليها سكان المنطقة عموما، وشيوخ المنطقة بصفة خاصة. تقتضي أن يقيموا وينشئوا مخازن عديدة في المسكن، وكانوا يضعون فيها كل ما يقوم عليه معيشتهم. لذلك أستغل البناء جميع النواة المركزية(البئر السلمي) للسلالم وكذا الغرف الصغيرة التي عادة ما تكون قرب الحمام والمطبخ، لهذا توجد غرف صغيرة في بداية كل طابق من نواة السلم.

- **السطح:**(لوحة49، الصورة ي)

نصل إليه عن طريق السلم الذي يوجد في وسط الدار، ونجد فيه غرفة كبيرة الحجم أعيد ترميمها مفتوحة على السطح فيها ثلاث أبواب وهو محاط بسور ارتفاعه حوالي المتر. وتعتبر السطوح من المساحات التي استغلها سكان المنازل في الجزائر عموما وجعلوها حيزا لعدة أغراض منها على الخصوص: نشر الغسيل، وعرض الغلال والثمار للتجفيف تحت أشعة الشمس، وعرض الأطعمة للتجفيف، ونشر

[1] محمد الطيب عقاب: المرجع السابق: ص158.

الصوف للتجفيف المعد لبعض الصناعات اليدوية، بالإضافة إلى قضاء السهرات الليلية في فصل الصيف.

وتعلو هذه الغرفة غرفة أخرى نرجح أنها كانت تستعمل لجمع الأغراض في الصباح أو لتجميع الغلال والثمار المجففة بحث تؤدي وظيفة مخزن علوي.

والملاحظ أن السرايا كانت بها أعمدة شبيهة بتلك الموجودة بالمسجد والصحن، إلا أننا لم نجدها في مكانها. حسب عبد الغاني بن حسين الأعمدة الموضوعة في صحن المسجد جلبت من السرايا بعد انهيار جزء منها، نعتقد أنها كانت مستخدمة في المبني في الطابق الأعلى. كما نجد في الطابق الأرضي عمود يحمل العقدين أسطواني البدن بعد عمليات الترميم بالآجر المصنوع حديثا. وبمقارنته بالأعمدة الموجودة في الإسطبل المجاور للسرايا(لوحة51، الصورة ي)(انظرلوحة43، الصورة ب،ج) والتي مازالت تحافظ على بنائها الأصلي نستنتج أنها كانت عبارة عن أعمدة ذات بدن أسطواني تعلوه أقواس نصف دائرية في أول أمرها قبل عمليات الترميم.ونجدها في الطابق الأول يقع عليها عبء ممر رواق الطابق العلوي، وهي موزعة على الجهات الأربعة.

- **الأبواب والنوافذ:**

يختلف شكل الأبواب والنوافذ المستعملة في السرايا، حسب أهمية الموقع الذي وضعت فيه. فهي مركبة ضخمة في المداخل الرئيسية إلا أننا لم نجد أثر لهذه الأبواب، واستنتجنا ذلك من خلال مقارنة الباب الرئيسي للمنزل المجاور للسرايا بمدخل السرايا. أما أبواب المتبقية في مكانها فهي خاصة بالمباني الملحقة بالسرايا وهي حديثة الصنع، ويوجد في الغرفة الموجودة في الطابق الأرضي المستطيلة الشكل، باب مخلوع من مكانه مازال يحافظ على هيئته الأولى من الزخرفة والنقش. وقد استعملت الأبواب في أماكن الاتصال بين المرافق عند بداية الممر الذي يؤدي إلى الغرف العامة للمنزل، كما استعملت للغرف في الطوابق العلوية.

أما النوافذ: فتعددت في مختلف أنحاء المنزل والميزة الملاحظة أنها في الطابق الأرضي للسرايا تطل على الداخل، وهي ميزة تميزت بها المباني الجزائرية الأصيلة ألا وهي قلة احتوائها على النوافذ، خاصة في الطوابق الأرضية وإن وجدت فإنها تفتح على الداخل(لوحة48، الصورة و،ي)[1]، أما في الطابق الأول فقد فتحت نوافذ على جميع جهات المبنى ماعدا المطل على المسجد وهذا يدل على أن الطابق الأرضي كان يستعمل للمرافق العامة والصحية أما الأعلى فكان مقر العيش لأفراد العائلة، وقد وجدت نوافذ مربعة الشكل مسيجة (مقضبنة بشباك من الحديد المتقاطع أفقيا وعموديا) وهي طريقة استعملت في نوافذ القصور العثمانية في الجزائر. والفائدة هو تهوية الفراغات المعمارية لتأمين حركة الهواء ويكون ذلك عن طريق نوافذ وأبواب في محيط الفراغ المعماري وغالبا ما يكون في الأجزاء المسماة جدار المنشأ[2].

ثانيا: مسكن الشيخ عبد الحفيظ الخنقي[3] : (لوحة61، الصورة ب،ج،د)

يقع هذا المسكن في حارة اللواتة[4] خلال القرن 18م. بجوار زاوية الشيخ عبد الحفيظ. لقد كانت شهرة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي في ربوع الزيبان والأوراس و منطقة الجريد التونسي وكانت كلمته مسموعة ومطاعة حيث كانت تربطه بأهل هذه المناطق صلات القرابة والنسب بحيث تزوج الشيخ بأربعة نساء واحدة من قبيلة سيد موسى والثانية من قبيلة سرحانية والثالثة نموشية والرابعة بسكرية، وقد كان مسكنه هذا قبلة لكل طالب علمٍ ، ومأوى الغرباء وعابري السبيل.

---

[1] عقاب: المرجع السابق، ص158.

[2] رئيف مهنا وبن مجد: المرجع السابق، ص3.

[3] .عبد الحفيظ الخنقي: هو عبد الحفيظ ابن محمد بن أحمد الهجرسي العامري وقيل هو عبد الحفيظ محمد الخنقي من كبار أساتذة الطريقة الخلوتية ينتهي نسبه إلى السلالة الشريفة وقد ولد في خنقة سيدي ناجي سنة 1789م وقد كان عالماً ومفتيًا، وقد توفي في 26 نوفمبر 1850م. أنظر . محمد الصغير سويسي: حركة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي ودورها في المقاومة الشعبية بالزاب الشرقي 1849، أنظر" عاشور الخنقي: منار الإشراف ومواإلهم من الأطراف، الجزائر 1914. وأنظر: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص 101.

[4] .اللواتة : نسبة على قبيلة لواتة التي كانت مستقرة بخنقة سيدي ناجي والجدير بالذكر أنه في العهد العثماني نجد أن الخنقة قد قسمت إلى خمسة أحياء أو حارات وهي حارة اللواتة ، حارة صدراته، حارة الجبس وحارة السوق .

1.الوصف العام :(شكل102)(لوحة53، الصورة ب)

من خلال المعاينة الميدانية اتضح لنا جليًا أن المنزل هدم بشكل كبير ولم يبق منه إلا آثار الأسوار المخربة وشكل مخططه الأرضي، المستطيل الشكل، تبلغ أطواله 17,50 × 13,5 ، نلج إليه عبر مدخل رئيسي يقع في الركن الجنوبي الغربي منه يبلغ 1م ، يؤدي إلى غرفة مستطيلة الشكل يحتمل أن تكون سقيفة لاستقبال الضيوف والضيوف لعادات المنطقة من مكانة تصل حد التقديس، ثم نجد مدخل ثاني فتح من جهة الشرق يبلغ1م، يؤدي بدوره إلى غرفة مستطيلة هي الأخرى، توجد بها ركنية في أقصى الشرق منها وهي تابعة للغرفة المستطيلة، والملاحظ هنا أن مدخل السقيفة الثانية يؤدي إلى الرحبة(الصحن)، وفضلا عن ذلك نجد في جهته الجنوبية بقايا سلالم يؤدي إلى الطابق العلوي، وعند دخولنا إلى الرحبة (الصحن) نجد قوسين نصف دائريين مهدمين يتوسطان الجهة الغربية والجنوبية من الصحن. و هناك ملاحظة مهمة مفادها أن عدد درجات السلم المتهدم تبلغ 12 درجة التي عن طريقها نصعد إلى الطابق العلوي، وهذه الأخيرة تشكل سلمًا منكسرًا.

كما نلاحظ أن جدران الصحن تعلوها شرفات على أغلب الظن استخدمت لتزيين المسكن، زيادة على وجود زخارف هندسية متنوعة مختلفة الأشكال كان معظمها بسيط ومنتشرة في بقايا السقيفة الأولى. والجدير بالذكر أن المسكن تحيط به من جهاته الأربعة. وحدات سكنية. بما أن الشيخ عبد الحفيظ الخنقي له أربعة نساء فإننا نرجح بأنه كان بالمسكن أربع غرف بالطابق العلوي لأزواجه، أما الطابق الأرضي المكون من ثلاث غرف فكان يخصصها لاستقبال الزوار والضيوف وذلك بمكانته العلمية المرموقة آنذاك. وغني عن القول أن غرف المسكن مستطيلة الشكل ندخل إليها من الصحن المربع الذي يتوسط المسكن، ويمكننا أن نلاحظ شمال الغرفة الكبرى وجود مقصورة ندخل إليها بواسطة مدخل فتح في الركن الشمالي الشرقي من جدار هذه الغرفة، ومن المحتمل أن تكون هذه المقصورة خاصة بالشيخ عبد الحفيظ الخنقي يركن إليها للخلوة والصلاة وتلاوة القرآن حينما يتفرغ من مشاغله اليومية.

أما عن مقاسات الغرف فنلاحظ أن الغرفة الواقعة بالجهة الشرقية بلغت أطوالها5 م×3 م. أما الغرفة الشبيهة بالرواق الواقعة في أقص شمال المسكن والتي ندخل إليها من الصحن خلال فتحة في الجهة الشمالية الشرقية للصحن فتبلغ 13م×3م ، والراجح أنها غرفة مخصصة لاستقبال وإيواء الضيوف.

أما بالجهة الغربية فنلاحظ غرفة مستطيلة الشكل طولها 6م وعرضها 2م فتحت بها بوابة عرضها 1م، وهي تطل على الصحن أيضا. يشذ مسكن الشيخ عبد الحفيظ الخنقي عن استعمال تلك المواد المألوفة في العمارة الصحراوية التي روعي فيها مقاومة الحرارة وتلطيف الجو في أيام الصيف كما هو معروف عند المعماريين جميعًا . والمواد المستعملة هنا امتازت بالبساطة التي لا تتعدى الحجارة والطين أو اللبن.

3. الشوارع والأسواق:(انظر شكل 62أ،ب):

أ. الشوارع:

تتمثل وظيفتها داخل قصر خنقة سيدي ناجي في ربط المساكن مع المسجد وببعضها البعض بمسالك وممرات تختلف مقاساتها كل حسب وضيفتها ويراعي في ذلك المقياس الذي يسمح بمرور أقصى ارتفاع وأضخم شيء وتنقسم إلى ثلاثة أنواع حسب دورها وأهميتها: الشوارع الرئيسية الشوارع الثانوية وتعرف بالسكة النافذة الدروب والأزقة وهي سكك غير نافذة.

تعتبر الشوارع الرئيسية أهم عنصر في القصر،(لوحة61، الصورة أ)(لوحة62، الصورة و،د) فهي بمثابة وسيلة اتصال بين داخله وخارجه، كما تقوم بربطه مع المناطق المجاورة كالبساتين والمقابر والقصور القريبة منه إضافة إلى ربطه بالوحدات الرئيسية له كالرَّحبات والسوق والجامع،(لوحة57، الصورة ج)، ،(لوحة47، الصورة ب)كما يتركز بها النشاط التجاري بحيث تفتح فيها المحلات والدكاكين(لوحة60، الصورة و،ي)، لذلك عادة ما تكون حركة السير بها كثيرة، ومنها تتفرع الشوارع الثانوية أو الفرعية وينحصر دورها في التنقل من الرئيسية إلى الدروب أو الأزقة لذلك يكون اتساعها أقل اتساعا من الأولى، أما الأزقة فهي عبارة عن ممرات خاصة تكون غير نافذة يستعملها الأشخاص الذين لهم بيوت تفتح فيها أبواب على الزقاق،،(لوحة62، الصورة و،د)وهي خالية من الحركة والنشاط وأحيانا تتخلل هذه الأزقة

ممرات أكثر ضيقا منها تسمى"الدريب" تفتح بها أبواب أخرى للمنازل عادة ما تكون لعائلة واحدة يمثل، الدريب الوحدة العائلية لسكان القصر أما الدرب فيمثل الحد الفاصل للتجمعات العائلية وأحيانا للحي القبلي كله. ومن شوارع ذات اتساع ضيق ومحدود إلى منازل واسعة وفسيحة..(لوحة56، الصورة ي)

تعتبر الشوارع في المدينة الإسلامية و في بعض القصور الصحراوية همزة اتصال تربط بين التشكيلات أو الكتل المعمارية المختلفة التي تباينت مقاساتها حسب نوع الشارع حسب نوع وسيلة النقل المستخدمة آنذاك وهي الدواب، حيث كانت تستعمل في الركوب وحمل الأثقال أو للجر، وهذه المقاييس حددت لنا ثلاثة أنواع للشوارع منها الشوارع الرئيسية أو ما يسمى بطريق المسلمين والنوع الثاني هي السكة أو الزقاق النافذ أما النوع الثالث والخير فهي السكة أو الزقاق الغير نافذة وتكون خاصة بعائلة واحدة حيث لا توصل إلى الشارع الرئيسي، كما كان للفقه الإسلامي دورا كبيرا في تحديد هذه المقاييس، حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم في تحديد المقياس الشرعي للشارع: "إذا تدارأتم في شارع فاجعلوه سبعة أذرع " وقد قدَّر الفقهاء سبعة أذرع بثلاثة أمتار ونصف كحد أدنى في عرض الشوارع. فمثلا الجمل الذي يحمل حملا ثقيلا يصل وزنه إلى ثلاثمائة كيلوغرام يحتاج إلى شارع اتساعه ثلاثة أمتار كحد أدنى، وعلى افتراض أن هناك جملين يمكن تقابلهما في هذا الشارع فمعنى ذلك أن الطريق الذي يسهل فيه مرورهما لابد أن يصل اتساعه إلى ستة أمتار فأكثر معنى ذلك أن الشوارع التي يقل اتساعها عن ذلك لا تصل إليها الأحمال الثقيلة ومن ثمة تقسم وتحمل على الحمير[1].

هذا بالتحديد ما لاحظناه بقصر خنقة سيدي ناجي فشوارعه تميزت باختلاف مقاساتها حيث بلغ متوسط اتساع الشوارع الرئيسية ما بين (4.50م ×6.90م)، أما الشوارع الفرعية النافذة بلغ مقياسها حوالي (2.60م×2.90م) ومن الشوارع النافذة إلى الشوارع الغير نافذة أو الخاصة فبلغ مقياسها حوالي (1.30م×1.40م).

[1]- عثمان عبد الستار، المرجع السابق، ص 199.

تميزت شوارع القصر بالالتواء والتعرج وعدم وجود الزوايا القائمة بها (لوحة63، الصورة ب،ج)، والسبب في ذلك راجع إلى التخفيف من حدة أشعة الشمس واستغلال الظل قدر الإمكان إضافة إلى تكسير التيارات الهوائية والرياح القوية التي تتعرض لها المناطق الصحراوية، كما أن ما يميز تكسير الشوارع هو الحد من المد البصري، فهي توحي للسائر بقصر المسافة التي سيقطعها رغم أنها قد تكون طويلة[1].

وتبقى الميزة الرئيسية للشوارع كما قلنا إنها شرايين اتصال بين مختلف منشآت القصر كالجامع والساحة أو ما يعرف بالرحبة. أما الأزقة أو الشوارع الفرعية غير النافذة فهي ضيقة ومغطاة في بعض الأحيان بواسطة أقبية أو بجذوع النخيل والخشب وأشجار العرعار، وذلك من أجل التقليل من شدة الحرارة واستغلال الظل قدر الإمكان. كما تميزت الشوارع في عمارة الخنقة بوجود الممرات المسقوفة(لوحة51، الصورة د)(لوحة57، الصورة و،ي)فتحت بهذه الشوارع أبواب المساكن، تفضي هذه الأخيرة إلى الشوارع الخاصة أو الغير نافذة أين فتحت بها أبواب المساكن وهي خاصة بعائلة واحدة أو عائلتين وهي لا توصل إلى الشوارع الرئيسية. وما تجدر الإشارة إليه هو أن بعض الشوارع في خنقة سيدي ناجي مسدودة وذلك بسبب انهيار المساكن مما صعب علينا بعض الشيء في عملية أخذ المقاسات.

- **الدمس:**(لوحة48، الصورة ج)

هو عبارة عن رواق وممر ملاصق للسرايا على الجهة الشمالية بشكل موازي، يؤدي للمسجد والرحبة من الناحية الغربية، ومن الناحية الشرقية الشمالية يؤدي إلى المحكمة، وسجن البلدة الملاصقين للمنزل، ويتوج في آخره بمدخل شبيه بمدخل الرحبة، توجد به دكانات شبيه بتلك الموجودة في الرحبة. وقد سقف بالآجر المشوي، واستعملت فيه طريقة البراميل مثل مدخل المدرسة الناصرية. ويرتبط بالرحبة عن طريق شارع نافذ(لوحة47، الصورة ج)

[1]- ثروت عكاشة، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية، ط1، دار الشروق، القاهرة 1994، ص 651، وأنظر أيضا:
- عثمان عبد الستار، المرجع السابق، ص 191.

لقد كان لضيق الشوارع في المدن العتيقة الصحراوية أهمية بالغة لما توفره من قلة تعرضها لأشعة الشمس المباشرة خاصة مع ارتفاع المباني و التنوع الحاصل ما بين الشارع و الحارة و الزقاق ولكل منها وظيفة حيث كان عرض الشارع يصل إلى أربعة أمتار و دوره التوصيل بين الأبواب الرئيسية و مركز المدينة أما في الحارة فقد تراوح عرضه بين 2 إلى 3 أمتار و دوره الاستعمال في الحركة الرئيسية داخل الأحياء السكنية أما الزقاق فعرضه ما بين 1.5م إلى 2 متر[1].

حيث كان توجيه الشوارع في المدن العتيقة الصحراوية الحارة من الشمال إلى الجنوب حتى يتم تحاشي تعرض واجهات المباني و الطرق إلى أشعة الشمس و لا تكون عمودية مع حركة الشمس الظاهرية.. أعتمد في القصور الصحراوية على معايير جد دقيقة و مفصلة بحيث لا يمكن حصرها جميعا لكونها تتشعب لتصل حتى سلوك الأفراد في الشوارع، حيث أن اتساع الشارع سيتم تحديده من خلال ضرورة الحاجة للشارع وأهميته و دوره.

ومن أهم الملامح التخطيطية التي امتازت بها شوارع خنقة سيدي ناجي الآتية:

- استخدام شوارع ضيقة غير مستقيمة لتوفير أماكن مظللة وصد الرياح الضارة وتأكيد الجوار والترابط.
- تدرج الشوارع و تكاملها.
- التقسيم إلى مقاطع بصرية تسمح بالرؤية عن بعد و تحقيق التلاقي وعدم الإحساس بالملل وتحقيق المتعة البصرية.
- الظهور والوضوح والرؤية من بعد.
- الاستمرارية والإحساس بالحركة عن طريق استمرار الشخصية الوظيفية الواحدة و كذا الطابع الواحد.

[1] سيد عباس.ع، 2007

- الاعتماد على الشوارع غير النافذة.

- الطرق القادمة من وسط القصر تنتهي بطريق داخل السور ويوازيه (حيث يقع حول السور خندق ليعمل في الأغراض الدفاعية).

ب. أسواق خنقة سيدي ناجي:(لوحة60، الصورة ج،و،ي)

يعتبر السوق من أهم العناصر المكونة للقصر والتي تستقطب الأهالي وتوحد صفوفهم، منها الأسواق التجارية التي كانت تقام مرة في الأسبوع خارج أسوار القصر[1]، وذلك من أجل المحافظة على حرمة وسرية القصر، تعرض فيها البضائع المحلية وغيرها، إضافة إلى ذلك فلقد كانت تقام داخل القصر أسواق يومية تعرض فيها المنتجات المحلية ويتزود منها سكان القصر بالحاجات الضرورية لمعيشتهم.وكان يقع في المدينة القديمة للخنقة.

لقد كان حكم الشيخ بن حسين الذي خلف والده أحمد بن ناصر سنة 1210هـ/ 1794م[2]، والذي عرفت باسمه الأسرة بعد ذلك،متابعة أعمال سلفه في ميدان العمران، بحيث أصبحت خلال نهاية العهد العثماني مركزًا عمرانياً[3] واقتصاديًا مزدهرًا فقد اهتم بتخطيط وتشييد المباني و قسم المدينة إلى خمس حارات[4] سميت نسبة إلى بعض القبائل مثل حارة كرزدة،حارة لواتة، حارة صدراته، بكل حارة مسجد وسوق ومحلات. تطورت بها مختلف الصناعات الصغيرة كصناعة المجوهرات، الفضة، النحاس والعطور كما اختصت كل عائلة بنوع مميز من الحرف كالحدادة، صناعة الأجر، صناعة الأواني. وقد كانت كلها تعرض في أسواقها التي كانت تعج بالتجار من داخل البلدة وخارجها.

---

[1]- الفرسطائي، المصدر السابق، ص 204.

[2].محمد الموهوب، بن عبد المجيد: المصدر السابق، ورقة 19.

[3] Abbas (S) L'oasis. De(Le.S.N) entre Mobilité spatiale et Conservation Architecturale- départ de Sociologie. Université. De BISKRA).p.120.

[4]محمد الموهوب: المرجع السابق، ص 25.

نظرًا للتغير الجذري التي عرفته المنطقة من تهيئة عمرانية فإننا لا يمكننا بأي حال من الأحوال أن نقوم بوصف هذه الأسواق رغم ازدهارها وتطورها في تلك الحقبة.

- **المرافق العامة :**

تحتوي خنقة سيدي ناجي على مكونات معمارية أخرى إضافة إلى التي ذكرناها وهي ما تعرف بالمرافق العامة وتتمثل في:

- **الساحات العامة**:(لوحة60، الصورة ج)

تعرف لدى العامة في المناطق الصحراوية بالرَّحبات، احتوت على رحبة وذلك ، كان يتم بها عملية طحن الزرع، وهي تعتبر المكان الملائم لتجمعات الأهالي، ففيها تمارس جميع الأنشطة اليومية أما من الناحية العمرانية فتعتبر نقطة التقاء الأزقة والشوارع وهي الفضاء الذي يعطي متنفسا للدروب والأحياء المتراصة تميزت بصغر مساحتها، كما أنها كانت تعد بمثابة السوق اليومي لسكان الحي والأهالي بصفة عامة أين تعرض بها سلع الفلاحين المحليين أو سلع القوافل القادمة من مناطق أخرى، لذلك كانت تستخدم كمساحة لتفريغ الحمولة ليتم توزيعها كما أنها تساعد على تسهيل عملية المرور وتنظيمها وكانت تتخذ كمرابط للخيل ، ومن خلال معاينتا لقصر خنقة سيدي ناجي لاحظنا أن المساحة التي تنطبق عليها هذه المواصفات هي تلك الموجودة أمام المدخل أو الباب الكبير فنعتقد أنه قد يكون مكان الرحبة .

أما الساحة أو ما يعرف بالرحبة فهي عادة ما تتقدم مدخل الجامع وذلك لاستيعاب عدد المصلين عند دخولهم وخروجهم، كما أنها تلعب دورا لا يستهان به داخل القصر سواء من الناحية العمرانية أو الاجتماعية، فهي تعتبر نقطة التقاء الأزقة لسعة مساحتها كما أنها تعتبر متنفسا للأحياء السكنية المتراصة والمتداخلة فيما بينها من خلال الممرات. وهي مصدر للضوء يكسر حدة الظلام المخيم على الدروب والأزقة المغطاة بسقوف من جذوع النخيل، كما تقام فيها جميع النشاطات الاجتماعية والدينية.

يوجد في بعض أحياء القصر رحبة خاصة، وهي عبارة عن ساحة فسيحة ينتهي عندها الدرب المؤدي إلى المنازل، وبها تفتح أبواب الدور، وهي غالبا ما يسكنها أفراد عائلة تربطها علاقة ما.

نجد بالقصر مبان واسعة مزودة بغرف أو أكثر وإسطبلات خصصت لاستقبال عابري السبيل، وهي تشبه الفنادق المعروفة في المدن الإسلامية خاصة وان المنطقة كانت لها مكانة اقتصادية واجتماعية وحتى سياسية بالمنطقة ومع الايالة التونسية المجاورة وكذا وقوعها في طريق الحج.

- **خلاصة.**

وفي ختام هذا الفصل نود أن نشير إلى الإنسان الخنقي الذي استطاع أن يكيف عمارته ومجاله السكني مع متطلبات حياته اليومية والاجتماعية وكل ذلك وفق مبادئ وأسس العمارة الإسلامية وبذلك يمكن القول أن عمارة خنقة سيدي ناجي خضعت إجمالا إلى تطبيق المعايير التخطيطية الآتية:

- استخدام الوحدة التخطيطية السكنية المتكاملة بخدماتها.
- تكتل المباني وتلاصقها حيث تعمل كحاجز ضد الحرارة كما أن هذا التلاصق يقوي ويسهل الاتصال بين العائلات ويؤكد قيمة الجوار والترابط الاجتماعي.
- الخلخلة في النسيج العمراني باستعمال الأفنية الداخلية المفتوحة والساحات العامة التي تختزن الهواء الرطب في الليل، فتكون مناطق ضغط مرتفع يبعث منها الهواء الرطب أثناء فترة النهار إلى مناطق الضغط المنخفض أثناء ساعات القيظ.
- الأفنية الداخلية داخل المناطق السكنية تعمل على الاحتفاظ بالهواء البارد أكبر مدة ممكنة أثنا النهار نتيجة للتعرض لأشعة الشمس المباشرة فتظهر الفروق في مناطق الضغط التي تعمل على تحريك الهواء داخل الكتلة العمرانية، ويلعب الفناء الداخلي دوره كنواة اجتماعية لتوفير الروابط الأسرية و يتم الاعتماد على الفناء الداخلي في اتجاه الفتحات في القصر.
- التسلسل في المناطق المفتوحة بالنسبة للفرد، حيث يخرج من فناء بيته المفتوح إلى الحارة الضيقة ومنها إلى الساحة الكبيرة وهكذا السير في تضاد.
- وجود التشكيل المعماري والعمراني والتكوين البصري الجيد فيه.

- الملاحظ أيضا من خلال الدراسة الميدانية لعمارة الخنقة أن الإنسان المحلي تميز بمهارته البنائية تجلي ذلك من خلال استعمال العقد بشكل كبير كعنصر معماري زخرفي وبأشكال وبمقاسات مختلفة نجد ذلك في السرايا والمدرسة الناصرية والمنازل سواء في المداخل أو الأروقة.

الفصل السابع:

مواد الإنشاء وأساليب البناء

- تمهيد

1. العناصر الإنشائية والمعمارية

- أولا: الجدران
- تحديد الحيز الداخلي
- الحوائط الحاملة
- الأساسات:

2. مواد الإنشاء المستعملة في عمارة الخنقة

أ-الكتل الحجرية:

ب-الدبش

ج-الآجر

د-الطابية

ج_ الخشب:

د-المواد اللاحمة:

و-الملاط:

ن-الجير بأنواعه: الجير الدهني_ الجير الهزيل_ الجير المائي

ي-الجص:

الطلاء (الكساء)

3.أساليب البناء المستعملة في عمارة الخنقة

- تقنية آدية و شناوى
- طريقة أدية و شناوي غير منتظمة
- طريقة صف أدية وصف شناوي
- البناء بطريقة المداميك طوليا
- البناء بطريقة المداميك عرضيا
- البناء بالصفوف المائلة (تقنية السنبلة)
- طريقة التربة المضغوطة بالقالب
- تقنية المزج:

- خلاصة

- **تمهيد:**

إن الإنسان ومنذ بداية شعوره بأهمية البناء (أي بأهمية وجود مأوى يأوي إليه) هربا من قسوة الظروف البيئية المحيطة به في البداية، وسعيا إلى الاستقرار في مكان ثابت لاحقا. استغل الإنسان منذ القدم المواد الأولية المتوفرة في الطبيعة فالتراب أو الطين من كل صنف الأحمر والأبيض على سبيل المثال لا الحصر كانا من مواد البناء، وكذلك الحجارة بكل أنواعها، وهي مواد تم قطعها أو جلبها من الوديان المجاورة، أو المباني الأثرية القديمة. ومن النباتات ما يدخل في مواد البناء كالقش و الرتم والنتش، بالإضافة إلى ما أنتجه الإنسان من مواد مشوية كالأجر المحروق. فانه قام باستخدام المواد المتوفرة في البيئة التي يعيش فيها. و استمر الإنسان في استخدام المواد المحلية المتوفرة في إنشاء التجمعات السكانية وفي تطوير تقنيات تستخدم هذه المواد وتراعي ظروف البيئة المحيطة به.إن استخدام موارد البيئة المحلية في البناء يلعب دورا أساسيا في نشوء نسيج حضري متوافق مع البيئة المحيطة به، كما يؤدي إلى حدوث أفضل تفاعل بين هذا النسيج والبيئة المحلية ، وجعله جزءا لا يتجزأ منها.

تعد مواد البناء من العناصر المهمة في تشكيل العمارة عبر العصور، وقد تطورت استخدامات مواد البناء التقليدية بزيادة المعرفة بخصائصها وإمكانياتها الإنشائية والمعمارية، إلى جانب تأثير العوامل المختلفة خاصة الثقافية كالدين والعادات والتقاليد، والطبيعية كالجغرافيا و المناخ. وتؤدي مواد البناء دورا رئيسيا في تكوين الشكل المعماري، فمن خلالها ومن خلال الأساليب والأدوات المستعملة في توظيفها يؤثر الإنشاء على الشكل المعماري، فلكل مادة خصائص ومميزات تستوجب استخدامات معينة وتفرض نفسها على الشكل. كما لها دور كبير في إعطاء شكل الفراغات الداخلية. وإلى جانب طبيعة مواد البناء التي تؤثر بشكل مباشر على طرق وأساليب التنفيذ، فإن للبيئة والمحيط أثر كبير على ذلك، حيث تلعب الظروف الطبيعية والثقافية والاقتصادية دورا كبيرا في تعامل الإنسان مع هذه المواد واستخدامه لها، ولا غرابة أن يظهر ذلك جليا في حالة البيئة الصحراوية بالنظر لميزاتها الطبيعية الجغرافية والمناخية الفريدة. كما تمثل دراسة مواد البناء جانبا مهما في البحث الأثري والتاريخي المتعلق بالجوانب المعمارية والعمرانية، فدراسة هذه الناحية

يتعدى الوصف السطحي البسيط إلى التعمق في النواحي الفنية والتقنية وبالتالي تكشف عن تفاصيل دقيقة عن حضارة معينة.

لذلك نتناول في هذا الفصل مواد وأساليب البناء من خلال دراسة هذه المواد واستعمالاتها، والطرق والكيفيات التي يتم من خلالها الإنشاء في مختلف العناصر المعمارية والإنشائية في عمارة خنقة سيدي ناجي التقليدية بدراسة لمختلف أشكال وخصائص مخططاتها الأفقية، وأهم العناصر المشكلة لها.وتشمل خصوصا الأساسات، الجدران، الفتحات، التسقيف وما يتعلق به كالقباب وغيرها و نمط توزيع النسيج العمراني، و استنتاج اثر استخدام موارد البيئة المحلية في إنشاء الوحدات البنائية، وكيف يمكن تحقيق التوافق والتلاؤم بين مكونات النسيج الحضري والبيئة المحيطة بها باستخدام هذه المواد؟.

أولا: مواد البناء المستعملة في عمارة الخنقة.

1. مفهوم مواد وأساليب البناء :

البناء لغة هو وضع الشيء على الشيء بحيث يراد به الثبات كبناء الحائط، ومنه سمي كل مرتفع ثابت بناء. ويطلق البناء على الشيء المبني وكذلك على عملية البناء أو الإنشاء، حيث يمثل البناء الجانب المادي في العمارة الذي ينقل الفكر المعماري إلى حالة التحقق، ويتكون البناء من مواد بناء وطريقة إنشاء حيث يكونان معا وحدة واحدة[1]. أما المواد فهي جمع مفرده مادة، وهي كل جسم ذي امتداد ووزن ويشغل حيزا من الفراغ، ويقال مادة الشيء أي أصوله وعناصره التي منها يتكون[2]. لذلك فإن مواد البناء تشمل كل ما استخدمه الإنسان في إقامة المباني المتنوعة وتشمل مواد طبيعية كالحجر والتراب والأخشاب ومواد محولة أو صناعية كالإسمنت والزجاج والبلاستيك.

أما **الأسلوب** جمع أساليب فتعود في العربية إلى الطريق الممتد أو السطر من النخل، وفي اللغات الأوروبية المختلفة إلى كلمة"stylus" اللاتينية التي تعني قضيب الحديد المدبب الرأس الذي كان القدماء يستخدمونه

[1] نوبيمحمد: نظريات العمارة، مطبعة الأوفست الحديثة، أسيوط2001، ص95.

[2] - عطية شعبان وآخرون: المرجع السابق، ص858.

للكتابة على الألواح المشمعة. وهي تشير عند استخدامها في سياق متصل بسلوك إنساني ما إلى القسمات المحددة التي تطبع هذا السلوك بطابع يمنحه هويته الخاصة. إذ المقصود بكلمة "أسلوب" هنا اختزال الخصائص المميزة لهذا النشاط أو ذاك، ومن ثم نسبتها إلى ممارسه[1]. واتسع هذا المفهوم ليدل على كيفية معينة لتحقيق عمل معين. وأسلوب البناء هو الطريقة والكيفية المتبعة المتعارف عليها منذ القديم في منطقة معينة أو عند فئة أو شعب معين، والتي اكتسبت خصائص وميزات معينة وتتعرض للتحسين والتطور[2]. ومن هنا يتضح لنا أن مفهوم أساليب البناء مفهوم واسع يشمل كل ما يتعلق بالبناء بداية من التخطيط واختيار مواد البناء إلى مختلف التقنيات و الكيفيات المتبعة في الإنشاء والتي تتجلى من خلال خصائص المنجز وصفاته ومن خلال كيفيات الإنجاز. ومع ذلك فاستعماله أحيانا يقتصر على ناحية واحدة من هذه النواحي كاستعماله بمعنى طرق الإنشاء العامة أو أنواع البناء[3]، أو التقنيات المتبعة في تشييد أنماط العناصر المعمارية كالجدران مثلا[4].حيث تتجلى هذه الكيفيات في خصائصها ومميزاتها الشكلية والتكوينية والوظيفية. أما الأبعاد التخطيطية سواء على مستوى المنشأة أو القصر والتي تعتبر أعلى مستوى من مستويات أساليب البناء فيتطرق إليها البحث باختصار من خلال وصف النماذج المدروسة.

2.مواد البناء المستعملة: إن تراكم التجارب و الحرف التقليدية عبر الأجيال المتلاحقة ساهمت في ابتكار مواد بناء تبنتها أيادي المجتمعات المتعاقبة وطورتها على مر السنين من دون أثر سلبي على البيئة المحيطة، ناهيك عن ارتباطها الوثيق بها، ضف إلى ذلك فإن الطاقة اللازمة للحصول على المواد التقليدية قليلة نوعا ما بحيث تقع في مجال المواد ضعيفة التأثير على البيئة. فكل المواد محلية المصدر ذاتية الصنع لا تتطلب

[1]- اصطيف عبد النبي: "الأسلوب و الأسلوبيات "، الموسوعة العربية، مج2، دار الفكر، دمشق2005، ص22

[2]- المرجع نفسه: ص22.

[3]- كثيرا ما تصنف أساليب البناء وفق هذا المنظور إلى البناء بالجدران الحاملة (غير هيكلي) وغير الحاملة (هيكلي، أو الموقعي وسابق الإنجاز أو حسب مادة البناء السائدة فيه، أنظر عن هذه الأصناف مثلا: ليفون، أرتينوساكو، زهير، إنشاء المباني، جامعة بغداد1982، ص6 وما بعدها. و دبس (محمد)، إنشاء البيت السكني، دار الأنس للنشر والتوزيع،1998، ص36.

[4]- حملاوي علي: نماذج من قصور منطقة الأغواط، دراسة تاريخية وأثرية، موفم للنشر، الجزائر 2006 ، ص284 و297.

تكلفة كبيرة سواء في النقل أو الإنشاء كما تتسم بفعالية مجدية وفعالة في اقتصاد الطاقة لما لها من خصائص توفير التدفئة الطبيعية.

أ-**الحجارة:**(لوحة61، صورة ي) (لوحة51،صورةي)

تعد الحجارة العنصر الأساسي في البناء وهي متوفرة بشكل كبير في المنطقة ومتنوعة خاصة بالأودية المجاورة وتستعمل كأساسات للدور والمباني. (لوحة55، صورة د) اما الحجر و الجيري فاستخدمها المعماري الخنقي وقام بتهذيبها وفق النمط المراد والغرض الوظيفي لها في البناء سواء البناء الزخرفة (لوحة43، صورةب، ج)(الشكل 103)

ب **الجير(الشيد):** مادة بيضاء اللون، تستخرج من الحجر المزي النظيف. وهي عبارة عن أكسيد الكالسيوم الناتج عن حرق الحجر الجيري (كربونات الكالسيوم) حتى درجة حرارة 1000درجة مئوية. كربونات الكالسيوم— أكسيد الكالسيوم+ ثاني أكسيد الكربون$CaCO_3$-C_aO+CO_2وينتج عن الحرق ما يعرف بالجير الحي(C_aO) يلزم طفيفة (تقليل فاعليته الكيميائية) أو إخماده جيد في الموقع لاستخدامه في البناء، بإضافة ربعه ماء(H_2O)، وتركه ثلاثة أيام على الأقل قبل استعماله ليتحول إلى هيدرو اكسيد الكالسيوم ويعرف باسم الجير المطفي($Ca(COH_2)$، وتسمى هذه العملية طفي وتخمير[1]

ج.**الآجر** (لوحة43، صورةد،و)(لوحة61،صورةي)يعتبر الآجر من أقدم مواد البناء الاصطناعية، ونجد ذكر هذه المادة في القرآن الكريم (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري. فأوقد لي يا هامان على الطين. فأجعل لي صرحا لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين)[2] وتبين هذه الآية القرآنية أن الآجر المحروق كان معروفا ومستعملا عند المصريين القدامى وقد عرفت أيضا في الفترة البونية حيث كانت واسعة الاستعمال، وهذا يثبت على مدى أهمية هذه المادة الإنشائية، وكذلك نجدها في الفترة الرومانية والإسلامية حيث استعملت في تشييد الكثير من المباني والمنشآت، وهذا ما لاحظناه بعد معاينتنا لنماذج

[1] حيدر فاروق عباس: الموسوعة الحديثة في تكنولوجية تشيد المباني، (بدون تاريخ) ط1، ج2، ص506

[2] الآية سورة

من البناء الروماني وعموما يمكن تحضيره بعد الحرق رغم أنه من الممكن تحضيره أيضا بتعريضه للشمس وهو الذي يطلق عليه المسلمون "اللبن" أو الطوب وقد جاء ذكره في الكثير من الحوليات العربية الإسلامية عند ذكرها للمغرب الإسلامي والأندلس فهي أكثر إسهابا عن غيرها في هذا الموضوع، رغم اختصارها الشديد عند الحديث عن الموضوعات الإنشائية ونأخذ مثال ذلك الجغرافي البكري الذي عندما يتحدث عن مدينة القيروان وعن قبر عقبة لما أراد المعز لدين الله بن إسماعيل بن ابي القاسم محمد القائم بالله تحريف قبلة مسجد القيروان وقلع من محرابه آجرا وذلك سنة 345هـ. ويبدو أن المسلمين في تلك الأزمنة لم يفرقوا أو لم يعنوا أحيانا بالتمييز بين الطوب المجفف بأشعة الشمس اللبن وبين الآجر المجفف بالحرق خاصة وان أغلب المناطق التي أقيمت فيها هذه المنشآت هي مناطق ذات طابع صحراوي تفتقد القدر الكافي من الحطب والأعشاب لحرق كميات ضخمة من الطوب وتحويله إلى آجر محروق. ولقد عثرنا أثناء تتبعنا لأثر القناة الرومانية في محيط واحة ليانة شمالا وعلى الضفة اليسرى لوادي العرب آثارا نعتقد أنها كانت لفرن قديم استخدم لحرق الآجر بحيث لا تزال آثار التفحم على الجدار ظاهرة. أما عن استخدام الآجر في البناء فهو يستخدم كمادة أفقية داعمة بالتناوب مع مداميك الحجارة الغشيمة أو كرباط عمودي حفاظا على الانتظام في البناء خاصة عند الزوايا. أما الطوب المصنوع من الطين بواسطة القالب فما يزال يستعمل في البلاد الصحراوية كما كان استعماله في عصور مبكرة في المناطق الجافة كما هو الحال في شبه الجزيرة العربية وصحراء المغرب الإسلامي.ومع ذلك يمكننا القول أن الآجر المحروق كان يتنافس مع الكتل الحجرية والطابية و الدبش في مباني الخنقة.

ثانيا: عناصر الإنشاء ومواد البناء:

تعد عناصر الإنشاء الركيزة التي يقوم عليها المبنى.

أ-الكتل الحجرية:

تعد طريقة ربط الكتل الحجرية مع بعضها البعض على اختلاف أحجامها في الجدران غاية في القدم، قدم العمارة نفسها، وقد تركت العمارتين الرومانية والبيزنطية عدد ا كبيرا من الأمثلة كالتحصينات العسكرية

والمنشآت المائية أو غيرها من المنشآت الأخرى وقد واصل المسلمون العمل بها سواء كان دلك في المشرق أو المغرب. باستعمال الحجارة الرومانية في المباني والمنشئات العامة كالآبار و المواجل والصهاريج الخ[1].(لوحة58،صورةد،و) وكان لمتاخمة إقليم الزاب عامة و خنقة سيدي ناجي خاصة لجبال الأوراس عاملا مساعدا على توفر مقالع الحجارة القريبة.(لوحة41،صورةج)

ب. الدبش:(لوحة50،صورةد)

عبارة عن حجارة ضخمة متعددة الأضلاع ذات التركيب الكلسي أو غيرها غير مصقولة وحسب الأحجام بمعنى أن هذه القطع من الحجارة يتم رصها بدون الحاجة إلى زاوية النجار لربطها جيدا بباقي القطع، وهناك الدبش على الناشف أي ذلك الذي يتم استخدامه في البناء مع خليط آخر أو المونة وتستعمل عادة في بناء الصهاريج وجسور المياه والأسوار وكأساسات للمباني(لوحة53،صورةو)، وعادة ما نجد استخدام التراب المدقوق أو الملاط المكون من أحزمة تنفصل عن بعضها بألواح حجرية تشتهر به مناطق تيمقاد، تونس، تلمسان ،وقد نجد حجارة دبش قد أضيف إليه الكثير من حصى الأودية وهذا الاستعمال كان موجودا في العصر مباني العصر الروماني والعصر الاسلامي بالإضافة إلى وجود دبش مسحوق بمداميك من الأجر[2]

ج: الطابية:

استخدم الرومان[3] في أعمالهم الإنشائية مادة يطلق عليها"Opus–Caementinium" وتشهد على ذلك أصوار صهاريج "Terveris "الرومانية بإسبانيا وهي مادة مكونة من خليط من الجير والرمل وقطع من الجير

[1] مالدونادو، بافونباسيليو، "العمارة في الأندلس"، ت. منوفي علي إبراهيم، مجلد2، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ص289.

[2] مالدونادو، بافونباسيليو، المرجع نفسه، ص ص317-320.

[3] وقد استخدم الرومان الطابية في كل من إفريقيا وإسبانيا وكان يماثل الطابية المستخدمة في العصر الإسلامي كل من المغرب والأندلس وكانت عملية البناء بالطابية لدى الرومان تتم في بداية الأمر بوضع طبقة من الحصى المجروش ثم يضعون بعد ذلك الفرشة السائلة المكونة من الجير حيث تنفذ بين الحصى وتتحد به وتتكرر هذه العملية حتى يتم الانتهاء من أعمال البناء

الرسوبي"Tofo" والبوثولان[1].والحصى، وكانت هذه الخلطة خرسانة شديدة المقاومة وعادة ما تصب داخل صناديق، وكان ارتفاع قالب بناء الطابية وهو الصندوق الخشبي حوالي0,60م كمتوسط. أما ارتفاع صندوق الطابية العربية فهو يتراوح بين0,80م و0,85م. وقد أمكن تسجيل صناديق طابيات يصل ارتفاعها إلى 0,90م وهذا حسب كل إقليم. يصف لنا ابن خلدون خلال القرن 14م-08هـ بناء أسوار مشيدة من التراب أو الطابية في قوله : "... ومن البناء بالتراب خاصة تقام منه حيطان بأن يتخذ لها لوحان من الخشب مقدران طولا وعرضا باختلاف العادات في التقدير... ثم يزداد التراب ثانيا وثالثا إلى أن يمتلئ ذلك الخلاء بين اللوحين، وقد تداخلت أجزاء الكلس والتراب وصارت جسما واحدا... إلى أن ينتظم الحائط كله ملتحما، كأنه قطعة واحدة، ويسمى الطابية وصانعه الطواب"[2] ، وهكذا يستمر العمل حتى الانتهاء من السور الذي عادة ما يصل ارتفاعه إلى ما بين 10و12م كحد أقصى.

وفي أثناء العمل يتم تقليب الخليط المكون من الرمل والجير والحصى الصغيرة المأخوذة من قاع الوادي حتى يصبح بذلك الخليط جيد السبك ومدقوقا،. وفي المغرب الإسلامي زاد الاعتماد عليها أكثر في العهد المرابطى ثم الموحدي حتى أصبحت التقنية الأكثر حضورا في البناء[3] ويعتبر الموحدون أساتذة في استخدام هذه الخلطة وهذا من خلال أبراجهم التي بنوها رغم أنه وجد تنويعات[4] في صناعة الطابية حسب كل إقليم.

وعادة ما تكون الأساسات[5] من الحجارة أو الدبش حتى ارتفاع الذي لا يقل عن نصف متر وصل في بعض الأحيان 0.90م بجدران منازل الخنقة، وذلك بغية مباعدة الطابية عن الرطوبة. وللعلم أن من سيمات الطابية الصلابة وسرعة بنائها وانخفاض تكلفتها. ومن خلال دراسة الطابية يمكن التمييز بين نوعين وهما:

-الطابية العادية المكونة من التراب والرمل والحصى والجير.

---

[1] حجر بركاني يتخذ منه الملاط أو المونة.

[2]- ابن خلدون ، المصدر السابق ،"المقدمة"، ص ص407-408

[3] إسماعيل بن نعمان: البناء بالتراب في بلاد المغرب الإسلامي، تقنية "الطابية" نموذجا –دورية كان التاريخية، العدد العشر،ديسمبر2010،ص19-26

[4]- مالدونادو، بافونباسيليو، المرجع السابق، ص 336

[5]- يحدثنا Shaw في كتابه "رحلة إلى الجزائر" عن متانة أساسات الأسوار الإسلامية فيقول بأن أساسات الأسوار الجزائرية كانت تتكون من جزئين من خشب الأرز وثلاثة من الجير والرمل الناعم وقد تم خلط كل شيء ودقه بالقواديم لمدة ثلاثة أيام وثلاث ليالي أثناء عملية تماسك وبين الحين والآخر تصب كميات من الماء والزيت بشكل تبادلي حتى يكون الأساس قد بلغ درجة الصلابة المطلوبة. راجع: مالدونادو بافونباسيليو، المرجع السابق.

- الطابية الأكثر صلابة والتي كانت من الخرسانة التي تشبه الدبش فيستعمل فيها مداميك من الخرسانة بحيث يكون نصفها من الجير والنصف الآخر من الرمل حتى تكون الخلطة قوية لمقاومة قوة اندفاع مياه السيول والوديان[1].

د. الخشب:(لوحة46، صورةج،د)(لوحة43،صورةأ)ذو فعالية في تغطية الفتحات الخارجية للحد من تسرب التكييف الطبيعي، وكذلك سرعة اندماجه الجيد مع المواد الطبيعية كالحجارة و الطوب. استعمل كمادة بناء مساعدة والعمل به قليل التكرار ودوره يتمثل فقط في المزيد من تقوية المنشآت الحجرية أو المنشآت المشيدة بالآجر أو الدبش، ويكمن إدخال الخشب أو تعشيقه لمراقد في البناء فيشكل شبكة خشبية تقوم بدور القاعدة أو متكأ لمداميك الآجر أو أحزمة الدبش، وأحيانا ما يتم وضع الأغصان مكان هذه القاعدة بدلا من الكتل الخشبية. وقد يكون في وضعية أفقية ليقوم بدور الفاصل بين طرائق مختلفة للبناء بعضها فوق بعض[2].

ولنا أمثلة على توظيف الخشب في المنشآت قصر الخنقة العامة، خاصة كعوارض وروابط وكوسيلة للتسقيف وكأعمدة دعامات في المباني الدينية والمدنية المختلفة (لوحة35،صورةب) (لوحة56،صورةو) بالإضافة إلى استخدام الخشب في بناء الآبار حيث يذكر البكري في الطريق من وهران الى القيروان عند ذكره لاحساء عقبة ابن نافع القرشي وهي "أبار كثيرة مبنية بخشب العرعار"[3] ومن المعروف أن الأخشاب كانت المواد المفضلة في أربطة الزوايا لذلك فإنها كانت تلعب دورا إنشائيا مهما في المباني الحجرية أو المشيدة بالدبش أو الآجر أو الطابية التي قد يدخل الخشب في أحد المواد اللاحمة المهمة في تماسكها[4]. وما دام الزاب يكثر فيه شجر النخيل فإن أهله قد استغلوا جذوع النخل **الشكل 104**في بناء المنشآت المعمارية

[1] مالدونادو، بافونباسيليو، المرجع السابق، ص 336- 342.

[2] مالدونادو، بافونباسيليو : المرجع نفسه ص 363

[3] المصدر نفسه: ص .254 .انظر أيضا Debock.M.Op.Cit.P69

[4] مالدونادو، بافونباسيليو: المرجع نفسه، ص365

أو المائية البسيطة خاصة السدود التي قد يستعملونها كأساسات بطريقة أفقية عند بنائها على حواف الأودية أو تستعمل كأوتاد تدعيم لبعض القنوات المائية الموجودة بالخنقة.

ثالثا. المواد اللاحمة :

1-الملاط:

تتعدد المراجع من حيث المصطلحات لتسمية هذه المادة فقد نجده في المشرق تحت اسم المونة (كمصر مثلا) ويعرف أيضا بالملاط ونجدها في لسان العرب لابن منظور تؤدي الدور الوظيفي لها بحيث أن: "الملاط الذي يملط بالطين، يقال ملطت ملطا، وملط الحائط و ملطه: أي طلاه و الملاط: الطين الذي يجعل بين سافي البناء"[1]. ويعرف الملاط بأنه الخليط الذي يتصلب لاحقا ويصبح مادة صلبة التي تربط مختلف أجزاء عناصر هيكل البناء. وعادة ما يتكون الملاط من خليط ثلاث مواد هي: الجير والرمل ومادة البوزلان (نوع صخري بركاني) بنسب متغايرة حسب نوعية الاستعمال[2].ولعل من بين أهم وأجود الأنواع نجد:

2. الملاط الروماني:

لما يتميز به من صلابة ومقاومة شديدتين ضد التأثيرات المناخية خاصة وأنه تشتد صلابته لما يخالطه الماء. أما عن كيفية تحضيره فإن النص المترجم لفيتروف يوضح لنا هذه الكيفية "لما يخمد الجير ويميه، نضع كمية من الجير مقابل ثلاثة كميات من رمل المحاجر، أو كميتين من رمل الوادي أو البحر، الذي يضاف إليه كمية من الآجر المسحوق أو الآجر"[3]. واستعمل القدماء الجير والآجر بنسب مختلفة حيث تمثل هذين المادتين مكونات الملاط ومواده حيث نجد استعماله بشكل كبير في عمارة الخنقة.

[1] ابن منظور، المصدر السابق"، مجلد 7، ص 406.

[2] Choisy.(A), Histoire de l'architecture, T02, éditions Slatkine Reprintes, Genève, 1987, P 14

[3]Adam. (J.P), la construction Romaine, Matériaux et technique, grandes manuel, Picard, Paris, p76.

3-الجير*:

من بين أهم المواد التي تساعد على تماسك مكونات الملاط وتضمن الترابط بين جزيئاته، نجد الجير الذي استعمل منذ القديم فقد بينت الحفريات المقامة بنسب أن الفراعنة استعملوها منذ أكثر من6000 سنة[1] ، ويتم الحصول على هذه المادة من المحاجر والذي يكون على شكل طباشير طري[2]، وبما أنه لا يستعمل على حالته الطبيعية فإنه يستخرج على شكل حجارة كلسية يتم تفتيتها إلى حجارة صغيرة نسبيا ويسمح ذلك بانتزاع كل الشوائب الزائدة كالحصى الصغيرة والطين وتسهل عملية الحرق، وبحرقها تفقد هذه الحجارة الكلسية كمية غاز الكربون لتشكل الجير الحي[3] وتحت تأثير الماء أو الرطوبة الزائدة تتحول هذه حجارة إلى مسحوق يسمى بالجير المطفأ[4] وعلى عكس الجص تستعمل هذه المادة مع خليط آخر، يتمثل عموما في الرمل أو الطين ليتكون الملاط، وهو جاهز للاستعمال مباشرة بعد جفافه[5]. ويصف لنا ابن خلدون في مقدمته عملية إطفاء الجير فيما يلي: "... بعد أن يحل بالماء ويخمر أسبوعا أو أسبوعين على قدر ما يعتدل مزاجه عن إفراط النارية المفسدة للالحام..."[6].

أ. أنواع الجير المستعمل:

من خلال عناصر الجير الصلصالي والطيني يمكن أن نصف نوعين منه:

- **الجير الهوائي:** نتحصل عليه بوجود فقط غاز ثاني أكسيد الكربونCO_2 في الهواء الذي يمكن من الحفاظ على كمية كبيرة من الجير المطفي أثناء عملية التمييه وهو بدوره ينقسم إلى قسمين:

---

*وللحصول على الجير الناري تتم عملية الحرق بإزالة أكسيد الكربون في أفران درجة حرارتها ما بين 900- 1000 درجة حرارية وفقا للمعادلة العكسية الآتية: CO3 Ca CO2 + CaO غاز ثاني أكسيد الكربون + أكسيد الكالسيوم كربونات الكالسيوم بعدها يتم استخراج الناتج ويترك لفترة معينة وهو ما يسمى بالجير الناري كما سبق ذكره، ولكي يصبح الناتج فعالا يخمر في الماء داخل حفرة أو حوض لمدة أسبوع أو أسبوعين يزيد خلالها حجم الجير بنسبة 20% مع تحريره بحرارة كبيرة والمعادلة كالآتي : + Ca (OH)2 H2O CaO حرارة + هيدروكسيد الكالسيوم ماء + أكسيد الكالسيوم وهذه المادة الناتجة، تسمى بالجير المطفى

[1]Mennier.(A), Technologie professionnelle de matériaux de construction, Edition Foucher, Paris, - 1970, P 57

[2]Nachtergal.(C), Technologie de maçonnerie, Edition Dunod, Paris, 1980, P 58

[3]Nachtergal.(C), Agenda du Bâtiment, Edition de Boeck, Bruxelles, 1984, P03.

[4]Lentez.(J), Matériel pratique de la maçonnerie et du béton armie, Edition du nord, 3eme Edition, -Paris, 1981, P 18.

[5]- وبطريقة مبسطة ولتوضيح هذه التغيرات، فإننا إذا أخذنا قطعة طبشور وحرقناها إلى غاية الاحمرار فبعد تبريده نحصل على ما يسمى بالجير الناري أما إذا أذيب بالماء فإنه يتفتت مصدرا حرارة يسمى هذا الناتج الجير المطفى

[6]- ابن خلدون، المصدر السابق، "المقدمة"، ص 408.

- **الجير الدهني:** وهو عبارة عن كلس يحتوي على نسبة من الصلصال تتراوح بين 0,1% و 1% .
- **الجير الهزيل:** يحتوي على نسبة من الصلصال تتراوح من 2% إلى 8%.
- - **الجير المائي:** يأخذ هذا النوع من الجير الهوائي من غير مساعدة ثاني أكسيد الكربون ويضاف هذا النوع إلى الملاط ليصبح صلبا تحت الماء ويحتوي هذا النوع من الجير على نسبة من مادة الصلصال تتراوح من 8% إلى 20%.

4-الجص: (لوحة38، صورةأ،ج،د،ي)(لوحة50،صورةد)

يعتبر الجص[1]. وقد كانت استخدامات الجص والكلس تعتبر تقنية شائعة الاستخدام في جدران الأجباب والصهاريج والحمامات[2] وكذلك كسوة جدران الخزانات المائية نظرا لحساسيتها إذ أننا نجدها أنها كانت تكسى بطبقة علوية من الجص الصافي، مضاد للتعفن ولا يسمح بنمو الفطريات والكائنات الدقيقة الضارة، ويحافظ على توازن الرطوبة داخل الفراغات.

د-الطلاء (الكساء) :(لوحة55، صورةأ،ب)(لوحة30،صورةي)

عرف عند الإغريق ثم عند الرومان ثلاث أنواع من الطلاء وهي:

1- الطلاء الشائع المتكون أساسا من الرمل الصواني أو الكلس والجير.

2- الجص المتكون أساسا من الجير أو الجبس ومسحوق الرخام.

3-الطلاء المائي المتكون أساسا من مسحوق الآجر المعروف بالبوزلان والرمل والجير[3].

ولا يستعمل الطلاء كمظهر جمالي فقط بل يعتبر كمادة عازلة وغير منفذة للماء، خاصة لدى المنشآت المائية المتمثلة في الصهاريج ومجاري وقنوات المياه الناقلة. ويمكننا تصنيف الطلاء المستعمل والذي

---

[1] أقدم المواد المصنعة للبناء بحيث عرف منذ بداية الألفية السادسة قبل الميلاد وهو عبارة عن حجر رسوبي كلسي يوجد في محاجر خاصة على شكل ترسبات ويجلب على شكل حجارة كبيرة، يتم تفتيتها لتحضير عملية الحرق، ويتم الحصول عليه بحرق حجر الجبس في درجة حرارة تبلغ250 درجة وتحت تأثير هذه الحرارة يفتقد كل رطوبته ويصبح صالحا للاستعمال، ثم بعدها يسحق وتتم غربلته بحيث إذا أضيف إليه الماء يتصلب بعد مدة مشكلا مادة صلبة نسبيا انظر أيضا:Bouruiba.(R), Les Hammadites E.N.A.L, Alger, 1984, P 117

[2] ابن خلدون المصدر السابق، المقدمة408 أيضا مالدونادو، بافونباسيليو، المرجع السابق، ص ص 315-335.

[3] . Adam.(J.P), op.cit, P 235

وجدناه في معظم المنشآت المعمارية ذات النمط السكني أو الري في منطقة الزاب عموما وفي عمارة الخنقة خصوصا والنوع الأول هو الطلاء الشائع.

ويتراوح سمك الطلاء في هذه المنشآت من 1سم إلى 1,7سم ونجده مزدوج أو ثلاثي في بعض المنشآت، ويتنوع الطلاء من حيث نعومته أو خشونته ففي بعض المنشآت نجده أملس في حين يبدو خشن في بعض المنشآت الأخرى ربما لخلطه مع مسحوق الآجر و الأشقف الفخارية والطلاء الممزوج بهذين المسحوقين.

3- تقنيات الإنشاء والبناء:

إن لجوء المهندس والبناء بعد توفير مادة البناء إلى تقنية وطريقة ما للإنشاء يعتبر أحد أهم وسائل ضمان وسلامة المبنى واستقرار أجزائه، وحرصا على تحقيق الغاية المرجوة من هذا البناء التجأ مهندسي المنشآت المائية إلى التقنيات الخاصة بهذا المجال، وهي تقنيات مألوفة ومعروفة منذ العهود القديمة. رغم أنها متعددة ومختلفة غير أن المهندس المعماري المحلي لجأ إلى ما يوافق اختياراته حسب ما تتطلبه مادة البناء لذلك لاحظنا استعمال الطرق والتقنيات التالية:

أ-تقنية آديه وشناوي:(الشكل104)

وجدت هذه التقنية في العالم القديم مصر وسوريا وفارس واليونان وروما في الأسوار ذات الكتل المرصوصة من الجهة الخارجية بطريقة آدية و الشناوى فالكتل الحجرية ذات الحجم العادي ترص بحيث يرى وجهها الأكبر (آدية)Carreaux وكذلك بحيث يرى وجهها الأصغر (شناوى) "Boutisses" بشكل تبادلي وعادة ما[1]تكون هذه الأخيرة مربعة، وكان الاستخدام أو رص الكتل بطريقة شناوى ميزة وهي أن الكتلة تنفذ بطولها في الحائط وبالتالى تتصل بالخرسانة التي توجد في الوسط عندما تكون هناك. وقد وظفت هذه التقنية بالخصوص في بناء المباني الأسوار.

[1] مالدونادو، بافونباسيليو، المرجع السابق، ص292

ب- تقنية المداميك[1]: وطريقة المداميك تعتمد أساسا على مواد مهذبة أو نوعا ما غير مهذبة ذات زوايا قائمة أو شبه قائمة، وفي هذه الحالة تكون مادة البناء فيها موضوعة بطريقة متتالية وأفقية، مما تعطي شكل سافات منتظمة ومتساوية. ذلك أن المواد المستعملة والمختارة تكون موحدة تقريبا في أشكالها ومقاساتها[2].:**الشكل105**

جـ-تقنية السنابل: ترجع تسمية هذه الطريقة لطريقة وضع الحجارة بشكل متعاقب ومائل على شاكلة حبات القمح في السنبلة، وتظهر هذه التقنية في المناطق التي تكثر فيها الحجارة المقطوعة طبيعيا على شكل صغير ومسطح أو أملس بحيث أنها تسهل من طريقة وضعها، ونلاحظ أن هذه الحجارة تنتشر في عمارة الخنقة حيث نجدها استعملت في المباني الجدران وعند سرير الأودية الجافة[3]. وكان الرومان يهدفون من استعمالها إلى بناء أرضية الأساسات من أجل منع تشكيل تجمع المياه المتسربة من أعلى المبنى، كما تستعمل هذه التقنية في بناء الأسوار مثل السور المحيط بالخنقة والأبراج الموجودة والتي زالت بفعل الزمن. (الشكل 106)

د-تقنية المزج:(لوحة55، صورة ي)تستعمل هذه التقنية عامة على واجهة المباني، وتتمثل هذه الطريقة فيمزج مادة الآجر والحجارة في آن واحد ، ويستخدم في هذه الطريقة مواد مختلفة وغير منتظمة الشكل والمقاسات، ولذلك يتحتم على البناء أن يختار الحجارة المناسبة ليملأ بعدها الفراغات بالمادة الرابطة المعدة لهذا الغرض مثل الطين أو الجبس[4].

---

[1] هذه التقنية أو الطريقة قديمة يعود تاريخها إلى ق.4.ق.م بالجدار الروماني المعروف باسم سارفيان[1]، وهي عبارة عن مجموعة من الكتل الحجرية المستطيلة وقليلة الارتفاع يمكننا أن نراها في تبادل مع كتل حجرية معتادة في عدة منشآت رومانية و بزنطية، وخلال العصر الإسلامي نراها في كل من سفاقس و المنستير بإفريقية حيث هناك تبادل بين المداميك المرتفعة والمداميك المنخفضة[1].حيث لوحظ استعمالها منذ القرن2هـ - 8م واستمرت إلى غاية القرن4 و 5 الهجريين انظر أيضا مالدونادو، بافونباسيليو، المرجع السابق.ص293.

[2] .حملاوي علي، المرجع السابق، ص 299.

[3] Adam.(J.P), op.cit, P 156

[4] Ibid, P 154- 155

هـ-تقنية الدبش المكون من أحزمة تنفصل عن بعضها بألواح حجرية:

هذا النمط من الدبش يتم وضعه في البناء على هيئة مداميك وعادة ما يتم الفصل بين الأحزمة التي تتسم بالانتظام الشديد، وأن سمكها لا يتجاوز من0,20م إلى0,30م. وإذا أمعنا النظر في كيفية وضع هذا الصنف من الدبش لوجدنا طريقة شديدة الشيوع تتمثل في إقامة جدارين من الدبش وبينهما توضع الخرسانة كحشو، ويدخل في هذه الجدران ذات الألواح الحجرية الطويلة من الأردواز والمرصوص بطريقة ارتجالية، ولو أن هذا لا يحول دون العمل على أن تكون هناك على شكل أحزمة أفقية.(لوحة56، صورةأ،ب،ج)

- **خلاصة.**

إن دراستنا التي كانت في معظمها ميدانية، جعلتنا نقف أمام منشآت تخفي الكثير عنا، فمعظمها غير كامل ومنها ما شوهت حقيقته سواء عن قصد أو غير قصد، وكل ما كان يستوقفنا هو حسن إنجازها وتميز تقنيتها وهندستها، ومن خلال هذا العمل يمكن أن نستخلص جملة من النتائج وهي كالآتي:

1- إن المنشآت المعمارية في خنقة سيدي ناجي المختلفة قد ظهرت تبعا لاختلاف وظيفتها وذهنية سكان المنطقة الذين نفذوها، فترتب عن هذا ظهور التعامل.

إن عامل التداخل الجغرافي، والبيئي لإقليم الزاب الشرقي، بين الجبلي والصحراوي، جعل هذا الإقليم أكثر وفرة وأكثر تنوعا لمواد الإنشاءات في الفترة الرومانية والبيزنطية، هذا من جهة وما عرفه الإقليم من تعاقب لمختلف الكيانات السياسية في الفترة الإسلامية من جهة أخرى.

فهذا التنوع اكسب الخبرة، بالإضافة إلى توفر كما قلنا مواد الإنشاء المتمثلة في المواد الطبيعية كالحجارة، والمواد الطينية، واللاحمة والمواد المكملة للبناء كالخشب والمعادن. كل هذه المواد جعلت من تعاقب على الزاب الشرقي، يستغلها في مختلف الإنشاءات بما فيها المنشآت المائية ولم يكلفهم ذلك الكثير من الأموال أو الجهد.

الفصل الثامن:

المنظومة المائية

- تمهيد

أولا: مصادر المياه.

1-المياه النازلة.

2-المياه الجوفية.

3-الينابيع والأنهار.

ثانيا: طرق استعمال المياه وتطبيقاتها الميدانية.

- مياه الأودية وطرق جرها.
- مياه الآبار.
- مياه العيون.
- قنوات جلب المياه.
- منشآت التخزين.
- -المواجل والصهاريج.
- القنوات والسواقي.
- خلاصة.

- **تمهيد**

ارتبطت فترات ازدهار الحضارات القديمة التي عرفتها الإنسانية، بمدى قدرتها على حل معضلة الماء، وتوفيره وحسن استغلاله. فهو العامل البيئي الحيوي لكل الكائنات، وأن كل تغير فيه، سواء أكان بالزيادة حيث سيؤدي إلى نشاط حيوي واضح مع العوامل الأخرى، كالحرارة وضوء الشمس والتربة وغيرها، أو بالنقصان الذي سيؤدي إلى امتناع نمو النبات ويؤثر بذلك سلبا على الإنسان وحتى على الحيوان .

والمصدر الأول للمياه هي الأمطار، التي تعتبر أحد أهم عناصر المناخ كالرياح والحرارة والرطوبة وهذه العناصر بدورها تتأثر بجملة من العوامل كالتضاريس والغطاء النباتي والقرب من المسطحات المائية، أو البعد عنها سيجعل أي إقليم في الأرض بما فيه إقليم الزاب يتميز بخصائص هيدروليكية، تختلف من مكان إلى آخر، وهذا حسب الخصائص المناخية والتضاريسية، التي ستؤثر فيه وتؤثر في الشبكة المائية سواء أكانت أمطار أو أودية أو مياه جوفية. وهذا ما سنحاول معرفته في هذا الفصل. وتتناسب التقنيات المائية المتخذة عادة مع العوامل المناخية، والتضاريس الطبيعية، ونوعية الطبقات المائية وتوزيع مياه الأمطار حسب الفصول والأعوام. وهي تعكس في تطورها مدى تفوق هذه الحضارة أو تلك في العمران.

اهتم إنسان المنطقة بالمنشآت المائية في الفترتين الرومانية والإسلامية. وهذا بسبب الحاجة الملحة لها لعلاقتها بحياته اليومية وبالموارد الزراعية والنشاط الزراعي. ولهذا لما قدم الرومان إلى المناطق شبه الصحراوية بما فيها الزاب كانت احتياجاتهم المائية كبيرة لتوسيع نشاطهم الزراعي، فأقاموا منشئات مائية لاستغلالها في الشرب والزراعة وأقاموا لذلك مراكز عسكرية لحمايتها والدفاع عنها من زحف البدو الرحل بالدرجة الأولى. ومع ذلك لم يكن هذا الأمر بالشيء الهين أو السهل على الرومان أو حتى على المسلمين الذين لم يجدوا ملامح السياسة المائية الرومانية التي اندثرت اغلب معالمها بطول الفترة الزمنية الرومانية والبيزنطية ومجيء المسلمين، هذا من جهة بالإضافة إلى طبيعة مناخ بلاد المغرب الشديد التذبذب والاضطراب من حيث كميات التساقط ودرجات الحرارة المرتفعة من جهة أخرى.

أولا: مصادر المياه

نستهل هذا الفصل المتعلق بكيفية استغلال المياه في خنقة سيدي ناجي بالتعريف بأنواعها ومصادرها ومن أين تتلقاها.

1-المياه النازلة

يقول تعالى(وهو الذي يرسل الرياح نشرا بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات)[1] ويقول جل شأنه (الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون)[2] تحمل هاتين الآيتين دلالة واضحة ويكفي أن نعبر عنها كما يلي:

رياح مرسلة تحمل سحابا يساق إلى اليابسة ينزل به المطر، ويلاحظ دقة العبارة القرآنية حيث يقول االله عز وجل :(فأنزلنا به الماء) والضمير في "به" عائد على السحاب وقد ثبت حديثا أن السحاب هو الواسطة لإنزال المطر، ويعد مكثفا لبخار الماء الذي تحمله الرياح وخاصة في الأمطار الغزيرة.[3]

ويقول تعالى(و أنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون)[4]يقول الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية(وأنزلنا من السماء ماء) إشارة إلى الماء العذب و أن أصله من البحر، رفعه االله بلطفه وتقديره من البحر إلى السماء حتى طاب بذلك الرفع و التصعيد، ثم أنزله إلى الأرض لينفع به، و أخبر االله بأن الماء الذي أنزله من السماء استودعه في الأرض وجعله فيه مختزنا لسقي الناس يجدونه عند الحاجة.[5]

---

[1]- الآية 57 من سورة الأعراف.

[2]- الآية 48 من سورة الروم.

[3]- جلال الخانجي، المرجع السابق، ص 87.

[4]- الآية 18 من سورة المؤمنون.

[5]-القرطبي: ابوعبدالله بن احمد،(ت684ه)،الجامع لأحكام القرآن الكريم، تح عبد الرزاق المهدي، طبعة 01،مجلد10،دار الكتاب العربي، بيروت.2004.ص 112.

2-المياه الصاعدة*: ويقول الله تبارك و تعالى(ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه)[1]، فإدراك المسلمين لأهمية الماء، هيأ ظهور فكرة هذه الدورة في وقت مبكر على يد المهندسين المائيين لذلك نجدهم قد بذلوا كل جهودهم في كيفية الاستفادة من المياه النازلة، ومحاولة التقليل من منسوب تبخرها أو تسربها إلى باطن الأرض، وقد كان الاهتمام بهذه المادة النادرة والمقدسة من طرف سكان خنقة سيدي ناجي خاصة في فصل الصيف الحار، حيث نجد انه في القديم لا يخلو بيت من ميزاب على السطح لتصريف هذه المياه النازلة حيث توضع تحتها العديد من الأواني[2].(لوحة3،صورةو)(لوحة56،صورةب).(شكل 62 أ،ب)

ومن نتيجة هذه المعادلة وحساب الموازنة المائية يتضح أن كمية التبخر- النتح في هذه المنطقة مرتفعة جدا، حيث أن التبخر- النتح- يفوق التساقط ابتداء من شهر فبراير وسبتمبر إلى شهر ديسمبر، وهذا يرجع إلى قلة الأمطار في إقليم الزاب، والارتفاع الشديد في درجات الحرارة لأسباب وعوامل جغرافية وطبوغرافية حيث نجد أن العجز المائي يرتفع فيها عن الفائض المائي الذي يكون ضعيفا جدا لذا تكون الاحتياجات المائية للمحاصيل الزراعية للإقليم كبيرة وأشهر العجز المائي هي أكثر شهور العام والتي تصل ما بين(7- 10) شهور وهذا لقلة التساقط. لذا نجد أن معظم هذه المنطقة يبدأ فيها الري من أول شهر أفريل وسبتمبر، حتى شهر نوفمبر وقد تزيد إلى10 شهور ابتداء من شهر فبراير حتى شهر نوفمبر، وبذلك فإن المناخ ونسبة التساقط قد أثرت كثيرا على مدة الري وفترات الري[3].

ومن خلال هذه الدراسة لهذا العنصر نجد كمية التساقط قليلة، وبذلك فإن مياه الأمطار التي تسقط على المنطقة لا تغني حاجات السكان الضرورية. لكن يمكن تقدير كمية التساقط الزائدة التي تكتسب

---

*يقول القرطبي في تفسير هذه الآية : أنزل من السماء ، أي من السحاب ماءا، أي المطر ، فسلكه: أي أدخله في الأرض و أسكنه فيها قال الضحاك و الشعبي : كل ماء في الأرض فمن السماء نزل . وتدل هذه الآية دلالة بينة على وضوح مفهوم الدورة المائية في القرآن الكريم

[1]- الآية 21 من سورة الزمر.

[2] .Brunchvig (R) , la Berbèrie orientale sous les Hafsides , T2, librairie d'Amérique et D'orient .Paris , 1947,P217.

[3]- مسعود بلعباس، الموازنة المائية لشمال الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1990، ص 107-160، أيضا: مجراب عبد الرحمان، دراسة التبخر-النتح الممكنين لشمال الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988، ص 69.

طاقة حركية وتتحول إلى مياه سطحية جارية. مع العلم أن هذه الكمية الزائدة تأتي من مناطق بعيدة ونقصد هنا المرتفعات الأوراسية، وبذلك ستتحول هذه الأمطار إلى سيول ووديان جارية وعلى هذه الحال لا يمكن الاعتماد على أمطار السماء، بل اعتمد أهل المنطقة منذ القديم على مياه الوديان والآبار والينابيع كمصادر للتغذية المائية.

أ. المياه الجوفية.

اعتمد سكان بلدة الخنقة على مصادر المياه القريبة من سطح الأرض على مصدرين هامين وهما:

- **الآبار:**

- **الآبار قليلة العمق** :أو(الإحساء جمع حاسي) حيث توجد تحت حقل مائي جوفي بسيط قريب من سطح الأرض، يتغذى هذا الحقل من الينابيع والأودية حين جريانها حيث أن هذه الآبار تجف أو يقل منسوبها في الفصل الجاف ويزداد في الفصل الماطر، وتتميز كما قلنا بأنها ليست عميقة ما بين10-60 مترومنسوبها ضعيف جدا بعض المئات من اللترات وهذا كحد أقصى. وعمليا فإن هذا النوع من الآبار الموسمية، والتي يقل عمقها عن 60 متر لا يمكن الاعتماد عليها في الري أو السقي، ومهما يكن عمق هذه الآبار فإن منسوبها ضعيف جدا ما بين½ أو ¼ ل/ ثا ولا نفع يرجى منها في استغلالها للزراعة[1]. وقد ذكر لنا (Ville.M) وجود عدة آبار من هذا النوع، في كل من زريبة الوادي والفيض، وهي على ضفاف وادي العرب يتراوح عمقها بين 05- 06 أمتار[2]، وقد يصل بعضها إلى 15 متر. وهي كما يلاحظ أنها قليلة العمق مصدر تغذيتها هو مياه الوادي في الفصل الماطر، ثم تجف في الفصل الجاف بجفاف الوادي.

- **الآبار العميقة**: أو التي تعرف بالآبار الارتوازية وسميت بهذا نسبة إلى منطقة ارتوازي(Artosie) بفرنسا، ويقصد بها تلك الآبار العميقة التي حفرها الإنسان في الصخور للوصول إلى المستوى الدائم للمياه الجوفية، ومن ثم تندفع المياه من أسفل إلى أعلى طبيعيا "بفعل قوة الضغط الهيدروستاتيكي" إلى أن

---

[1] Capot- Rey. (R),OP. cit,P320.-

[2] Ville. (M), Op.cit. PP 261- 266.-

تظهر فوق سطح الأرض.[1]فهي إذن مياه صاعدة تكون درجة حرارتها المتغيرة ما بين 24° و26°ومن خلال الخارطة المائية سنة 1880 ، تبين أن مجموع هذه الآبار العميقة الصاعدة في الزاب الشرقي عددها حوالي 09 آبار، بعمق إجمالي لكل هذه الآبار 809 مترا وهي قليلة العدد، إذا قارناها بعدد ما يوجد في الزاب الغربي في نفس السنة حيث أن كل بئر من هذه الآبار تستغل وتكفي لري 1500 نخلة.[2]

* **أما النوع الثاني للآبار العميقة**، فيتمثل في الفجارات والتي هي عبارة عن سلسلة من الآبار مجتمعة فيما بينها بأعماق متفاوتة ما بين 40م إلى 60م، وقد تصل إلى 150م وتكون في رواق أو نفق أرضي قطره 1م، وتكون في انحدار أو ميل واحد من المنبع إلى واحة النخيل. أما طولها يحدد بعدد آبارها بحيث قد يصل إلى 20كلم.[3] وهذا النوع أو هذه التقنية أشار إليها"Baradez" في كتابه الخنادق الإفريقية، حيث لاحظ وجود آثار قنوات مياه موزعة على خط واحد في واحة ليانة وبادس من خلال التصوير الجوي[4].

- **العيون والينابيع**[5]: أكثر الأماكن التي تنتشر فيها الينابيع هي الجبال والتلال التي تحتوي كميات هائلة من المياه، وتستفيد منها المنخفضات وكذلك الحال بالنسبة لمرتفعات الأوراس، ومنخفض الزاب الشرقي والذي يعرف بعض من الينابيع خاصة على ضفاف الأودية النازلة من الكتلة الأوراسية. فهي إذن تخضع لخصائص جيولوجية وطبوغرافية، لكن وبسبب المتغيرات المناخية التي نلحظها اليوم والاستعمال الواسع منذ القدم لوحظ أن الكثير منها قد اختفى، والذي بقي من الينابيع جعل منسوبها في أخفض مستوياته، حيث أصبح منسوب تدفقها العام ضعيف حاليا. ويتم استغلال العيون والينابيع حسب قوة

[1]- عاكول سعدية، فصيح عبد العباس، البيئة والمياه، ط1، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2004ص 156 أنظر.

Brives(A), considérations hydrologique sur l'Algérie, éditions Jules Carbonel, Alger, 1925, P38-39. :

[2] . Colonel Niox, Géographie militaire, Algérie et Tunisie- 2eme édition- Paris 1890, p42-

[3] Capot-Rey. (R), OP-cit, p 324- 325-...-

[4] . Baradez. (J), op.cit., p 12-

[5]وهي مكان خروج المياه الجوفية كتيار متدفق، وبشكل مركز على سطح الأرض والمياه الخارجة من هذه الينابيع لها تركيب كيماوي وحرارة تختلف حسب عمق هذه المياه وطبيعة الصخور، وانبثاق أو انحباس هذه الينابيع يكون طبيعيا دون تدخل الإنسان.(صورة) وهي تخضع لعوامل جيولوجية معينة[5] ، حيث أن مياه هذه الينابيع عادة تظهر بمحاذاة الصدوع أو عند التقاء الطبقات النفوذة والكتومة التي تكون في قعر المخروط الغريني .

تدفقها أو ضعفها، فالضعيف منها يستغل ماؤه مباشرة للشرب وغيره أما التي منسوبها قوي فتأخذ مياهها عبر السواقي إلى الحوض ومن ثمة تقسم مياهها لاستغلالها في ري وسقي غابات النخيل.[1]

- **البرك المائية "الغدير"**: رغم أن هذا المصدر لا يدخل في إطار المياه الجوفية إلا أننا أردنا أن يكون كعنصر مستقل غير تابع للعنصرين السابقين وقد اعتمدنها لأنه يدخل في مصادر التغذية المائية التي اعتمد عليها أهالي الزاب في القديم، ولا يزال في الحاضر القريب. وكما هو معروف فإن تجمع مياه البرك أو الغدير يكون في منخفض واسع تسميه العامة "بالظاية"، وتتكون نتيجة إفراغ السيول والمجاري لحمولتها المائية من المرتفعات القريبة، خاصة في الفصل الماطر أو عند العواصف المطرية، التي قد تحدث بين الحين والآخر في الأشهر الجافة بشكل فجائي. وتجد أن الأهالي خاصة الرعاة المتنقلين بقطعانهم يتجمعون بالقرب من هذه البرك لشرب قطعانهم وجعلوها أيضا مورد تزودهم بالماء خاصة في الأوقات التي يقل فيها منسوب مياه الآبار وجفاف الينابيع.

ب-الينابيع والأنهار:

- **مياه الأودية**:(انظر الخريطة4)

تنتشر في منطقة الزاب مجموعة من المجاري المائية السطحية المؤقتة، والتي كلها ماعدا وادي جدي الذي يأتي من الغرب، تأخذ اتجاهها الشمالي من المرتفعات الشمالية إلى الجنوب ليصب في شط ملغيغ[2] وتتخذ هذه المجاري ونظام جريانها مظاهر متعددة متأثرة بالظروف المناخية والطبوغرافية والجيولوجية، وكثافة النبات الطبيعي أو انعدامه، ونوع التربة. وكلها عوامل طبيعية مؤثرة على التصريف الشهري والسنوي، وتنبع هذه المجاري فصلية التساقط، ويتضح ذلك من خلال قلة تصريفها أو جفافها خلال فصل الصيف

[1] .Capot-Rey. (R), OP. cit, p 318- 319

[2] .Baradez.(J),op.cit., P30 -

الجاف، وتتميز جميع هذه الوديان بصفة التصاريف المتفاوتة بين فصل وآخر وسنة وأخرى اعتمادا على خاصية السنة المائية[1].

ومما يميز هذه الأودية هو انحدارها الشديد في مرحلتها الأولى التي تتكون من المرتفعات لتستقر في منطقة منبسطة وفسيحة جنوبا، متعرضة لعوامل التعرية الكبيرة، من طرف هذه الأودية تربتها بصفة عامة تربة صلصالية طينية بيضاء، وهي المرحلة الثانية والأخيرة من جريانها لتصب في شط ملغيغ 30° تحت مستوى سطح البحر، والذي يصب فيه جميع أودية الزاب كوادي جدي ووادي الحي، بالإضافة إلى أودية الزاب الشرقي والتي تنتهي من الجبال في منطقة منخفضة. ومن أهم هذه الأودية واد البراز وهو التسمية الجنوبية لواد الأبيض في الشمال لدى سكان قرى الأوراس، والذي يسقي واحات* بانيان، مشونش، سريانة، قرطة، تهودة، سيدي عقبة وهذه السلسلة الأولى من واحات الزاب الشرقي أما السلسلة الثانية فهي الواحات التي تتغذى بمياه وادي العرب وهي بصفة عامة واحات صغيرة، تعتمد على زراعة النخيل والحبوب وبعض الأشجار المثمرة وأهمها خنقة سيدي ناجي، ليانة، القصر، بادس، الزريبة وأخيرا واحة الفيض وزريبة حامد[2]. وهي كما قلنا سابقا تنزل من السلسلة الفسيحة المرتفعة للأوراس، التي تعرضت لعوامل تعرية كبيرة من طرف هذه الأودية، والتي تحمل معها عقب هذه التعرية المائية كتل من الحصى متفاوتة الأحجام والأتربة وجذوع الأشجار، والتي تأخذها في سيرها وتكون الأودية في هذه المرحلة في قمة جريانها، خاصة في أوقات فيضاناتها في فصل الشتاء، و للانحدار الشديد الذي تتميز به جبال الأوراس، وما أن تصل إلى المناطق المنبسطة في الجنوب، حتى تبطئ سرعتها وتنزل حمولتها المتمثلة في الطمي والمواد

[1]- الصحاف المهدي،المواردالمائية والغذاء في الوطن العربيّ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس، جامعة محمد بن عبد الله، العدد 2-3 ، السنة 1979- 1980، ص 72.

*- في بلاد المغرب هناك أربع أصناف من الواحات التقليدية: ا- واحات مع منبع تحت قدم الجبل مثل واحة مشونش، تهودة، ب- الواحات بجانب الوديان مثل واحة الخنقة وبادس، ج- الواحات فوق حقل مائي جوفي مثل واحة طولقة، د- واحات تعتمد على مصادر الآبار الارتوازية مثل واحة أولاد جلال وسيدي خالد. ايضا Richter (M), Les Oasis du Maghreb, Les Oasis au Maghreb Mise en valeur et Développement, Université de Tunisie, 1995, P 29(الخريطة رقم07 أصناف الواحات الأربع).

[2] Berbent.(J),op.cit. P305ايضاM. Dubocq, Ziban et de L'Oued R'ir, Paris, 1852, P37-40 -

الغرينية العضوية، التي تساهم في تخصيب التربة فتتكون ما يسمى بالسهول الفيضية، لذلك نجد أن واحات الزاب الشرقي مشهورة في القديم بزراعة الحبوب كالقمح والشعير خاصة سهول تهودة، وبادس[1]. ومن خلال الدراسة المناخية السابقة لاحظنا أن الإقليم يغلب عليه طابع نطاق المناخ الجاف هذه الخاصية جعلت من الأودية، تتأثر هي الأخرى بعناصر المناخ(حرارة، تبخر، رياح) فانعكس سلبا على تدفقاتها السائلة، والتي تكون في أدنى تدفقها أثناء الفترة الممتدة بين شهر ماي إلى غاية شهر سبتمبر. أي أثناء الفترة الجافة، بينما سجل أعلى منسوب لها أثناء الفترة الممتدة بين ديسمبر إلى غاية فيفري.[2] ولهذا يمكننا القول، بان فترة التدفقات السائلة توافق عموما، فترة التساقط وخاصة منها الفترة الخريفية التي تعرف فيها المنطقة لأحيان كثيرة حملات شديدة للمياه في وقت قصير أثناء تساقط الأمطار الإعصارية، فينشأ عنها فيضان الأودية التي تتسبب في إتلاف الكثير من المزارع والبساتين، وهدم السدود التقليدية وقنوات السقي المقامة على مستوى الأودية، لتحويل المياه لسقي المزروعات[3] وينتج عن جريان مياه الأمطار الزائدة عن قدرة التربة على امتصاصها على قمم وسفوح الجبال والتلال القريبة، باتجاه الوديان الضيقة أو الثانوية التي تصب بدورها في واد رئيسي أو كبير وأهمها:

1- **وادي العرب**(لوحة32صورةد):أهم الأودية وأطولها بعد وادي جدي، ينبع من الجبال ذات التكوين الكريتاسي،كجبل ششار أعلى قمة فيه كاف اشمرزو (1834م) في يسرى الوادي، وجبل الجحفة[4] على يمناه، يتلقى من وديان ثانوية التي تعتبر أهم روافده الشمالية كواد ملاقو، واد هلا، واد شلي، كميات معتبرة من المياه الفصلية، التي تنزل من جبل الأوراس، يظهر قسمه الأول لمجراه أقل تعرجا، وضفتيه واسعتين وبعد أن يتجاوز المنطقة التي يقال لها قلعة التراب، يبدأ مجراه في الضيق وفي الانحراف وتكثر

[1] Choisy. (A), Op.cit., P260. -

[2] Dubocq. (M), op.cit., P 39- 40 -

[3]- بيشة غازي، الفناء الزراعي لقصر الحلبات، المؤتمر الحادي عشر للآثار، تونس، 15-19 يونيو، 1987 (مطبوعات الالسكو)، ص174. أنظر الملحق من الدليل السنوي لعام 1992-1993.

[4] Dalloni.(M), Rapport géologique sur l'hydrologie de région de tamagra, khanchla, service de la - carte géologique de l'Algérie, Alger 1923,pp150-152.

تعرجاته، ما ساعد على قيام عدة منشآت مائية رومانية عليه، وضفته اليسرى في فصل الصيف تكون قليلة الغزارة أو جافة، لأنها ترتبط بجبل ششار القاحل والانعزالي، إلا من بعض النباتات القليلة وهذا عكس ضفته اليمنى، والتي تأتي إليها أغلب روافده والتي ذكرناها سابقا كواد ملاقو، وواد هلا لذلك نجدها غنية بالأشجار كأشجار الصنوبر الألبي والبلوط وأشجار العرعار، ومن فم هلا إلى غاية منطقة الشبلي يزداد انحدار الوادي وعورة وتزداد تعرجاته، خاصة بين جهة تابندوت وخيران والشبلي، وصولا إلى منطقة الولجة جنوبا ،حيث تكثر أيضا الخوانق الضيقة آخرها مضيق خنقة سيدي ناجي حيث يتغير مجرى الوادي نحو الجنوب الغربيإلى أن يصل إلى زريبة الوادي، ثم ينحرف مستقيما باتجاه الجنوب دائما، ويضيع مع تفرعاته الكثيرة في شط ملغيغ. وللعلم فإن مياه هذه الأودية لما تقترب من الصحراء تزداد ملوحة نظرا لعامل التبخر واختلاط مياهها بالسباخ الملحية[1] ويلاحظ على مجرى وادي العرب بعد وصوله لمنطقة الزاب، حيث أول محطة فيه وهي الخنقة. يبدأ سريره في الاتساع عرضيا وهذا نظرا لطبيعة الأرض المستوية والكلسية، وبعد الخروج من واحة خنقة سيدي ناجي، والتي تستقر على ضفتيه أو على سرير الوادي الذي هو جد منخفض نجد على ضفتيه أيضا جنوبا، كل من واحة ليانة، القصر، بادس وكلها تتغذى من مياهه. ومعروف على هذه الواحات الازدهار الاقتصادي في القديم[2]، فلقد جاء في المصادر البيزنطية أنها كانت تحصد أراضيها مرتين في السنة[3]، وكذلك في العصور الوسطى. أي في الفترة الإسلامية كما ذكر البكري "وبمدينة بادس حصنان فيهما جامع وأسواق وبسائط ومزارع جليلة يزرعون بها الشعير مرتين في العام على مياه سائحة كثيرة عندهم"[4]. ويعلق مارسيه "Mercier" على ذلك "ذلك المكان لم يتغير-يقصد بادس والواحات المجاورة-لكن تغير شيئين مهمين وضروريين هما: الماء والعمل"[5].

[1] -Alquier. (J), op.cit., P39.

[2] Baradez. (J). OP.cit.P129.

[3] عيبش، يوسف:"الأوراس في مصادر ق06م"، مجلة الآداب العلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر، العدد 02، قسنطينة ص 109.

[4] - البكري: المصدر السابق، ص 257.

[5] Mercier.(G): Khanguet Sidi Nadji Op.cit., P 138.

يلاحظ أن أدنى تدفق لسيولته الموسمية أو الفصلية، تكون ما بين شهر ماي إلىغاية شهر سبتمبر، أي أثناء الفترة الجافة بينما أعلى منسوب تدفق السيولة المائية أثناء الفترة الممتدة بين ديسمبر إلى غاية فيفري، حيث يصل في هذا الشهر متوسط التدفق إلى 0,36م3/ ثا ثم ترتفع خلال شهر مارس لتصل إلى 0,71م3/ثاوبهذا يمكننا القول بأن فترة التدفقات السائلة توافق عموما الفترة الرطبة[1].

2.المياه الجوفية: تتوزع الأمطار المتساقطة على المنطقة جزء منها يتبخر في نفس الوقت ليعود إلى الجو وجزء آخر يجري على سطح الأرض نحو منخفضات شط ملغيغ فتشكل البرك والأودية وجزء ثالث يتسرب إلى باطن الأرض أو إلى بطون الأودية الجافة في طبقات رملية جيرية تتبع الزمن الرابع ويختلف سمك الطبقة الحاملة للمياه من 20-400م وتتغذى بمياه الأمطار كما قلنا[2] وعلى ضوء تقسيم السنة المائية إلى فصلين:

-فصل العجز المائي الذي يستمر من شهر جوان إلى شهر أكتوبر حيث تزداد نسبة التبخر وتقل إن لم نقل تنعدم الأمطار مما يؤدي إلى تناقص منسوب المياه المخزنة في جوف الأرض.

2- فصل الفائض المائي والذي يبدأ من شهر نوفمبر، إلى شهر ماي الذي فيه تتفوق كمية التساقط على كمية التبخر أو تساويها مما يساعد على تزويد جوف الأرض بكميات إضافية تسد عجز الخزانات الباطنية، وبذلك يزداد منسوب مياه الآبار والعيون[3]. وعلى ضوء هذا التقسيم نعرف أن المياه الجوفية تتأثر بصورة مباشرة بالوضعية المناخية السائدة في هذا الإقليم، والتي تتميز بتذبذب الأمطار وبذلك تتدهور كميات المياه التي في الطبقات الجوفية مع مرور الزمن. أضف إلى ذلك أن الاستغلال البشري لها منذ القدم أضعف من منسوب المياه كثيرا حيث نلاحظ اليوم أن كثيرا من الآبار قد انزاح ماءها واختفى وجود الينابيع والعيون[4] وللعلم أن الطبقة الجوفية الحاملة للمياه يختلف عمقها من جهة إلى أخرى، فمن

[1] A.N.R.H: Annuaire Hydrologique de l'Algérie, Bassin du Chott Melghir, Année 1992- 1993,p 134. -

[2] - حسن محمد إبراهيم، جغرافية المياه، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 2005، ص 146.

[3] - بلعباس مسعود، المرجع السابق، ص107.

[4] Capot-Rey: (R), Le Sahara Français, T, 02, Paris, 1953, PP 92- 93.-

خلال الدراسات الهيدرولوجية لمنطقة الزيبان تأكد وجود فاصل وفارق جيولوجي بين منطقة الزاب الغربي و الزاب الشرقي.

ثانيا: طرق استعمال المياه وتطبيقاتها الميدانية:

لقد حاول سكان الخنقة ابتكار طرق وسائل متعلقة بهندسة الري، لمواجهة الجفاف الذي يسود المنطقة. منذ استقرارهم بالمنطقة مستغلين إمكاناتهم، ومستغلين ما وجدوه من بقايا الفترة الرومانية من قنوات للري وإنشاء تقنيات مائية لسد العجز المائي. الذي يتميز به إقليم الزاب بصفة عامة وإقليم الزاب الشرقي بصفة خاصة، وذلك لإيجاد الحلول الممكنة لمواجهة الجفاف وندرة المياه، وهو ما أدى إلى بناء منشآت مائية لتغطية هذا العجز.

1. مياه الأودية وطرق جرها بخنقة سيدي ناجي:

سنحاول تتبع المصادر العربية التي تضمنت المعلومات والحقائق التي تفيدنا في تسليط الضوء على الطرق التي كانت تعتمد في العصر الإسلامي لاستغلال مياه هذه الأودية. ويأتي في مقدمة هذه المصادر كتاب البكري[1] الذي يصفها قائلا: "...ومن بسكرة إلى تهوذا وهي كثيرة الثمار و النخيل و الزرع وحولها ربض قد خندق على جميعه واستدار بالمدينة و بها ....نهر ينصب في جوفها من جبل الأوراس، سكانها إن كانت بينهم وبين من يجاورهم حرب أرسلوا ماء النهر في الخندق المحيط بينهم فشربوا منه وامتنعوا من عدوهم به". أما الإدريسي الذي عاش في القرن السادس الهجري فلا يشير إلى استغلال المياه بل يصف لنا حصن بادس بقوله[2]:" ...ومنه إلى حصن بادس وهو في أسفل طرف جبل أوراس ثلاث مراحل وهو حصن عامر بأهله والعرب تملك ارضه وتمنع اهله من الخروج عنه إلا بجفارة* رجل منهم"[3].

وأشار صاحب الاستبصار إلى وفرة الماء في أواسط القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي في بلاد

---

[1] البكري: المصدر السابق، ص255.

[2] الادريسي: المصدر السابق، ص333

*- جفارة : تعني إلا بحراسة وعلى ذمة رجل منهم .

[3] -البكري: المصدر السابق، ص 264.

الزاب في قوله: ".... وهي مدن كثيرة و أنظار واسعة وعمائر متصلة فيها المياه السائحة و الأنهار و العيون الكثيرة ..."[1]ويستطرد البكري كلامه عن بادس قائلا[2] :"...ومنها إلى مدينة بادس مرحلة وبمدينة بادس حصنان فيها جامع و أسواق وبسائط ومزارع جليلة يزدرعون بها الشعير مرتين في العام على مياه سائحة كثيرة عندهم ..."

ومما يستفاد من هذه النصوص-رغم فقرها من المعلومات والتي تتحدث عن طرق استغلال مياه هذه الأودية و الأنهر- و التي تناولت وتكلمت عن مدن وقرى إقليم الزاب الشرقي وارتباطها الوثيق بمواردها المائية، هو أن سكان الزاب الشرقي في ذلك الوقت قد اكتفوا مائيا لدرجة أن سكان بادس يزرعون الشعير مرتين في العام، على مياه سائحة كثيرة عندهم، أما سكان تهودا قد جعلوا من حيث استفادتهم من ماء النهر ليقوم بدور استراتيجي في الدفاع عن مدينتهم. بحيث أرسلوه في الخندق المحيط بها حيث أصبح يقوم بوظيفتين وظيفة دفاعية حين يمتنعون به من عدوهم، ووظيفة أخرى مهمة، وهي وظيفة تموينية استهلاكية حين يشربون منه وتشرب منه أنعامهم ويسقون به مزروعاتهم. ورغم شح معلومات هذه المصادر كما أسلفنا الذكر، إلا انه ولحسن الحظ فإن الكتب الفقهية وخاصة النوازل فقد تناولت مسائل تهم طرق استغلال الماء وملأت الفراغ الكبير الذي تركته هذه المصادر التاريخية والجغرافية.

ويلاحظ على أن عملية التقسيم هذه مازالت معتمدة حتى اليوم. ويتبين من الدراسة أن الطريقة التي لازالت مطبقة في إقليم الزاب هي التقسيم بالحجم ثم التقسيم بالوقت حسب إشارة الفرسطائي، الذي يحبذ و يؤكد بالعمل على الحجم أو القيمة لكي لا يقع أي خلاف " على قدر تفاضلهم عندهم و يتداركون الغبن في قسمة الماء"[3] .

لذلك وجدنا أن أودية الأوراس، والتي تصب في الصحراء مرورا بالزاب، ذات التغييرات الكمية في منسوب مياهها بين فصل وآخر يتم التقسيم فيها بالحجم أولا ثم بعدها التقسيم بالوقت ويراعى في ذلك مساحة

[1]- مؤلف مجهول: صاحب الاستبصار، المصدر السابق، ص 171.

[2]البكري :المصدر السابق، الجزء الثاني، ص 257.

[3]- المصدر نفسه: ص 110.

المنطقة المزروعة[1]، أو عدد النخيل خاصة وان صالح باي في زيارته الشهيرة إلى الزاب عام م1776 قد قسم الماء على عدد النخيل[2]. ويراعى كذلك انبساط الأرض أو انحدارها، ومن حيث ملوحة الماء أو عذوبته وقوة وضعف جريانه[3]. وقد يتم جلب الماء من أماكن بعيدة بمقتضى عقود توضح أصحاب الحقوق من أهل البلد أو القرية أو غيرهم، ونصيب كل واحد منهم وأغراض استعمالهم.

وتساق مياه الأودية عادة في ساقية أو قناة والتي تعرف بالمصارف(لوحة65،صورةي)[4] إلى قرب سور المدينة أو البلد، حيث تقسم إلى عدد من السواقي أو المقاسم.[5]ويعطى لكل واحدة اسم خاص بها كما أسلفنا الذكر مع الواحات الخمس وحقوقها المائية. وفي حالة حدوث أي خلاف بين الشركاء تتم تسوية ذلك بالعودة إلى عقد أحداث الساقية.[6] ويراعى في كل ذلك القيام على هذه المقاسم بتنظيفها وكنسها. أما إذا انخرقت المقاسم وفسدت وذلك يحصل كثيرا نتيجة شدة تدفق السيول فإنه يتعين مراعاة شروط لتحويل المقسم من أعلى إلى أسفل، كما انه يجب المحافظة على مستواها العادي، وهو مستوى ميل الوادي، وكنسها إذا ما ارتفع عن هذا المستوى نتيجة تراكم الطمي، وإذا ما حصل انجراف أو وقعت ثلمة، فإن الأماكن المحفورة تحتاج إلى عملية الدفن وذلك عن طريق الجرف. ونظرا للحاجة إلى ضرورة تعهد المقاسم بالصيانة المتواصلة في بداية كل موسم، فإن هذا العمل عادة ما يوكل للأبناء والوكلاء والعبيد. أما ملكية هذه المقاسم فإنه يمكن تملك سهم أو أكثر من المقسم، وتنتقل ملكيته عن طريق الشراء والهبة

---

[1]-Capot-Rey .Op.cit. p 393

[2]- الملحق رقم01، وثيقة تاريخية مخطوطة تتناول قسمة الماء في قصبة بسكرة، رقم الملف 11، أرشيف ولاية قسنطينة، مؤرخة سنة 1220 هـ

[3]- الفرسطائي: المصدر السابق، ص 110.

[4]- المصارف وهي السواقي التي تنطلق من الوادي نحو المزارع أو هي الوحدة القياسية للري لأقل من خمسة مزارعين يوميا تتوزع بينهم حسب مكاييل معلومة. والمصرف لا يمكن أن يتجاوز نسبة استغلال مياهه الخمس أو الثمن أو العشر من صبيب المسقى أي عند التقاء المصرف بالوادي ويترك البقية لمن هو أسفله كي يأخذ نفس النسبة الخمس أو أقل، وهكذا دواليك. و من أراد صرف الماء من جانب الوادي، فله العشر من كل جهة وإذا فضل الشيء من الخمس فإنه يرد إلى الوادي ولا يمكن صرفه على أرض أخرى ما لم تكن عمارتها أي زراعتها من ذلك الوادي، وإذا لم يعلموا ما لكل واحد منهم من الماء فإنهم يسقون بها على التسابق والتدرج من الأعلى إلى الأسفل(7). راجع محمد حسن، المدينة والبادية.

[5]- المقاسم: وهي الوحدة الأقل التي تقسم الماء بين المجموعة المستفيدة وعادة ما تبنى المقاسم بصفة مشتركة بالحجارة والآجر والجص والجير كما تحتاج إلى مشاركة المعنيين بالأمر في صيانتها نتيجة قوة تدفق المياه. راجع هامش عنصر المقاسم من كتاب قسمة الارضين.

ومن خلال المقارنة بين مصطلحات كتاب قسمة الأرضين بالوثيقتين الذين عثرنا عليهما في ارشيف ولاية قسنطينة استنتجنا أن مصطلحات المصارف والمقاسم هي نفسها الواردة في كتاب القسمة. وهذا دليل على استخدام منطقة الزاب لنفس التقنيات المائية في افريقية والمغرب.

[6]- الونشريسي: المصدر السابق، الجزء 08، ص 37.

والوراثة.[1]هذا وقد شغلت هذه الوسائل كتب النوازل والفقه التي تعد من أهم المسائل الفقهية وهي قسمة المياه حول النزاعات التي كانت تحدث بين الأعالي والأسافل[2]والنزاعات بين أصحاب البساتين والارحية وأصحاب الحقوق والأسبقية، ومسألة التناوب في ملكية المياه والتعاون الجماعي على تحمل نفقات خدمة السواقي وعملية الكنس، وتغيرها.

ففي عملية المناوبة والشراكة في قسمة المياه: فيجيبنا الفرسطائي "وإما إذا لم يعلموا ما لكل واحد منهم في الماء ولم يدعوه بأجمعهم، فإنهم يسقونها -أي الأرض-على التسابق أي التناوب الأول فالأول، حتى ينتهي الماء على أسفلهم، ولا يجوز لأحدهم أن يصرف ما فضل من شربه من الماء إلى غير الذي تحته أي لا يجوز أن يصرف ما بقي من سقي أرضه الا للذي أسفله."[3] و جاء أيضا عن ساقية هي في أرض موات لا يملكها احد إلا أن بعض الأشخاص تعاونوا في حفر هذه الساقية و صرفوا فيها الماء فرد البرزلي: " فقد صاروا عندي في هذا الماء شركاء سواء و كأنهم موات أحيوه كلهم يتناوبونه بينهم فهم فيه شركاء يتداولون قسمته أي الماء بينهم إلى آخرهم"[4] وفي من احدث زراعة البقول و الخضر فمنعت الأسفلين من استيفاء حقهم ففي هذه المسألة الرد عنها " بان لا يقدم الأعلون على الأسفلين إلا بسقي الشجر ليس إلا و ما أحدثوه من الخضر لا يبدؤون بسقيه إلا أن يفضل عن الأسفلين شيء من الماء"[5]أي لا يسقي الأعلون الخضر التي زرعوها إلا بعد أن يكون الأسفلين قد سقوا شجرهم المتفق على سقيه بين الجميع، وما يفضل من مائهم يسقي به الأعلون بقولهم وخضرهم .

وفيما يخص عملية تطهير وكنس مجرى النهر أو القنوات أو المقاسم: فقد أجاب سحنون أنه:"إذا تعلق الأمر بقناة بين شركاء احتاجت إلى الكنس ورفض بعضهم المشاركة فيه وعمل الآخرون فإنما ما يزيد من فضل الماء عن قدر الماء كان لهم وحدهم إلا أن يعطيهم حصتهم من النفقة فيكون له من فضل الماء وعلى

---

[1]- الفرسطائي : المصدر السابق ،ص ص290 – 191.

[2]- الأسافل: يقصد به المجال الذي تحتله عالية النهر وسافلته. انظر كتاب قسمة الارضين، للفرسطائي.

[3]- االفرسطائي: المصدر السابق، ص 300.

[4]- البرزلي: المصدر السابق، ص 439.

[5]- المصدر نفسه: ص 426.

قدر حصته"[1] "وإن حدث في مقاسمهم ما يمنع الماء أو ما يخرجه منه، أو ما يرده على ناحية دون أخرى فإنهم يأخذون ويشتركون كلهم بنزع ذلك كله وإصلاحه". [2] ويكون طرح الكناسة وفق العرف الجاري ولكن لا يجوز طرحها على حافة النهر أو القناة إن وجدت سعة وقد كان "كثيرا ما تهيج الخصومات بينهم(الفلاحين)بسبب ذلك ويسقط القتلى"[3].

اما موضوع التنازع عن الماء فقد طرحت على الونشريسي مسألة فأجاب: " إن ثبت أن الماء الذي يسقى به القوم أملاكهم متملك فهو بينهم على الحظوظ التي يملكونها، لأنمن ملك حظا في ماء فهو في ماله كسائر الأموال وإن كان الماء المذكور غير ممتلك، وإنما هو من الأودية التي لا ملك عليها لأحد فحكمه يسقى به أعلى لا حق فيه للأسفل حتى يسقي الأعلى". ويلاحظ إلى عهد قريب أن السكان المقيمين على ضفاف الأودية لا يزال استغلالهم واستخدامهم لمياه هذه الأودية بنفس طرق الاستغلال التي كانت معتمدة قديما،

2-التصرف في حيازة مياه الآبار:

من خلال المعاينة الميدانية للمنشئات العمرانية ببلدة خنقة سيدي ناجي وجدنا العديد من الآبار في حالة سليمة متقنة البناء سواء بمسجد سيدي لمبارك أو السرايا(لوحة47،صورةأ)(لوحة48،صورةد)أو مسجد سيدي عبد الحفيظ الخنقي أو منزله كما وجدنا العديد من المنازل بالبلدة تحتوي علي بئر خاص بها أما مكان حفرها فهو يتوسط الفناء آو الصحن أو ما يعرف بوسط الدار (لوحة58،صورةد،و) أما عمق هذه الآبار فيتراوح ما بين 10م و12م و قد أشار البكري لما ذكر تهوذة حيث أشار إلى أن بمدينة تهوذة "....بئر لا تنزف أولية وآبار كثيرة وحولها بساتين كثيرة من أصناف الثمار وضروب البذر"[4] ولم يسم هذه البئر أو اسم مكانها أو طرق استغلالها لكن من خلال هذه الإشارات العامة نستطيع أن نقول أن إقليم الزاب كان على

---

[1]- بن سحنون: المصدر السابق، الجزء 04، ص 376.

[2]- الفرسطائي: المصدر السابق، ص 292. أيضا الونشريسي، المصدر السابق، الجزء 08، ص21.

[3]- الحسن الوزان ليون الإفريقي :المصدر السابق،139.

[4] المصدر السابق، ص 255.

الأقل في عهد البكري كثير الآبار ومن نوع الآبار التي لا تنزف، أي هي كثيرة المياه ويدل على ذلك كثرة البساتين والمزارع من مختلف الأصناف على عكس ما أصبحت عليه تهوذة اليوم واغلب مناطق إقليم الزاب.

ثالثا. طرق استعمال آلات السقي والري:

يعتبر توفير وإيجاد الوسائل لرفع المياه من مصادرها المختلفة ليستخدمها الإنسان في حاجاتها المختلفة من الأهمية الكبيرة، و ما لمصادر المياه أيضا من أهمية خاصة في المناطق الصحراوية والسهوب. إذ تبرز المشكلة بحدة، ولذلك فقد وجدت عدة حلول برفع الماء خاصة من الآبار لتغطية الاحتياجات الملحة مثل الشرب وري الزراعة. ورغم الاختلافات البسيطة في أسماء هذه الآلات من إقليم لآخر إلا أن الوظيفة والهدف كان واحد. ومن المعروف أن الحل والطريقة الأبسط والأسهل لسحب الماء من البئر، هو أن يربط الإنسان حبلا في دلو وينزله فيها ليسحب الماء. والطريقة الأكثر تطورا والأكثر شيوعا هي أن يستعين بالبكرة لجذب الماء من البئر ويبذل فيها الإنسان جهدا أقل وبوقت أسرع .وهذا ما وجدناه في بعض المنازل ومسجد سيدي عبد الحفيظ (لوحة64صورةج)كما وجدنا آثار طاحونة مائية بقرية ليانة تشتغل بمياه الساقية في طحن الحبوب، بالإضافة إلى أن منطقة الزاب كانت طريقا تجاريا ودينيا نحو المشرق، فالأكيد هو انتقال هذه التقنيات مع القوافل التجارية والعلمية وقوافل الحجيج. فحيثما كان الأمر ممكنا، كانت الآبار هي التي تلبي حاجات الري وكذلك الاستهلاك العائلي لذلك فإن أشهر آلات الرفع التي تكون قد استخدمت في الزاب هي:

1:السانية[1].

ويبدوا أن استعمال السانية أو الدولاب قد استعمل في بلاد المغرب منذ زمن ليس بالقريب إذ تحدث البكري عن الآبار بالدولاب بأفريقية كالمهدية وتونس في العصر الفاطمي.

بالإضافة إلى ما أشارت إليه الوثائق التاريخية التي أشارت إلى استعمالها في قصبة بسكرة، حيث ورد ذكر كلمة رحاء القايد -أو السانية -في باب شان ما يحتاج إليه القصبة، وأهل السوق من الماء. كما ذكرها العياشي في رحلته لما تكلم عن قصبة بسكرة. ويتضح لنا من هذا الدليل أن استعمال السواقي والدواليب لم يكن أمرا طارئا جديدا على الزاب بقدر ما يدل على أن هناك تقاليد قديمة راسخة في القدم.

ثانيا: آبار البكرات والجر بالحيوان، وتسمى أحيانا آبار الدلاء أو آبار المترجحات، واشتهر هذا النوع في واحات ميزاب المعروفة بآبار الجر الحيواني، ويظهر في تجهيز تلك الآبار ميزتان وهما بناء ركيزتين لتتحمل قوة جهاز الاغتراف[2]

2: الغرغاز: أو الغراغيز وهو نوع من الآلات الرافعة ذات الرقاصات والتي تطلق عليها أيضا في مصر الشادوف[3]، وتعرف أيضا محليا بالخطارة، وتتكون من ساريتين مصنوعتين من الخشب أو من مادة أخرى، بينهما قضيب أفقي مصنوع من خشب جذوع النخل يكون بمثابة نقطة ارتكاز للرافدة الخشبية، التي تدور بالتعاقب وتقسمها بالتقريب إلى نسبة 1,2، وفي نهاية ذراعها القصير يوجد ثقالة من الحجر أو

[1] ويطلق عليها أيضا الدولاب و الناعورة في جهة واد ميزاب بالجزائر وهي الآلة التي يجرها الحيوان أو إنسان لسحب الماء من البئر عن طريق بكرة أو جرار. وتتكون الناعورة من عصا عمودية مربعة الشكل تسمى المرود الواقف، الذي يدخل في الأعلى في عصا أفقية تسمى الباسط مثبت في قرص البئر، و أما في الأسفل فإن المرود الواقف يرتكز على خشبة أو حجرة تسمى الوسادة، يربط الحيوان بعصا مثبتة في الحدود الواقف يرتكز على خشبة أو حجرة، تسمى الوسادة يربط الحيوان بعصا مثبتة في المرود الواقف تسمى السيف أو التمون، وتتكون العجلة الأفقية أو الدور من دائرتين مضبوطتين بعوارض أفقية تسمى الصليب مثبت وتسمى المغزل الواقف انظر القفصي عبد الحكيم،"الناعورة بتونس"، المؤتمر الحادي عشر للآثار،تونس،1988(مطبوعات الالسكو)، ص ص206-207.

[2] والطريقة تعتمد على أسلوب حاذق يعوض الجر العمودي للإنسان بالجر والسحب الأفقي للحيوان، من بغل أو حمار أو جمل. ويلزم هذه الطريقة لتكتمل دلو مفتوح من احد جهتيه كالسطل، وينتهي في الجهة الأخرى بأنبوب ويركب مع الأنبوب المرفوع بواسطة حبل زالق على بنكرة، وعندما يصل الأنبوب إلى مستوى الأسطوانة التي وضعت تحت البنكرة فيرتد ويتدفق الماء في الحوض.

[3] - برونشفيك : المرجع السابق، ص 219.

الطين التي ترفع الدلو بكامله، والذي هو معلق بواسطة حبل مثبت في نهاية الذراع الطويل للرافدة[1]. ويتم العمل بها عن طريق دفع الذراع أو الحبل إلى أسفل وينزل الدلو إلى الماء بعد ذلك. فان الثقل الموازن للدلو يقوم برفعه ويمكن أن تجهز الآبار بمترجحتين أو ثلاث ليكون مردودها أفضل[2]. ليتم إفراغ الدلو بعدها في حوض خاص بذلك ليتم استغلالها.[4] مع العلم أن استغلال هذه التقنية هو مخصص استعمالها فقط للآبار قليلة العمق بحيث ينتشر هذا النوع من الآبار في المناطق الجنوبية، وأيضا في منطقة التخوم الأوراسية[3]، خاصة على ضفاف وادي العرب حيث تكون الطبقة المائية قليلة العمق حيث أشار" VILLE(M)"عام 1861على استخدام مزارعي قرية زريبة الوادي عين الناقة وزريبة حامد لطريقة الخطارة لاستغلال المياه في سقي النخيل[4].

3-طرق استغلال مياه العيون:

استغل سكان المنطقة مياه العيون في مختلف المجالات نستشف ذلك من وصف البكري مدينة بادس بأنها تتألف "حصنين لهما مزارع جليلة يزدرعون بها الشعير مرتين في العام على مياه سائحة كثيرة عندهم" فجملة "مياه سائحة كثيرة عندهم" وفق تخميننا قد تكون هذه المياه السائحة مصدرها بالإضافة إلى مياه الوادي فقد يكون أيضا مياه العيون خاصة وإذا علمنا أن المنطقة قد عرفت تقنية استغلال السدود، هذه الأخيرة التي تحدد عودة ظهور المياه المشربة في الطمي في شكل عيون اصطناعية. ويمكن عندها جر مياه هذه العيون لاستخدامها في ري الزراعة، خاصة وأن منطقة الزاب الشرقي قد حظيت بانبثاقات مائية استغل العديد منها بعين المكان، ويجر الباقي إلى بساتين النخيل الواقعة في الأسفل، حيث جلبت المياه في قناة كبيرة حتى الواحة، ثم توزع في أحواض تملأ ليلا وتفرغ نهارا. والمنسوب وافر ومنتظم ولكن

---

[1]- احمد يوسف الحسن: دونالد هيل، المرجع السابق،ص77.

[2] -Capot-Rey، Op.Cit . P 322.انظر:احمد يوسف الحسن، دونالد هيل المرجع السابق، ص77

[3]- برونشفيك: المرجع السابق، نفس ص.

[4] -Ville، Op.cit. , P 261.

أيضا عبد الله الركيبي: الجزائر في عيون الرحالة الإنجليز، دار الحكمة، الجزائر 1999، ص 53.

طول القناة المكشوفة يؤدي إلى خسائر معتبرة بسبب التبخر وتبقى أهم العيون هي التي تظهر في مجاري الأراضي لكنها منسوبها متغير وغير ثابت من عيون السفوح الجبلية، كما أنها تحتاج إلى إصلاح بعد كل فيضان"[1].

رابعا-شبكة جلب الماء وتخزينه وتوزيعه:

إن المعلومات التي زودتنا بها المصادر الجغرافية والتاريخية العربية، حول أصل الشبكة المائية في بلاد المغرب الإسلامي عموما، لا تتجاوز بضع إشارات عابرة يتكلم فيها الرحالة أو الجغرافيون عن وجود القنوات والصهاريج أو الجباب أو المواجل عند وصفهم لأهم المدن أو القرى أو التجمعات السكانية الصغيرة. هذا عند الكلام عن المغرب بصفة عامة فما بالك إذا كان الأمر متعلقا بالزاب !؟ ودون أن ننسى أيضا دور العوامل الطبيعية المختلفة، التي كانت كفيلة بردم معالم، وإزالة خطط معظمها. لأن مادة البناء في الفترة الإسلامية كما هو معروف كانت في مجملها من الطوب الذي لا يقاوم عوامل الزمن .

ونظرا لأهمية الدور الكبير الذي تلعبه الفيضانات بسبب عدم انتظام التساقط، ونقصان المطر الذي يشكل القاعدة العامة لأي نشاط زراعي اقتنع سكان خنقة سيدي ناجي بضرورة امتلاك منشآت موضوعة بطريقة تجعلها قادرة على توزيع وتخزين مياه السيول قبل اختفائها في الأرض النفوذة، فإن أهل أي منطقة، وفي ظل هذه الظروف فهم يفضلون استعمال ماء الأودية والسيول للري، والاحتفاظ بمياه العيون والآبار القليلة للشرب. ففي منطقة الزاب الشرقي الذي تكثر فيه السيول النازلة من جبل الأوراس، ويتلقى منسوب مائي من المطر لا بأس به خاصة في واحات كالخنقة و ليانة، وبادس على التخوم الأوراسية فالأكيد أن أهالي هذه القرى سيوظفون كل جهدهم لاستغلال هذه المياه النازلة. لذلك قامت في هذه التخوم الأوراسية سياسة زراعية رائعة شهد لها كل من المؤرخ اللاتيني بروكوب والبكري والإدريسي بأنها كانت تزرع لمرتين في الموسم الواحد، على عكس أيامنا هذه، رغم أن هذه التقاليد

[1] Capot-Rey: Op.cit . Pp318-319.

الزراعية لا تزال مستمرة اليوم، لكن ليس بالفعالية والنشاط الذي كان في السابق. ورغم ذلك فقد وجدنا في الإقليم المدروس شبكة لنقل وتوزيع وتخزين المياه أعطت لنا انطباعا على ترسخ تقاليد زراعية قديمة في المنطقة. ويمكن حصر هذه الشبكة المائية في مايلي:

أ -قنوات جلب المياه:

لعل النمط والتقنية المائية المثيرة للإعجاب والدهشة، والتي لا يمكن لأي باحث في هذا المجال ان يعتمد على دراسته النظرية دون الوقوف عندها عيانا، هو النموذج المائي المدهش والذي يسميه السكان الحاليون بمصطلح "القنارية"، والذي اعتبره كل من الباحثينBaradez " وBerbent"كنموذج للفقارات القديمة، والتي تنتشر اثارها وبقاياها على ضفتي وادي العرب شمال واحة ليانة، وجنوب واحة بادس. ومن خلال استطلاعنا ووقوفنا الميداني على هذا النموذج وجدنا بعض من هذه القناة الجوفية أو الفقارة، والتيهي عبارة عن سلسلة من الآبار المجتمعة فيما بينها، ومرتبطة بنفق ارضي تحتوي على حوالي 32 بئرا متقاربة فيما بينها تقع على مسافة 02 كلم، وتبتعد عن حافة الوادي أو على الضفة اليمنى بحوالي 36 مترا. وان كان من المعلوم أن مجرى الوادي قد اتسع مع مرور الزمن، فإننا لاحظنا على كامل ضفتيه، وكنتيجة لعوامل التعرية المائية انكشاف نفق ورواق هذه القناة، حيث لوحظت العديد من الحفر، قد يكبر حجمها لتصبح عبارة عن كهف أو مغارة كبيرة يزيد ارتفاعها وعرضها عن المتر والنصف. (لوحة65،صورة و)و يجدر بنا أن نذكر اتجاه هذه النفاسات أو الآبار، وهو دوما من الشمال إلى الجنوب لارتفاع المنطقة الشمالية عن الجنوبية، وهذا الاختلاف في ميلان سطح الأرض، بالإضافة إلى تعرج القناة الباطنية وبمساعدة الجاذبية الأرضية ستندفع المياه بقوة من المصدر المائي إلى أن تخرج على سطح الأرض باتجاه منطقة الاستغلال الزراعي. بالإضافة إلى ذلك فان تلك الآبار أو الفوهات التي عايناها، والتي طمرت تظهر الآن للرائي على شكل منخفض على جانبيه كومة بيضاوية من بقايا الأتربة. طولها يتراوح ما بين 10 و13متر وعرضها يزيد عن05متر، وعمقها يزيد عن المتر ،علما أن وظيفة هذه الفوهات كان لأجل تفادي الرطوبة التي قد تسبب في هدم جدرانها، وبالتالي سقوطها ومنه انسداد الرواق أو

النفق، وتكمن ايضا فائدتها في تجنب الاختناق- لقلة الأكسجين- لما يراد كنسها وتنظيفها (صورة 42 د) ،وكذلك تختزل الجهد والوقت عند إنشائها رغم المخاطر الأكيدة على حافرها – وقد قيل لنا انه قديما مات تحت أنقاضها 40 رجلا- و ينبغي الذكر أن هذه الفوهات أو الآبار المكونة لهذه القناة الأرضية قد تترآى للناظر من الخارج على أنها في نفس المستوى و في نفس الاستقامة إلا أن من يلج أغوارها من الداخل يلاحظ على أنها ليست على نفس الاستقامة ويلاحظ أيضا الانحدار الذي تميل به الآبار كما اسلفنا الذكر.

ب-منشآت التخزين:

1-المواجل و الصهاريج :(لوحة65،صورةد)(لوحة65،صورة ب)

ونظرا لغلبة الطابع الصحراوي في الزاب كما سبق ذكره فانه كان لا يرجى من تجميع المياه في برك عظام من أي فائدة، نظرا لقلة الأمطار وسرعة التبخر فيها. فكان يأخذ بعين الاعتبار عند بنائها طبوغرافية الموقع، والحاجة إلى مكان متخصص يسهل جريان السيول نحو الماجل، ولا يكون في منطقة انتشار السيول التي قد تكتسحه مياهها إذا فاضت جوانبها لذا دأب المهندسون على إقامة المواجل خارج مناطق العمران حتى لا تغمر الفيضانات الدور والمساكن.

وميدانيا فقد لاحظنا وصول مؤثرات المواجل الأفريقية إلى الخنقة وليانة إذ عثرنا على نموذجين من المواجل تسمى محليا فسقية، يتغذيان من مياه واد العرب عبر السواقي الموجهة إليهما ولاحظنا أن لها طاقم متكامل من حوض للتخزين وحوض للتصفية. فأما ماجل الخنقة فوجدناه في احد البساتين الواقعة في داخل القرية القديمة على الضفة اليمني من الوادي ويتمون من ساقية محرز أما ماجل ليانة فهو على الضفة اليسرى للوادي بكامل أطقمه وفي بادس لم نعثر على أثر مادي لهذا النوع من المنشات لكن حسب ما أفادنا به أحد السكان المحليين فقد وجدنا ماجلين توقفنا عندهما ويبدوان كبرك مائية طبيعية قديمة، تمتلئ عند جريان السيول الموجهة إليهما، لكن اندثرت اغلب معالمهما، وهذا طبعا بتأثير العوامل الطبيعية المتعددة. لكن ونظرا لتداول السكان لمصطلح الماجن أو الماجل فهذا يؤكد لنا معرفة

سكان المنطقة لهذا النوع من منشئات التخزين واستخدامها قديما. و يعتمد حكم التصرف في مياه المواجل والصهاريج و الأحواض، على اعتبار" كل ما احتقره الرجل في أرضه أو داره منها يريده لنفسه فهو أحق به يتصرف فيه بحرية و يمكن بيعه"[1] وحريم الماجل خمسة أذرع من سعة أسفله وليس في فمه يحسبون خمسة أذرع أي يتم حساب حريم الماجل ابتداء من أسفله إلى من أعلاه لأنه غالبا ما تكون قاعدته أوسع من أعلاه" [2]، ولا يبدوا كما قلنا سابقا أن تقسيم مياه المواجل والصهاريج ذات الملكية العامة والخاصة يخرج عن الإطار العام للأحكام الشرعية الإسلامية، فمن خلال تحققينا الميداني وجدنا أن مياه المواجل والصهاريج، يتم قسمة مياهها وفق نظام دقيق وصارم ترجع في أصولها إلى قرون مضت ولا يزال يتم العمل به إلى يومنا هذا حيث تخزن مياه العيون، والسيول في الصهاريج أو الماجل الذي يكبر أو يصغر حسب حجم المائي، حيث تجمع المياه ليلا ليفتح الصهريج نهارا لعملية السقي ويلاحظ أن تقسيم المياه التي تخزن تقسم إلى حصص:

فالتقسيم العام: يكون على حسب القبائل الموجودة في الواحة أو القرية، ويحدد ابتداء من شهر الخريف إلى نهاية مارس.

التقسيم الخاص: يستمر من 28 مارس إلى نهاية الصيف، حيث تزداد حاجة النبات للمياه اذ يصبح نظام القسمة أكثر دقة، حيث تحدد قسمة كل فرد بمساحة ملكيته أي بمعنى إذا كانت مساحة الملكية كبيرة، تكون الحصة أيضا كبيرة والعكس صحيح بالنسبة لمساحة الملكية الصغيرة. وتقسم الفترة اليومية من حيث استغلال مياه الصهريج إلى أربع فترات:

الفترة الأولى: من فتح الصهريج إلى وقت الضحى .

الفترة الثانية: من وقت الضحى إلى منتصف النهار

الفترة الثالثة: من منتصف النهار إلى وقت العصر.

---

[1] الفرسطائي : المصدر السابق، ص 543.

[2] الفرسطائي: المصدر نفسه، ص 547.

الفترة الرابعة: من العصر إلى غروب الشمس، حيث يغلق الصهريج و يلاحظ أن الفترة الليلية لا تستغل لعملية التوزيع، حيث تكون هذه الفترة مخصصة لتجميع، وملئ الصهريج بالمياه فقط لأن الاستغلال الليلي للمياه إن حدث يعرضها للضياع لانعدام الرؤية، حيث لا يستطيع المكلف بتوزيع الماء من توخي الدقة ومعرفة أماكن وصول المياه، ولا يستطيع التمييز بين الحصص المائية المخصصة لأصحابها، وإلا اختلطت الأمور وحدث التنازع والخصام لذلك، ودرئا لأي خصومات أو منازعات بين الأطراف المستغلة للمياه، فإنه يعمد إلى تسجيل كل الحصص ودوراتها بأسماء أصحابها على لوحة خشبية، أو توثق وهذا بتكليف شخص مسؤول يسمى حارس الماء أو مصرف الماء أو كيال الماء، ويكلف أيضا بمراقبة أدوار استغلال مياه الماجن، أو الصهريج طوال السنة من طرف مجلس أعيان المنطقة، ويشترط فيه أيضا أن يكون عارفا بأدوار الأوقات والحصص المائية من الدورة الزمانية، وهذا التكليف يتقاضى عليه أجرا معينا لكل سنة لقاء عمله يدفعه له الملاك وأصحاب الماء نقدا أو حبوبا.

2-استغلال الصهاريج الطبيعية :(لوحة65،صورة د)

بالإضافة إلى الصهاريج والمواجل التي حرص إنسان المنطقة على بناءها و تجهيزها، ينبغي الإشارة إلى ما يمكن تسميته بالصهاريج الطبيعية. فجريان المياه السطحية أو السيول التي يمكن أن تتجمع في المنخفضات المغلقة، والتي يتغير موقعها و محيطها في كل فيضان حسب قوة و استمرار تدفق المياه أو انقطاعها يسمى محليا "بالظاية" [1]، وقد يمتلئ مجرى الوادي فجأة خاصة بعد الفيضان، و تبقى كمية من المياه في القلت أو الغدران، فتحجز مياهها لمدة أطول أو بتغطيتها تصبح ماجلا يتزود به لشرب قطعان الماشية، والشيء الملاحظ أن مياهه غير كافية للزراعة وعلى العكس إذا أمكن من سد مجرى الوادي عندئذ يصبح بالإمكان حجز كميات معتبرة من الماء تستخدم لري الزراعة. أما "Ville" فيخبرنا أنه " في شتاء سنة 1860- 1861الجاف الزم أهالي واحة بادس وليانة، أن يشربوا من بركة ماء راكدة وماؤها جد

[1] Capot-Rey .Op.Cit .p 13.

رديء وممقوت"[1]، وقد كانت غالبية هذه الأحواض، والصهاريج الطبيعية مهمتها تندرج بالدرجة الأولى لتأمين الحاجيات المائية للإنسان المحلي في وقت الحاجة، وكذا لتربية المواشي بكثافة. وبعبارة أخرى فهي مساعدة لصناعة رعوية كثيفة التي تعتبر القاعدة الأساسية للنشاط الاقتصادي في المناطق السهبية[2].

القنوات والسواقي:

القنوات والسواقي قد تم إنشائها بمنطقة خنقة سدي ناجي بنفس الطريقة القديمة، وهذا بحفر الأرض ثم تستخرج بعدها الأتربة من مكان الحفر ويوضع على الجانبين، ويتم ربط هذه السواقي من مصدر المياه إلى محل الاستغلال، وهي الحقل أو البستان فمن خلال التصوير الجوي لمنطقة بادس (لوحة65،صورة أ.ج) تظهر لنا قنوات السقي متفرعة وكلها تصل بطريقة جانبية إلى المنطقة المستخدمة، حيث أن كل الفروع من السواقي تكون متواجدة بعضها فوق بعض، والتي عادة تأخذ مصدرها المائي من ساقية أو ساقيتين لتتفرع بعدها باتجاه البساتين المخصصة لأصحابها[3].وعادة ما تكون هذه السواقي مفتوحة على الأراضي الزراعية، ومغلقة بحجارة متقاربة عند الحقول وهذا تجنبا للتبخر أو التلوث أو حتى لسرقة المياه. وهذه الفروع من السواقي متساوية تقريبا في كل مكان ما بين 30.0 م و35.0 عرضا و40.0 م عمقا، وتختلف مصادر تموينها المائي ما بين الينابيع كبيرة الدفق أو التي تأخذ مصدرها من مجرى الوادي و سدوده كما أسلفنا الذكر[4].

و قد لاحظ "Capot-Rey" أن الأودية التي تستقبلها الصحراء، مجاريها في العادة بارزة بين الحافتين، وهي سهلة الجر بغرض الري، و يتم حبس مائها إما بواسطة حاجز بسيط وإما بإقامة سد بجذوع النخيل و الأحجار، و منه يدفع الماء في قناة من طين تسمى الساقية يكون انحدارها أقل من انحدار مجرى الوادي، بحيث يجري فيه الماء بعد حفر بسيط إلى الأرض المراد ريها، وعندما يكون الماء متوفرا في فصل الشتاء

[1] Ville. (M), OP. cit, p 261

[2] Solognac .Op.cit. p 383.

[3] Baradez. Op.cit. p 165.

[4] Berbent :Op.cit. .p 187.

يأخذ كل واحد من الناس كفايته من ماء الساقية، وفي الصيف عندما تشح المياه يضطرون إلى قسمتها، ويكون الحق لكل منهم في كمية مناسبة لمساحة أرضه [1]. ونظام الري بالساقية هذا هو الوحيد الذي لا يزال مطبقا لحد الآن كما لاحظنا. ويعد نظام السدود والسواقي من خصائص السفوح الصحراوية، وهذا ما لاحظناه في الوادي الأبيض، حيث أن واحات الزاب الشرقي تهوذة وقرطة وسريانة وسيدي عقبة تأخذ مياهه من السد الذي أقيم على هذا الوادي، والذي يسمى بسد فم الغرسة. ومن هناك ترسل مياهه في ساقية كبيرة نحو واحات السهل. ويقسم منسوب مياه الساقية في فترة الوفرة شتاءا وربيعا بين الأراضي المزروعة والواحات، وفي وقت الجفاف يحجز كل الماء في الواحات وعندما يكون الماء الواصل إليها لا يكفي لسقيها، يتفق الملاك فيما بينهم على بيع مجموع المنسوب المتوفر، وقد تفيض المياه عن مصب السد الكبير أثناء فيضان ما، فيجهز لحجزها بسد مؤقت وتقسم هذه الزيادة من الماء على كل السكان الذين شاركوا في بناء السد، سوآءا كان لهم نصيب من ماء السد الكبير أم لا ، مع أن هذه الفيضانات للأسف لا تأتي في الصيف عندما يكون الناس في أمس الحاجة إليها[2]. وأشهر السواقي هي الموجودة بخنقة سيدي ناجي، والتي عرفت قديما ستة سواقي تأخذ وتحول مياهها من الوادي بواسطة ستة سدود، وكان لكل ساقية لها شيخ يقوم بدور المراقبة وتقسم مياهها على بساتين الخنقة و الزاب كل حسب دوره والجدول الذي امامنا (جدول رقم:22)[3] يوضح لنا ذلك:

[1] Capot –Rey:Op.cit. p 311.

[2] Capot –Rey : Op.cit .p 313-314.

[3] Etude sur les ressources hydrologique du Zab chergui. Op.cit.P22.

اسم الساقية	تاريخ إنشائها	طريقة التقسيم	مصدر مياهها
ساقية الغديرة	سنة1175هـ	اثنين وعشرون يوما من كل شهر	واد العرب
ساقية قطع الوادي	1114هـ	خمسة عشر يوما	واد العرب
ساقية موسى	/	تسعة أيام	واد العرب
ساقية الجرعة	1111هـ	ستة أيام	واد عمار- واد العرب
ساقية محرز	1111هـ	اثنين وعشرين يوما	واد عمار- واد العرب
ساقية الطبة	/	خمسة أيام	واد العرب
ساقية فيض السلة	1239هـ	/	واد العرب

جدول رقم:22 اهم السواقي القديمة بناحية خنقة سيدي ناجي

وللعلم أن أهم هذه السواقي هي ساقية محرز التي يستمر جريان مياهها من عالية الخنقة إلى غاية زريبة حامد مرورا بواحة الخنقة، لتسقي بلاد جناح لخضر. وهي ارض واسعة كانت لإنتاج القمح والشعير، وتعتبر هذه الأرض المحطة الأولى لشمال قرية الخنقة القديمة على بعد10 كلم، وتعود شهرة هذه الساقية إلى أنها كانت قديما سببا في العديد من الخصومات بين الخنقة وسكان الزاب– ليانة وبادس- على مياهها. (شكل64) والجدير بالذكر أن إنشاء هذه السواقي كان يلقى معارضة شديدة من طرف أهالي قرية ليانة المجاورة على اعتبار أن إنشاء هذه السواقي يحرمهم، وينقص نصيبهم من مياه وادي العرب.

في الأخير إن مشاهدتنا الميدانية لشبكة المياه الحالية تجعلنا ندرك أننا أمام تقاليد زراعية لا تبدو أنها وليدة اليوم أو الماضي القريب بل هي تعود إلى فترات بعيدة متوارثة جيل بعد جيل.

1لعبت الظروف الطبيعية دورا مهما في جلب الثروات الزراعية، كالغابات الكثيفة بالأوراس التي كان لها دورا مهما في جلب الأمطار لتتحول إلى سيول وأودية انتفعت بها الأراضي الزراعية لمنطقة الزاب الشرقي في

العهود القديمة، ورغم ذلك كان لابد من توفير الدعم المائي لقيام الحضارة واستمرارها في تلك المناطق التي أضحت اليوم أراضي بور، ولأجل ذلك درجت السياسات المائية – منذ القدم- إلى استقطاب كل نقطة ماء وعملت على تحويلها إلى إنتاج عن طريق توجيهها بواسطة منشآت مائية مرة للتحكم ومرة أخرى للتوزيع و الاستغلال .

2 لم تنجز هذه الأخيرة هباء، فمن خلال دراستنا لهذه المنشآت بمنطقة خنقة سيدي ناجي ومقارنتها مع بعض المنشآت المثيلة لها كالتي درسها بيربنت في منطقة الشرق الجزائري من جهة، وكذلك من خلال ملاحظة براديز لكثافة وانتشار أعمال الري على امتداد إقليم حيوي، شهد ازدهار الزراعة وجودتها في الفترات القديمة، أو الدراسة التي قام بها سولينياك في السباسب التونسية، التي تتشابه في ظروفها المناخية لمنطقة الزاب قد يجعلنا نفترض انه كانت تقام دراسات مسبقة لمختلف مشاريع البناء السكنية و المائية. فيظهر هذا من خلال مختلف شبكات الري (الفلاحية منها خاصة)، فجاءت تخطيطات التوزيع انطلاقا من مهبط الوديان إلى غاية إيصالها إلى المنشآت الفلاحية، أو القرى الصغيرة المتاخمة لها كماء صالح للشرب على نفس النمط المستعمل في المناطق الجنوبية، وهذا ما يعلل التشابه في هندسة المنشآت المائية، فليس من الصدفة أن تتشابه مجموعة السدود والقنوات التي وجدت بإقليم الشرق الجزائري، مع التي وجدت بتونس او حتى ليبيا فكلها بنيت بنفس الأجزاء، بدءا بالجدار الحاجز (للسد مثلا) ثم الجدران المنحرفة التي تسهل دخول الماء من جهة، والجدران التعويقية التي تبطئ وتخفف من شدة ضغط دفع المياه من جهة أخرى. بالإضافة إلى الصهاريج التي تخزن فقط بل تصفي الماء من الأتربة والعوالق ليخرج، بعدها عبر قناة رئيسية للتوزيع، كما يتخلل مسار هذه الأخيرة قنوات فرعية وخزانات ثانوية، إذ ربما كان تأثيرها شاملا حيثما كان أصلها.

4 تظهر مصادر التغذية المائية في منطقة خنقة سيدي ناجي في ثلاثة أشكال:

- مياه الأمطار ومياه المجاري السطحية والمياه الجوفية والمتمثلة في الآبار والينابيع.

- ومن بين أهم هذه المصادر مياه الأودية، وأهمها وادي العرب والذي يتمون كما عرفنا بمياه الثلوج والأمطار المتساقطة من أعلى قمم ومرتفعات الجبال الأوراسية لتسقي بها العديد من واحات الزاب الشرقي التي يستقر أغلبها على ضفاف هذه الأودية مثل واحة و بادس ليانة.

- **الخلاصة:**

مما سبق نخلص إلى نتيجة، وهي سكان خنقة سيدي ناجي قد استعانوا ببعض التقنيات الرومانية كحلول مؤقتة لنقص المياه التي تشهدها المنطقة، رغم أن اغلب المنشآت الرومانية السابقة لم يبق منها إلا الإطلال، لكن ومع الوقت مع مصادر المياه بطرق وجيهة و منطقية تعمل على تحدي طبيعة قاسية خاصة في المناطق الصحراوية و الشبه صحراوية، فصنعوا الوسائل التي ترفع مياه الاودية إلى الأرض بطرق يسيرة من جهة، وتفننوا أيضا في إيجاد البدائل عن الأمطار في فترات انقطاعها، وذلك بصنع الأدوات المختلفة الحافظة للمياه من جهة أخرى، كما اخذوا منذ القدم على عاتقهم الثقافات المختلفة و القدرة التقنية الناجمة عن المهارات المتنوعة من بقعة إلى أخرى وتتناسب التقنيات المائية المتخذة عادة مع العوامل المناخية و التضاريس الطبيعية ونوعية الطبقات المائية وتوزيع مياه الأمطار حسب الفصول و الأعوام، و من ابتكار ما يعرف بالمواجل كحل لتجميع اكبر قدر ممكن من المياه، وتوزيعه فيما بعد وفق مبادئ الشرع الإسلامي، لقسمة المياه بين الجماعات الزراعية فيما بينها لأجل الحصول على هذا العنصر الحيوي وهو الماء، بالإضافة إلى أن هذه التقنيات المائية المستخدمة حاليا والتي رأيناها، والتي تهدف في مجملها إلى اختصار وقت وجهد الإنسان، جعلتنا أمام تقاليد زراعية محلية وإسلامية بحتة. وان كان الاختلاف حول مصدر هذه التقنية، إلا أنها تنبأ أن أهالي المنطقة، قد استخدموا مختلف التقنيات لحل مشكل عويص، وهو ندرة الماء أمام طبيعة قاسية للغاية. وان وجدت هذه المادة فقد كيفوها عند استخدامها بالرجوع إلى القانون الإسلامي الدقيق درئا إلى أي خلاف قد يحدث. ورغم أننا لم نجد الكثير من آثار وبقايا المنشآت المائية، ولحسن حظنا قد بقي بعض منها وهذا راجع كما هو معروف لاختلاف مادة

البناء بين الحضارتين. إلا أن التصوير الجوي لبراديز"Baradez "وما ذكره البكري دليل على تحقيق المنطقة للاكتفاء المائي.

ومن خلال الوضع الجغرافي والطبوغرافي والجيولوجي الذي يتميز به الزاب عامة، وخنقة سيدي ناجي خاصة. أعطى لها وضعية سيئة من حيث تذبذب التساقط والتدهور لمنسوب مياه الينابيع والعمق الكبير للآبار الارتوازية وقلتها، هذا ما جعل أهالي المنطقة في وضعية في غاية الصعوبة ما دفعهم إلى الاعتماد الكلي على مجاري السيول والأودية وانتظار مواسم فيضاناتها للاستفادة أكثر ولمدة أطول بمياهها، ولم يتأتى لهم ذلك إلا باستغلال الإمكانيات المتوفرة والبحث عن أهم الحلول الممكنة والناجعة لمواجهة هذه الظاهرة الصعبة وهذا بابتكار أنجع وأنسب الطرق وأهم التقنيات المائية لاستغلال مياه هذه الأودية وكانت هذه مهمة جميع الأجيال المتعاقبة على هذا الإقليم.

الفصل التاسع: المجتمع الخنقي

- تمهيد

أولا: العناصر البشرية.

1 -القبائل

2-الأنشطة الاقتصادية بخنقة سيدي ناجي

- -الزراعة:
- -الحركة التجارية:

3 -الحركة العلمية والفكرية بخنقة سيدي ناجي

- -فنون العلم والمعرفة:
- مناهج التعليم بقرية خنقة سيدي ناجي:
- طرق التعليم في المدرسة الناصرية
- - الأدوات المستعملة في التدريس:

4 الدور الاجتماعي لزوايا الخنقة:

- نتائج البحث

- **تمهيد**

ولم يكن من السهل علينا التعرف على تاريخ استقرار هذه القبائل والحدود الحقيقية التي تحتلها كل قبيلة وكل فرع منها في خنقة سيدي ناجي فبعد استقرار مؤسس الزاوية سيدي ناجي مع أسرته وأتباعه بالمنطقة تأسيسه لزاويته لا شك أن المنطقة شهدت توافد العديد من الأسر والناس للاستقرار بها خاصة وان المنطقة أصبحت منارة للعلم إضافة لدورها كزاوية وقد استقرت بها العديد من القبائل وتوزعت علي القصر، ومهما يكن فأن هذه المعلومات ما زالت في حاجة إلى الدراسة و البحث لمعرفة الأوضاع في الفترة القديمة

أولا: العناصر البشرية.

فبعد التمازج الذي حصل للمجتمع الخنقي عبر الزمن من خلال الهجرات المتتالية للقبائل الوافدة من مختلف المناطق، فتكون للمجتمع روابط مشتركة من العادات والتقاليد، تتميز بقيم اجتماعية ثابتة نابعة في أصولها من تعاليم الإسلام السمحاء، وخاصة بوجودها في منطقة صحراوية محافظة إلى حد كبير. وفيما يتعلق بالتركيبة السكانية فهي تتكون من شرائح وطبقات.

1-أسرة مؤسس الزاوية وأتباعه وهي التي هاجرت معه من تونس إلى الجزائر وكانت لها مكانة مرموقة اجتماعيا ودينيا علميا وماليا بحكم توارث أبناء الشيخ سيدي ناجي لمكانة أبيهم مؤسس البلدة والزاوية واستمرت هذه المكانة لسنوات متأخرة للاستقلال

2-شيوخ القبائل الموجودة بالقصر والعلماء الذين جاؤوا بغرض العلم والتعليم بالزاوية والذين كانوا يحضون بمكانة مرموقة في القصر

3-الفئات غير المسلمة كاليهود موجود بالقصر والذي كان عددهم قليل وتحتكر بعض الحرف كصناعة الذهب والمجوهرات وتمارس التجارة فبعدما أصبحت القرية مركزا تجاريا وذاع صيتها في المنطقة وحتى الحدود التونسية أصبحت قبلة للتجار من كل حدب وصوب كما أصبحت لها تعاملات اقتصادية مع

قسنطينة عاصمة بايلك الشرق في تلك الفترة بحكم ازدهار العلاقات السياسية بين شيوخ الخنقة وحكام بايلك الشرق

ثانيا: الأنشطة الاقتصادية بخنقة سيدي ناجي.

ا -الزراعة :

تمثل المساحات المزروعة نسبة ضئيلة من المساحة الكلية، ويرجع سبب ذلك ضيق مساحة القرية وانحسارها بين واد العرب والجبال بالإضافة للعوامل المناخية كندرة الأمطار وصعوبة البيئة المحلية التي تعتمد على المياه الجوفية المستخرجة والتي تسقى بها أراضي قليلة، وأيضا الزوابع الرملية والحرارة الشديدة. وقد عرف عن السكان في خنقة سيدي ناجي بأنهم فلاحون مهرة يجيدون التعامل مع الأرض لتدر عليهم أكثر المحاصيل حيث توسعوا خارج القصر. واستغلوا الأراضي المجاورة التي منحت لشيوخ البلدة من حكام السلطة العثمانية آنذاك، و من الزراعات التي تحضي بأهمية كبيرة في المنطقة زراعة النخيل، وهي تغطي على المزروعات الأخرى التي لا نجدها إلى في نطاق ضيق بالمساحات التي بين أشجار النخيل .

وتعتبر التمور من أهم المنتجات الزراعية كغذاء، حيث تعتبر الأكل الرئيسي في المنزل الخنقي. فهذه المادة تخزن لفترة طويلة، وهناك العديد من الطرق لحفظه حيث يحشي في الجلد أو يدق كسفوف.

وتأتي زراعة القمح في المرتبة الثانية بعد التمور، ويزرع في جميع الأماكن بين النخيل في الواحات وخاصة في فصل الشتاء، ومن أنواعه الرئيسية القمح والشعير، وتوجد كذلك أنواع أخرى من المزروعات التي تزرع في الواحات وهي الحنة، التبغ، والخضروات.من الأنشطة المرتبطة بالزراعة نجد الرعي والتربية الحيوانية، فقد اكتفى السكان بتربية القليل من الماعز لحليبها وطبيعة عيشها وسهولة تأقلمها في المحيط وهذا بسبب ندرة العلف وعدم وجود مراعي والأغنام.

ب -الحركة التجارية:

بدأت حركة القوافل التجارية عبر الصحراء منذ فترة مبكرة جدا. و تشير بعض الدلائل على أن هذه الحركة كانت أكثر نشاطا بحلول القرن الثاني الهجري، ثم ازدادت أهميتها منذ القرن الثامن الهجري

الثالث عشر ميلادي[1]ولقد شهدت بلدة خنقة سيدي ناجي ازدهارا اقتصاديا، وذلك بفعل النشاط التجاري الذي عرفته منذ تأسيسها، و جاءت هذه الأهمية بسبب موقعها الجغرافي بين الصحراء والتل وبذلك كملتقى لعبور القوافل القادمة من مختلف الاتجاهات وخاصة من المناطق الواقعة في الشمال و المتوجهة إلى جنوب الصحراء، وكان أن تشكلت علاقات وطيدة بين البلدة ومختلف القصور والواحات التي تقع عبر أهم المسالك التجارية، ومن أهماها التي تنطلق من قسنطينة متجهة الى الصحراء إلي تونس.كما أنها كانت تمثل طريق الحج الذي ينطلق موكبه من المغرب وتلمسان مرورا بالخنقة وما تعرفه هذه الرحلة م مبادلات تجارية، وبفضل هذه الحركة ساهمت التجارة في نمو وازدهار خنقة سيدي ناجي في ازدهار اقتصاد المناطق المحيطة بها بفضل السلع التي لقيت إقبالا في أسواقها وغيرها وخاصة التمور، الملح والمصنوعات النحاسية والحلي وأدوات الزينة والخيل وسروجها والعطور والقمح والزيت والمنسوجات من الشمال إلى الجنوب.

لقد تعددت المسالك والطرق التجارية عبر الصحراء، ولم تقتصر فقط أهمية تلك الطرق على حركة التجارة التي تمر بها ولكنها أصبحت مسلكا من مسالك الدعوة الإسلامية وأيضا أداة اتصال بين مختلف مناطق الصحراء والشمال، فلهذا اختصها المسلمون بكثير من العناية، فقاموا بإصلاحها وعملوا على تأمينها وحفروا مزيدا من الآبار على جوانبها، ومن الطرق الهامة التي كانت تعبر من

-الطريق الذي يمر بمنطقة الزاب إلى توات، ويتفرع هذا الطريق إلى فرعين ، الأول يتجه شرقا ليصل تيدكلت الشرقية و الثاني يتجه نحو قورارة ويصل توات عبر وادي مقيدن[2]

-وطريق ثاني تنطلق من منطقة الجريد بتونس وتمر على ورقلة وتوات لتصل إلى بوروم بالنيجر .

[1]خليل النحوي: المرجع السابق ،94.

[2]احمد حمدي: محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات، رسالة ماجستير،جامعة وهران 1999،ص58.

ثالثا-الحركة العلمية والفكرية بخنقة سيدي ناجي:

عرفت الحركة العلمية بالبلدة ازدهارا في مختلف العلوم الأدبية واللغوية والعلوم المختلفة الأخرى. وتواصلت هذه الطفرة العلمية إلى غاية الاحتلال الفرنسي، ومن أكثر الدلالات على ذلك هو العدد الكبير من العلماء الذين اشتهروا في هذه الفترة ، فمنهم من اجتازت شهرته هذه المنطقة التي عاش فيها . ومما يدل على ذلك أن منطقة الخنقة، تضم عددا كبيرا من خزائن المخطوطات التي مازال عدد كبير منها غير مجرود.

توافد على الخنقة خيرة العلماء من مناطق مختلفة وكان ذلك منذ ان ضاع صيتها، نظرا لمكانتها العلمية في منطقة الزاب الشرقي، واحتوائها على عدد من المؤسسات الدينية والثقافية من مساجد ومدارس وزوايا . وكان لعلماء الخنقة وليانة المجاورة دور متميز في نقل الإشعاع الثقافي الإسلامي إلى المناطق الجنوبية.

وقد تخرج من هذه المدرسة التي لعبت دور كبير ليس في الخنقة فقط بل انتشر صيتها إلي الجهة الشرقية كما سبق الذكر والبلاد المجاورة وقد اشتهرت منطقة الزاب بانتشار هذا النوع من المدارس إلا أنها كانت توجد ضمن المسجد الجامع وليست مستقلة معماريا مثلما هي في خنقة سيدي ناجي ولهذا كانت السباقة في هذا المجال والتي أصبحت المنافسة الشديدة فيما بينها علي غرار سيدي عقبة و ليانة و طولقة...الخ، ورغم ذلك فقد تخرج منها العديد من العلماء الذين ذاع صيتهم في الجزائر وخارجه، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر من خريجها الأوائل أحمد التليلي القماري المشهور بخطه البديع وخليفة بن حسن القماري صاحب جواهر الإكليل في نظم مختصر خليل المتوفى في سنة1208هـ[1]. أما من خريجها المتأخرين وأبرز العلماء الذين ولدوا وعاشوا في الخنقة وينتسبون إلى العائلة سيدي المبارك، الشيخ محمد بن عاشور صاحب كتاب منار الإشراف علي عصاة الأشراف، و من ابرز الشخصيات العلمية التي تولت القضاء في الشيخ مكي محمد بن إبراهيم قاضي سيدي عقبة، والشيخ ابن حسين محمد الطيب قاضي أولاد جلال والشيخ عمراني المسعود قاضي وادي سوف الخنقي الأصل و ومن العلماء الأجلاء الذين كان

[1] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الأول، ص ص 450.291.285.

لهم إسهام ديني وعلمي كبير نذكر الشيخ العربي التبسي نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين والشيخ أحمد السرحاني عضو جمعية العلماء المسلمين محمد المكي بن الصديق الو نجلي الشاذلي المكي[1].

وهذه المكانة العلمية يردها الورتيلاني قائلا[2]"أولاد الشيخ سيدي ناجي حازوا المعالي من قديم الزمان، وقد وجدت كثيرا من الفضلاء منهم في محلهم سيدي محمد الطيب" وكان علماء الخنقة يتبادلون الرسائل في مختلف العلوم الدينية مع علماء الجزائر و قسنطينة وتونس وبسكرة ..منهم العلامة الشيخ الثعالبي الجزائري والشيخ خليفة بن حسن القماري وسيدي المكي بن عزوز عالم طولقة[3] كما جلبت شهرة المدرسة الناصرية العلماء والطلبة إليها وقد كان لها الفضل في تكوين عدد هام من الأئمة والمدرسين. إلا أن هذا الدور تراجع مع مجيء الاستعمار وشيئا فشيئا فقدت المدرسة بريقها ومكانتها العلمية والثقافية وخاصة بعد تعرض خنقة سيدي ناجي لهجرة جماعية من النواة القديمة إلي النواة الجديدة وهي الولجة وأصبحت المدرسة عبارة عن بناءا مهجور مثل باقي سكنات البلدة وقد أشعت هذه المدرسة علي المنطقة نور العلم والمعرفة طيلة قرنين أو يزيد[4] .

أ-فنون العلم والمعرفة:

كانت المؤسسات التعليمية من العوامل الهامة التي أثرت في الحياة العلمية في المغرب الأوسط، ولكن دور هذه المؤسسات اختلف من فترة إلى أخرى ويمكن ومن منطقة الى أخرى ومن هذه المناطق خنقة سيدي ناجي التي شهدت طيلة قرون من الزمن طفرة فكرية وعلمية بحيث ازدهرت لديهم العلوم والفنون، فاختصوا في العلوم الشرعية واللغوية أكثر من غيرها وكان إنتاج علمائها غزيرا ووفيرا في هذا المجال وكثرت التأليف، وتكونت مكتبات عامرة تضم عددا كبيرا من المخطوطات تشمل مختلف فنون المعرفة. من أهم أبواب المعرفة التي اعتنوا بها أكثر من غيرها، العلوم الشرعية والفقهية، فتمكنوا من الفقه المالكي لأن هذا

[1] كريمة بن حسين : المرجع السابق ص ص65/64 أنظر أيضا الذكري المئوية الرابعة لتأسيس الخنقة مقال لعبد الحليم صيد(علماء من الخنقة و ليانة ص 113/98).

[2] الورتيلاني: المصدر السابق، ص120 هو الشيخ محمد الطيب بن حسين توفي سنة1278هـ الموافق لـ 1862م.

[3] المرجع السابق: ص65.

[4] أبو القاسم سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1983، ص260.

المذهب كان هو السائد في جميع بلاد المغرب الإسلامي في ذلك الوقت.وفيما يخص العلوم الأدبية فإنها كانت في صدارة العلوم التي تدرس في الزوايا والمدارس القرآنية، ومن الدلائل على ذلك هو أن الغالبية الكبرى من السكان تداولوا الروايات والحكايات الشعبية التي مثلت ركيزة الأدب الشفوي. غير أن هناك فئة من العلماء والأدباء كان لهم دور في تدوين المؤلفات في الأدب والشعر. وقد تنوع اهتمامهم بالموضوعات المختلفة من لغة وصرف وبلاغة وكذلك في علم الأصوات والعروض.

ب. مناهج التعليم بقرية خنقة سيدي ناجي:

تنوعت طرق التربية والتعليم السائدة في الخنقة انطلاقًا من المنهج المتبع في التربية والتعليم. طبقت الطريقة التقليدية في تعليم الأبناء عادة. وكانت عوائد أهل المغرب في تقديم تعليم القرآن على غيره إيثارًا للتبرك والثواب، وخشية أن ما يعرض للولد في جنون الصبا من الآفات القواطع عن العلم، فيفوته القرآن. يعتمد التدريس على التلقين والإملاء، وهذا بعد أن يكون قد تدرب -بحسب الظروف والمربي-كان التعليم مهنة وصناعة لتربية الناشئة على العلم منذ عهد الصحابة، كان المعلم يقوم على أطفال المسلمين غنيهم و فقيرهم. وتقتصر العملية التربوية على مجموعة من القواعد" أهمها المساواة بين صبيان المسلمين في تعليمهم وتربيتهم.

ومما جرت العادة به تعليمهم أسماء الشهور العربية والعجمية وتلقينهم القنوت والتشهد، وإقراءهم تلقينًا من سبح اسم ربك، إلى آخر القرآن من الجنة والناس، ولا ينبغي للمربي أن يتشاغل بشيء آخر عن تعليمهم (مثل حضور الجنائز والولائم، وحفظ الأمانات، وغيرها). كما أن سن التعليم عند السكان كان قبل سن السابعة أي الرابعة أو الخامسة والراجح المعمول به سن السادسة. ويتضح من بعض النوازل والفتاوى الفقهية أن المرحلة الأولي من التعليم في المغرب هي التي يتلقى فيها الصبي العلم على أحد المؤدبين في الكتاتيب وتبدأ تلك المرحلة عندما يبلغ الصبي سن التمييز فيما بين الخامسة والسادسة من عمره وكان المؤدب يعلم الصبيان في تلك المرحلة الأولي القراءة والكتابة وحفظ القرآن وتجويده حيث جري العمل

بالكتاتيب على اجتماع الصبيان لتلاوة آيات القرآن بصوت واحد علي وجه التعليم علاوة على الإلمام ببعض علم اللغة والنحو والفقه[1]

وأما بالنسبة لتعلم الكتابة فهناك ثلاث مراحل أساسية، يبدأ أولا الصبي بالكتابة على اللوح ليتابع بعد ذلك الكتابة بالحبر، حتى يتدرب على وضع الحروف وتحسينها، وبعد أن يتقن الحروف تكتب له الآيات في الأسفل ويُأمر بنقلها، وفي المرحلة التالية عندما يصبح الطالب متمكنا فإنه ينتقل إلى مرحلة تملى عليه الكتابة. أن الطفل يبدأ في سن مبكرة من مرحلة تعليمه الأولى، وعند التحاقه بالمدرسة القرآنية، يبدأ بحفظ القرآن ودراسة بعض المتون المبسطة.

ج. طرق التعليم في المدرسة الناصرية:

مما لا شك فيه أن طرق التدريس في المدرسة الناصرية لم تخرج عن التقليد المتبع في التعليم في العهد العثماني، الذي يبدأ منذ المرحلة الأولى، وتدريجيا يتعلم الصبيان فنون العلم والمعروفة. وقد وجدنا ان المراحل الكبرى للتعليم في المدرسة المرحلة التعليمية الثانية بعد الكتاب تتم في المدرسة، وتكون أكثر تخصصا. ومن المواد التي تقدم إلى الطالب، نجد مختلف العلوم منها التجويد والحديث، العقيدة، الفقه، السيرة والتاريخ، اللغة والآداب، العروض، الحساب والهندسة وقد اعتمد على الكتب و تآليف مؤسس الزاوية وبعض شيوخها وبعض علماء الجهة المعروفة. وما يلاحظ أن صيغتها المذهبية كانت مالكية بسبب انتشار المذهب المالكي في المنطقة. ويتضح من بعض النوازل والفتاوى الفقهية أن المرحلة الأولى من التعليم في المغرب، هي التي يتلقى فيها الصبي العلم على احد المؤدبين في الكتاتيب، وتبدأ تلك المرحلة عندما يبلغ الصبي سن التمييز فيما بين الخامسة والسادسة من عمره، وكان المؤدب يعلم الصبيان في تلك المرحلة الأولى القراءة والكتابة وحفظ القرآن وتجويده، حيث جري العمل بالكتاتيب على اجتماع الصبيان لتلاوة آيات القرآن بصوت واحد على وجه التعليم، علاوة على الإلمام ببعض علوم اللغة والنحو والفقه .ومن بين العلوم التي كانت تدرس في المدرسة العلوم الشرعية واللغوية والنحوية والصرف والحديث

[1] كمال أبو مصطفي: المرجع السابق، ص113.

والبلاغة والعروض والفقه ويقول الورتيلاني[1]:في هذا الشأن "أما النحو فعندهم يعتني به الكبير والصغير حتى أنهم اشتهروا به اشتهارا بينا". وقد انتقد الورتيلاني[2] علماء الخنقة لعدم انشغالهم بعلم التوحيد وعندما سألهم عن سبب ذلك قالوا "وهل تحتاج الشمس إلي دليل في قوة قضية...إن الله لا يحتاج في معرفته إلي دليل وبرهان"، ولعل مرد ذلك أن طريقة التعليم وكذا نوعيته هما من فرض ذلك، فالزاوية قامت على أساس التصوف والزهد والابتعاد عن كل ماله علاقة بالعلوم العقلية. فتعاليم سيدي ناجي الجد الأكبر للأسرة والتي جمعها مؤسس الخنقة سيدي المبارك (وهي تعاليم صوفية) بقيت تتواتر من الأب إلى الابن مع مرور الزمن، أي أن علم التوحيد قد يؤدي في نظرهم إلى الكفر والخروج عن الدين، ولكن لا يمكن أن يكون هذا رأي العلماء. ويبدوا أن اجتنابهم له يعود لما يتضمنه هذا العلم من نظريات متناقضة وللخلافات بين الباحثين من السنة والمعتزلة وغيرهم، وعليه ينبغي لطالبه أن يتناوله بعمق واسع وفهم تام وألا يستحسن الإعراض عنه وعدم الاكتفاء بالمبادئ البسيطة التي تجعل صاحبها متذبذبا بين مختلف الآراء والمجادلات[3].

د-الأدوات المستعملة في التدريس(لوحة42،صورةو، ي)

من خلال معاينتنا للمدرسة الناصرية وجدنا بعض بقايا الأدوات التي كانت تستعمل في العملية الت، هي اللوح والقلم وهي الأدوات التي ترسم بها الحروف، القلم غالبا ما يصنع من قطع القصب الموجود بالمنطقة، وتارة يستعمل بدلا عنه ريش بعض الطيور. وأما الحبر فهو السائل الذي ترسم به الحروف وهو مصنوع من مادة سوداء أو بنية تسمى هذه المادة بمنطقة خنقة سيدي ناجي "السمغ"، وهي مادة تفرزها بعض الأشجار المعروفة بالمنطقة. وهذا النوع من الحبر تختلف طريقة صنعه من منطقة إلى أخرى مثل ما

[1]الورتيلاني: المصدر السابق، ص119.

[2]المصدر نفسه: ص.120.

[3]كريمة بن حسين: المرجع السابق، ص.40.

هو عليه الحال في بلاد شنقيط، حيث يصنع من مادة صدأ الحديد و القرظ، وهو ثمرة (آمور) وورق (التمات) والصمغ[1].

استعملت أنواع كثيرة من الورق، فهناك ورق خشن قابل للطي كان يستعمل قديما، وهناك كراريس استعملت في نسخ الكتب، وسجلات استعملت في تسجيل الأحكام والقضايا والوثائق. وكذلك المنشاف هو ورق خشن لا يستعمل في الكتابة، بل يحتاجه الناسخ ليجفف به السمغ حتى يحافظ على جودة الكتابة وجمال النسخة.ومن خلال الاطلاع على الخزائن الموجودة بمسجد سيدي المبارك عند أسرة بن حسين وبعض المهتمين بالتراث، يوجد الكثير من الكتب مطوية بأغلفة مصنوعة من جلود الأنعام مقوم بورق مقوى، وهذا الغلاف يعمل على حفظ المخطوط من الضياع حال التخزين وحال الاستعمال في المراجعة والنسخ. والغلاف كثيرا ما نجده مركبا من ثلاث مواد: الجلد[2]، الغراء[3]والقماش[4].

لا يمكن لأي ناسخ أن ينسخ بدون وسيلة إنارة. فعلى ضوء النهار نجده يستغل ضوء الشمس وهذا إلى ما بعد الزوال. أما في الليل فيتحتم عليه استعمال مصباح للإنارة، وكانت تستعمل عدة المصابيح منها " الفتيل " وهو مصباح مصنوع من وعاء يملأ بالزيت وله رأس به فتيل من قماش يتوسط بين الزيت والنار وبوقوده يستضاء المكان للناسخ فيؤدي مهمته على أحسن وجه.

لقد استعملت وسائل مختلفة لتخزين الكتب والمخطوطات والوثائق والرسائل والتقاييد، وحفظها من التلف والضياع، ومن هذه الوسائل المستعملة آنذاك: التابوت وهو الصندوق المصنوع من الخشب خاص بحفظ الكتب.إلا أننا وجدنا إحداها مهملا يحتوي على قصاصات ممزقة ومرمية كتب على البعض منها المسائل فقهية.

---

[1] خليل النحوي: المرجع السابق، ص149.

[2] الجلد أو الأديم تارة من جلود الغنم وتارة من جلود الإبل والبقر.

[3] الغراء: وهو ما يلصق به الجلد مع الورق الداخلي باشر الورق المخطوط.

[4] القماش: يتم التغليف بنوع من القماش مع الغراء وهو موجود ببعض الخزائن.

و. الدور الاجتماعي لزوايا الخنقة:

ساهمت كلا من زاوية سيدي المبارك وزاوية سيدي عبد الحفيظ الخنقي في المنطقة والمناطق المجاورة اجتماعيا. ويعد التكافل الاجتماعي أحد الأدوار الأساسية التي اهتمت بها زاوية سيد سيدي المبارك، ومن أهم الخدمات التي كانت تؤديها الزاوية مساعدة الفقراء والمعوزين، بأن فتحت أبوابها للفقراء والمسافرين الذين لا يجدون المأوى والمأكل. كما كانت تقوم بعملية الصلح في حالة وقوع خصومات ونزاعات، وكثيرا ما لجأت القبائل المتنازعة بالمنطقة لشيخ الخنقة لعقد للصلح فيما بينها، وكان الطلبة الغرباء عن البلدة يلقون التكفل من شيخ الزاوية وأقربائه وبعض من أهالي الخنقة قدر المستطاع ويصبح الطالب فرد من أفراد العائلة إلى أن يتم دراسته ولا يطالب بأي مقابل مالي[1]وقد كان هذا التنظيم سائدا في المدارس المغربية أين كان كل طالب يزود بالمؤن والثياب لمدة سبع سنين[2]وأيضا ساهمت بعض الزوايا في الجانب الصحي كجمع وقتل الحشرات الضارة التي تتواجد في القصر.

[1] المرجع السابق: ص17 وأكد ذلك عبد الكريم الدر يدي إمام المسجد: أن الطلبة كانوا يخصون بنفس المعاملة لأهالي المنطقة.

[2] محمد محمد، الكحلاوي: المرجع السابق ص79.

- **خلاصة الباب الثاني.**

من خلال دراستنا النظرية والوصفية، وكذا التحليلية لأهم المعالم الأثرية الإسلامية لخنقة سيدي ناجي، والمتمثلة في مسجد سيدي المبارك وكذا السرايا. يمكن الخروج بعدة ملاحظات واستنتاجات أبرزها:

1. .تأسيس خنقة سيدي ناجي جاء كحتمية دفاعية بدرجة أساسية بعد فرار سيدي المبارك من مطاردة الشابية له في الصحراء.

2. . ارتباط تأسيسها بالرؤية التي رآها في المنام مؤسس البلدة عن جده الأول "سيدي ناجي"، وهذه ميزة نجدها في تأسيس أغلب القرى والبلدات وهو قيام التأسيس على أساس الرؤية والأسطورة.

3. .إشكالية النسب، وهي إشكالية كانت دائما مثار الاختلاف والتضارب، خاصة وان تأسيس الخنقة جاء في وقت انهيار أخر الإمارات الإسلامية في المغرب العربي. حيث أصبح النسب الشريفي مطلب الجميع. وهذا ما جعلنا نجد نسبين لأسرة سيدي المبارك الأول ينتهي إلي عثمان بن عفان، والثاني إلي الادارسة ومنه إلي الرسول صلي الله عليه وسلم.

4. .أن خنقة سيدي ناجي اكتسبت مكانة مرموقة علميا واقتصاديا في مدة وجيزة في منطقة الزاب الشرقي رغم وجود قرى لها أسبقية الظهور في المنطقة كسيدي عقبة، ليانة وبادس التي كانت مركزا عمرانيا كبير منذ العهد الروماني، ورغم ذلك لم تحقق ما حققته خنقة سيدي ناجي

فهل هذا يعود فقط للمكانة العلمية التي كان يتمتع بها مؤسس الخنقة والزاوية وهو سيدي المبارك ؟

5. أم أن هذه الأسرة جلبت معها موارد مالية كبيرة أثناء تنقلها من تونس، وهذا ما جعلها تصبح مركز استقطاب للاستقرار السكاني والازدهار الاقتصادي (للحرفيين والتجار).

6. أن المنطقة ورغم بعدها عن مقر الحكم العثماني إلا أنها لم تكن بعيدة عن مجريات الأحداث السياسية والثقافية المكانة التي حظيت بها في العهد العثماني من لدن الحكام العثمانيين دون المناطق الأخرى، والذي تجلي في حصول شيوخها على حق جباية الزكاة والعشر في الزاب الشرقي وجبل ششار، وهي حظوة لا يمكن الحصول عليها مجانا خاصة وان العثمانيين كانوا لا يعطونها لأي كان.

7. موقع خنقة سيدي ناجي، وهو طريق القوافل بين الصحراء والتل بالنسبة للقبائل الرحل في رحلة المصيف، وكذا طريق الحج الذي كان يمر بها، والذي كان ينطلق من المغرب الاقصي وموريتانيا، وهذا ما شجع حركة التجارة والتبادل التجاري في المنطقة

8. العلاقات الطيبة مع دايات تونس حيث كانت ملاذا للبعض منهم أثناء صراعهم علي السلطة واستضافتهم، وهذا ما يسمي في لغة اليوم الدبلوماسية "باللجوء السياسي"، هذه المكانة جعلتهم حلقة وصل بين الايالتين التونسية والجزائرية عند حدوث الأزمات.

9. إلا انه من جهة أخرى، كانت هذه المكانة مثار شكوك بايات قسنطينة وعدم الثقة في شيوخ الخنقة، وبذلك كانت خنقة سيدي ناجي منطقة تجاذب بين الايالتين.

10. الروابط الثقافية وحتى الأسرية بين أسرة سيدي ناجي والإيالة التونسية، جعلت المنطقة تتأثر بالنمط العمراني والثقافي التونسي، فقد استفادت الخنقة من دون شك ببعض المظاهر الثقافية والفنية من تونس نظرا للتقارب الكبير الذي كان بينهما. فقد استعان شيوخها في تزيين مسجد سيدي المبارك بصناع تونسيين ماهرين أمثال: أحمد بن عمر التونسي الذي نقش المحراب و الاصطا حسين الذي نقش القبة وعلي بن محمد التونسي وعمر الصفا قسي ...إلخ، وقد وجدت خطوطهم على مسجد ومدرسة الخنقة، فنقش مثلا على الباب الغربي للمسجد ما يلي:"ركب هذا الباب يوم الأحد الثامن من شهر الله المعظم شوال سنة 46 ومائة وألف علي يد صانعه أصطا أحمد بن عمر الشريف الجبايلي النقاش وباني هذا المسجد الحاج محمد السعد بن عمر الصفا قسي رحمه الله

11. الزخرفة العثمانية البارزة في معالم الخنقة في المسجد والسرايا، والتي تدل بشكل لا يدعوا للشك أن المنطقة كانت تعيش في رخاء اقتصادي ومالي كبيرين.

12. ظاهرة استعمال العقود النصف دائرية، والتي نجدها في اغلب المنازل في خنقة سيدي ناجي إلي يومنا هذا، وهذا يدل أن المعماري في المنطقة أصبح يتحكم في تقنيات البناء بدرجة كبيرة. حيث أصبح يكيف عمران البلدة حسب متطلبات البناء والظروف الزمنية التي تعيشها.

13. ظاهرة استعمال العقود البرميلية على شكل العقود الرومانية والتي استعملت في المدرسة الناصرية والسرايا

14. عمليات الترميم العشوائية التي تمت عليها دون دراسة علمية، شوهت هذا المعلم التراثي وأفقدته زخرفته وهندسته التي تعود إلى حوالي أربعة قرون خلت

15. يمكن القول في الأخير، أن مكانة شيوخ خنقة سيدي ناجي الدينية والعلمية جعلت تأثيرهم ينتشر بسرعة في ناحية الزاب الشرقي، وكذا حنكتهم السياسية منذ تولي أحمد بن ناصر المشيخة في البلدة جعلتهم يحتلون هذه المكانة مع مرور الزمن. إلا أن البلدة فقدت هذه المكانة في الوقت الراهن، بعدما أهملت وتعرضت للموت البطيئ بعد هجرة سكانها، وبذلك تعرضت السرايا للسقوط

- الملاحظات التي يمكن أن نخرج بها من خلال دراستنا لمعالم الخنقة ما يلي:

1. المنطقة لم تكن مهجورة من قبل، فبقايا القرية البربرية تدل على تواجد بشري سابق في المنطقة.
2. الواحة كانت ممر رئيسيا للقوافل المتنقلة من الصحراء نحو الشمال، أو من الجزائر وحتى المغرب الأقصى إلى الحجاز في مواسم الحج.
3. مساحة الواحة ضيقة، عكس مدينة بادس المجاورة التي لا تبعد عنها إلا بمسافة قليلة والتي توجد في منبسط، وهذا ما جعلها عامل طرد للسكان في العهد الروماني والبيزنطي. ضف إلي ذلك وجودها في منخفض، و هو عبارة عن طمي و أتربة ترسبت من وادي العرب، و بذلك لا تستوعب العدد الكبير من السكان.
4. الواحة كانت عرضة لفيضانات وادي العرب المجاور لها من حين إلي آخر، هذا كان عامل طرد للسكان .
6. موقعها المحصن جعلها ملجأ للفارين والملاحقين سواء من الأفراد أو القبائل على مر الحقبات التاريخية، خاصة وأن المنطقة جغرافيا شهدت صراعات كبيرة.
7. إشكالية النسب، وهي إشكالية كانت دائما مثار الاختلاف والتضارب، خاصة وان تأسيس الخنقة جاء في وقت انهيار أخر الإمارات الإسلامية في المغرب العربي. حيث أصبح النسب الشريفي مطلب الجميع.

وهذا ما جعلنا نجد نسبين لأسرة سيدي المبارك: الأول ينتهي إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، والثاني إلى الادارسة ومنه إلي الرسول صلي الله عليه وسلم.

8. ارتباط تأسيس خنقة سيدي ناجي بالرؤية التي رآها في المنام مؤسس البلدة عن جده الأول "سيدي ناجي"، وهذه ميزة نجدها في تأسيس أغلب القرى والبلدات، وهو قيام التأسيس على أساس الرؤية والأسطورة.

9. أن من رمم مسجد سيدي المبارك، وهو عمر التونسي هو نفسه من رمم مسجد سيدي عقبة والدليل على ذلك هو وجود نفس اسم المرمم في المسجدين.

10. المسجد كان في بدايته عبارة عن زاوية، ليتحول مع مرور الزمن إلي جامع ومدرسة.

11. الملاحظ أيضا، هو توفر شروط العمارة الإسلامية في تأسيس الخنقة، من إحاطتها بصور بغرض الحماية، وتموضعها بين جبل ووادي، وهذا ما تكلم عنه ابن خلدون، وابن الأزرق، وابن الربيع.

12. دقة وتنظيم البلدة من حيث تقسيم سكانها قبليا على أحياء وحارات،وهو ما يشبه المدن الأولى التي أسسها المسلمين كالكوفة والبصرة والقيروان والفسطاط. ولهذا عرفت البلدة ذات الخمس مساجد وخمس حارات وخمس سواقي وخمس أبواب خمس عيون.

13. ظاهرة تعدد الأضرحة بالمسجد وهي ظاهرة نادرة قاما نجدها في مساجد الجزائر.

14. الزخرفة التي تزين المسجد وهي زخرفة ذات نمط متطور عما وجدناه في مساجد. الزاب الأخرى، زخارف نباتية، هندسية، فلكية غاية في الإتقان.

15. المقبرة الملحقة بالمسجد الخاصة بأسرة بن حسين، والتي تضم شيوخ وأبناء الأسرة ملحقة بالمسجد منفصلة عن مقبرة العامة من سكان الخنقة.

16. طريقة بناء القبور والشواهد، وهي دلالة عن التأثير العثماني في المنطقة كما تبين الحظوة والمكانة التي كانت لأسرة بن حسين.

17. المدرسة الناصرية والتي تعد نموذجا فريدا من نوعها في الزاب، من حيث التصميم والبناء والوظيفة عكس مسجد سيدي عقبة.

18. الصحن الملحق بالمسجد والذي يتميز بالإتقان والزخرفة والاتساع.

19. استعمال الحجارة في صناعة الأعمدة (السواري)والتيجان بإتقان عال عكس مسجد سيدي عقبة الذي استعملت فيه أعمدة وتيجان جلبت من خرائب تهودة الرومانية وكذا استعمال جذوع النخيل.

20. الاستعانة باليد الفنية الخارجية والتي جلبت من تونس تحديدا.

21. التحكم في تقنيات الري حيث استغل شيوخها ما وجدوه من قنوات رومانية قديمة في المنطقة وأضافوا لها قنوات جديدة لاستصلاح أراضي الخنقة.

نتائج البحث

- **نتائج البحث:**

توصلنا من خلال معالجتنا لموضوع البحث، إلى مجموعة من الحقائق والملاحظات نرجو أن تكون ذات قيمة في مجال تاريخ العمارة والعمران الصحراويير .

يتضح أن عمران ولاية بسكرة إجمالا وعمران بلدة خنقة سيدي ناجي خصوصا، أعطى لنا نمطا معماريا رائعا راعى جميع ظروف البيئة المحيطة، منها الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية وقد جاءت نتيجة معايير تخطيطية متوافقة مع طبيعة المنهج الإسلامي بجميع قيمه وسلوكه وعقائده وفق ثوابت ومتغيرات وهي:

أ – الثوابت: متمثلة في:

* الثابت العقائدي:

تمثل هذا الثابت في المنهج الإسلامي بما يحتويه من قيم وسلوكيات، التي اعتمدت على تعاليم الإسلام وأحكامه كمصدر لتوفير احتياجات الإنسان المعنوية الروحية منها والمادية.

ب-المتغيرات: وهي:

* متغير الزمان:

ويظهر ذلك من خلال أساليب البناء والإنشاء المستعملة وكذا مواد البناء بحيث أنها تتغير على مر الزمن في ظل التقدم العلمي والتكنولوجي وما وصل إليه المجتمع الإنساني في تطور ظروف معيشته اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، على غرار أفكاره ومتطلباته التي أحدثت تغيرا في ملامح البيئة العمرانية المشيدة وانعكست على أساليب التخطيط المتبعة.

•متغير المكان:

لكل مكان ظروفه البيئية والطبيعية التي يتميز بها من مناخ محلي وماله من الأهمية أثناء القيام بعملية التخطيط العمراني، التي تعطي دورا مهما وتأثيرا بليغا في تحديد الحلول التخطيطية والمعالجات المعمارية المستخدمة في إنشاء البناء ومحيطه العمراني، واجمالا يمكن الخروج بجملة من النتائج بمكن اجمالها:

- **الدارسة النظرية.**

1- مكنتنا المعاينة الميدانية للمواقع المدروسة من ادراك ذلك التوافق و التجاذب الكبيرين بين توزيع المناطق السكانية بولاية بسكرة ومصادر المياه مثل الوديان والمنابع والعيون والسهول الخصبة، حيث أنشئت أغلب البلدات والقصور، بمحاذاة للوديان أو المناطق الغنية بالمياه الجوفية مجاورة، ومستغلة للأراضي الخصبة في زارعة النخيل والقمح وبعض الأشجار المثمرة مثل الكرمة والرمان والزيتون، وبذلك وفرت هذه المواقع عاملين أساسيين ساعدا على الحياة و الاستقرار وهما الماء والغذاء الذين يتم الحصول عليهما دون جهد أو ما يحول دون ذلك، فكان لهذين العنصرين الماء والغذاء الأثر الأكبر في نشأة العمران و استمرار حياة المجتمع الذي يحرك عجلة وتطور نسيجه، كما ساعد اقليم الولاية بواحاته واقليمها الشاسع، على توفير الرعي و الاحتطاب و المراعي التي تشكل مصدرا رئيسا للثروة الحيوانية من ناحية، ومصدرا أساسيا لتوفير الوقود ومواد البناء من ناحية أخرى.

2 - نشأ العمران بولاية بسكرة على قواعد اقتصادية محددة لم تتغير كثير فإذا كانت تمثل الزارعة أولى هذه القواعد الاقتصادية ، فإن التجارة بدورها تمثل القاعدة الأساسية الثانية التي اعتمد عليها عمران المنطقة كثيرا، وذلك من خلال التحكم في الطرق والقوافل التجارية المهمة هذا بالإضافة إلى أن مدن وقصور الزاب تعد زارعيه في المقام الأول، ولما كانت الزارعة هي الحرفة الرئيسية لسكانها فقد حققت الاكتفاء الذاتي وفائض الإنتاج المحلي، وضمنت لمختلف المراكز العمرانية ممارسة الأنشطة الزراعية انشاء البساتين والحدائق ، فكانت بلدات وقصور واحاتية بكل معنى الكلمة لسنين طويلة أمنت الغذاء

بمختلف أنواع التمور وأصناف الفواكه والحبوب مثل الكروم والرمان والزيتون والقمح والشعير، وأمنت المواد الخشبية للبناء والوقود، وساهمت الواحة لقربها من المراكز السكانية في تلطيف الجو الحار والجاف خصوصا في الفصول الحارة .

3-تحول الولاية بفعل الهجرات المتتالية إلى ملتقى بشري تفاعلت فيه أساليب الحياة الحضارية والبدوية، وتمكنت المنطقة في الغالب من احتواء كل الهجرات البشرية التي استقرت بها فكانت سبب مباشرا في نشأة البلدات والمراكز الحضارية ونمو عمرانها ، وظهرت ما يعرف اليوم ب" العمارة القصرية" وقد تميزت بالطابعين البدوي والحضاري في كثير من مظاهر الحياة. ولعبت القبائل العربية التي استوطنت المنطقة دوار بارزا في إنشاء مجموعة من الحصون والبلدات، وتعمير الكثير من هذه المناطق واستغلالها اقتصاديا، وقد أعجب الجغرافيون والرحالة أمثال البكري والنميري بانتعاش ورفاهية هذه البلدات والقصور ورخائها خاصة مدن بسكرة، تهودة، بادس، طولقة، بنطيوس، ووفرة المنتوجات خاصة مادتي التمر والملح، والتي حققت فائضا محليا جلب التجار وربط المنطقة بالمحاور التجارية الكبرى.

4-استطاع المجتمع الزابي أن يؤسس في وقت قصير وسط سهوله وعلى ضفاف الأودية، والمجاري المائية مدنا كبيرة مثل بسكرة، تهودة، بادس، طولقة، بنطيوس، خنقة سيدي ناجي، ليانة. وبعد مرحلة الإنشاء والتعمير لجأ السكان إلى خلق اقتصاد مستقر، هي الواحة العنصر المحرك في نمو وازدهار البلدات وإحياء الأراضي وسقيها، وشق القنوات لتزويد المدينة بما تحتاجه من ماء والباقي يوجه للزارعة، وأنشئت الأسواق وشجعوا الاقتصاد، وبرزت القصور التي لا تقل أهمية عن المدن ذات ثقل عمراني واقتصادي كبير بالمنطقة خصوصا مثل خنقة سيدي ناجي طولقة، القنطرة، فرفار...الخ.

5- تعتبر المدن والقصور بولاية بسكرة نموذجا مصغر للمدينة الإسلامية، تخطيطا ووظيفة و إنشاءا، تجمعت فيها مختلف القبائل رغم تباين مذاهبها الدينية، فأنشئت المساجد والزوايا، والحمامات والأرباض، والفنادق، والقصور، والخنادق ، والأسوار، والمرافق، والأسواق، وغيرها من المعالم، ولاحظنا

أغلب المراكز العمرانية إحتوت على جامع واحد يتوسط أحياءها، ليتعرف عليه جميع السكان ويكون قريب من كل الأطراف، وهذا يعني أن المدن والقصور في تلك الفترة كانت أحادية النواة، تأثرت في اتساعها ونمو عمرانها بأسوارها، حيث كان لهذه الأخيرة ، تأثير مباشر في تحديد مساحة المدن وكانت العائق في نموها الأفقي وفي ظهور أرباض كثيرة دليل على استهلاك الأراضي الشاغرة داخل أسوار المدينة استعمال كل مساحة يمكن أن تكون قد خصصت لحدائق أو جنات بداخلها.

6- شهدت ولاية بسكرة من خلال تتبع المصادر التاريخية نموا عمرانيا كبيرا، يدل على ذلك أن عدد مدن وقرى وأرباض وقصور، قد تميزت بعمرانها وانتاجها الزرعي مما جعلها نقطة جذب للثائرين والطامعين لاستغلال خيارتها ومواردها، وبرزت الاستحكامات الدفاعية بشكل كبير فشكلت أهم ميزة ميزت عمران الزيبان، ويتبين من استقراء تاريخ مدن وقصور المنتشرة بالولاية مدا هيمنة العوامل العسكرية بهواجسها الأمنية والدفاعية عن بقية العناصر العمرانية الأخرى، فلم يفت أصحاب القلم والحكمة تأكيد أهمية السور الحصين، فما كان لاستفحال الاضطرابات، و غياب الأمن والاستقرار الذي رافق حياتها في فترات طويلة من تاريخها ومسيرتها الحضارية ،السياسية والحروب القبلية ، إلا أن يرسخ الطابع العسكري الدفاعي في المجال المعماري، فقد كان الاهتمام أكثر بالتحصين و اقامة الاسوار والأبراج والخنادق.

7 - لاشك أن كثرة الأسوار والخنادق والأبراج بشكل كبير يبين الهاجس الأمني والاهتمام ، بتوفير الأمن والأمان أحد الشروط الأساسية لسكن المدن والقصور ودوامها واستمرارها وكان الهدف من تحويطة المدن بالأسوار الضخمة العالية هو ضمان حمايتها من هجمات الأعداء ولتوفر الأمن والطمأنينة لسكانها، وبهذا الصدد فإننا نشير إلى أن طبيعة التحصينات وتعددها بالمنطقة كان قصور متفاوت بين تجمع سكاني وآخر بحسب أهميته الاستراتيجية، فمنها المحاطة بسور أو بسورين وبخندق أو أكثر، وهي دلالة واضحة على أن المنطقة عاشت في خضم الصراع الدامي بين الأطراف المتحاربة، ولأن مدن وقصور الولاية لم تستفيد من التحصين الطبيعي لتموقعها قرب المنخفضات و المجاري المائية والسهول الزراعية بعيدا عن

الجبال ما عدا خنقة سيدي ناجي، استغلت في المقابل مياه الوديان في إقامة الخنادق بشكل كبير وملفت لم يغفل الجغرافيون عن ذكره والإشارة إليه.

- **الدارسة التطبيقية**

1- اما من خلال الدارسة الميدانية، تبين لنا أن المسجد الجامع كان يمثل نواة نشأة المدينة أو القصر، فهو نقطة الأساس في بداية عمارتها وتوسع عمرانها، فكان المركز الرئيسي ونقطة انطلاق، شبكة الطرق وقد تميزت الجوامع العتيقة في عمارة ولاية بسكرة بتخطيطها المتواضع وبساطة مواد إنشائها، فجدرانها من الطوب اللبن، كسيت بالطين أو الجبس الناعم الأملس، وزخارفها بسيطة وكانت بمآذنها المربعة الشكل تعلو كل المنشآت الأخرى كما نجد بعضها يحوي آبار للمياه.

2-أثرت الشوارع على توزيع النسيج العمراني إلى كتل معمارية من المباني بشكل حارات تتكون منها المنازل المتراصة، كما حددت الشكل العام لخطة القصور نتيجة استقامتها وتعرجها، أو فضاءاتها الواسعة أو الضيقة، وشكلت الطرق شرايين القصر ربطت المساجد بالأطراف، تفرعت من الطرق الرئيسية الطويلة طرقا فرعية أصغر ومنها طرق غير النافذة. كما اختلفت مساحة الشوارع والطرق والدروب عرضا وطولا بالولاية. الشوارع الرئيسية تراوح من8م إلى15م وطولها من 340م إلى 210م، أما الطرق الفرعية كان عرضها 2م إلى4 م، وطولها من 9م إلى 160م، في حين الطرقات غير النافذة جاءت ضيقة ولم يتعدى 20 م

3- أثرت البيئة في تشكيل شبكة الطرق بقصور ولاية بسكرة، حيث المناخ الحار والجاف يغلب عليها، فوجهت الشوارع بشكل يتوافق مع البيئة الصحراوية من الشمال إلى الجنوب وذلك بما يخالف اتجاه حركة الشمس المتسببة في ارتفاع درجة الحرارة في هذا الإقليم ، لأن في هذا التوجيه كسب للتيارات الباردة نسبيا القادمة من الشمال ، وعدم تعرض واجهات المنازل لأشعة الشمس سوى لمدة قصيرة" لأن حركية الشمس شرق غرب مع ارتفاع جدران المنازل تكسب الظلال أغلب النهار فيساعد ذلك في برودة جو

القصور " كما أن الدروب التي اتخذت اتجاها يتفق وحركة الشمس و قد تميزت إلى حد ما بضيقها وكثرة التوائها، كما ترك ذلك أثره الواضح في زيادة نسبة الساباطات التي تعلو الطريق .

4-الطبيعة المتعرجة لشبكة الطرق، ينتج عنها من الناحية المناخية إعاقة حركة الرياح، المحملة بالأتربة والرمال والحد من سرعتها وقوة تسربها، سواء في الفصول الباردة أو الرياح الحارة " السيروكو " في فصل الصيف. ففي فصل الشتاء يتم الاحتفاظ بالهواء الدافئ المتجمع بالشوارع أثناء النهار، وفي فصل الصيف يتم الاحتفاظ بالهواء البارد الذي تجمع في شوارع القصور وساحاتها اثناء الليل لفترات طويلة خلال ساعات النهار، فاستقامة الشوارع، تزيد من قوة تأثير هذه الرياح وإيذائها، أما التعر ج يخفف من قوتها ويحد من خطورتها.

5-شكل الممر المسقوف عنصرا معماريا في عمارة ولاية بسكرة، تصل أطواله ما بين7 م و21م، له وظيفتين أساسيتين: أولها مناخية بتوفير الظل لمستعملي الطريق خاصة في فصل الصيف، ويحميهم من أشعة الشمس الحارقة أثناء تنقلهم بين مختلف مباني القصر نهارا، ومن الرياح المؤذية وأتربتها ورمالها. وثانيها وظيفية معمارية بزيادة مساحة الطوابق العليا في المنازل، حيث يسمح باستخدامه للتوسع عند الحاجة وعند محدودية مساحة البناء.

6 - تتكون المنازل من طابقين و في حالة نادرة جدا، من طابق واحد يتوجها سور مستدير حول السطح، ووحدات هذه المنازل موزعة حسب الحاجة، فالمستوى الأرضي يخصص لدار الضياف أما حجرات النوم والمعيشة تكون في الطابق العلوي، التي يتم الوصول إليها عن طريق السلالم الصاعدة، أما المطبخ الذي يشكل عنصرا أساسيا في منازل ولاية بسكرة، فيقع في بعض المنازل خاصة منازل قصري سيدي عقبة وخنقة سيدي ناجي بالمستوى الأرضي حيث يساعد الفناء العلوي على تصريف الدخان المنبعث نتيجة حرق الوقود، بينما نجد في قصور ليشانة وطولقة أن المطبخ يشغل الطابقين الأرضي والعلوي، أما الفناء

الداخلي فهو العنصر الحيوي ، للحركة والنشاط داخل المنازل حيث تتوزع حوله باقي وحدات المنزل لتستمد منه الضوء والهواء .

7 -على الرغم من الامتداد العمودي للمنازل في المنطقة الواحاتية بولاية بسكرة ،إلا أن المواد الخام البيئية التي شيدت منها هذه المنازل حالت دون الامتداد لأكثر من ثلاثة طوابق، وذلك على الرغم من أهمية الامتداد الرأسي في إعطاء الظل للشارع، وزيادة مساحة المنازل التي لم تكن تستوعب الزيادة المطردة لساكنيها. فمع زيادة عدد الأسر وعدد أفاردها بعد الزواج، يضطر سكان المنزل إلى إضافة وحدات سكنية وطوابق جديدة لاستيعابها خاصة وأن مستواها المادي يحول دون إقامة منازل جديدة، كما أن سيطرة الأسرة الكبيرة بدافع الاحترام للأب والجد والحشمة مع الرغبة في الإقامة بالمنزل داخل القصر، مع محدودية المساحة داخل السور، والعوامل المناخية والاقتصادية كلها عوامل ساعدت وأرغمت على البناء الرأسي.

8-ساهم استعمال الطوب اللبن في البناء في تلطيف درجة الحرارة لخصوصيته في امتصاص الحرارة ببطء شديد، حيث نجح ساكني هذه البيئة في مقاومة حرارة الصيف بإيجاد حلول معمارية، منها بناء حوائط سميكة للأبنية تساعد على جلب الحرارة من الخارج إلى الداخل ببطيء والعكس شتاء بالإضافة إلى الصحون الداخلية، كما لاحظنا مراعاة ضيق شبكة الطرق وارتفاع المنشآت على جانبيها مما يساعد على توفير الظل الظليل للمباني وللطريق.

9 - أثرت الأحكام الفقهية الداعية لحفظ الخصوصية وعدم كشف الحرمات في تخطيط المنزل الزابي ، وهو ما ترتب عنه عدم فتح النوافذ المطلة على البيوت المجاورة أو بناء نوافذ صغيرة الحجم وتم فتح نوافذ كبيرة على الفناء الداخلي للإضاءة والتهوية ، وعدم فتحها على الشوارع لحفظ خصوصية الأسر داخل المنازل ، حيث أغلب السكنات يميزها قلة الفتحات المطلة على الطرق والشوارع، حيث نجد فتحات

ضيقة تعلو مداخل المنازل من فتحة واحدة إلى ثلاث فتحات، تمكنهم من رؤية ما في الشارع، في حين تغطي الشبابيك فتحات الغرف التي تعلو الساباط والنوافذ الواسعة بالطوابق العلوية .،

10-تميزت فتحات الواجهات الخارجية بصغر حجمها وقلة عددها، تحجب دخول التيارات الهوائية الباردة في فصل الشتاء، والحارة في فصل الصيف التي تنقلها شوارع القصور إلى داخل الغرف. أما الفتحات المطلة على الفناء الداخلي، فعددها ومسطحها أكبر، تساعد على خلق تيارت هوائية بين الخارج والداخل مرورا بالغرف الداخلية للمبنى، تسمح بتجديد وتنقية الهواء. كما حققت جدران المنازل الصماء من الخارج الهدوء الداخلي لساكني المنزل، بحيث لا تسمح بتسرب ضوضاء الخارج وتحقق خصوصية الحياة الداخلية وتفصلها عن الحياة، الخارجية، وكان ظهور جدران قليلة الارتفاع تلتف حول أسطح المنازل بفتحات قليلة من منطلق التخفيف من شدة الرياح وتلطيف الهواء من خلال الفتحات.

11 - يعتبر الفناء المكشوف او "وسط الدار" عنصرا ثابتا في مختلف العمائر والمنشآت سواء الدينية أو المدنية، وقد أسهم بشكل فعال في المعالجة المناخية داخل الكتل المغلقة من المباني، إضافة إلى العديد من الحلول المناسبة الدينية والاجتماعية مثل تحقيق أمن الأسرة وحفظ الخصوصية، فاتخاذ الفناء المكشوف من الضروريات المعمارية للمعالجة المناخية تسمح بزيادة نسبة الضوء والهواء خاصة أن أقسام المنزل ووحداته تتجه إلى الداخل، وهناك الأفنية الداخلية المسقوفة التي فتحت بأسقفها فتحات تعرف بـ الروزنة تسمح بنفس المعالجات وتحمي مستعملي الفناء من أفراد الأسرة من أعين فتحات المنازل ذات الامتداد الرأسي العالي.

12 – اتبع المعماري البسكري الحل المتضام للمباني في تجميع منشآت القصور مع امتدادها الرأسي لمنع تعرض واجهات المنشآت للعوامل المناخية، مثل أشعة الشمس المباشرة رفع درجة الحرارة داخل المباني خصوصا في فصل الصيف فالتراص يوفر الظلال التي تقلص من رفع درجات الحرارة لجدران المنازل وأسطحها الخارجية ، ويحقق الحماية من ضرر الرياح القوية المحملة بالرمال والأتربة، ويسمح التظليل

بإضفاء البرودة على هواء الشوارع، كما أن إتباع الحل المتضام أدى إلى تقليص مساحة الفارغات الخارجية المكشوفة واللجوء للشوارع الضيقة، وعوضت قلة نسب الفراغات الخارجية بالقصور بإتباع أسلوب تفريغ كتلة المباني عن طريق الأحواش والأفنية الداخلية، فالتضام والتراص لم يعق ظهور الفراغات" الأفنية " داخل المنازل والمساجد والساحات والرحبات بل سمح بذلك، فهذا الفراغ هو متنفس للأسرة بالمنزل وللمصلين بالمسجد ولعامة الناس داخل رحبات القصر، وهو مصدر التهوية والإضاءة، ويرمز التضام لجوانب اجتماعية، فهو رمز التآخي والتضامن الذي يدعو إليه الدين الإسلامي الحنيف.

13 -تميزت قصور ولاية بسكرة بفراغاتها الواسعة التي كانت خزان ومضخة الهواء للأحياء والحارات ومنبع الإضاءة، وساحات لتجمع السكان، فهي تعمل عمل الحوش داخل المنازل (التهوية والإنارة والحياة والأنشطة الجماعية).

14- ساهمت الواحة بشكل كبير في الحركة العمرانية بإقليم الزاب على مر زمن طويل، حيث كان لسعف النخيل وللتبن دور كبير ومهم في زيادة تقوية الطوب اللبن، أما أخشاب النخيل وجريدها فكانت إسهاماتها كبيرة في تسقيف المنشآت وفي صناعة الأبواب وتغشية النوافذ، خاصة وأن جذوع النخل سهل التشكيل ومتوفر بكثرة، كما ساهمت الواحة في تحقيق نوع من الأمن والأمان بإضفائها الجو المنعش وكسرها لقوة الرياح الباردة شتاءا والحارة صيفا -المحملة بالرمال والأتربة-، فهناك علاقة احتواء بين المجال المشيد وواحات النخيل، وهذا النوع من العلاقات يوفر الحماية القصوى للمجال المشيد من العوامل المناخية المختلفة، بحيث يقوم النخيل بدور المظلة التي تغطي وتحيط المجال المشيد من جميع الاتجاهات، وبالتالي تقلل من نسبة وصول الإشعاع الشمسي إلى الأرض إلى المجال المشيد بنسبة كبيرة، مؤديا بذلك إلى التقليل من ارتفاع درجة حرارة الهواء، كذلك تحمي هذه المظلة الطبيعية المجال المشيد من التعرض للرياح شديدة السرعة، وتزيد من نسبة رطوبة الجو موفرا بذلك جوا رطبا بدل الجو الجاف.

15 -أغلب المنشآت المعمارية المدنية مبنية فوق بقايا أساسات ومواد إنشائية لمنشآت أخرى سبقتها، وهذا راجع لعدم تخلي السكان على هذه المواقع والمراكز التاريخية فقام كل جيل بالبناء على أنقاض مباني من سبقه، خاصة وأن هذه المواقع قريبة من مصادر المياه ومواد بنائها قابلة للذوبان في الماء الطوب واللبن وغير مقاومة للزمن، مما ساعدهم على –الاستقرار والاستمرار في سكنى هذه المواقع العتيقة.

16 -اختيرت مواضع بناء المدن والقصور العتيقة داخل سهول وأراضي رسوبية مستوية غنية بالمياه، قابلة للزارعة لتأمين الحاجة إلى الغذاء والمياه، أسهمت في نمو عمران المنطقة، لكن ذلك جعلها عرضة لتأثير المياه الجوفية على منشآتها، ورغم طبيعة مواد البناء غير المقاومة للزمن إلا أن ذلك لم يمنع الرجل الازبي من البناء الرأسي لعدة طوابق، وذلك بزيادة سمك الجدران وتقوية الطوب اللبن واستخدام مونة الجبس واتباع تضام وتراص المنازل. وعموما فقد كان للمناخ بوجه عام بصمته الواضحة في التشكيل المعماري بالمناطق الصحراوية بداية من اختيار مواد الإنشاء المحلية التي تتناسب مناخيا والمناطق الموجودة، بها مرورا بتخطيط المنشآت أفقيا ورأسيا بما يتناسب وطبيعة المناخ، كما كان لتسقيف الممرات وتوجيه الشوارع دورهما الفعال إنشائيا ومناخيا.

17 - لقد حرص السكان على اختيار مواد البناء المحلية الملائمة للمناخ الحار والجاف، فكانت الحجارة للأساس تحميه من تأثير مياه الأمطار والرطوبة لقرب القصور من الواحة والزارعات السقوية ومنابع المياه ومجاريها، كما بنى البناء الزابي الجدران السميكة باللبن وكساها بالجبس، وكسى الأسقف بالطين أو الجبس لتوفر له البرودة في الصيف و الدفيء في الشتاء وتحفظ له عدم نفاذية مياه الأمطار على الأسطح والجدران، فالطين والجبس والطوب اللبن تعتبر من أفضل مواد البناء الطبيعية التي يمكنها توفير العزل الحراري للمبنى، كما لاحظنا استعمال الخشب كمادة مساعدة في بناء الحوائط بأن تمد وسط الجدران بشكل عرضي تزيد من تماسك الجدران ولا تسمح بحدوث شروخ كبيرة للجدران ،كما لا تسمح باستمرار هذه الشروخ حتى السقف.

18-تأسيس خنقة سيدي ناجي جاء كحتمية دفاعية بدرجة أساسية بعد فرار سيدي المبارك من مطاردة الشابية له في الصحراء. وارتباط تأسيسها بالرؤية التي رآها في المنام مؤسس البلدة عن جده الأول "سيدي ناجي"، وهذه ميزة نجدها في تأسيس أغلب القرى والبلدات وهو قيام التأسيس على أساس الرؤية والأسطورة. إضافة الى إشكالية النسب، وهي إشكالية كانت دائما مثار الاختلاف والتضارب، خاصة وان تأسيس الخنقة جاء في وقت انهيار أخر الإمارات الإسلامية في المغرب العربي. حيث أصبح النسب الشريفي مطلب الجميع. وهذا ما جعلنا نجد نسبين لأسرة سيدي المبارك الأول ينتهي إلي عثمان بن عفان، والثاني إلى الادارسة ومنه إلي الرسول صلي الله عليه وسلم.

19-اكتسبت خنقة سيدي ناجي مكانة مرموقة علميا واقتصاديا في مدة وجيزة في منطقة الزاب الشرقي، رغم وجود قرى لها أسبقية الظهور في المنطقة كسيدي عقبة، ليانة وبادس التي كانت مركزا عمرانيا كبير منذ العهد الروماني، ورغم ذلك لم تحقق ما حققته خنقة سيدي ناجي فهل هذا يعود فقط للمكانة العلمية التي كان يتمتع بها مؤسس الخنقة والزاوية وهو سيدي المبارك كما أن هذه الأسرة جلبت معها موارد مالية كبيرة أثناء تنقلها من تونس، وهذا ما جعلها تصبح مركز استقطاب للاستقرار السكاني والازدهار الاقتصادي (للحرفيين والتجار).

20-المنطقة ورغم بعدها عن مقر الحكم العثماني، إلا أنها لم تكن بعيدة عن مجريات الأحداث السياسية والثقافية المكانة التي حظيت بها في العهد العثماني من لدن الحكام العثمانيين دون المناطق الأخرى، والذي تجلي في حصول شيوخها على حق جباية الزكاة والعشر في الزاب الشرقي وجبل ششار، وهي حظوة لا يمكن الحصول عليها مجانا خاصة وان العثمانيين كانوا لا يعطونها لأي كان. اضافة لموقع خنقة سيدي ناجي، وهو طريق القوافل بين الصحراء والتل بالنسبة للقبائل الرحل في رحلة المصيف، وكذا طريق الحج الذي كان يمر بها، والذي كان ينطلق من المغرب الأقصى وموريتانيا، وهذا ما شجع حركة التجارة والتبادل التجاري في المنطقة.

21-العلاقات الطيبة مع دايات تونس حيث كانت ملاذا للبعض منهم أثناء صراعهم على السلطة واستضافتهم، وهذا ما يسمي في لغة اليوم الدبلوماسية "باللجوء السياسي"، هذه المكانة جعلتهم حلقة وصل بين الايالتين التونسية والجزائرية عند حدوث الأزمات. إلا انه من جهة أخرى، كانت هذه المكانة مثار شكوك بايات قسنطينة وعدم الثقة في شيوخ الخنقة، وبذلك كانت خنقة سيدي ناجي منطقة تجاذب بين الايالتين.

22-الروابط الثقافية وحتى الأسرية بين أسرة سيدي ناجي و الأيالة التونسية، جعلت المنطقة تتأثر بالنمط العمراني والثقافي التونسي، فقد استفادت الخنقة من دون شك ببعض المظاهر الثقافية والفنية من تونس نظرا للتقارب الكبير الذي كان بينهما. فقد استعان شيوخها في تزيين مسجد سيدي المبارك بصناع تونسيين ماهرين أمثال: أحمد بن عمر التونسي الذي نقش المحراب و الاصطا حسين الذي نقش القبة وعلي بن محمد التونسي وعمر الصفا قسي ...إلخ، وقد وجدت خطوطهم على مسجد ومدرسة الخنقة، فنقش مثلا على الباب الغربي للمسجد ما يلي: "ركب هذا الباب يوم الأحد الثامن من شهر الله المعظم شوال سنة 46 ومائة وألف علي يد صانعه أصطا أحمد بن عمر الشريف الجبايلي النقاش وباني هذا المسجد الحاج محمد السعد بن عمر الصفا قسي رحمه الله. اضافة إلى الزخرفة العثمانية البارزة في معالم الخنقة في المسجد والسرايا، والتي تدل بشكل لا يدعوا للشك أن المنطقة كانت تعيش في رخاء اقتصادي ومالي كبيرين.

23. ظاهرة استعمال العقود النصف دائرية، والتي نجدها في اغلب المنازل في خنقة سيدي ناجي إلي يومنا هذا، وهذا يدل أن المعماري في المنطقة أصبح يتحكم في تقنيات البناء بدرجة كبيرة. حيث أصبح يكيف عمران البلدة حسب متطلبات البناء والظروف الزمنية التي تعيشها. بالإضافة لظاهرة استعمال العقود البرميلية على شكل العقود الرومانية والتي استعملت في المدرسة الناصرية والسرايا.

24-الملاحظ أيضا من خلال الدراسة الميدانية لعمارة خنقة سيدي ناجي، هو توفر شروط العمارة الإسلامية في تأسيسها، من إحاطتها بصور بغرض الحماية، وتموضعها بين جبل ووادي، وهذا ما تكلم عنه ابن خلدون، وابن الأزرق، وابن الربيع. إضافة لدقة وتنظيم البلدة من حيث تقسيم سكانها قبليا على أحياء وحارات وهو ما يشبه المدن الأولى التي أسسها المسلمين كالكوفة والبصرة والقيروان والفسطاط ولهذا عرفت البلدة ذات الخمس مساجد وخمس حارات وخمس سواقي وخمس أبواب خمس عيون. كما تمكن الانسان الخنقي من التحكم في تقنيات الري حيث استغل شيوخها ما وجدوه من قنوات رومانية قديمة في المنطقة وأضافوا لها قنوات جديدة لاستصلاح أراضي الخنقة.

25-الزخرفة التي تزين المسجد وهي زخرفة ذات نمط متطور عما وجدناه في مساجد الولاية الأخرى، زخارف نباتية، هندسية، فلكية غاية في الإتقان. حيث تم الاستعانة باليد الفنية الخارجية والتي جلبت من تونس تحديدا. كما وجدنا، ظاهرة تعدد الأضرحة بالمسجد وهي ظاهرة نادرة قل ما نجدها في مساجد الجزائر. استعمال الحجارة في صناعة الأعمدة (السواري)والتيجان بإتقان عال عكس مساجد ليشانة، سيدي عقبة، طولقة وأولاد جلال...الخ الذين استعملت فيهم أعمدة وتيجان جلبت من الخرائب الرومانية وكذا استعمال جذوع النخيل.

26-المدرسة الناصرية والتي تعد نموذجا فريدا من نوعها في الزاب من حيث التصميم والبناء والوظيفة عكس مسجد سيدي عقبة. اما المقبرة الملحقة بالمسجد الخاصة بأسرة بن حسين والتي تضم شيوخ وأبناء الأسرة ملحقة بالمسجد منفصلة عن مقبرة العامة من سكان الخنقة. كما ان طريقة بناء القبور والشواهد تدل عن التأثير العثماني في المنطقة كما تبين الحظوة والمكانة التي كانت لأسرة بن حسين.

دليل الاشكال، الخرائط واللوحات

ملحق الخرائط

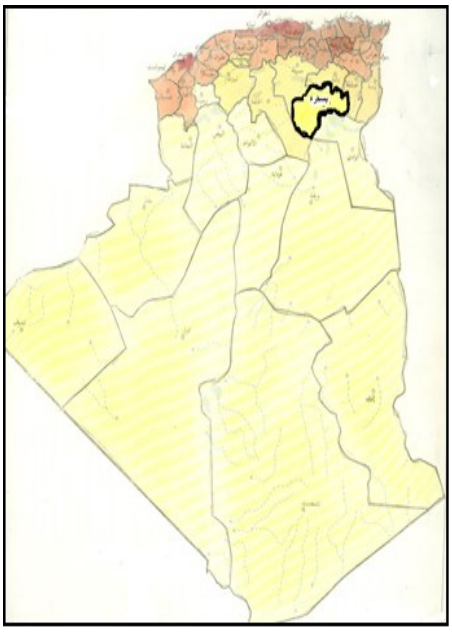

خريطة01: موقع بسكرة بالنسبة للجزائر
عن أطلس الجزائر والعالم
مقياس الرسم:1/10000000

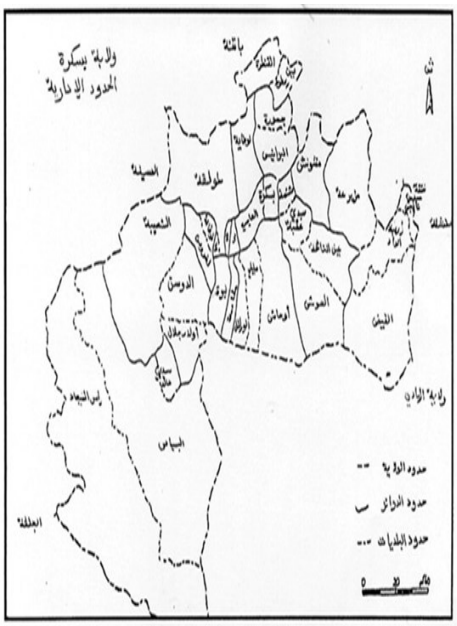

خريطة 02: التقسيم الإداري لولاية بسكرة عن م،ت،ت ع بسكرة

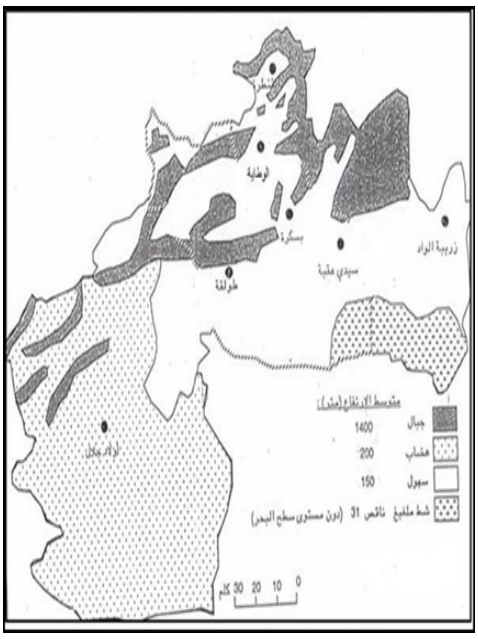

خريطة 3: تضاريس إقليم الزاب
عن الخريطة الطوبوغرافية لولاية بسكرة

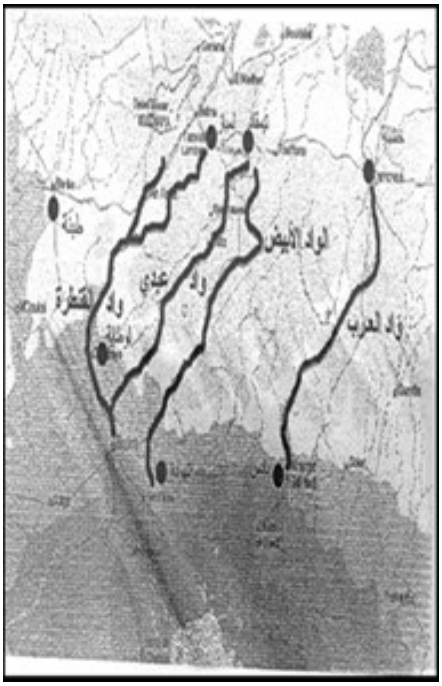

خريطة4:القلاع الرومانية التي أقيمت على مصبات الأودية في منطقة الأوراس للتحكم أكثر في مصادر المياه بالمنطقة

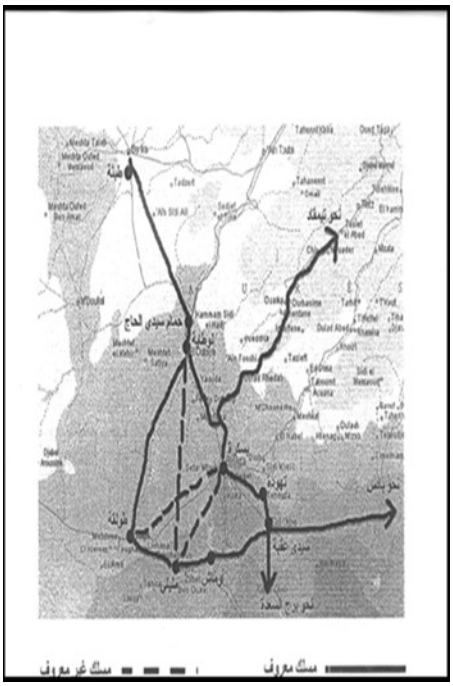

خريطة5:الطرق والمسالك الرومانية
عن بلكحل وآخرون

خريطة 06: توضح الفتح
الإسلاميلأفريقية عن شوقي أبو خليل

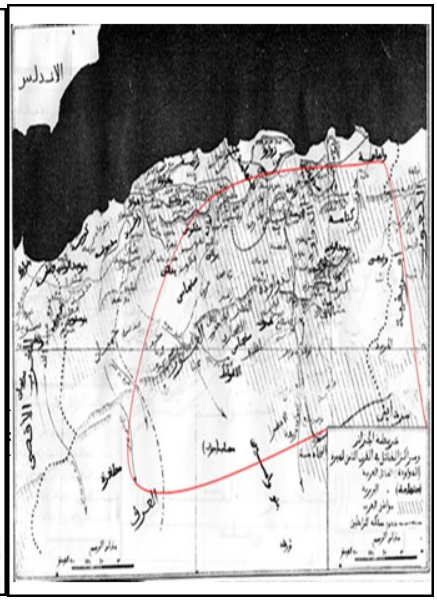

خريطة 07: حدود إقليم الزابوبلاد المغرب والأندلس حسب النصوص التاريخية و الأوصاف الجغرافية عن كتاب تاريخ الجزائر في القديم و الحديث لمبارك الميلي بتصرف الطالب

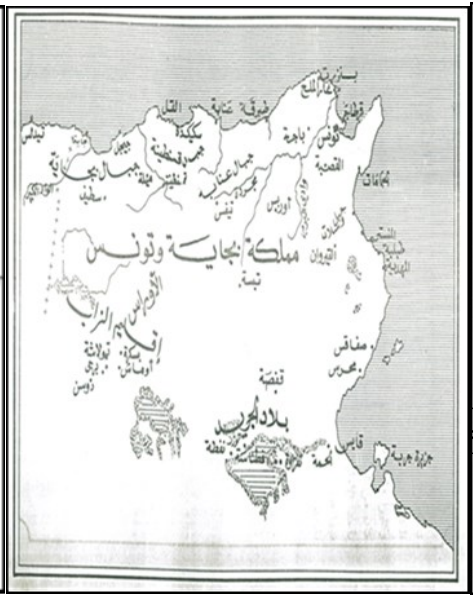

خريطة08: خريطة توضح إقليم الزاب ضمن مملكة بجاية وتونس في الاغلبي عن حسن الوزان

خريطة09:إقليم الزاب في الوقت الحاضر عمل الطالب

خريطة10: تبين مسار رحلة الحج التي تمر بقرية سيدي عقبة وقرية سيدي ناجي عن مولاي بالحميسي

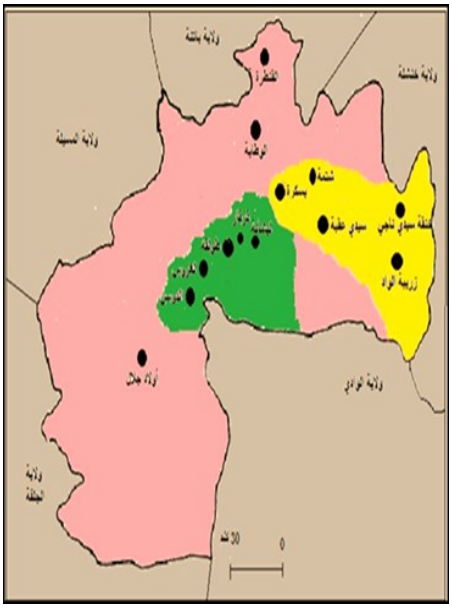

خريطة11:موقع إقليمي الزاب الشرقي والغربي حاليا والقري التي تشكله

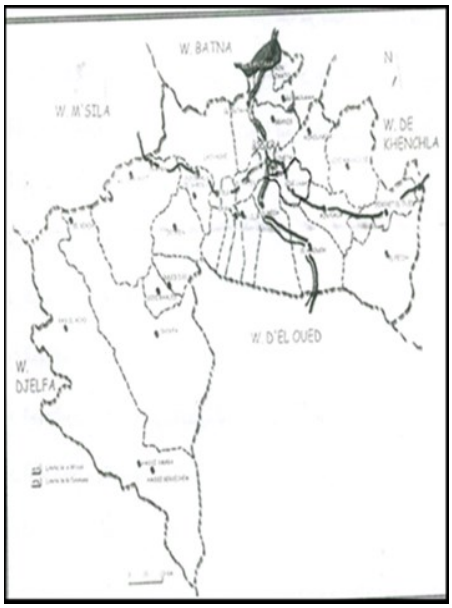

خريطة12: توضح الموقع الإداري لبلدية سيدي عقبة عن دائرة سيدي عقبة

خريطة13: المسلك الذي اتخذه الفاتح عقبة بن نافع من طبنة إلى تهودة عن (بلكحل وآخرون)

خريطة14: الموقع الإداري لبلدية سيدي ناجي عن (دائرة الخنقة)

الشهر	جانفي	فيفري	مارس	أفريل	ماي	جوان	جويلية	أوت	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
المتوسط الحراري الشهري	08,13	11,85	15,80	18,90	24,26	33,26	34,10	32,96	28,58	22,91	14,52	10،05

جـدول رقم (01)المتوسط الشهري لدرجة الحرارة لبسكرة ما بين سنة1863و1865عن (seriziat)

جانفي	7H	°11,5
	13H	°12,5
	18H	°12
جويليـة	7H	°31,8
	13H	°33,7
	18H	°33,8

(جـدول 02)المتوسط الشهري لدرجة الحرارة(عن dubief)لبسكرة مابين1933-1935

جانفي	فيفري	مارس	أفريل	ماي	جوان	جويلية	أوت	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر
17	10	19	10	15	08	02	03	17	15	22	18
12	10	14	08	14	07	03	02	16	18	17	15

(الجـدول رقم3) عن **(: Seltzer1946)**

(جدول 1،2،3)

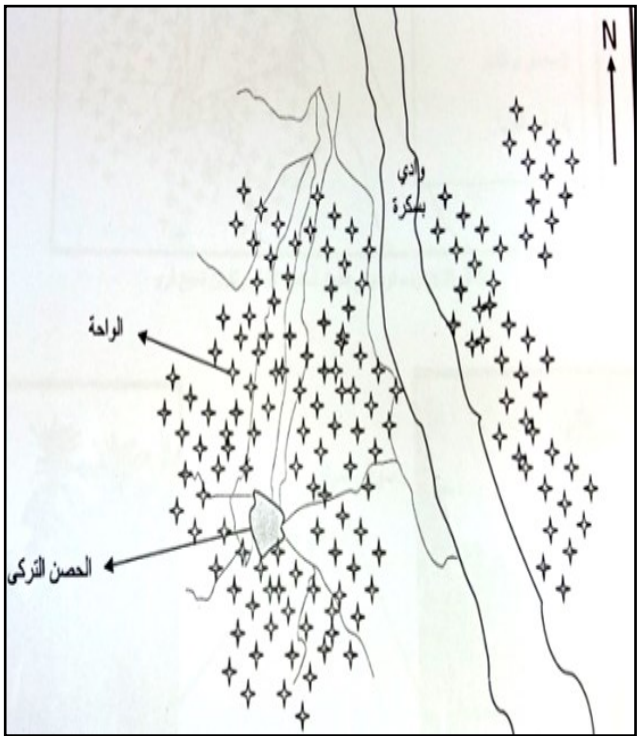

الشكل 2: مخطط لمدينة بسكرة اثناء الحقبة العثمانية من تصور الطالب

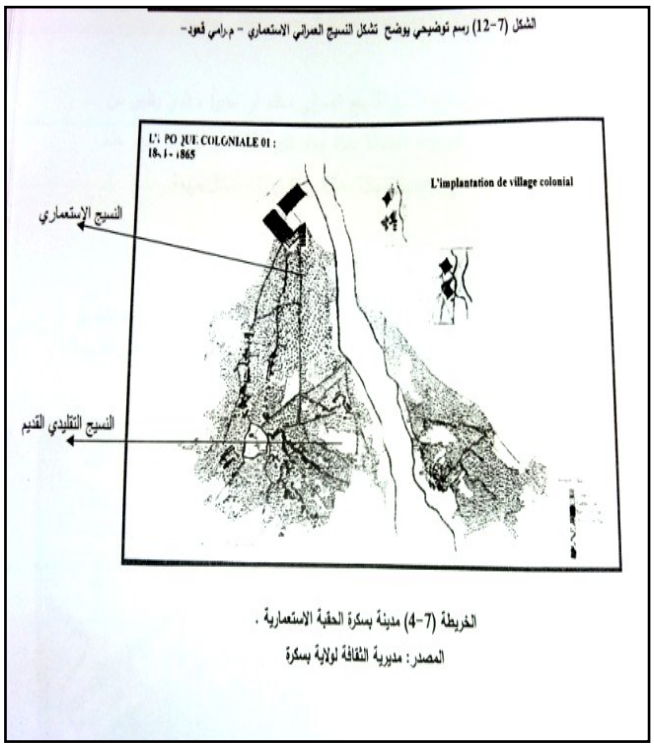

شكل رقم 3: مخطط لمدينة بسكرة أثناء الحقبة الاستعماريةعن مديرية الثقافة بسكرة

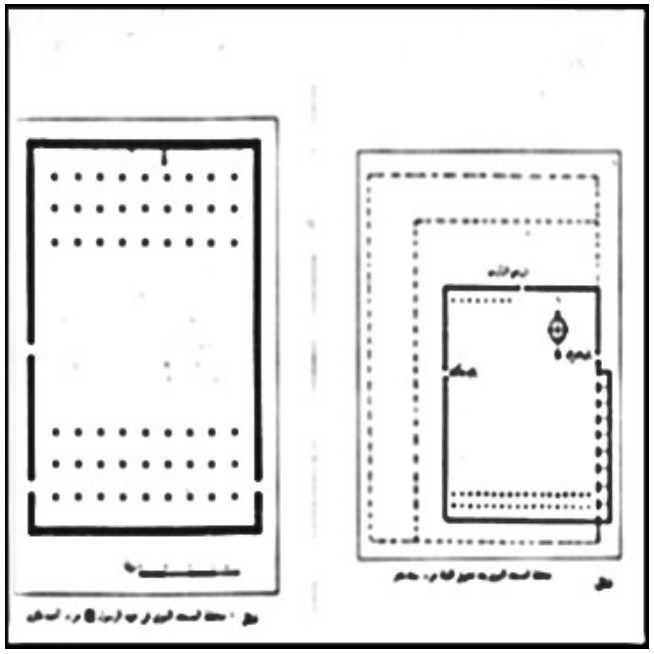

شكل4: مخطط المسجد النبوي الشريف في بداياته الأولى عن سعاد ماهر وأحمد فكري

الشكل5: خريطة تبين مدينة مكة ايام الرسول مذكرة دكتوراه. بن الشيخ الحسين. محمد الفاضل .2001

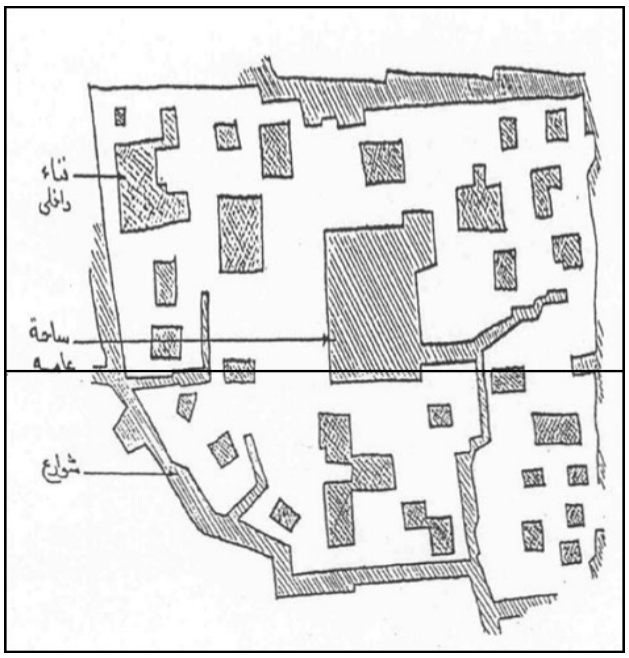

شكل رقم (06) تخطيط مدينة دمشق يظهر تحولها عن التخطيط الشبكي إلى النمط العمراني المتضام

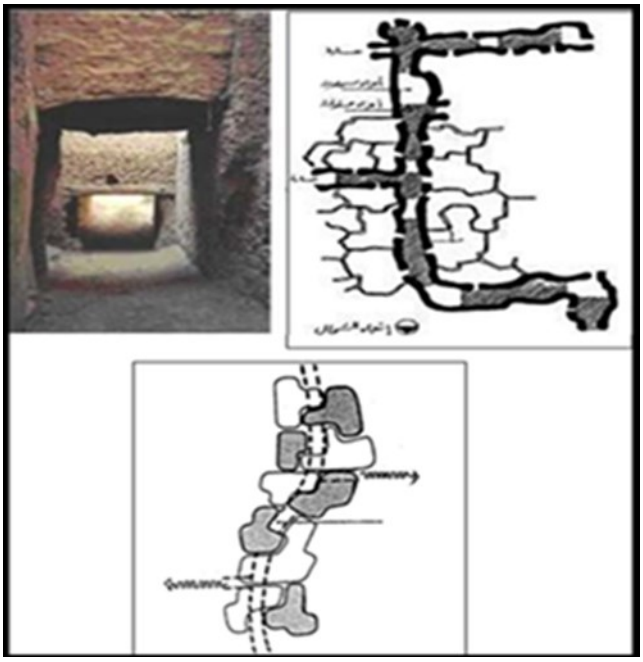

شكل (07) ضيق الشوارع ساعد على التضليل والحماية

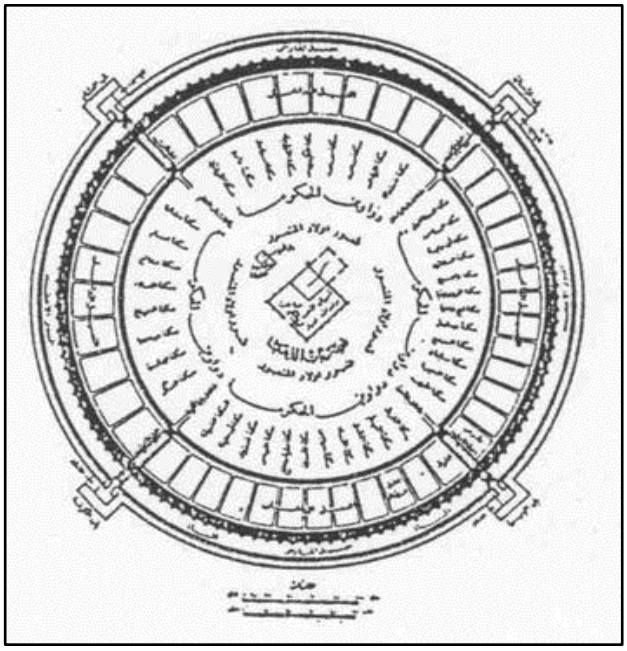

شكل رقم (8) تخطيط مدينةبغداد الملقبةبالمدينة المدورة التي أسستفي عهد العباسيين

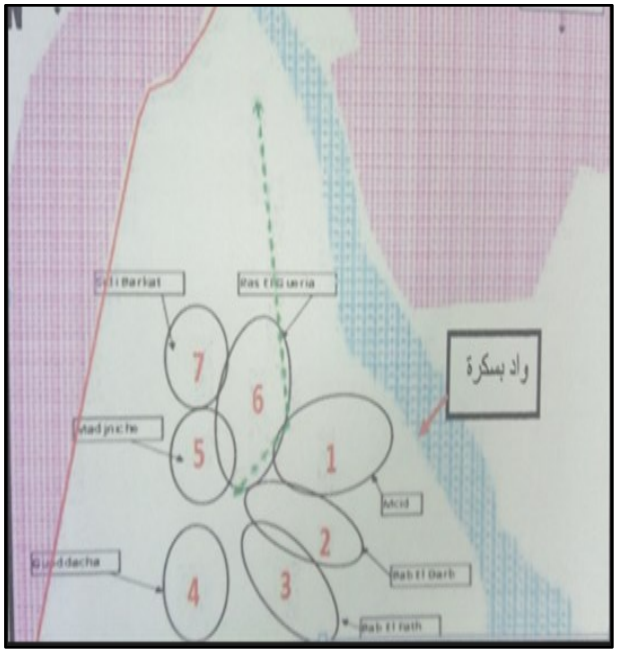

شكل رقم(9): القرى السبع للنسيج التقليدي المكونة لمدينة بسكرة عمل الطالب

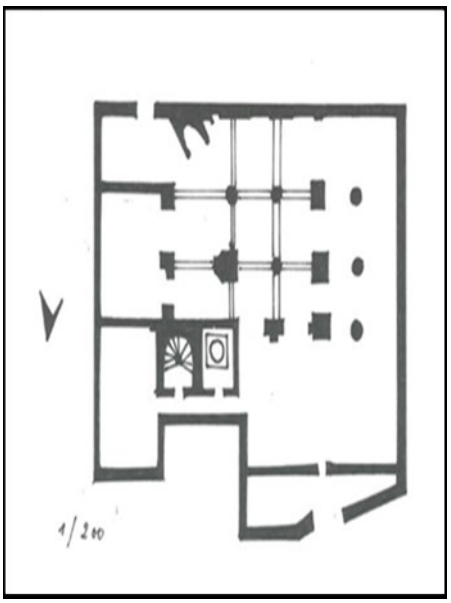

الشكل رقم 10: مخطط مسجد سيدي موسى الخدري عمل الطالب

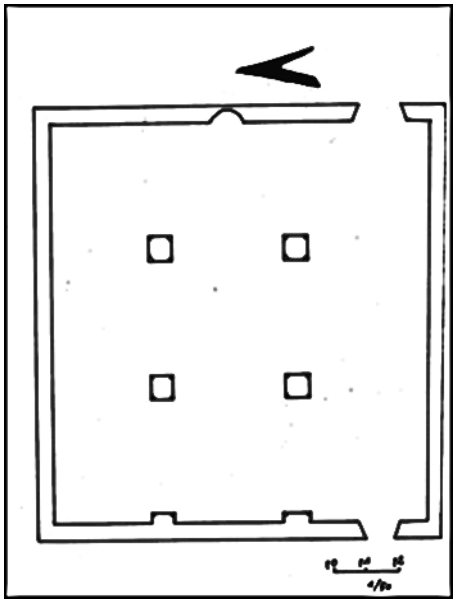

الشكل رقم 11: مخطط مسجد أبي الفضلعمل الطالب

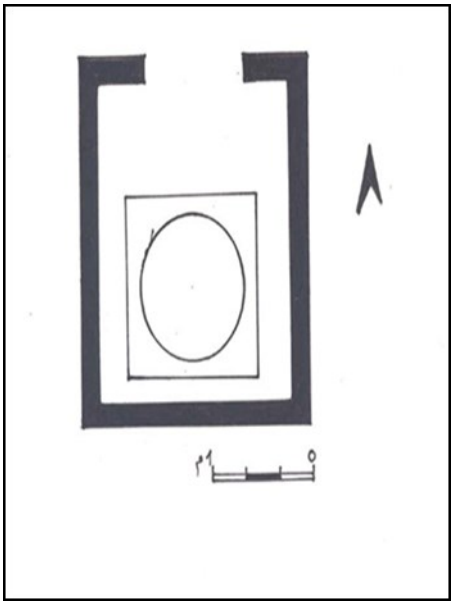

الشكل رقم12: مخطط ضريح سيدي موسى الخضري عمل الطالب

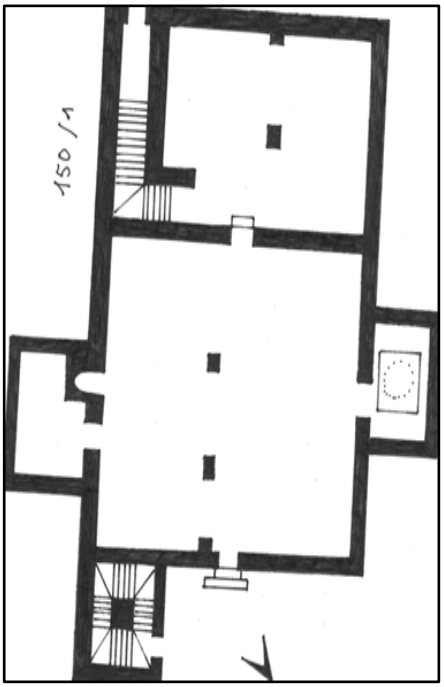

شكل رقم 13: مخطط مسجد سيدي مسعود عمل الطالب

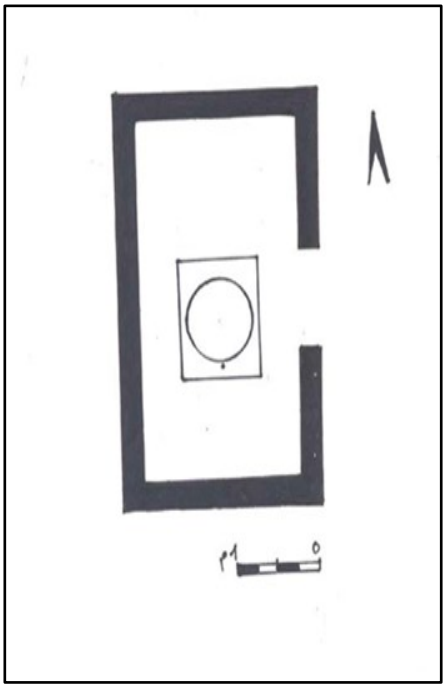

شكل14: مخطط ضريح سيدي مسعود عمل الطالب

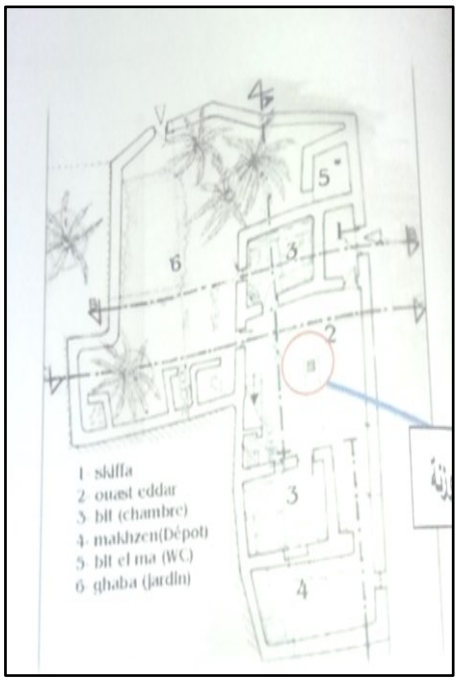

شكل رقم 15: مخطط لطابق أرضي يوضح مكونات المسكن التقليدي بمنطقة بسكرة(جلول عقبة مذكرة دكتوراه قسم الهندسة المعمارية)

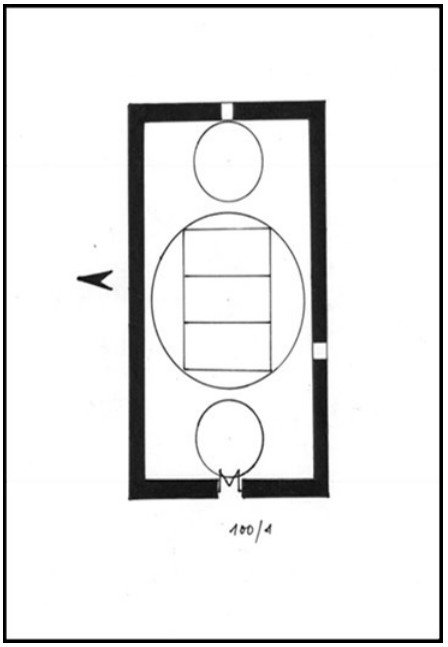

الشكل16: مخطط ضريح خالد بن سنان عمل الطالب

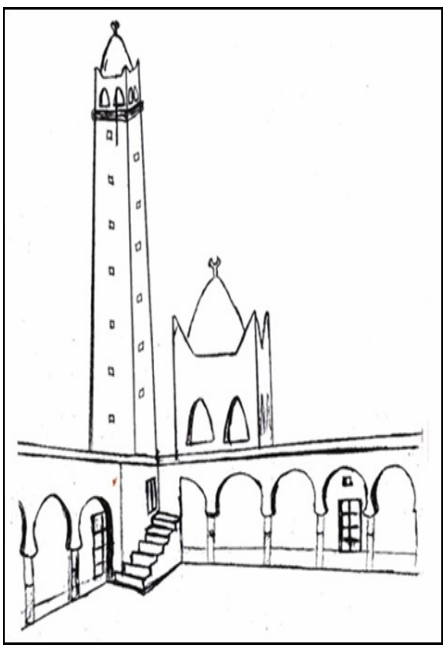

الشكل رقم17: مخطط ضريح خالد بن سنان عن:(Couvet)

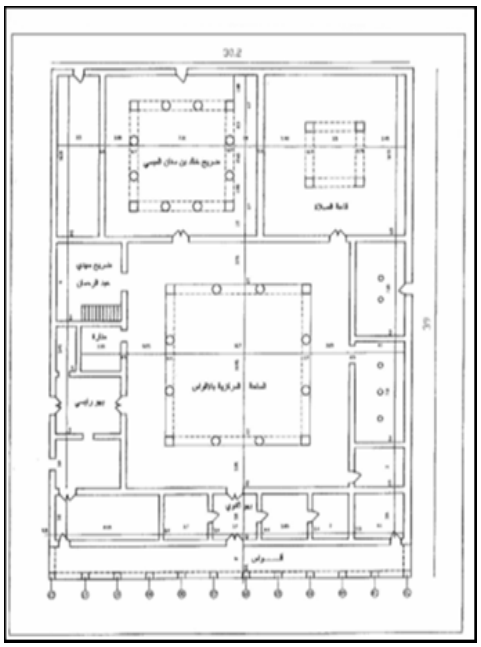

الشكل 18: المخطط الحالي لضريحوزاوية سيدي خالدخالد بن سنان العبسي عن: عبد الحميد قتالة قسم الهندسة المدنية، جامعة بسكرة مقياس 1/200

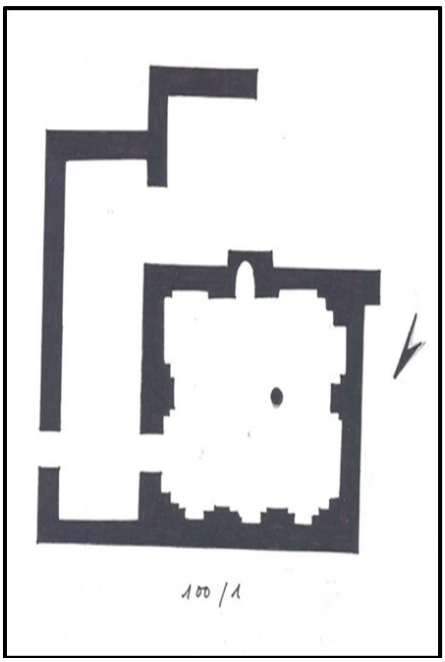

شكل رقم19:مخطط مسجد خالد بن سنان العبسي عمل الطالب

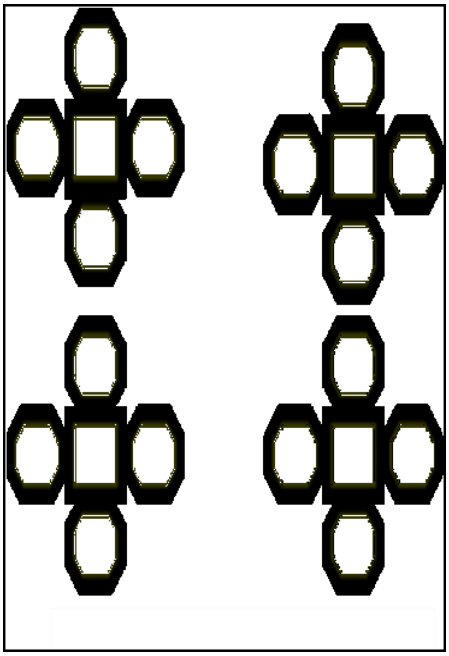

الشكل 20: توضع الأعمدة في مسجد الزاوية المختارية عمل الطالب

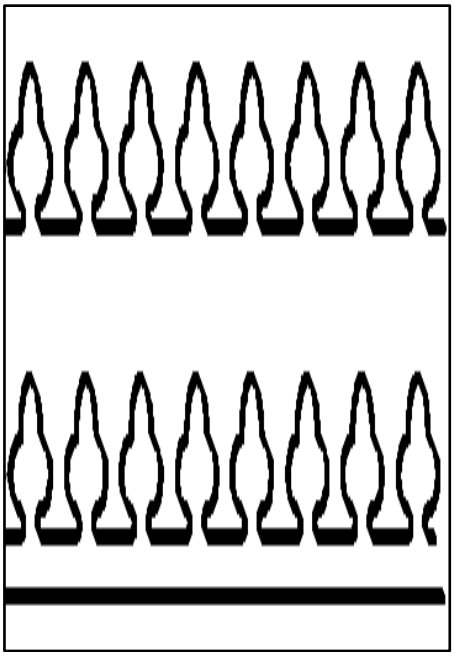

الشكل21: شرافات ثلاثية الفصوص بضريح خالد بن سنان عمل الطالب

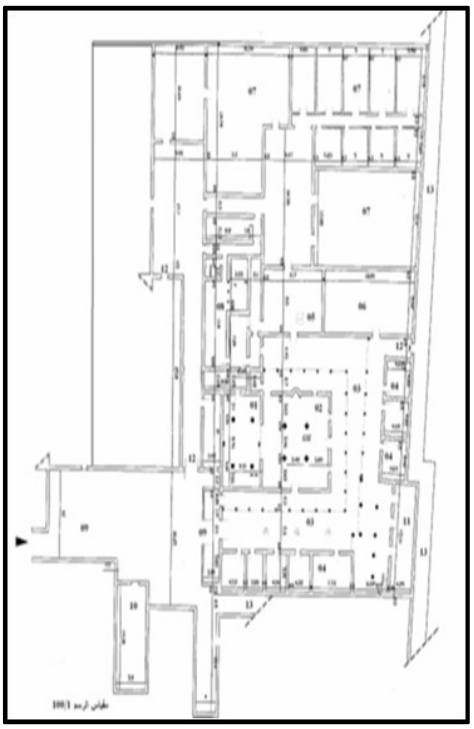

الشكل 22: المخطط الحالي للزاوية المختارية عن: المهندس المعماري مبروك فويل،

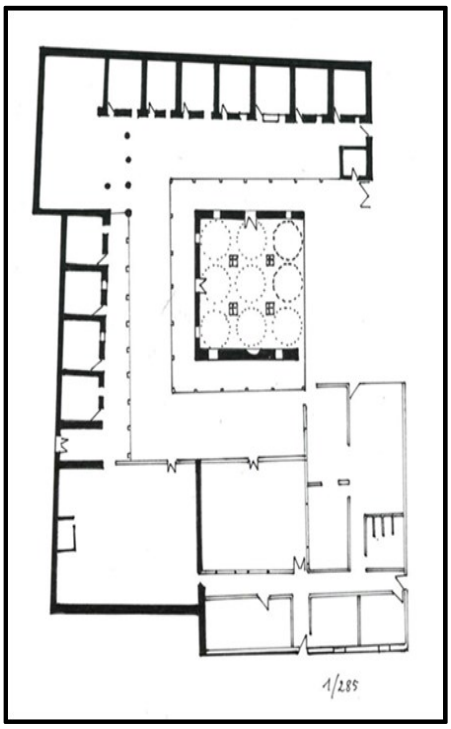

الشكل 23: مخطط زاوية الشيخ المختارمن عمل لطالب

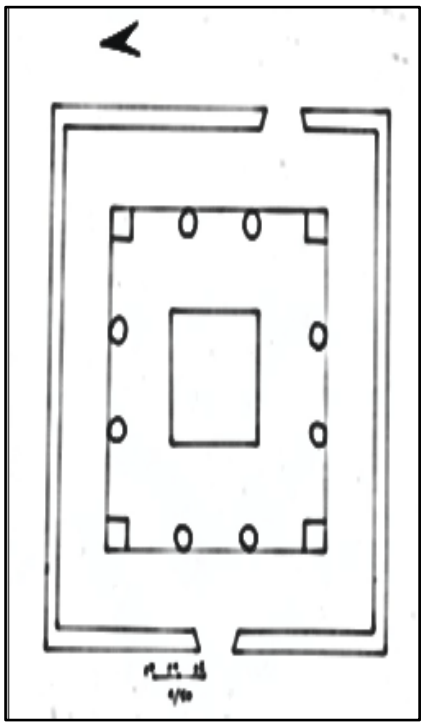

الشكل 25: مخطط ضريح العائلة المختارية عمل الطالب

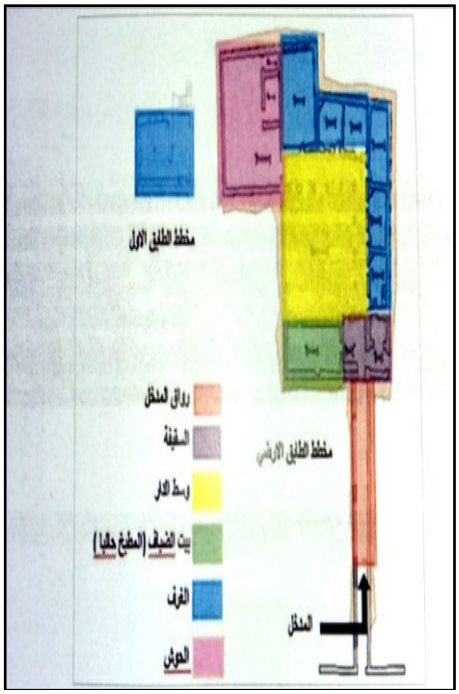

شكل26:مكونات مسكن شيخ الزاوية المختارية عمل الطالب

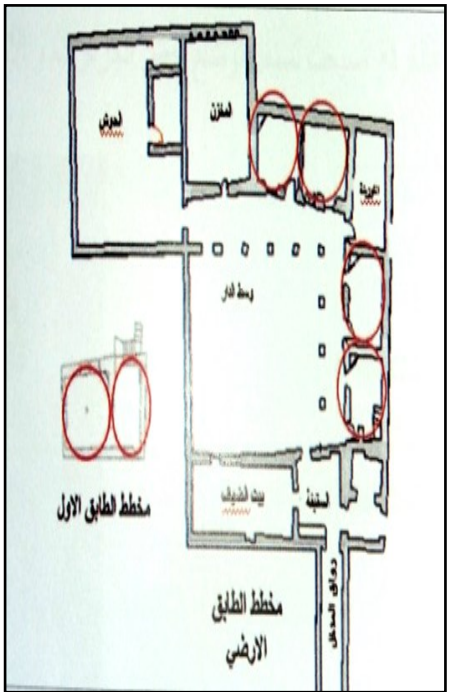

شكل27: مخطط يوضح توضع الغرف في المسكن شيخ الزاوية المختارية عمل الطالب

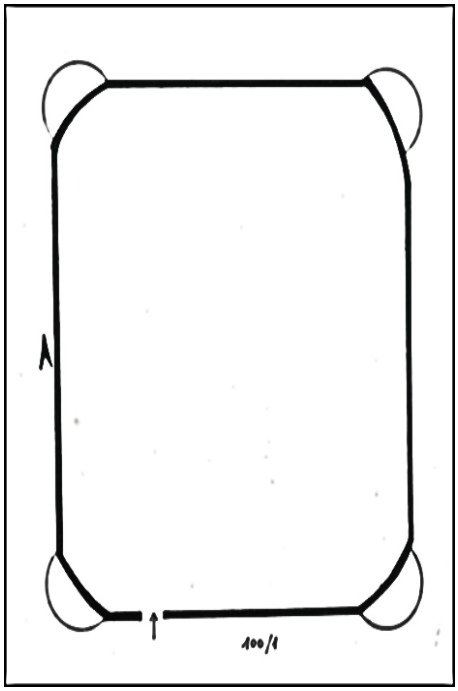

الشكل 28: مخطط قصبة أولاد جلال بتصرف عن(S.Gsell)

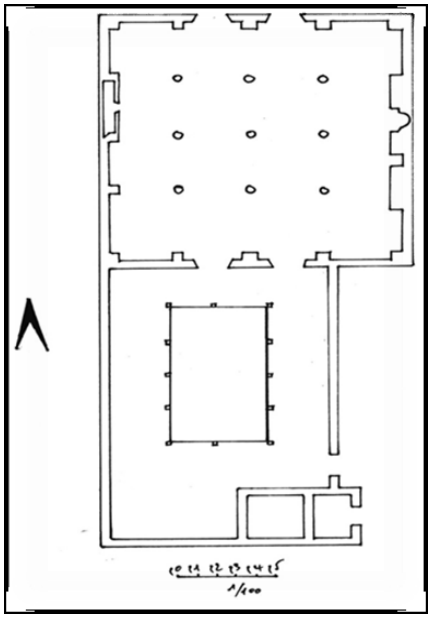

الشكل29: مخطط المسجد العتيق بطولقة عمل الطالب

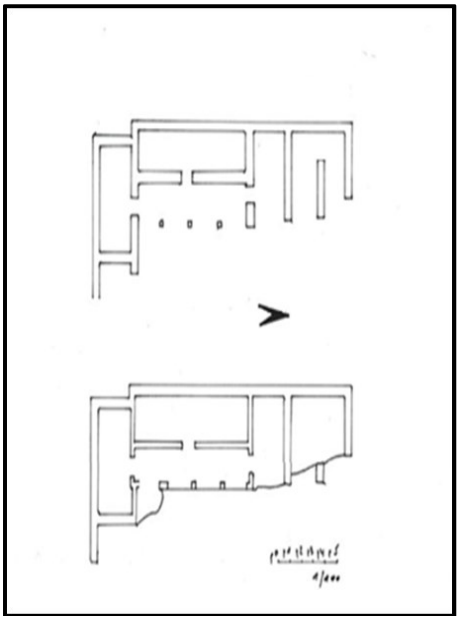

الشكل 30: مخطط الطابق الأرضي والعلوي لملاحق زاوية الشيخ علي بن عمر

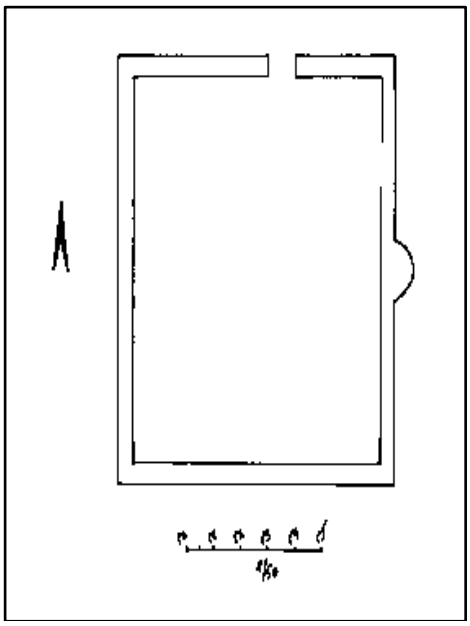

الشكل رقم 31: مخطط ضريح علي بن عثمان عمل الطالب

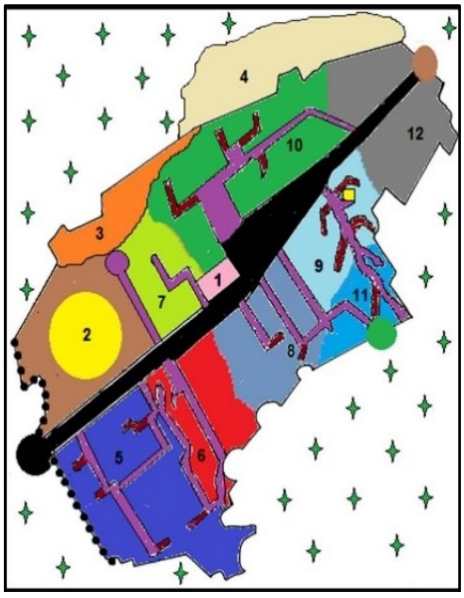

م/50

الشكل 32:مخطط قصر طولقة عن بلدية طولقةبتصرف من الطالب

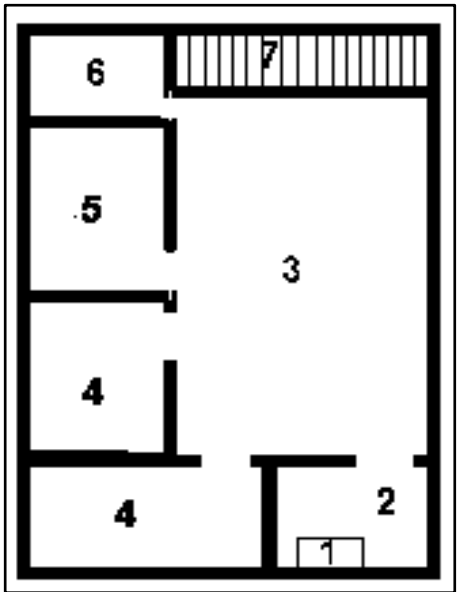

الدور الأول

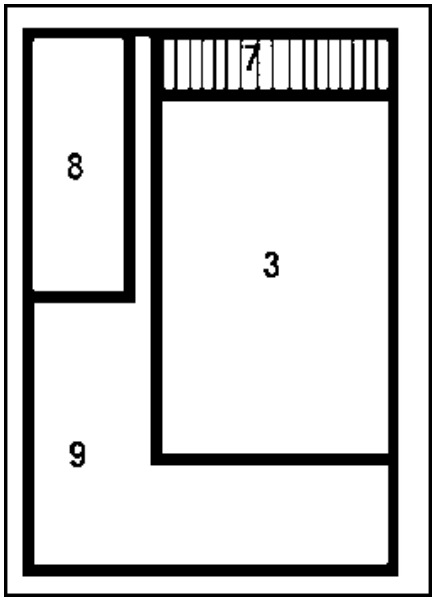

الدور الأرضي 150/سم

الشكل33:مخطط لمنزل من طابقين لمنزل بقصرطولقةعمل الطالب

1 مدخل رئيسي
2 سقيفة
3 فناء
4 غرفة
5 مخزن
6 كنيف
7 سلم
8 دار الضيافة
9 السطح (الدابر)

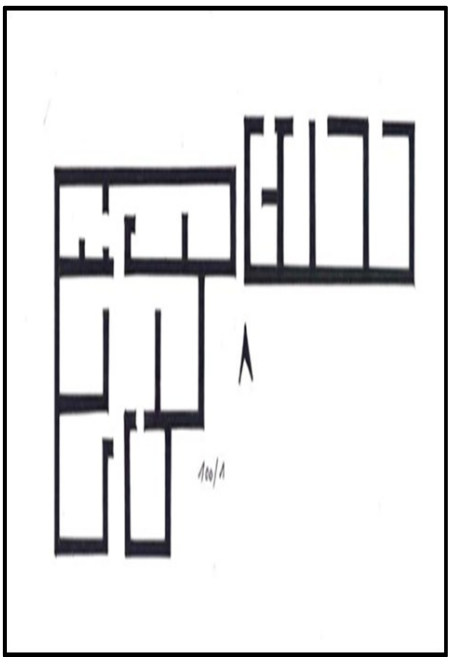

الشكل 34: مخطط مسكن من اوماش عمل الطالب

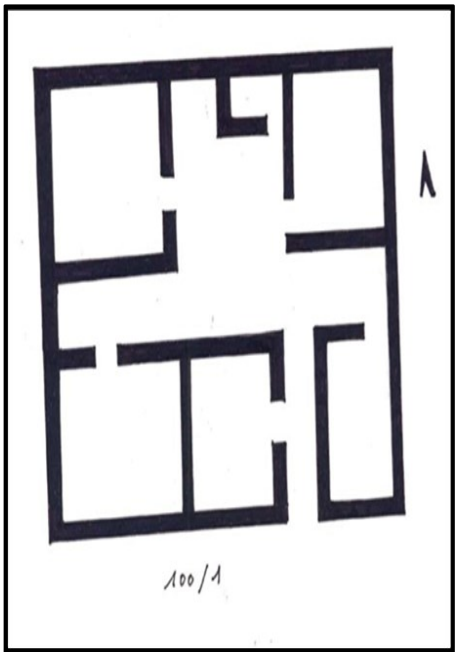

الشكل 35: مخطط مسكن من فرفار عمل الطالب

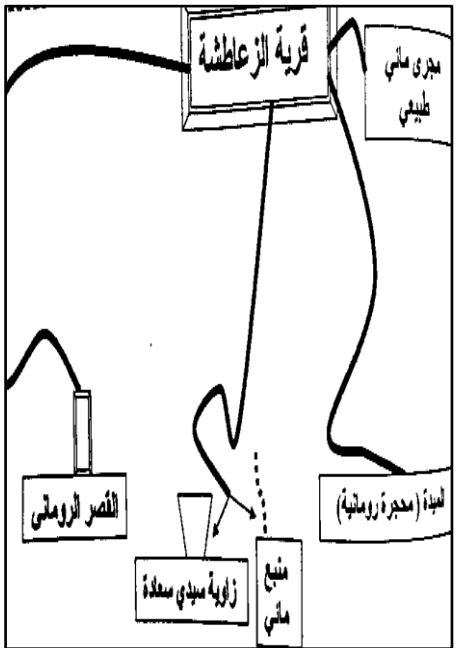

شكل36: مخطط بين قصر ليشانةو بقايا القصر الروماني وقرية الزعاطشة من عمل

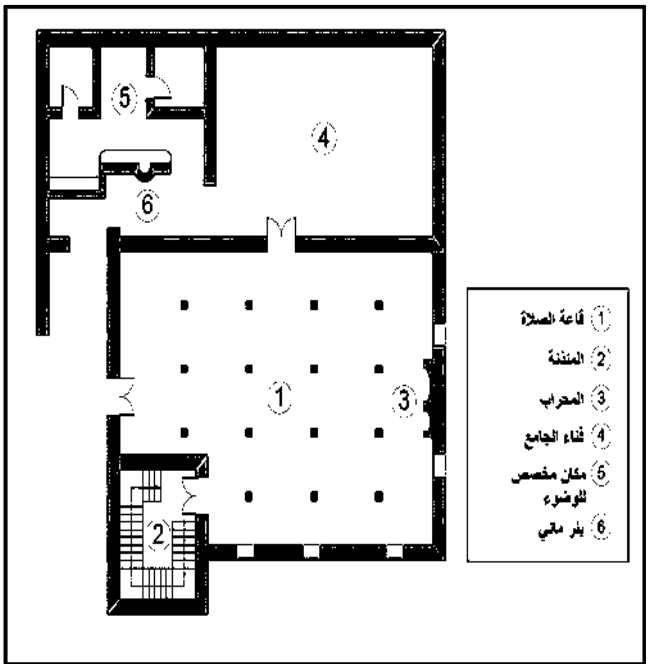

شكل37:مخطط لسجد سيدي سعادة الرياحي بقصر ليشانة سلم1/200 (عمل الطالب)

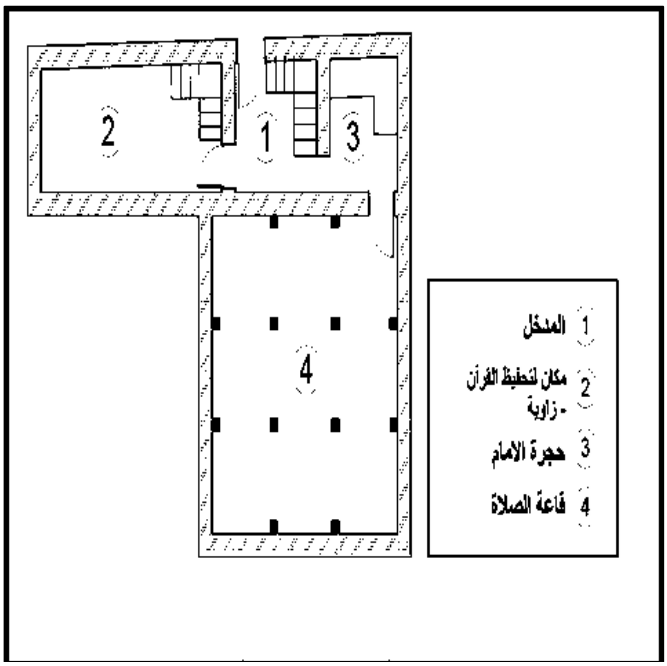

شكل38 :مخطط مسجد سيدي لعروسي بقصر ليشانة1/200 (عمل الطالب)

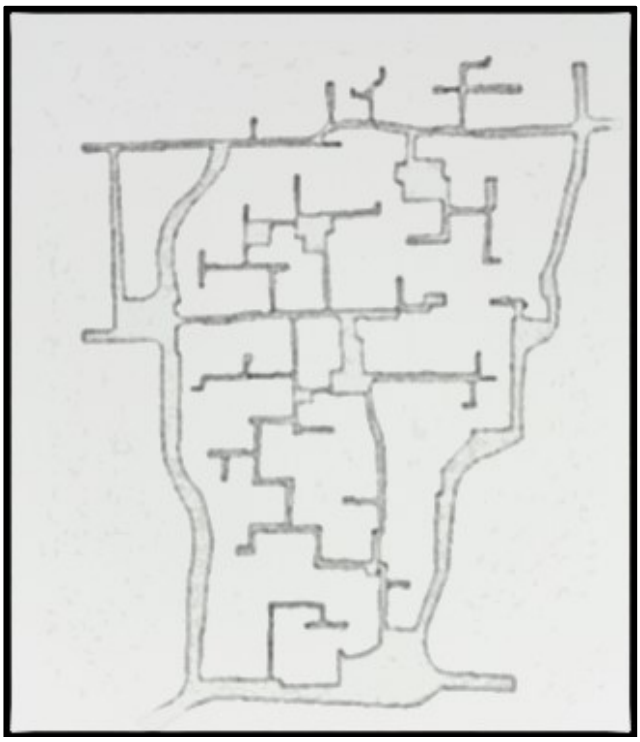

الشكل رقم39:مخطط قصر ليشانة
عمل الطالب

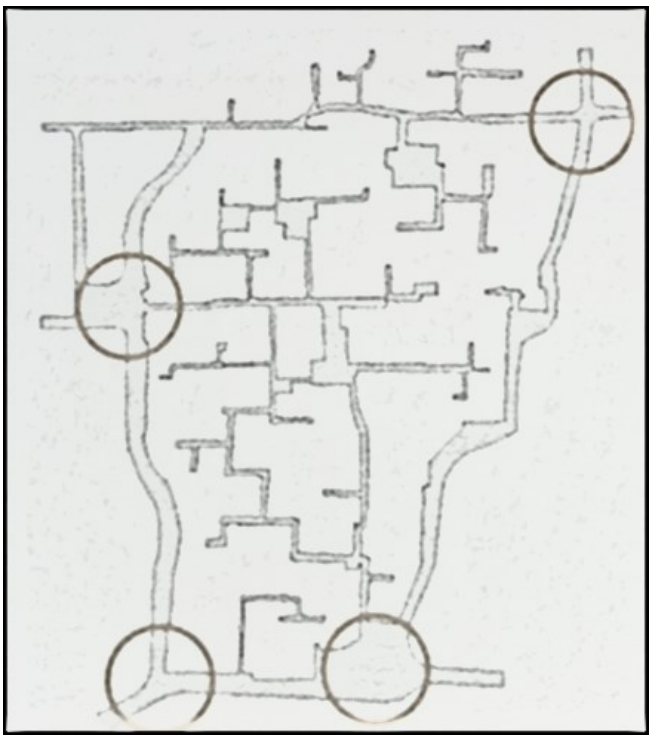

الشكل رقم40: مداخل بالقصرعمل الطالب

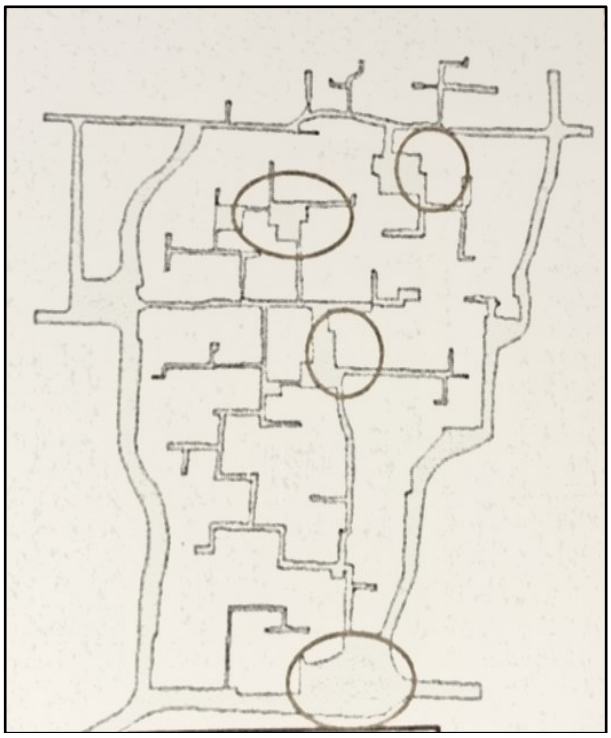

شكل رقم41: الساحات في قصر ليشانة
عمل الطالب

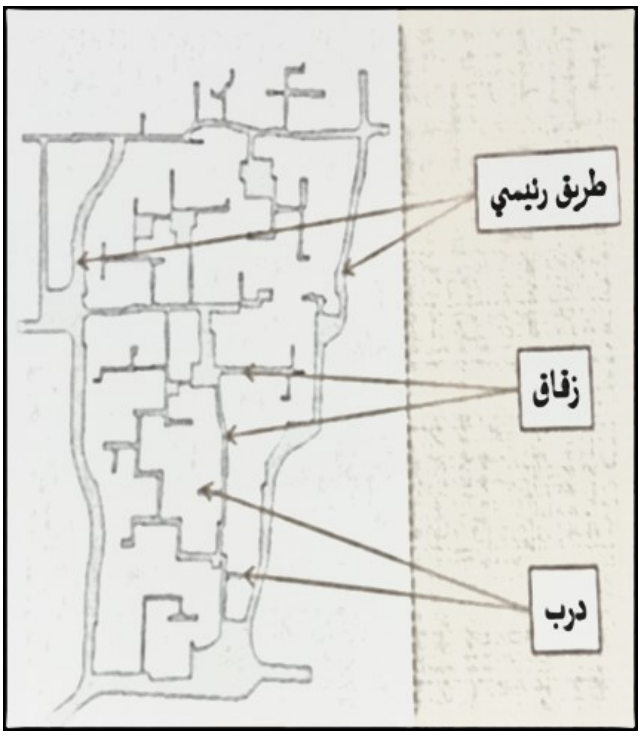

الشكل رقم42: شبكة الطرقات بقصر ليشانة
عمل الطالب

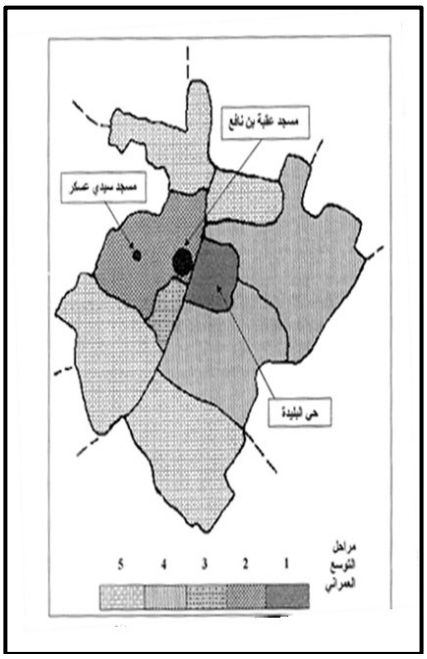

شكل 43: مراحل التوسع العمراني لبلدية سيدي عقبة حسب الرواية المتداولة حاليا والبلديات المحيطة عن بلكحل وآخرون

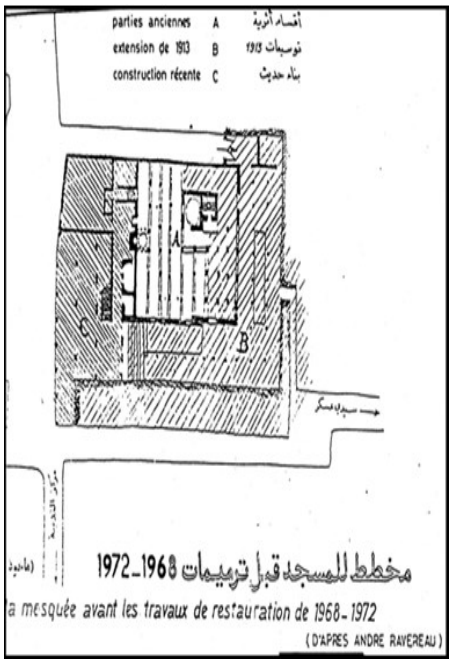

الشكل 44: عمليات الترميم التي تمت على مسجد سيدي عقبة عن أرشيف المسجد

شكل45: شكل مسجد سيدي عقبة في سنة 1847 عن لويس بيس

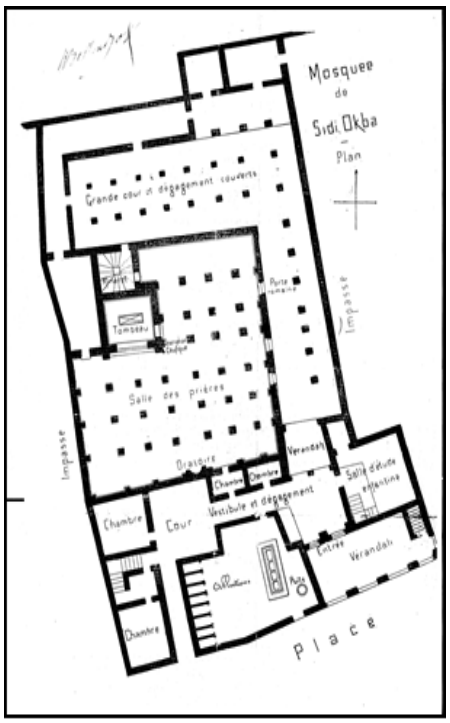

شكل46: مخطط مسجد عقبة بن نافع عن هنري سيمون

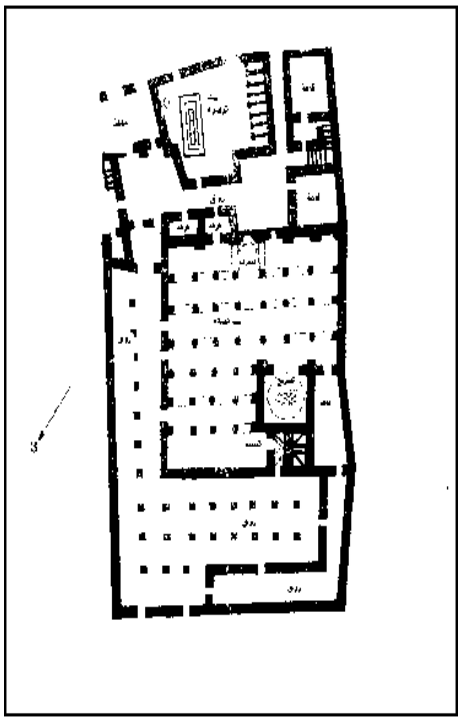

شكل47: مخطط مسجد عقبة بن نافع عمل الطالب

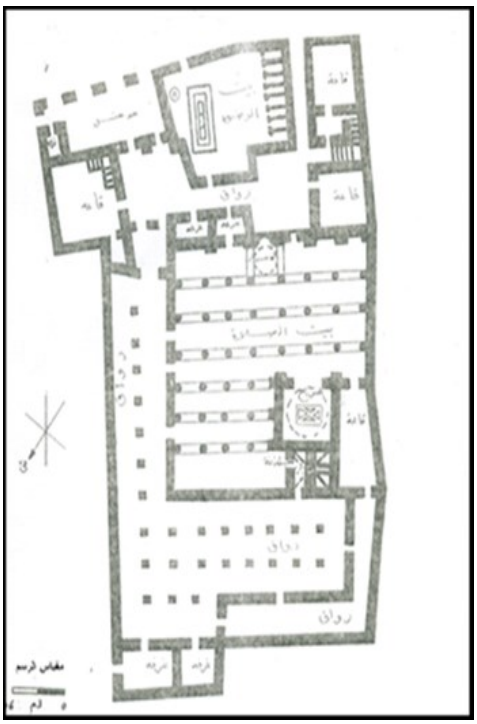

شكل48: مخطط مسجد عقبة عن الشهبي

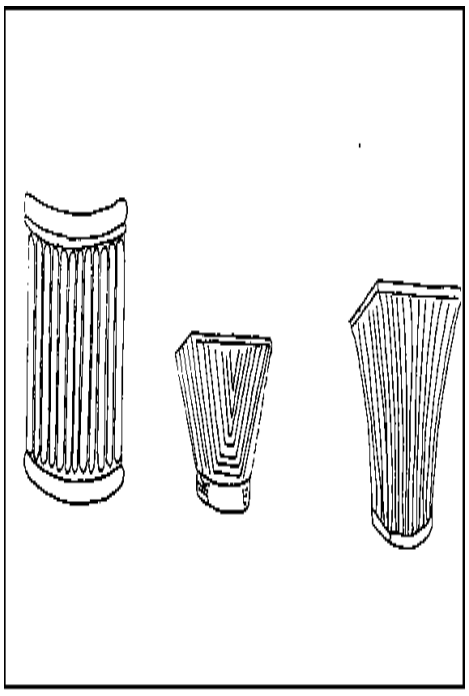

شكل49: وسائل الدعم المستعملة بين التيجان وأقواس الرواق سيدي عقبةعمل الطالب

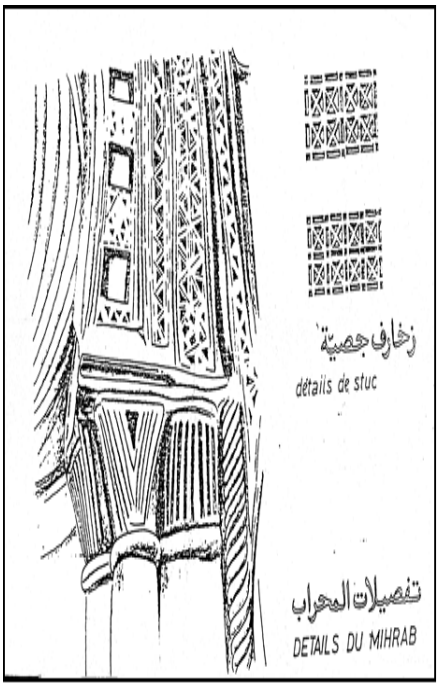

شكل50: رسم تخطيطي للزخارف الجصية المستعملة في محراب مسجد عن بورويبة

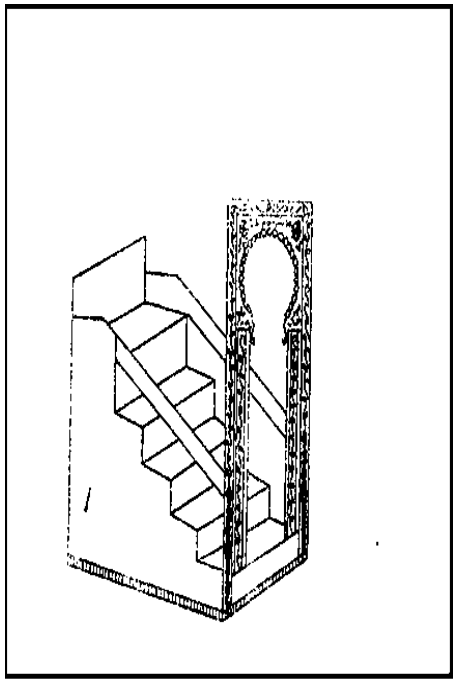

شكل51: تركيب وزخرفة منبر المسجد عمل الطالب

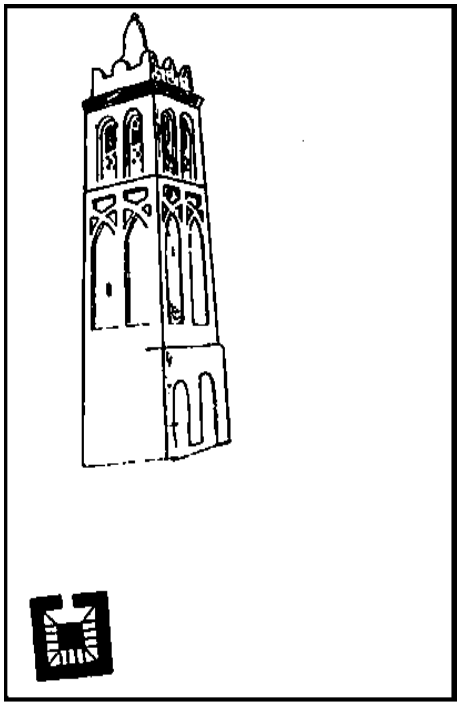

شكل52: رسم تخطيطي لمئذنة جامع سيدي عقبة مع مقطع للمئذنة عمل الطالب

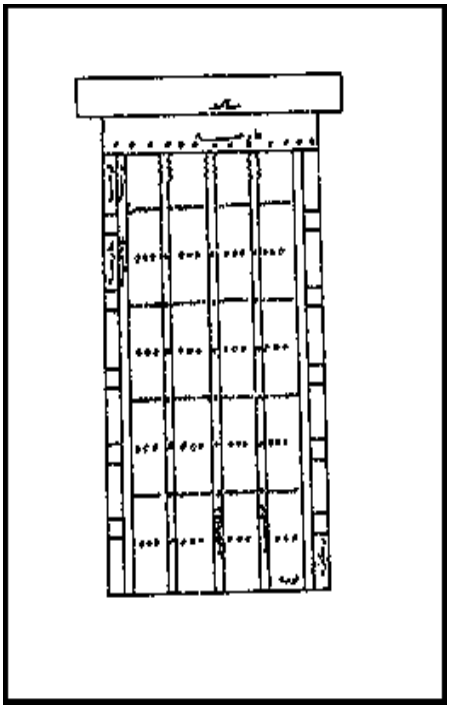

شكل 53: باب(طبنة)بمسجد سيدي عقبة عمل الطالب

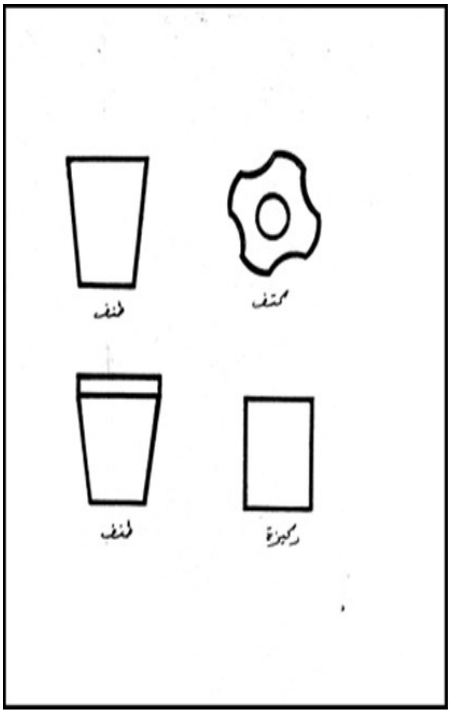

شكل54: زخرفة تيجان سواري المحراب جامع سيدي عقبة عمل الطالب

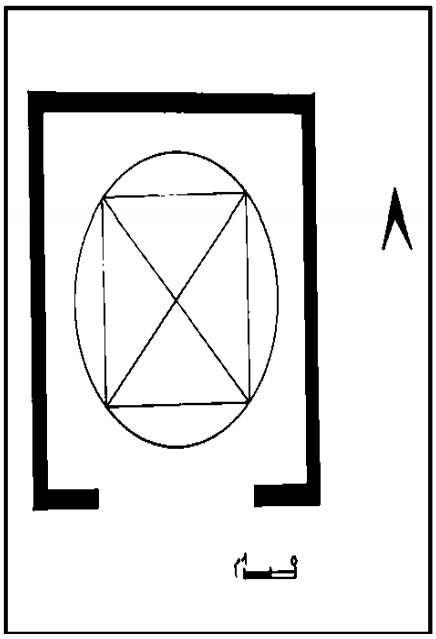

الشكل 55: مخطط ضريح سيدي عقبة
عمل الطالب

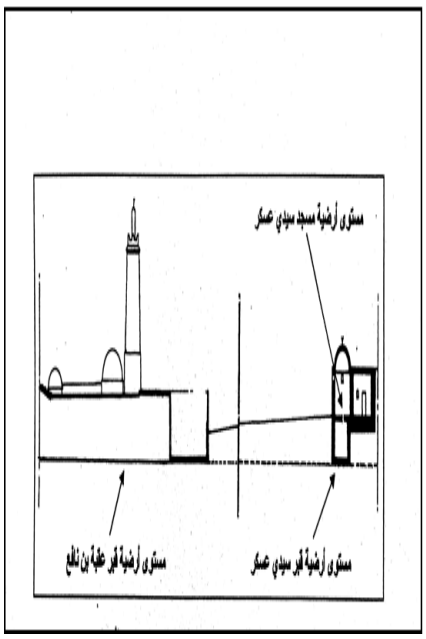

الشكل 56: وجود قبر الفاتح عقبة بن نافع وقبر سيدي عسكر المجاور لمسجد سيدي عقبة بنفس المستوى من الأرضية
عن بلكحل وآخرون

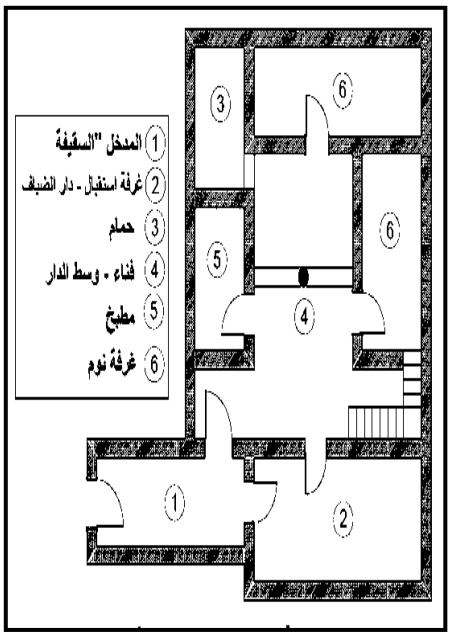

شكل57 : مخطط لاحد المنزل بسيدي عقبة1/200
عمل الطالب

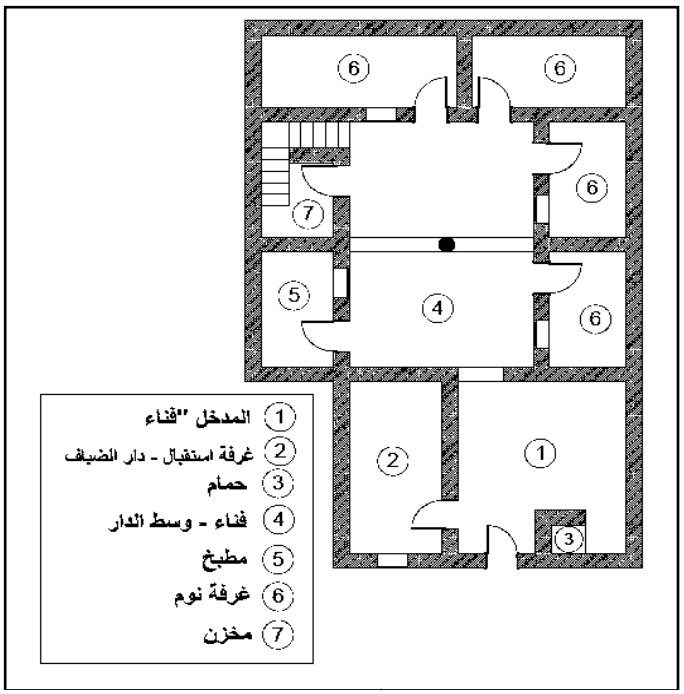

شكل58 : مخطط لاحد المنازل بسيدي عقبة 1/200
عمل الطالب

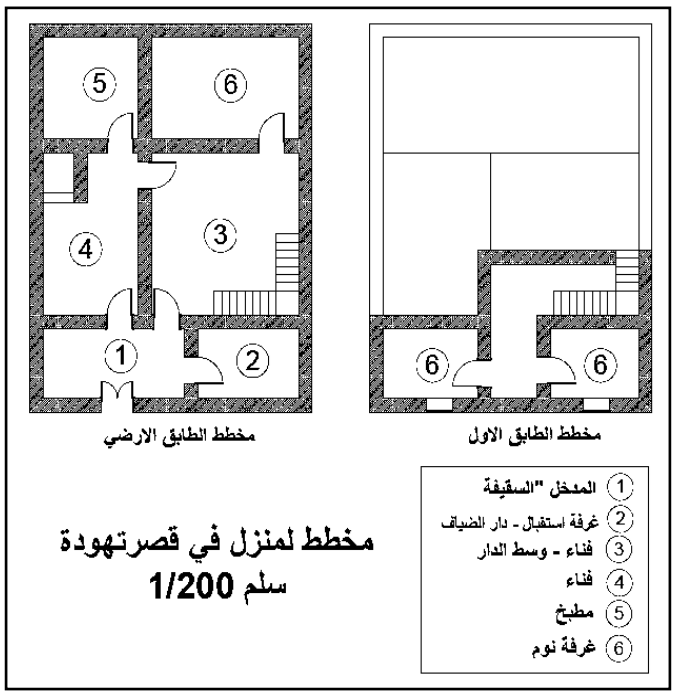

شكل59 :مخطط لاحد المنازل بقصر تهودة1/200
عمل الطالب

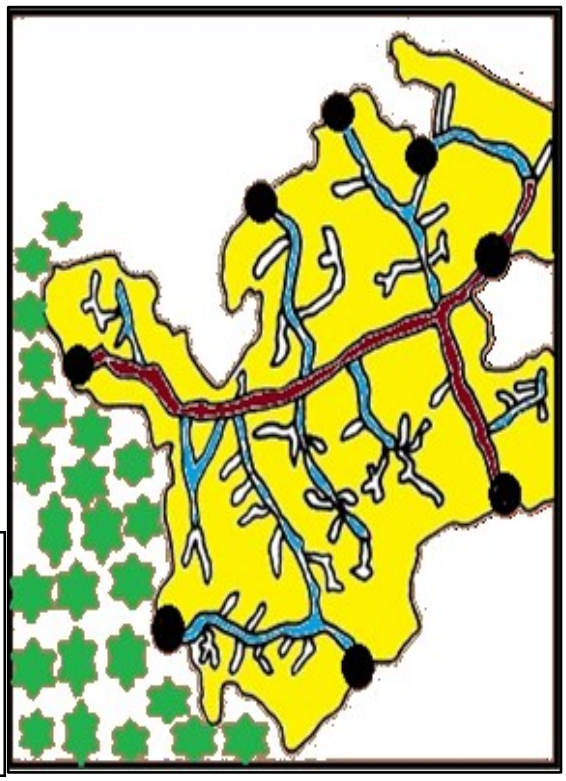

مخطط 60: شبكة الطرق والشوارع مدينة سيدي عقبة م 200/1

عمل الطالب

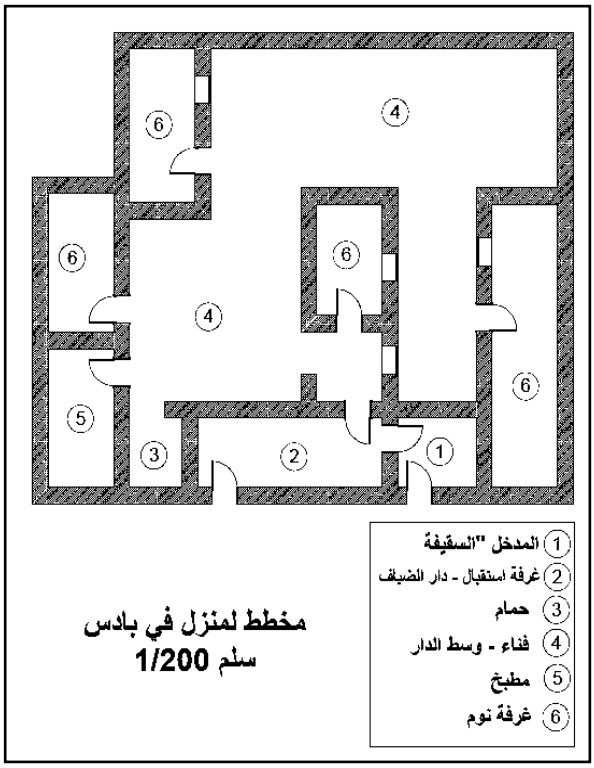

شكل61: مخطط لمنزل بقرية بادس 1/200

عمل الطالب

أ

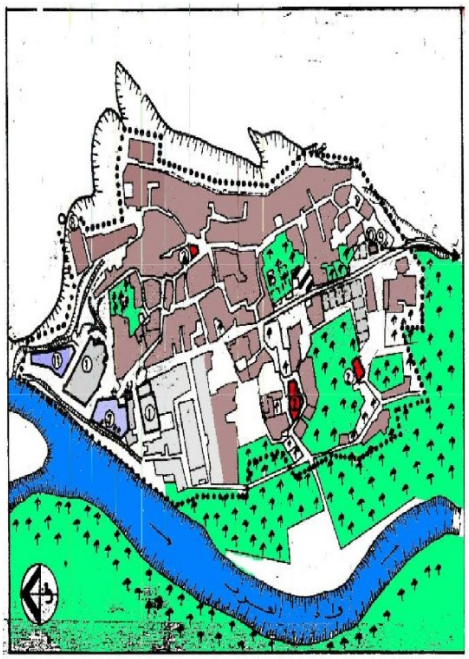

ب

شكل62(أ،ب): الهيكلة العمرانية النواة القديمةببلدة خنقة سيدي ناجي

عمل الطالب

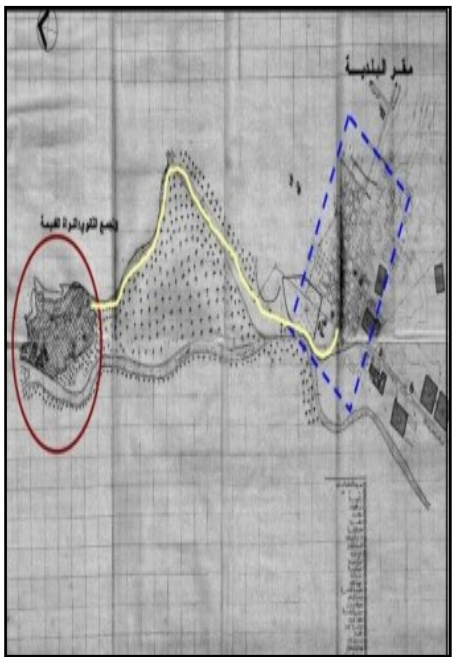

شكل63: خنقة سيدي ناجي: موقع النواة القديمة لخنقة سيدي ناجي (المعروفة بالقصر) عمل الطالب

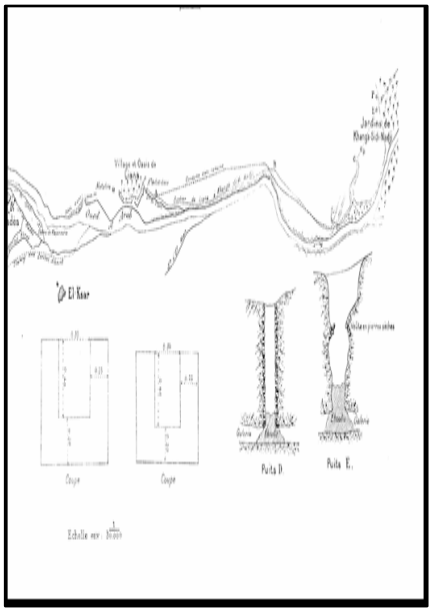

شكل64: القناة الرومانية التي استغلها سكان الخنقة في الزراعة عمل الطالب

شكل65: توضع المسجد والسرايا بخنقة سيدي ناجي عمل الطالب

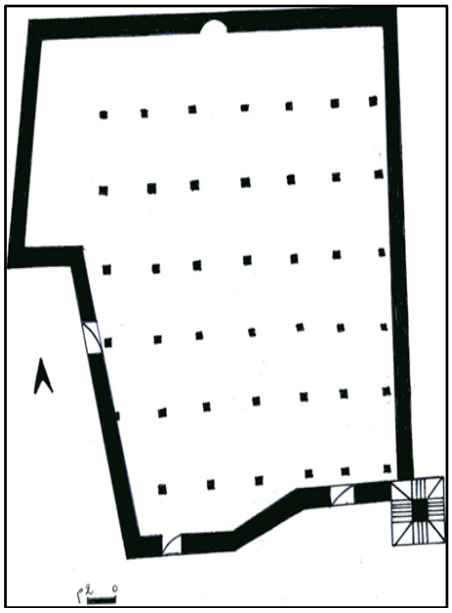

شكل67: مخطط مسجد سيدي مبارك عمل الطالب

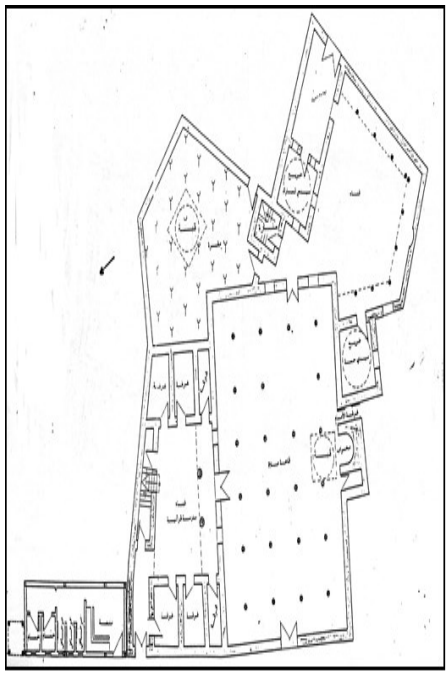

الشكل رقم66: يبين مسجد سيدي المبارك و المدرسة الناصرية والمقبرة الملحقةعمل الطالب بمساعدة المهندس

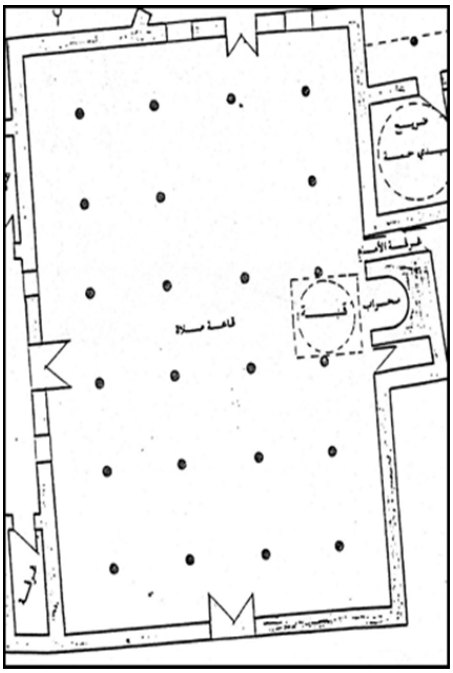

شكل68: بيت الصلاة بمسجد سيدي المبارك: سلم1/200 عمل الطالب بمساعدة المهندس

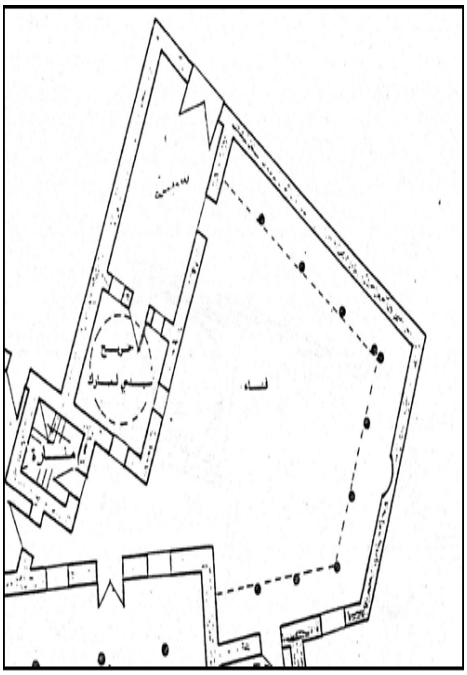

شكل69: صحن مسجد سيدي المبارك: سلم 1/200عمل الطالب بمساعدة المهندس

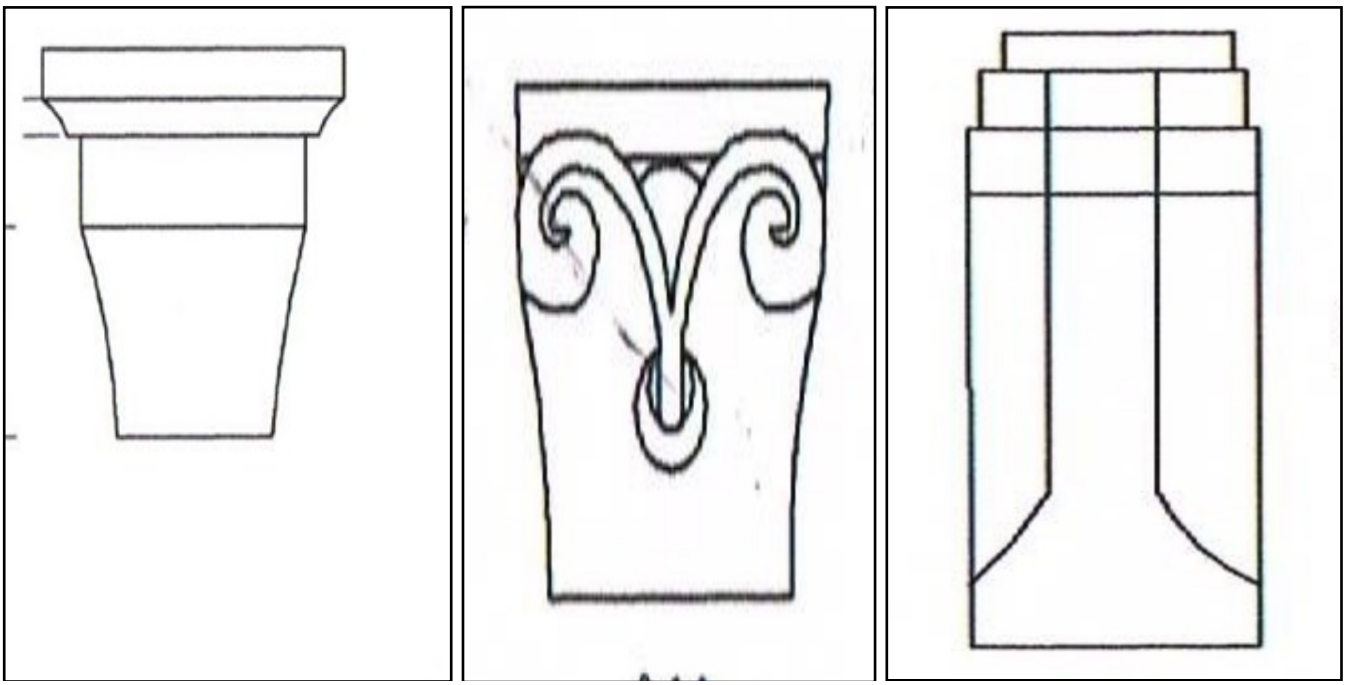

شكل71: التيجان في مسجد سيدي لمباركعمل الطالب

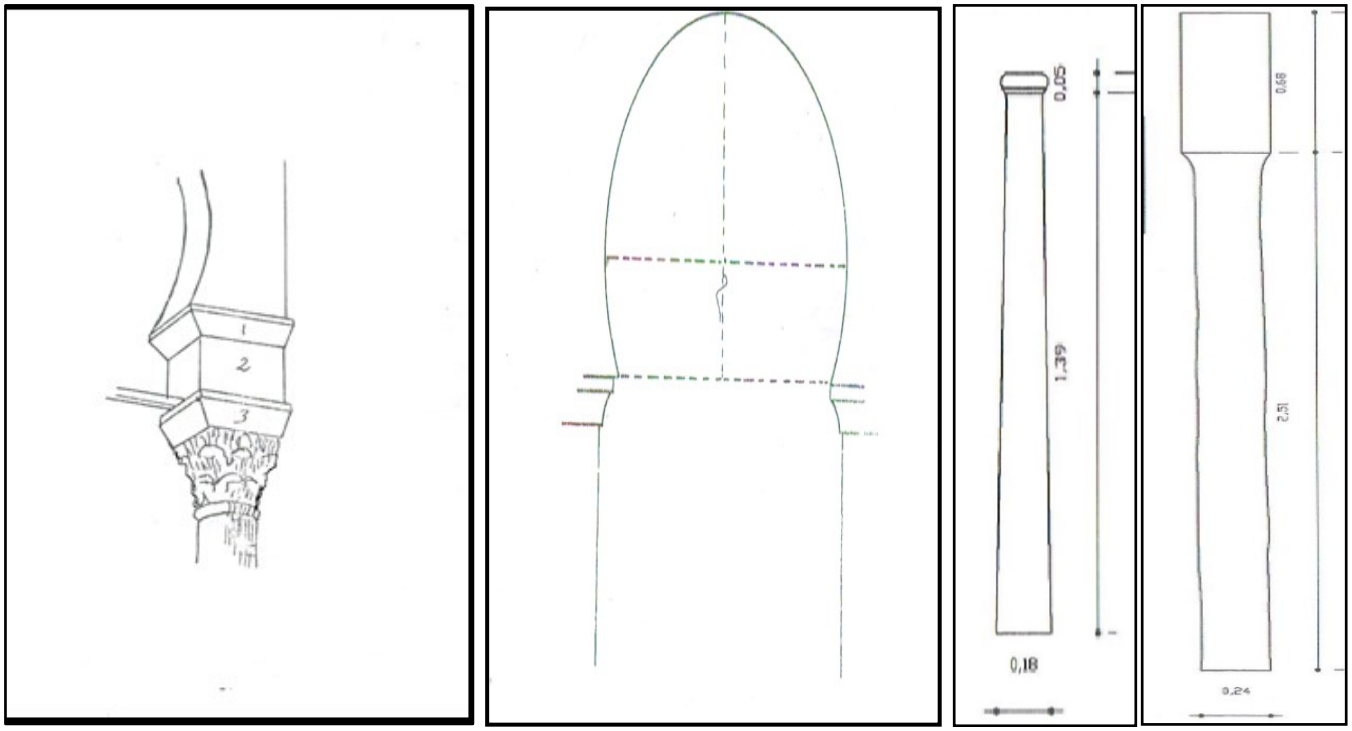

شكل70: الاعمدة داخل بيت الصلاة سيدي المبارك عمل الطالب

شكل72: يبين شكل العقد النصف دائري المتجاوز: سلم1/200 عمل الطالب

شكل73: الوسائل المستعملة بين التاج والعقد في عمارة الخنقة عمل الطالب

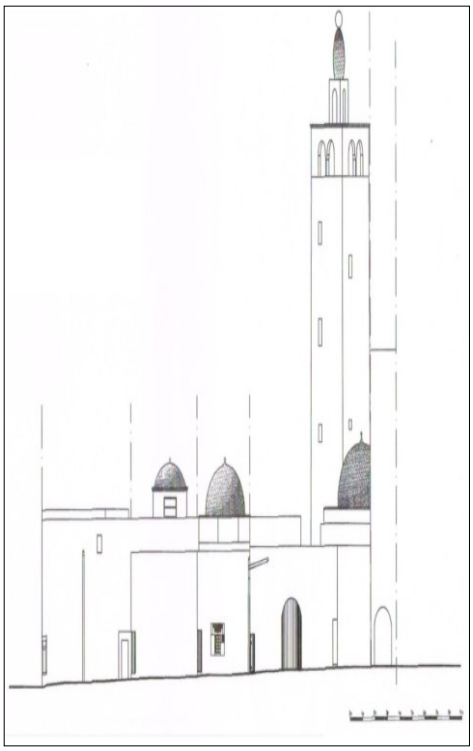

شكل74: واجهة مسجد سيدي المبارك

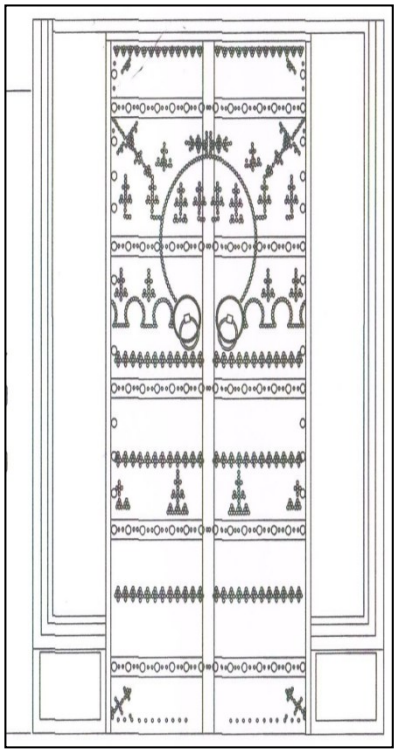

شكل75: زخارف باب المدخل الرئيسي لجامع سيدي لمبارك

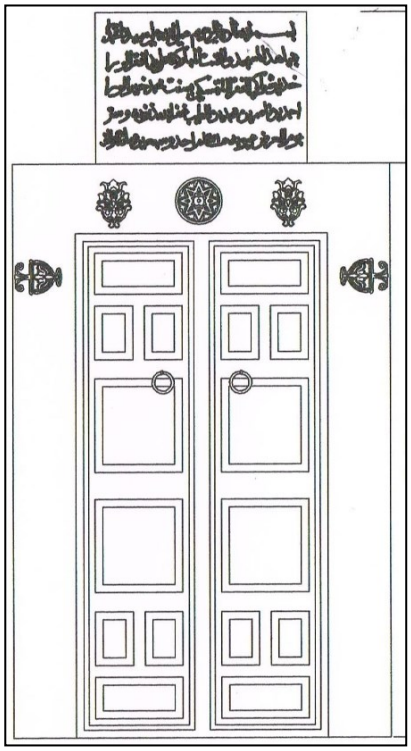

شكل76:رسم تخطيطي لزخارف باب صحن المدرسة الناصرية

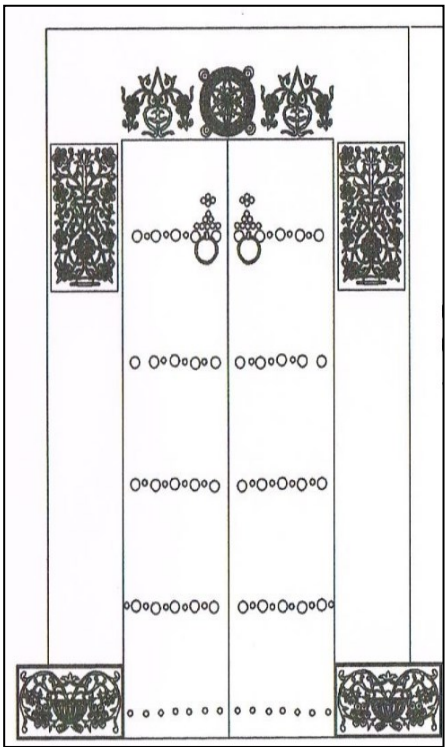

شكل76: زخارف باب المدرسة الناصرية

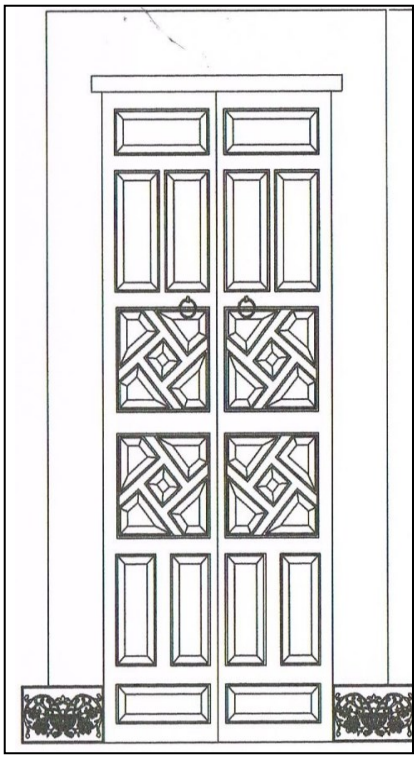

شكل77: باب منبر بيت الصلاة مسجد سيدي لمبارك عمل الطالب

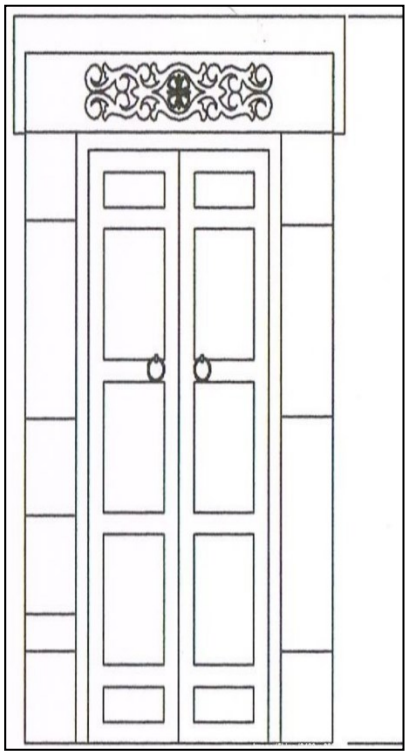

شكل78: باب صحن مسجد سيدي لمبارك عمل الطالب

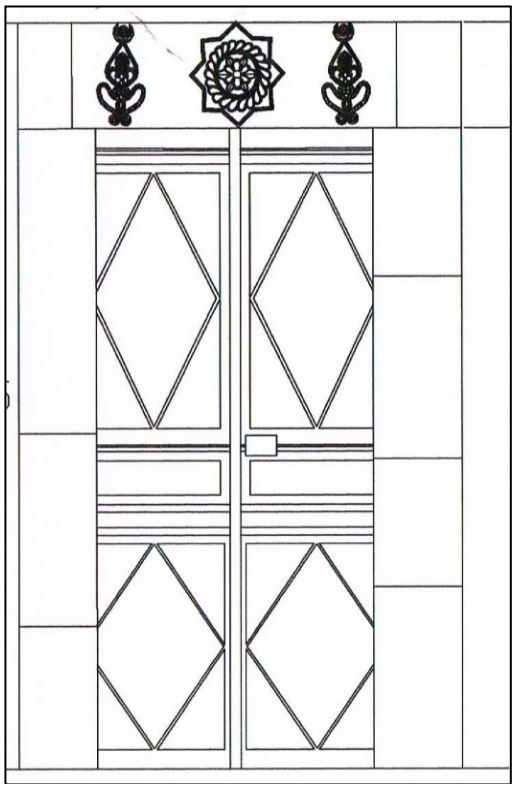

شكل79: باب المدخل لفناء المدرسة الناصرية عمل الطالب

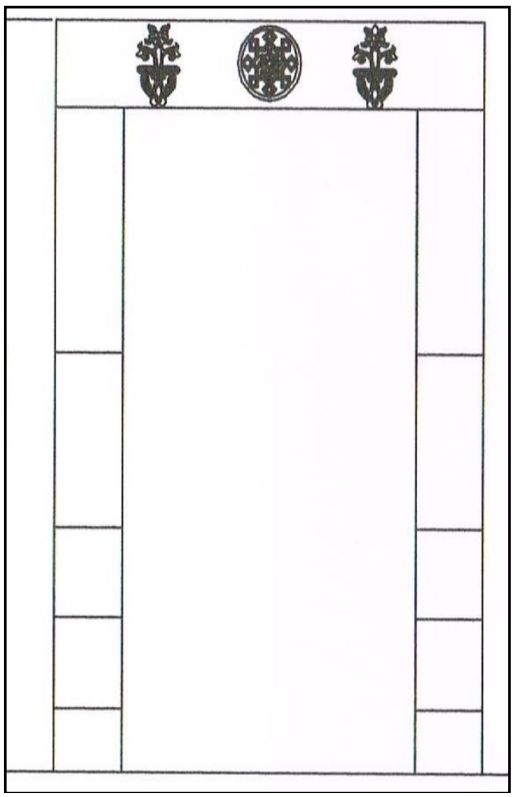

شكل80 :مدخل صحن مسجد سيدي المبارك عمل الطالب

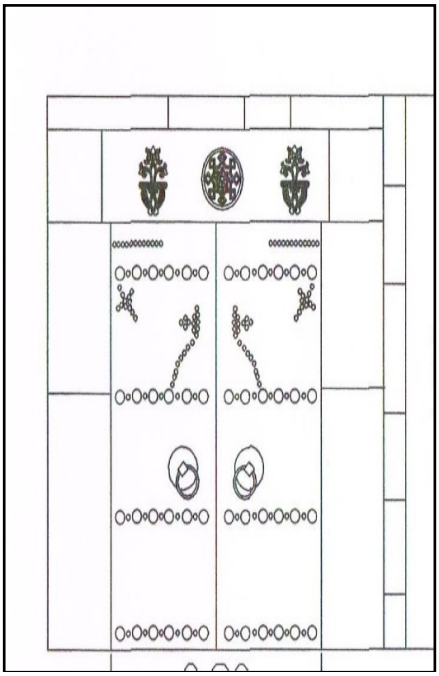

شكل81:زخرفة نوافذ مسجد سيدي لمبارك المبارك عمل الطالب

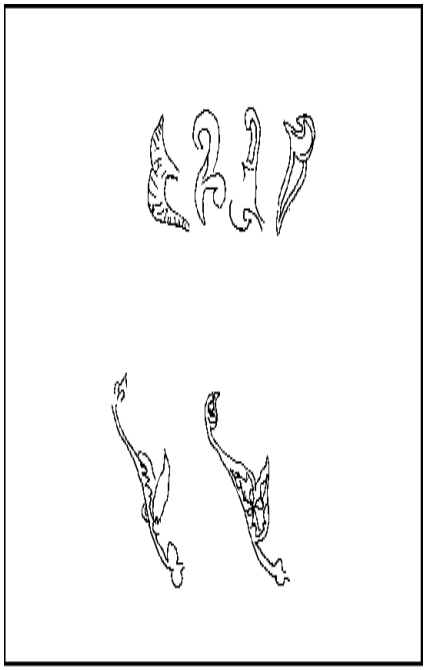

شكل82: المراوح النخيلية المستعملة في الزخارف على أطر النوافذ والأبواب في مسجد سيدي المباركعمل الطالب

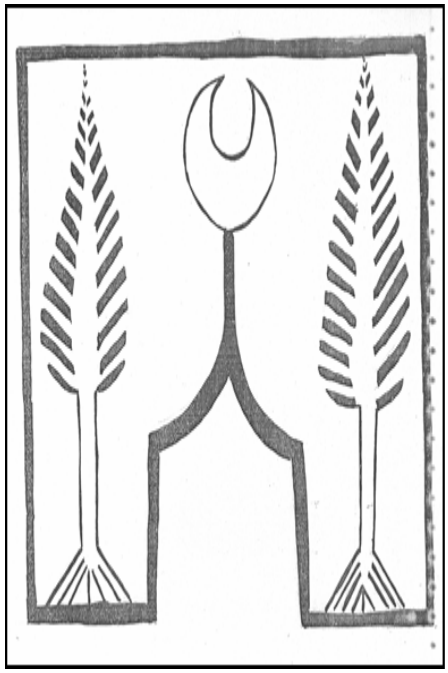

شكل83: شجرتا سرو يتوسطهما هلال استعملت في الزخرفة عمل الطالب

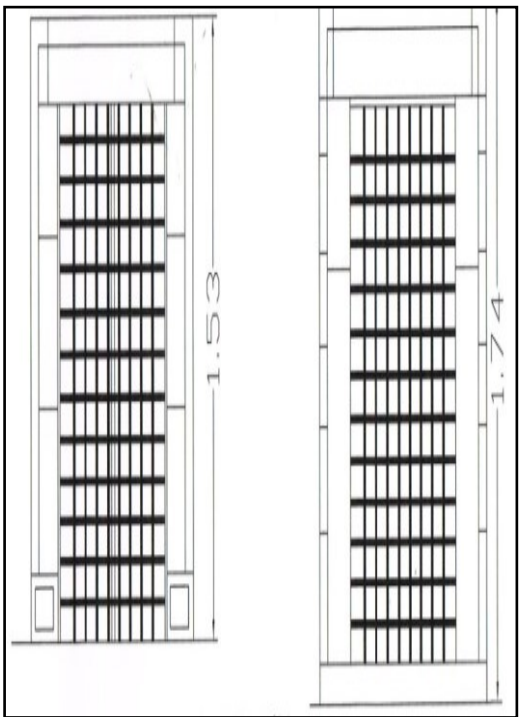

شكل84: الشبابيك المقضبنة بنوافذ مسجد سيدي لمبارك المبارك عمل الطالب

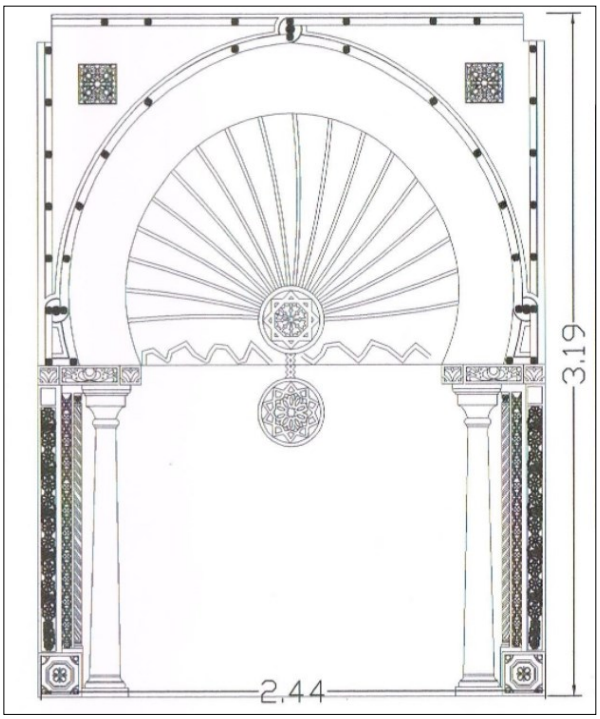

شكل85:رسم تخطيطي محراب بيت الصلاة جامع سيدي لمبارك عمل الطالب

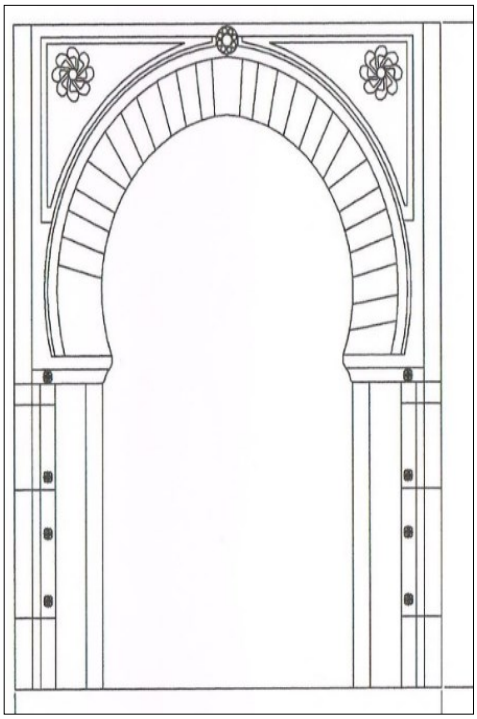

شكل87: محراب صحن مسجد سيدي المبارك عمل لطالب

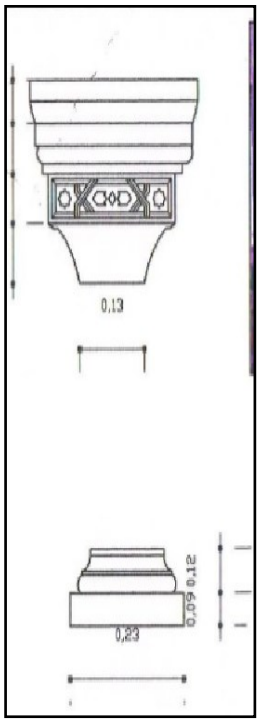

شكل86: تاج وقاعدة سواري محراب بيت الصلاة عمل الطالب

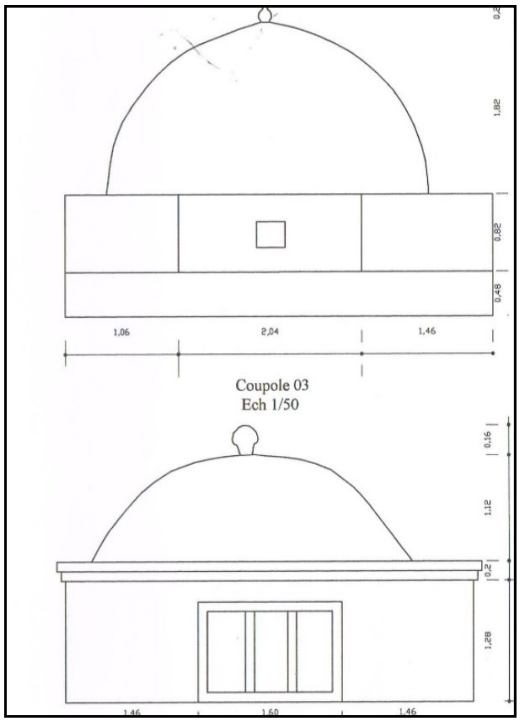

شكل88: القباب بجامع سيدي المبارك القبة التي تعلو الضريح والمحرابعمل الطالب

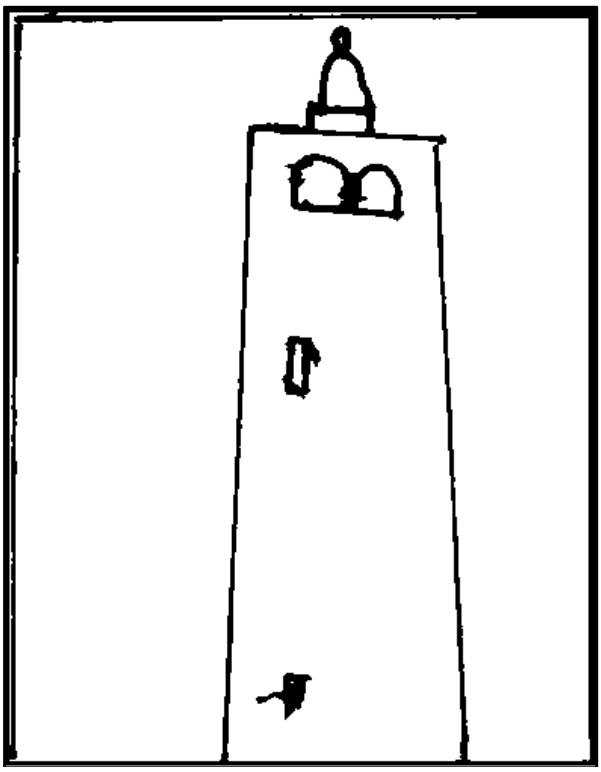

شكل89: مقطع طولي لمئذنة سيدي المبارك سلم1/200 عمل الطالب

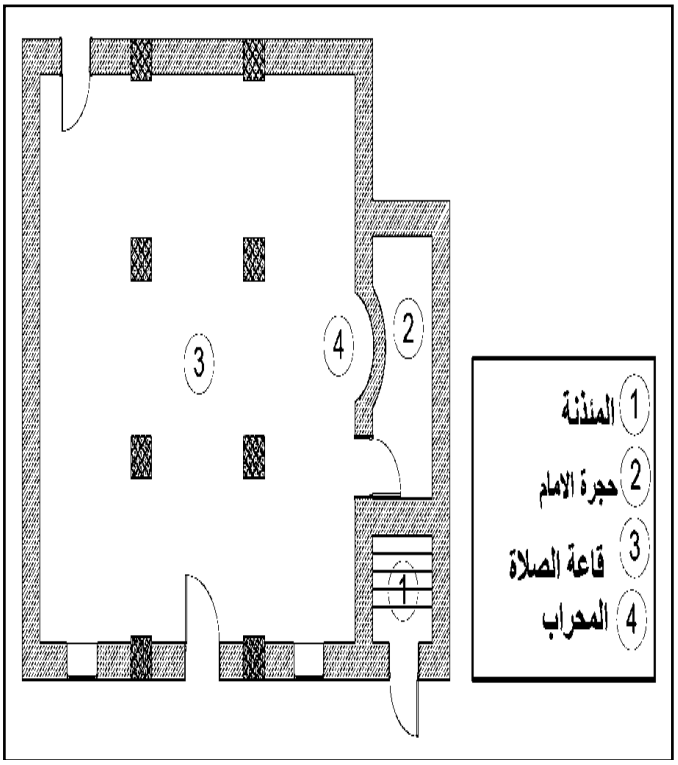

شكل90: مخطط مسجد السوق خنقة سيدي ناجي سلم1/200 عمل الطالب

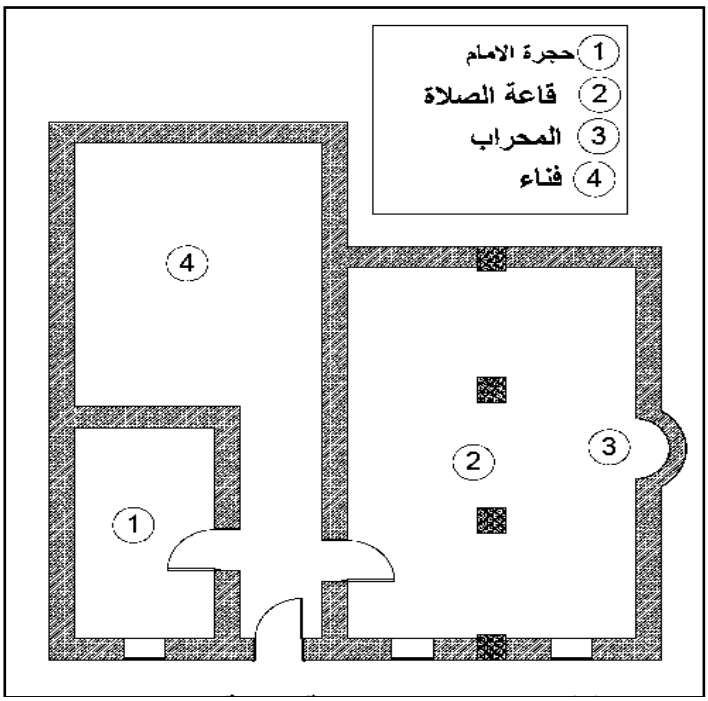

شكل91:مخطط لمسجد في حي لواتة ببلدة خنقة سيدي ناجي السلم1/200 عمل الطالب

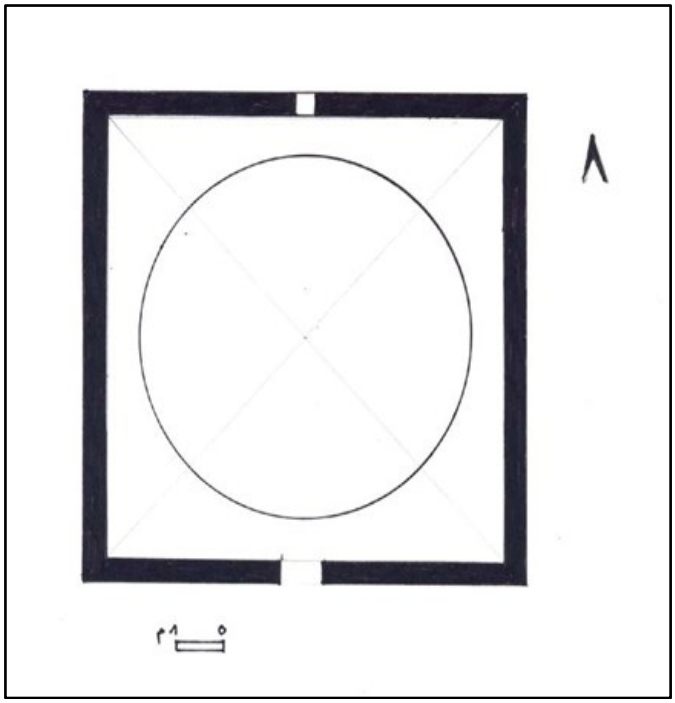

شكل92: مخطط ضريح سيدي المبارك عمل الطالب

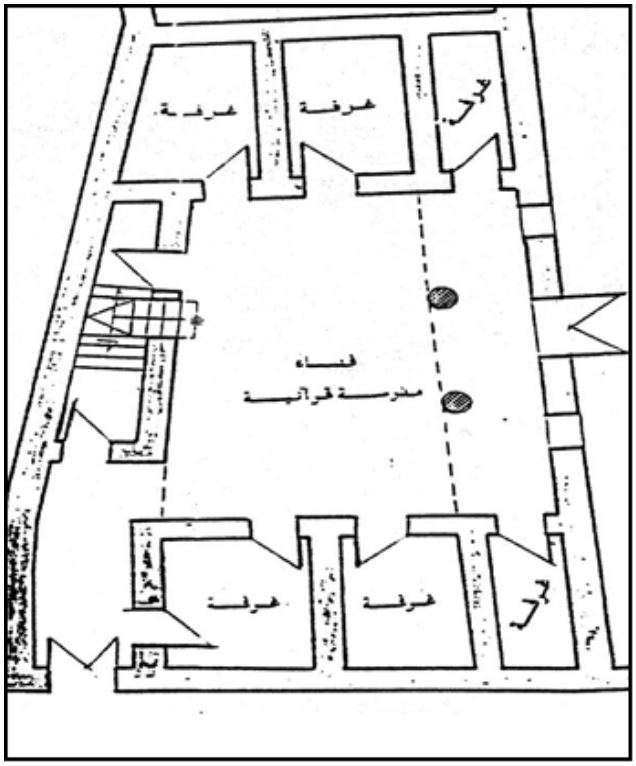

شكل93مخطط يبين المدرسة الناصرية سلم1/200

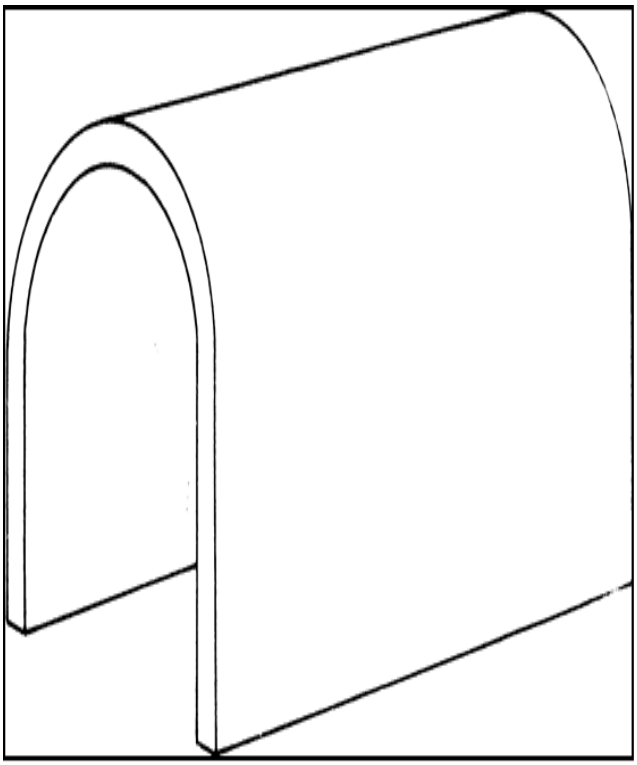

شكل94: عقد نفقي استعمل في المدرسة الناصرية

عمل الطالب سلم1/200

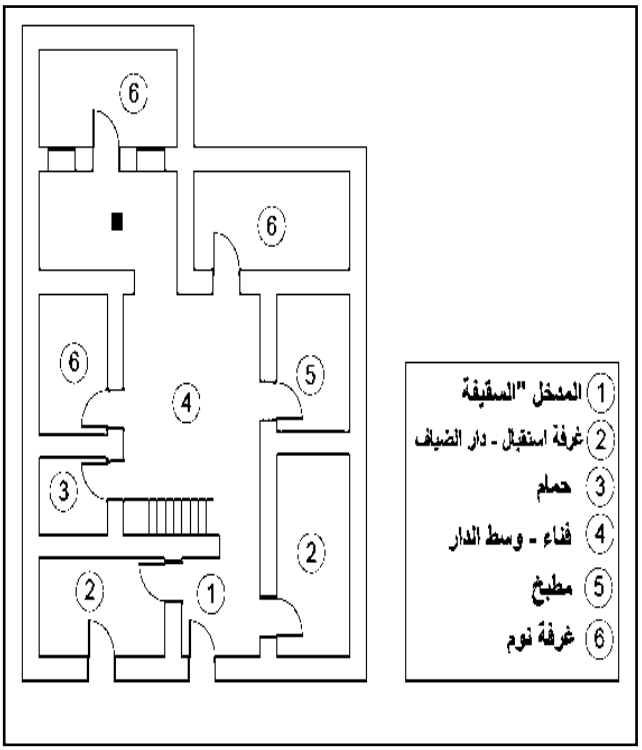

شكل95: مخطط لاحد المنازل ببلدة خنقة سيدي ناجي السلم1/200

عمل الطالب

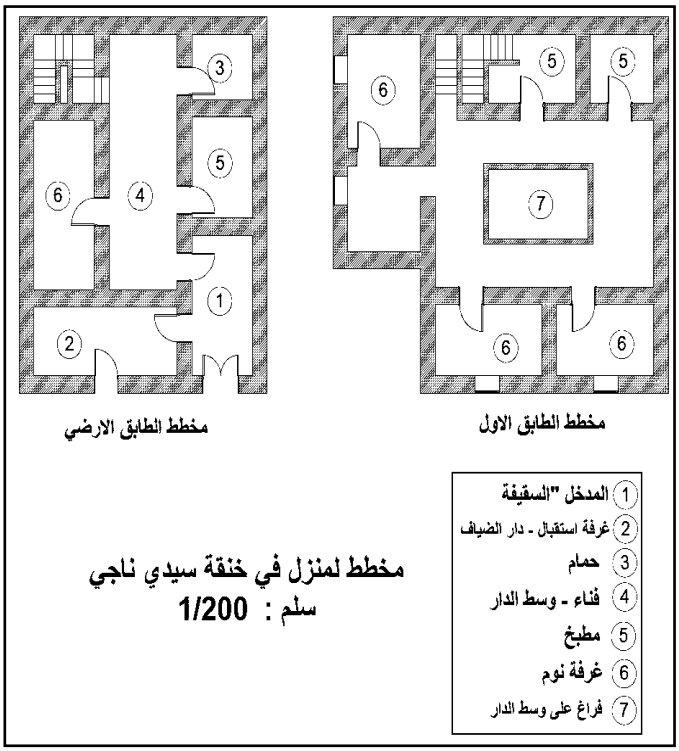

شكل96 :سلم1/200

عمل الطالب

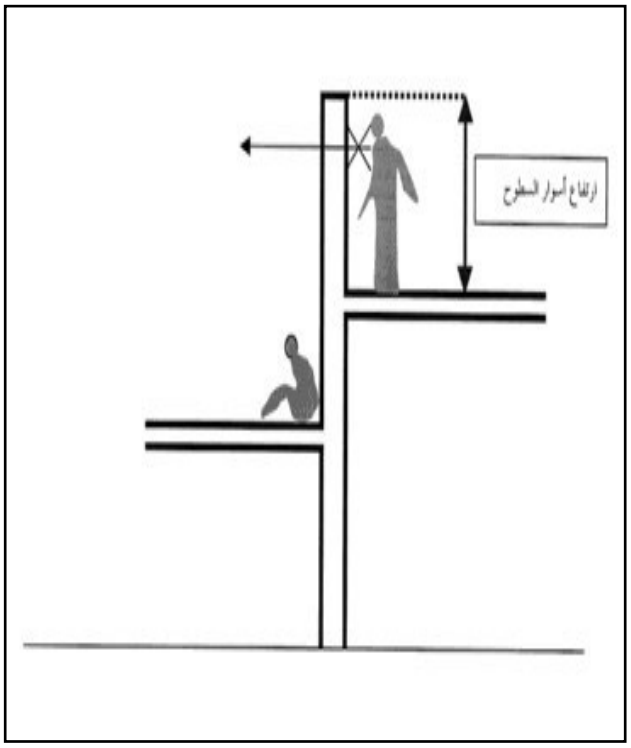

شكل97: احترام الخصوصية للجار
عمل الطالب سلم1/200

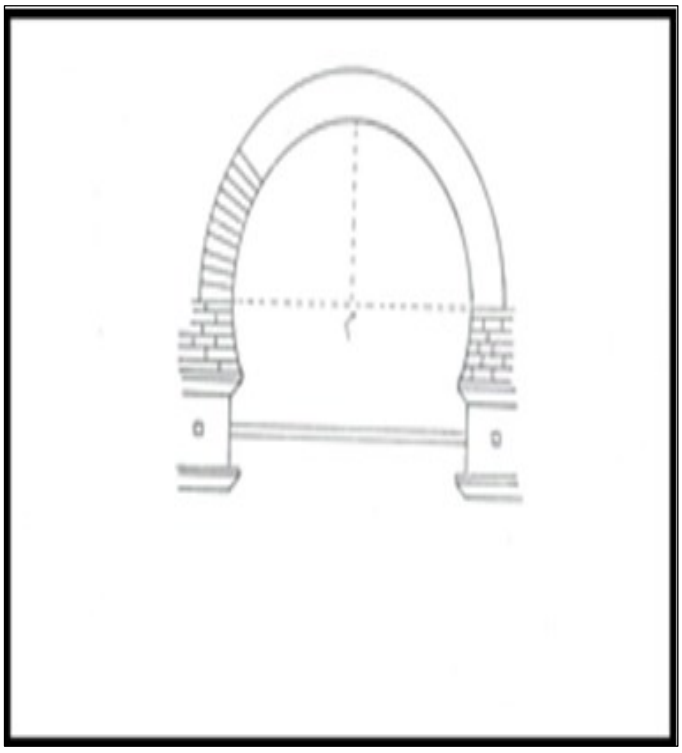

شكل99: طريقة وضع الحجارة في عقود عمارة الخنقة
عمل الطالب : سلم1/200

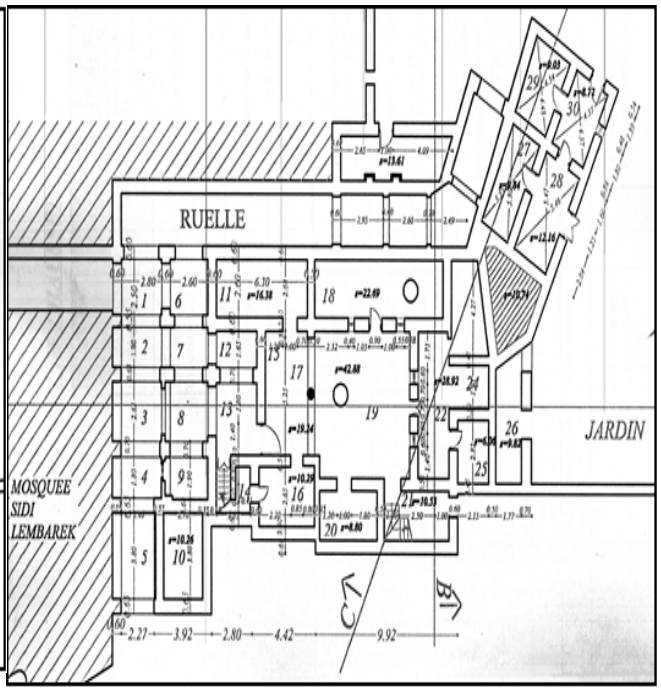

شكل98: يبين الطابق الأرضي من السرايا(منزل أسرة بن حسين) عمل الطالب: سلم1/200عمل الطالب

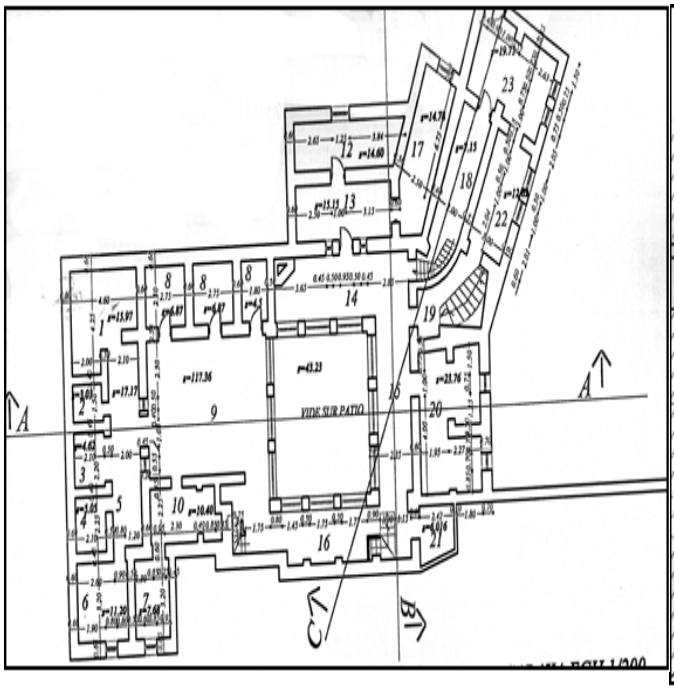

شكل99: يبين الطابق الأول من السرايا سلم: 1/200 عمل الطالب بمساعدة المهندس

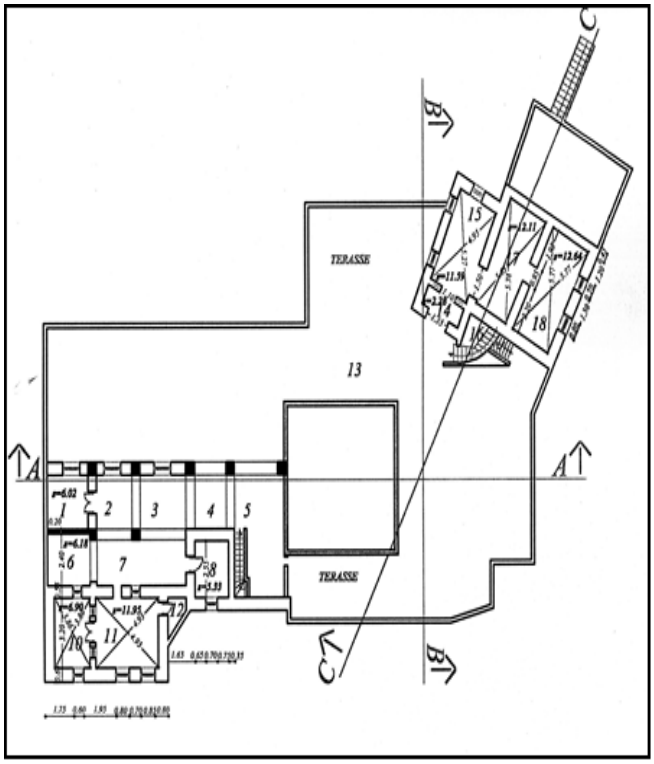

شكل100: يبين الطابق الثاني من السرايا

عمل الطالب بمساعدة المهندس: سلم1/200

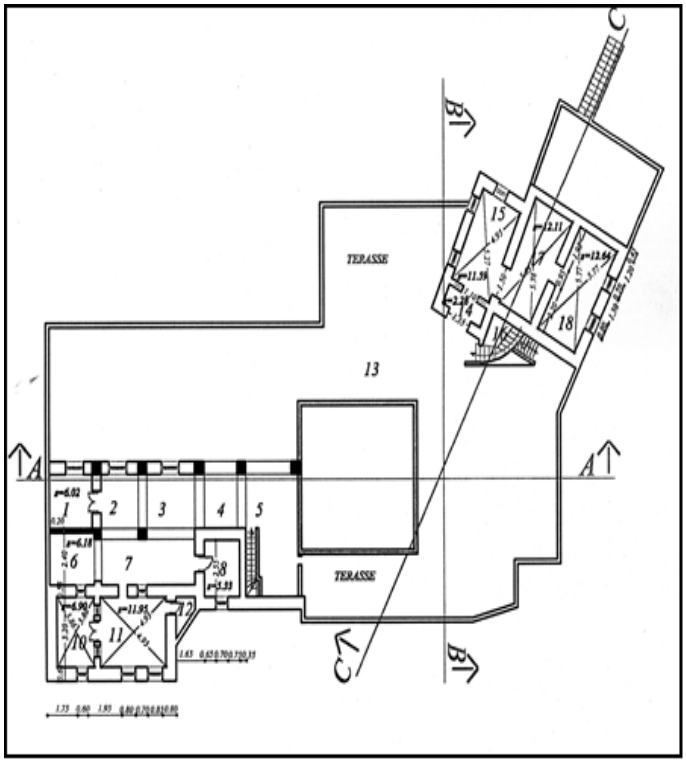

شكل101: يبين الطابق الثالث من السرايا

عمل الطالب بمساعدة المهندس: سلم1/200

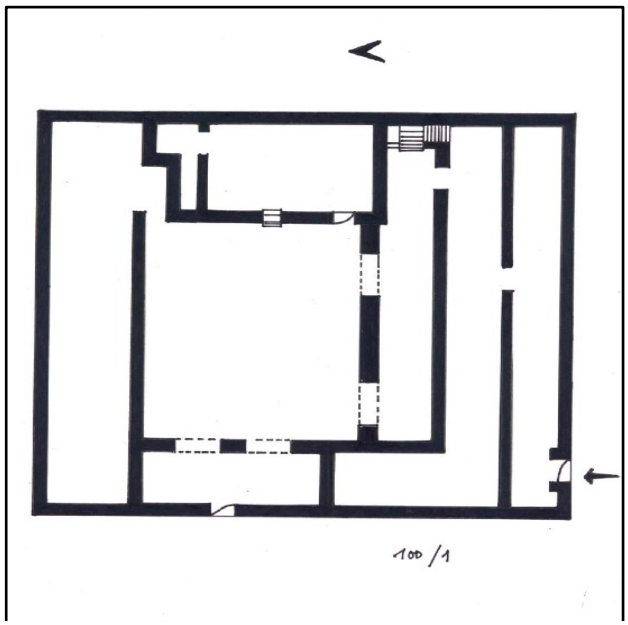

شكل 102:مخطط لمنزل الشيخ عبد الحفيظ الخنقي

سلم 200/1 عمل الطالب

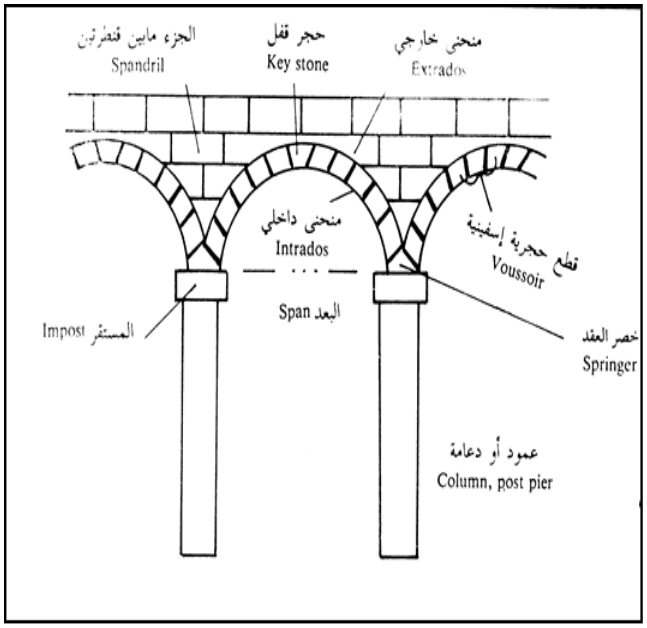

شكل103: العقود المتجاوزة في عمارة خنقة سيدي ناجي

سلم200/1 عمل الطالب

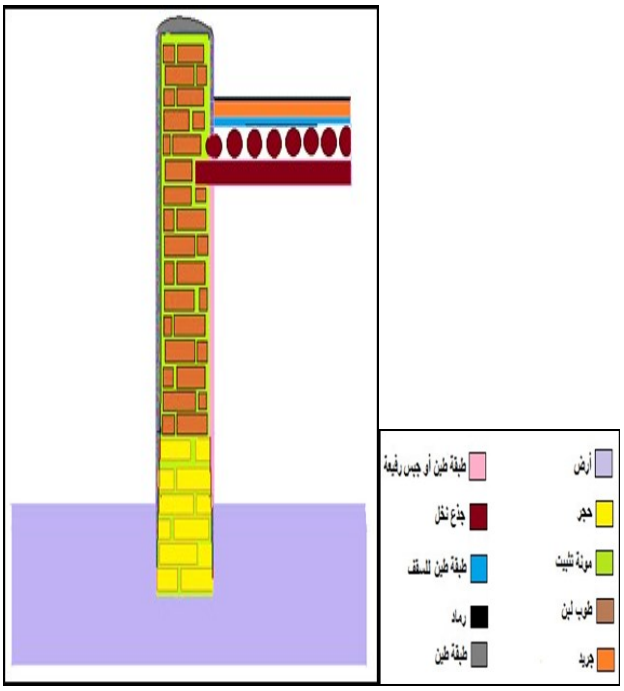

الشكل106: طريقة بناء المنشآت المعمارية بولاية بسكرة

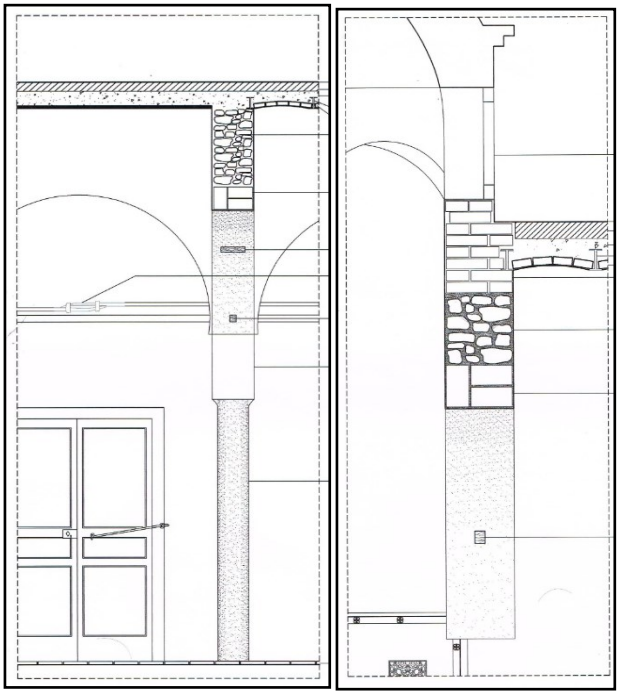

الشكل107 التقنيات والاسلوب المستعمل في وسائل الدعم والروافع ببيت صلاة مسجد سيدي لمبارك

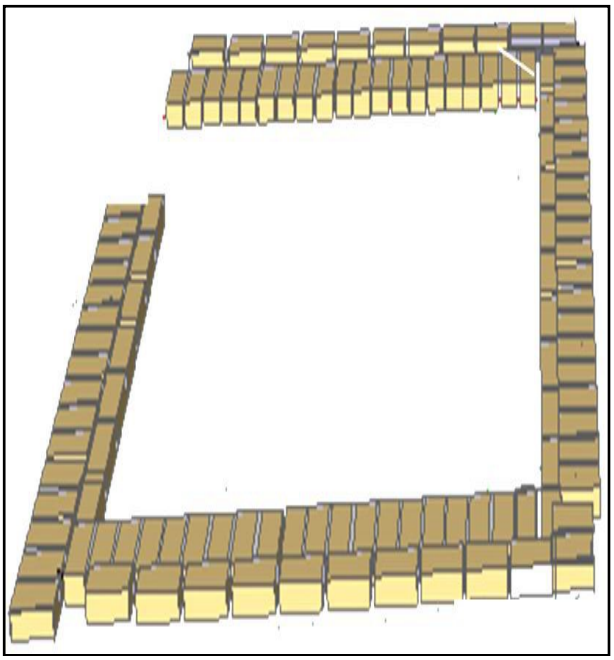

الشكل105: البناء بالسعيدة (عمل الطالب)

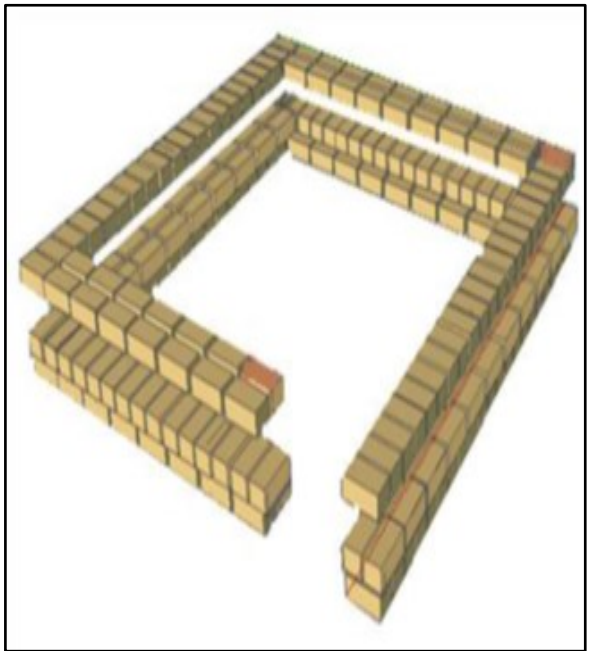

(الشكل:106) طريقة الأنثى البناء بصفين مختلفين)

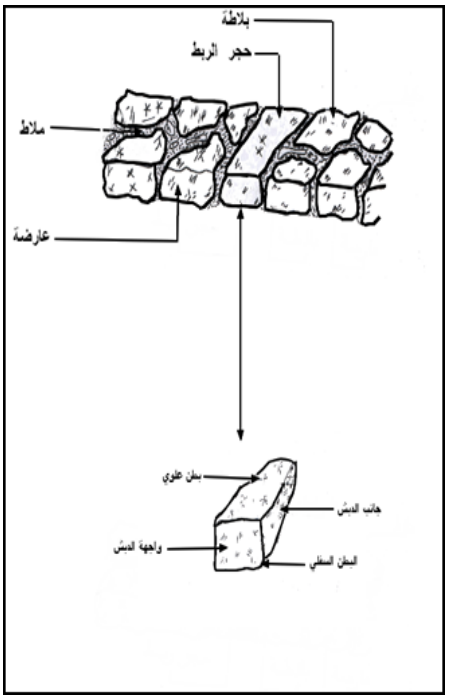

الشكل104: طريقة وضع الأسس وبناء الجدران (عمل الطالب)

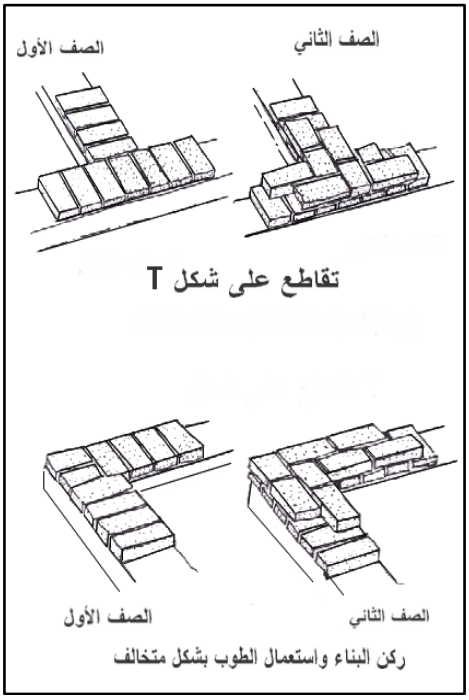

الشكل 107: طريقة البناء بالطوب (عمل الطالب)

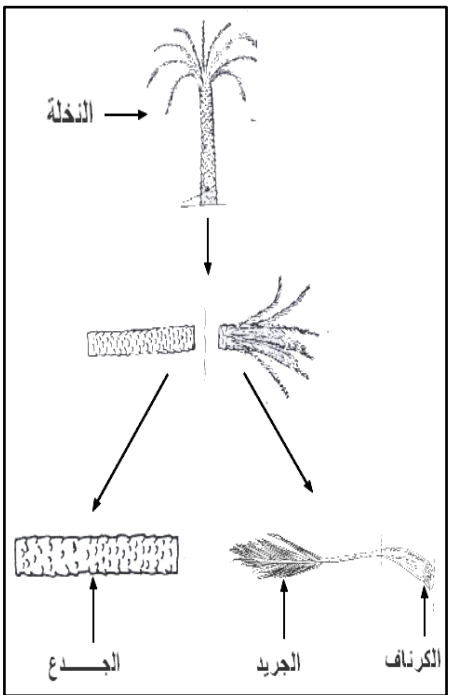

الشكل 104: مكونات خشب النخيل (عمل الطالب)

ملحق الأشكال

ملحق الصور واللوحات

صورةأ: تصوير جوي لموقع بسكرة بالنسبة للجزائر

عن غوغل إيرث

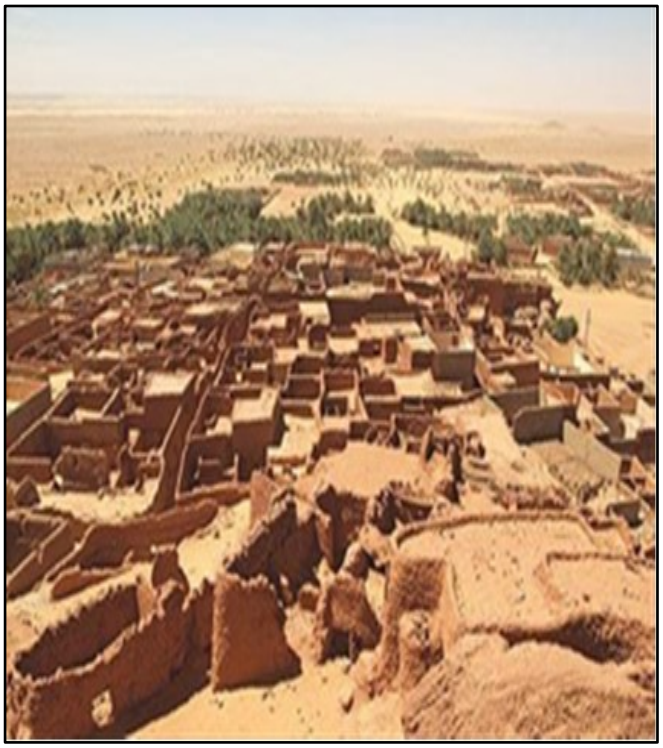

صورةب: مثال لمدينة تيميمون بنيت على نظام التخطيط المدمج عن الانترنيت

صورةج،د،و: تمثل بعض البقايا الرومانية التي عثر عليها في المنطقة

لوحة 1 عمل الطالب

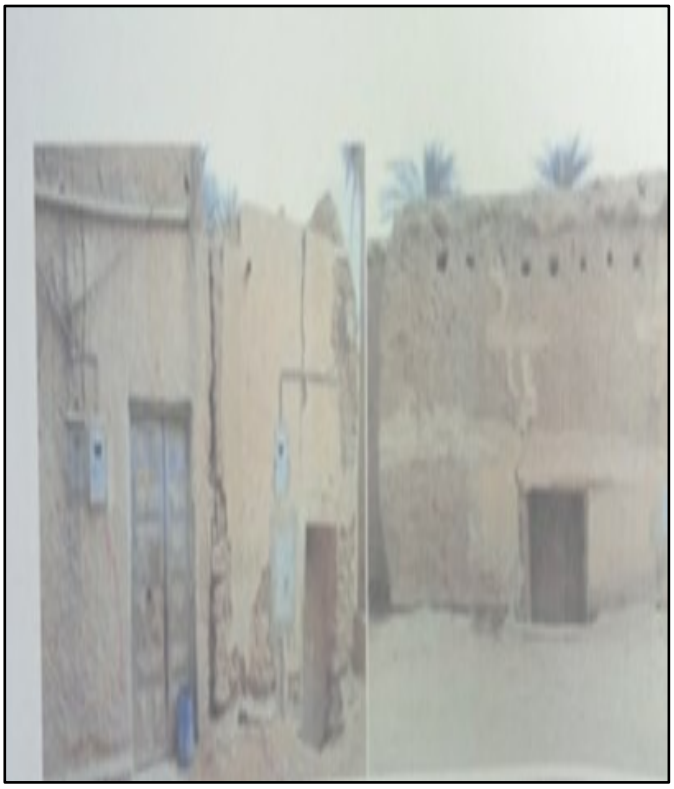

صورة ا: الواجهات الصماء في حي المسيد ببسكرة

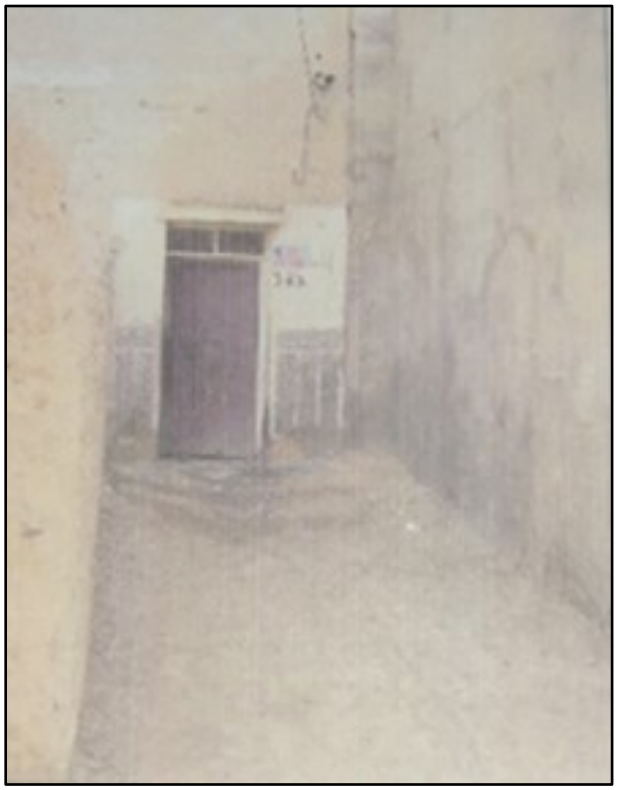

صورة ب: شارع غير نافذ درب

ج د و

الصورة ج،د،و: الشوارع والدروب في بسكرة القديمة

لوحة2 عمل الطالب

صورة ا:الابراج التي استعملت في المنزل لبسكري

صورة ب: تطريقةة السنبلة في البناء

صورة ج: الواجهة الصماء في المنزل البسكري

صورة د: مدخل منزل باحد احياء بسكرة القديمة

صورة و:الميزاب التقليدي لتصريف مياه الامطار بحي فلياش

صورة ي: الفتحات في جدار المنزل بحي فلياش

لوحة3 (عمل الطالب)

صورة ا:بقايا منازل مهجورة وسط الغابات النخيل

صورة ب: عقود حاملة لممر مسقوف

صورة ج:طريقة التسقيف بالمنزل البسكري

صورة د:تعدد الطوابق بالمنزل البسكري

صورة و:نوافذ فتحت إلى الداخل

صورة ي: الصحن بالمنزل االبسكري

لوحة4

عمل الطالب

صورة ا: السلم المنكسر باحد المنازل

صورة ب:الطابق الاول لمنزل ببلدية بسكرة القديمة

ج

د

صورة ج،د:شوارع نافذة باحد احياء بسكرة القديمة

و

ي

صورة و،ي: اتساع وتعرج الشوارع لتوفير الظل و الخصوصية

لوحة5: عمل الطالب

صورة ا: الممرات المسقوفة لتوفير الظل في شوارع مدينة بسكرة

صورة ب: اتساع الاروقة داخل المنزل البسكري

صورةج: مبدا التظام وسمك الجدران في غرف المنزل البسكري

صورة د: الاروقة تمثل فضاء فاصل بين الغرف

لوحة6: عمل الطالب

صورةا

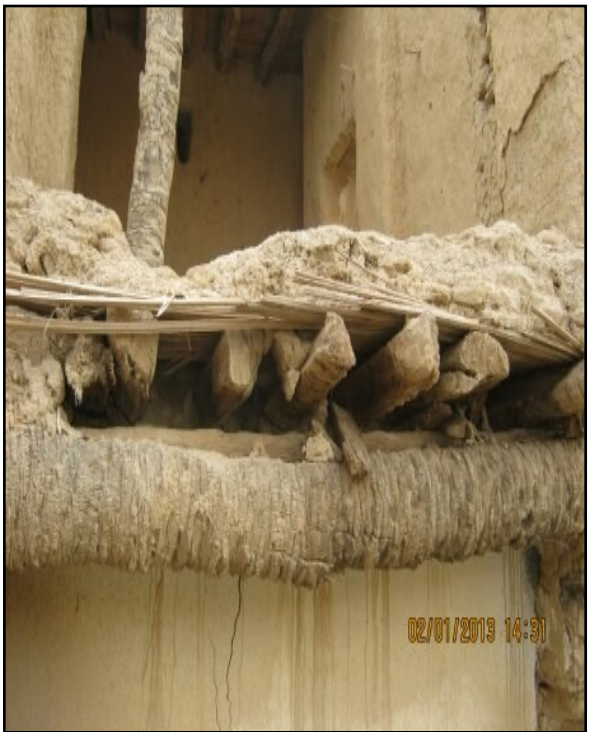

صورة ب

صورةج:

صورة د:

(صورةا،ب،ج ،د):استعمال تقنيةتدعيم السقف بواسطةالأعمدة الخشبية ورصف القواطع الخشبية مع بعض لتزيد قوة التحمل في المنزل البسكري

لوحة7: عمل الطالب

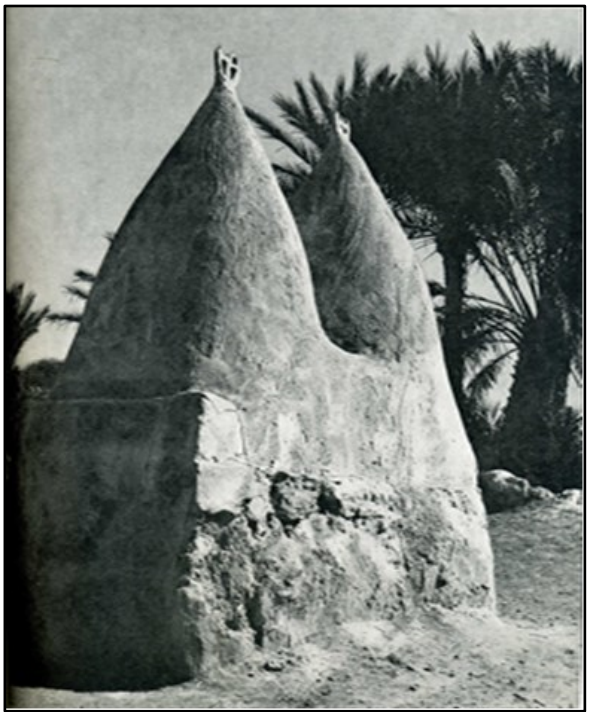

صورةأ: تبين شكل من أشكال قباب أضرحة الزاب ببلدية سيدي عقبةعن: كتاب المساجد في الجزائر: ص70

صورةب: تبين مئذنة مسجد سيدي الحافي ببلدية سيدي عقبة كتاب المساجد في الجزائر: ص،75

صورة ج : ضريح ومصلى سيدي عطية

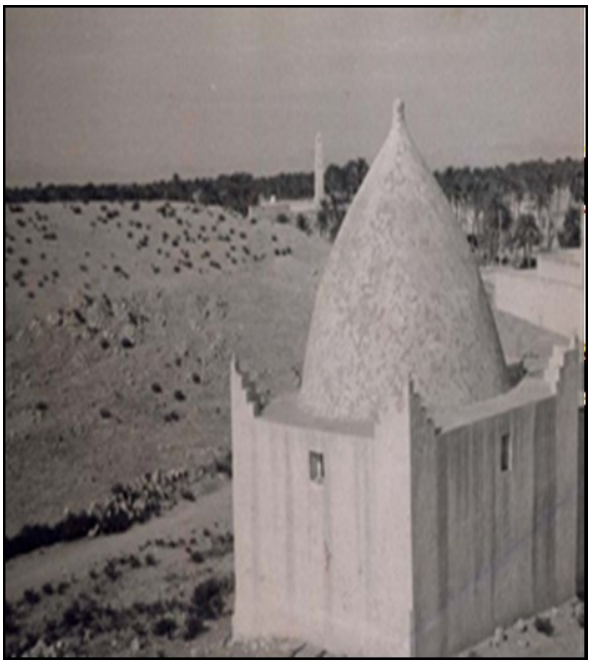

صورة د: ضريح سيدي سليمان

لوحة8

عمل الطالب

صورة أ: ضريح خالد بن سينان حاليا

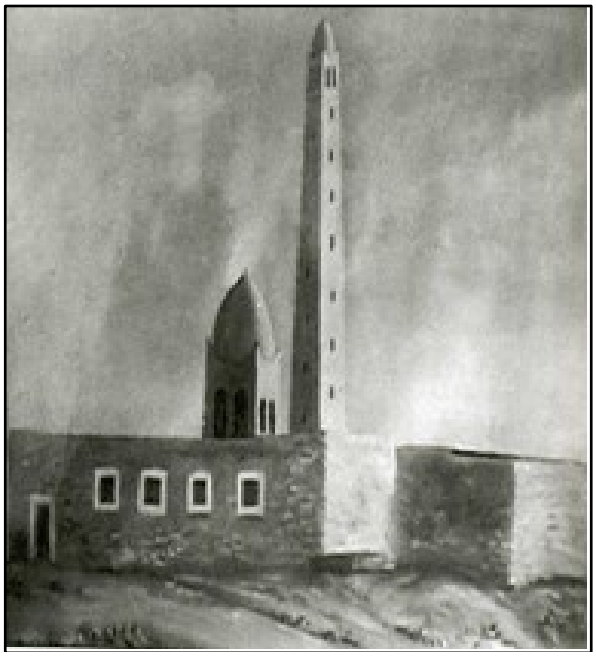

صورة ب: ضريح خالد بن سينان قديما خلال القرن19م
عن أرشيف أعيان المنطقة

صورةج: تبين غرفة ضريح خالد بن سنان من الداخل

صورة د: تبين سقف أروقه غرفة ضريح خالد بن سنان

صورة و: تبين أعمدة ودعامات صحن ضريح خالد بن سنان

لوحة9

عمل الطالب

ا

ب

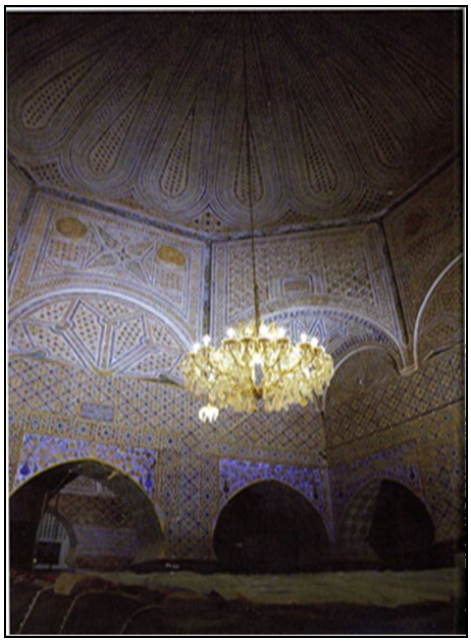

ج

الصورةا،ب،ج:تبين أقواس ودعامات غرفة الضريح وكذا المحراب بمسجد ضريح خالد بن سنان

د

صورة د: تبين القبة الوسطى والقباب الركنية في غرفة ضريح خالد بن سنان الأقواس، الزخرفة، القبة.

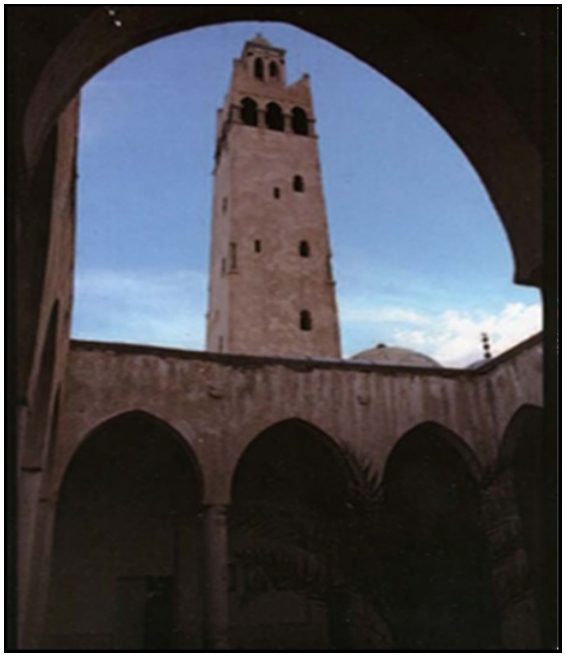

و

صورة و: مئذنة مسجد سيدي خالد

لوحة10

عمل الطالب

أ

ب

ج

الصورة أ،ب،ج: تبين أقواس غرفة الضريح و السقف المقبب للزاوية المختارية

د

الصورة د،:تبين قباب غرفة الضريح بالزاوية المختارية

و

الصورة و: تبين زخرفة قبة المحراب من الخارج في الجامع العتيق ببرج بن عزوز

ي

الصورة ي: بقايا قصبة أولاد جلال

لوحة11

عمل الطالب

ا

صورة ا : بقايا قصر الدوسن

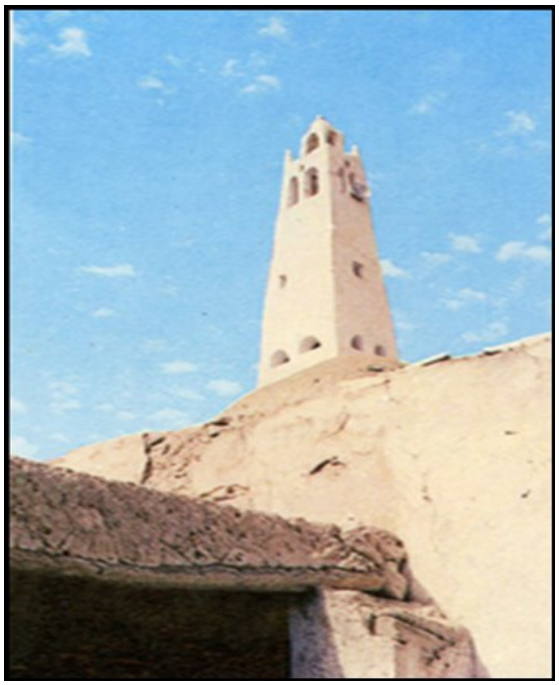

ب

صورة ب: مئذنة مسجد بوشقرون

ج

صورة ج: مئذنة المسجد العتيق بطولقة

د

صورة د: بيت الصلاة للمسجد العتيق بطولقة

لوحة12

عمل الطالب

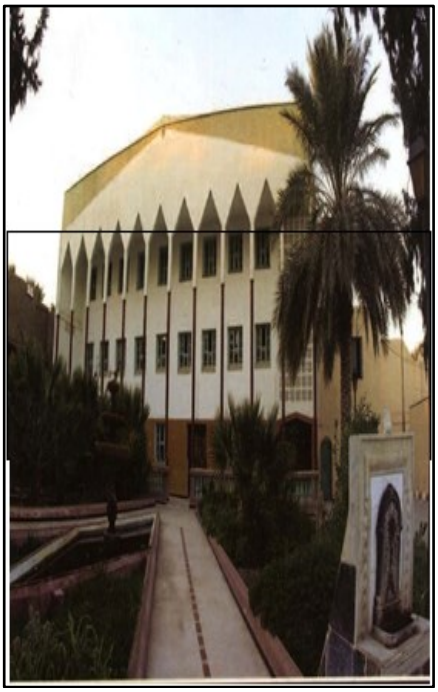

ا

صورة ا: زاوية الشيخ علي بن عمر

ب

صورة ب: الطابق الأرضي والعلوي

ج

صورة ج: زاوية الشيخ علي بن عمر قديما

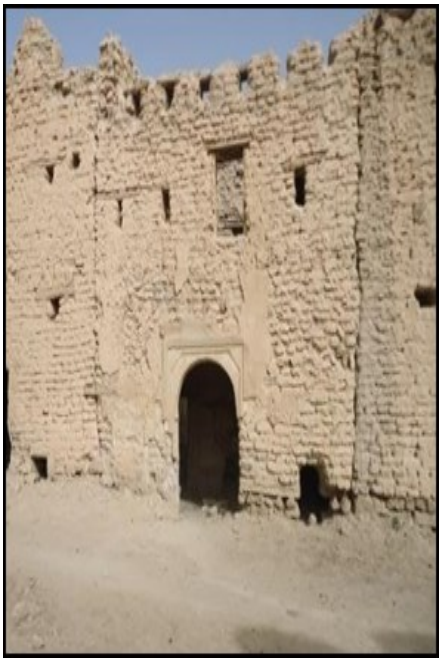

ليشانة د: مدخل القصر

و: ساحة ثانوية

ي: ساحة رئيسية

الصورة د،و،ي: مدخل القصر والساحات وتعرف بالرحبة وهي فضاء كبير يتوسط القصر ويعتبر مكان تلاقي العامة والخاصة

لوحة13 عمل الطالب

ا

صورة ا: وسائل الدعم في عمارة قصر ليشانة

ب

صورة ب: محراب مسجد سيدي لعروسي ليشانة

ج

صورة ج:اعمدة رخامية ترتكزعليها قبة مسجد سيدي لعروسي ليشانة

د

صورة د:شارع رئيسي

و

صورة و:مدخل لاحد المنازل بالقصر

ي

صورة ي:مشربية فتحت في جدار المنزل للتهوية والانارة

لوحة14 (عمل الطالب)

ا

صورة ا: نوافذ فتحت في اعلي الجدار المنزل بالقصر

ب

صورة ب: بقايا السور الروماني بقصر ليشانة اعيد استعماله في جدران منازل القصر

ج

صورة ج: نوافذ ذات عقد علي شكل حذوة الفرس

د

صورة د: نوافذ فتحت في الطابق الأول في أحد المنازل

و

صورة و:الطابق الاول في احد منازل القصر

ي

صورة ي: مسامير دقت في جدار المنزل لتعليق الاغراض والتمر

لوحة15

عمل الطالب

ا

صورة ا: بعض الزخراف تزين جدران المنزل الليشاني

ب

صورة ب: مسجد سيدي سعادة الرياحي بقصر ليشانة

ج

صورة ج: بيت الصلاة بمسجد سيدي سعادة

د

صورة د: الاعمدة الحاملة للسقف في مسجد سيدي سعادة

و

ي

صورة و،ي: ابار رومانية قديمة داخل مسجد سيدي سعادة والقصر

لوحة 16

عمل الطالب

ا

صورة ا: السلم في المنزل الليشاني

ب

صورة ب: تدهور حالة منازل قصر ليشانة

ج

صورة ج: الطابق الثاني في المنزل الليشاني

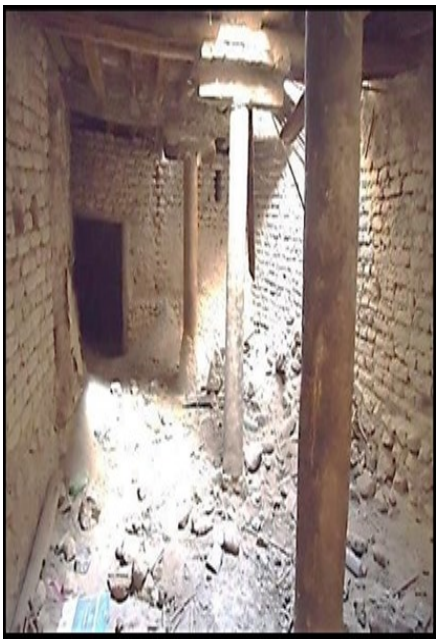

د

صورة د: الروزنة في منزل القصر

و

صورة و: استعمال مواد خشبية للتسقيف

ي

صورة ي: السقيفة في منزل بقصر ليشانة

لوحة 17

عمل الطالب

ا

صورة ا: مدخل الباب الظهراوي

ب

صورة ب: مدخل الباب القبلي

ج

صورةج: مدخل الباب الشرقي

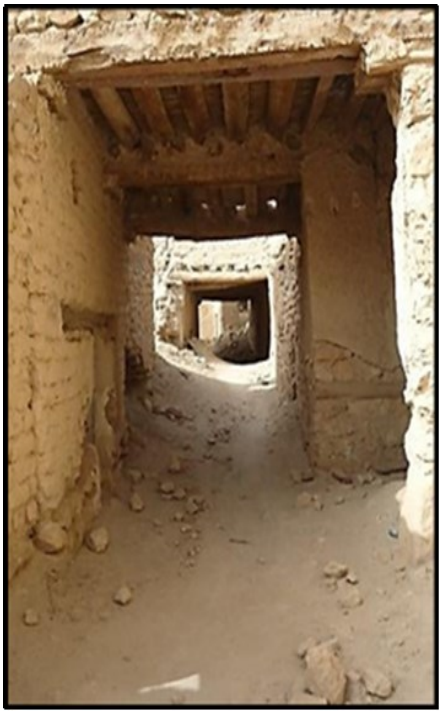

د

و

صورةد،و:ممرات مسقوفة بقصر ليشانة والمواد المستعملة في تسقيفه

ي

صورة ي: تصوير جوي لبلدية سيدي عقبة عن غوغل ايرث

لوحة18

عمل الطالب

ا

صورة ا: تصوير جوي لمسجد سيدي عقبة والمركب الإسلامي الذي أقيم بجانبه

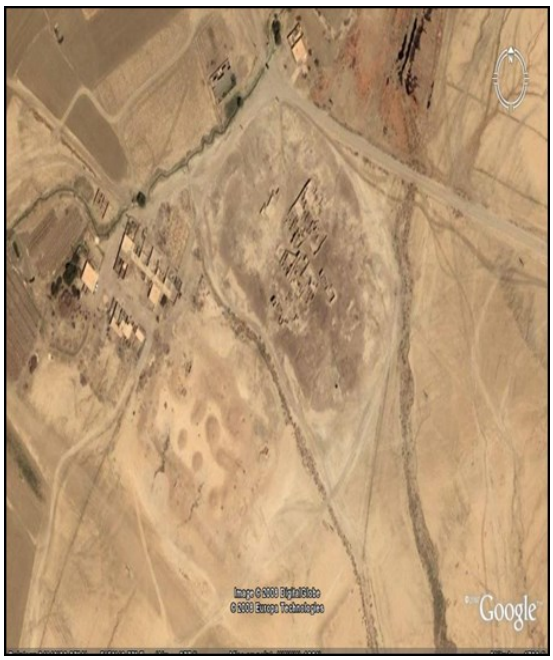

ب

صورة ب: تصوير جوي لبقايا مدينة تهودة الرومانية عن غوغل ايرث

ج

صورة ج: شاهد قبر عبد الرحمان بن حيوة المؤرخ بـ 128هـ

د

صورة د: لوحة شاهدية من الحجر كتب عليها بالخط الكوفي بدون التنقيط "هذا قبر عقبة بن نافع رحمه الله"

لوحة 19 عمل الطالب

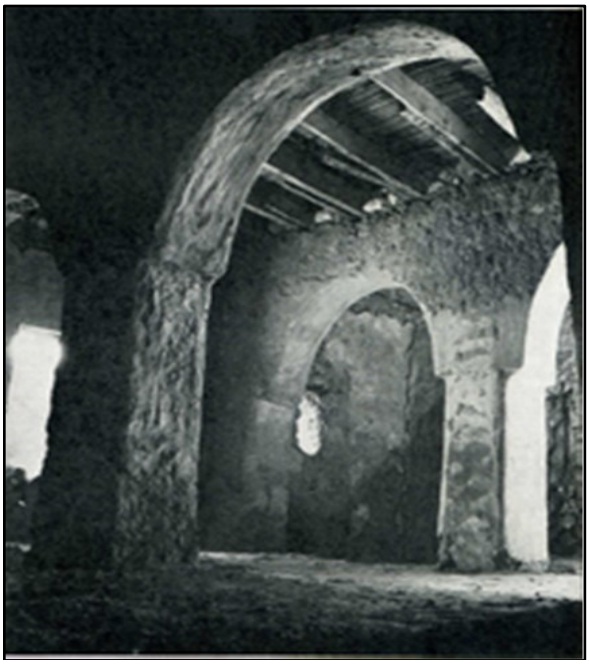

ا

ب

صورة ا: تبين مسجد مأتمي بمنطقة الزاب مظهر داخلي صورة ب: مظهر خارجي للمسجد المأتمي خلال القرن 19م عن: كتاب المساجد في الجزائر، صص 70،75

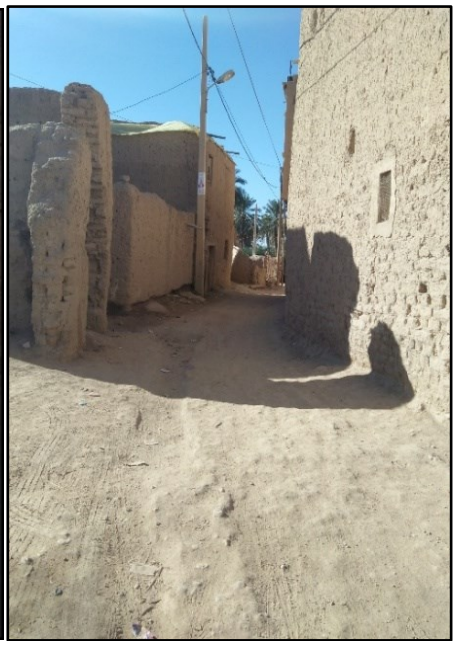

صورة ج: شارع نافذ ببلدة سيدي عقبة

صورة د: توفير الظل بشوارع بلدة سيدي عقبة

صورة و: تعرج الشوارع والازقة ببلدة سيدي عقبة

لوحة20 عمل الطالب

ا

ب

ج

صورة ا: الواجهة الصماء في شوارع بلدة سيدي عقبة لاعطاء الخصوصية للساكنين

صورة ب، ج: استعمال الفتحات ذات الاشكال المختلفة في الجدران للإضاءة والتهوية

د

و

ي

صورة د،و:استعمال جذوع النخيل كأعمدة حاملة للسقف كوسائل للتسقيف

صورة ي: تقنية السنبلة المستعملة في البناء بسيدي عقبة المنازل بسيدي عقبة

لوحة 21

عمل الطالب

ا

صورة ا: استعمال جذوع النخل كحوامل يرتكز عليها السلم بمنازل ببلدية سيدي عقبة

ب

صورة ب: سلم في منزل ببلدية سيدي عقبة

ج

صورة ج: كوة في إحدى الغرف بمنزل ببلدية سيدي عقبة

د

صورة د: الأبواب الخشبية المستعملة في منازل بلدية سيدي عقبة

و

صورة و: تردي وضعية المساكن ببلدية سيدي عقبة

ي

صورة ي: حالة المنازل المتدهورة والتي تحتاج لتدخل عاجل لحمايتها

لوحة22

عمل الطالب

ا

صورة ا: استعمال الحجارة في الاساساتبتهودة

ب

صورة ب: استعمال جذوع النخيل في تسقيف المنزل التهودي

ج

صورة ج: المواد المستعملة كدعاماتوحوامل للسقف بمنازل تهودة

د

صورة د:شارع نافذ في بلدة تهودة المهجورة

و

ي

صورة و،ي: تقنية البناء داخل بعض الأطلال الرومانية البناء بطريقة وتقنية السنبلة وتقنية المزج تهودة

لوحة23

عمل الطالب

ا

ب

صورة ا، ب: مواد البناء الاصلية المستعملة عبارة عن جذوع نخل سواري رخامية جلبت من مدينة تهودة من أرشيف مسجد سيدي عقبة

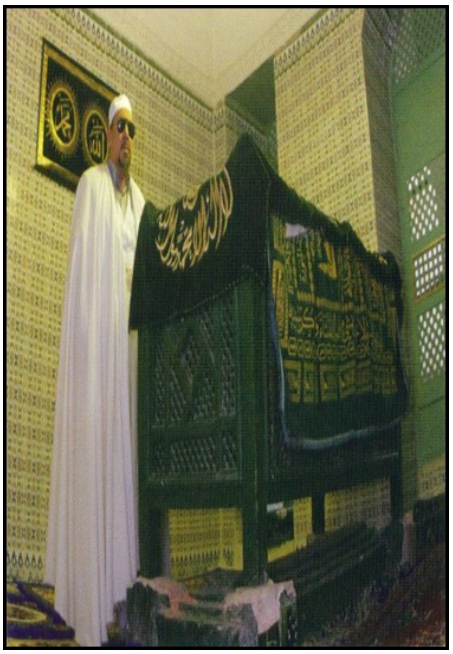

ج

د

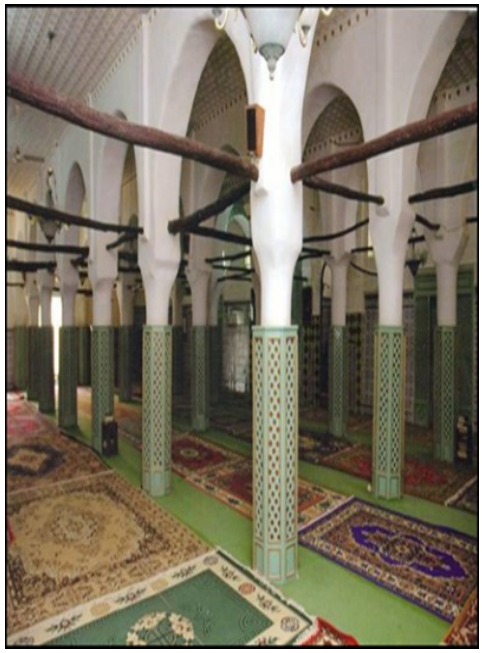

و

صورة ج: غرفة ضريح عقبة بن نافع صورة د: ضريح سيدي عقبة داخل الروضة صورة و: منظر عام لبيت الصلاة بجامع عقبة

لوحة24 عمل الطالب

ا

ب

ج

صورة ا،ب،ج: أنواع التيجان، العقود والروابط المستعملة في مسجد سيدي عقبة

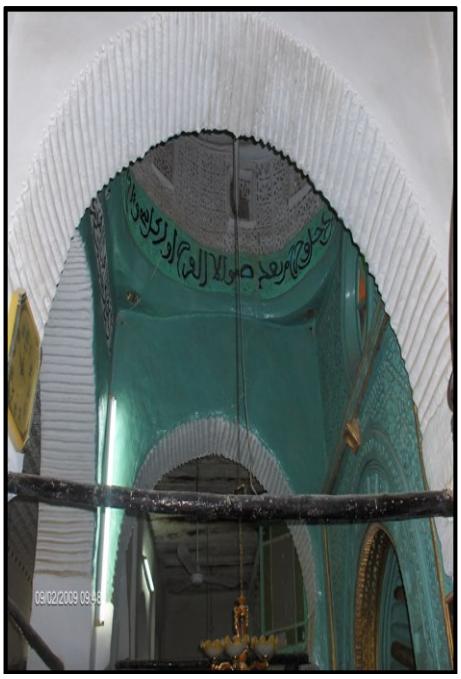
د

و

ي

صورة د: العقود التي ترفع القبة تتقدم محراب مسجد عقبة بن نافع تزينها أخاديد

صورة و: محراب مسجد عقبة بن نافع

صورة ي: منبر مسجد عقبة بن نافع

لوحة25

عمل الطالب

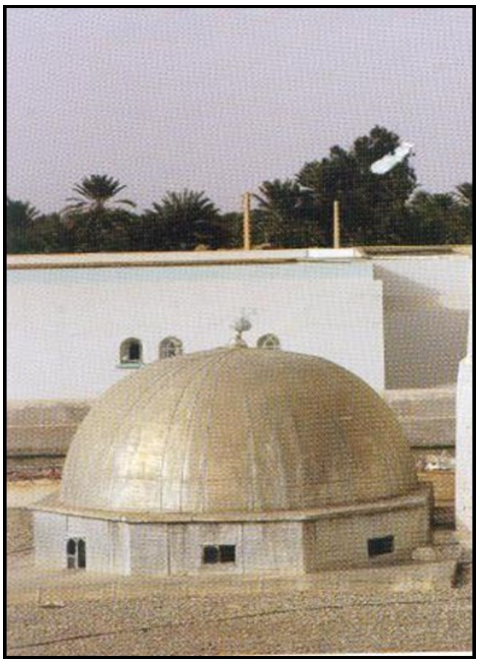

ا

صورة ا: قبة ضريح عقبة بن نافع

ب

صورة ب: مئذنة مسجد عقبة بن نافع

ج

صورة ج: باب طبنة بمسجد عقبة بن نافع

د

صورة د: عمليات الترميم التي طالت مسجد عقبة والتي أثرت على المعالم الأثرية الأصلية للمسجد

و

صورة و: بائكة تتوسط بيت الصلاة بمسجد عقبة بن نافع

ي

صورة ي: مداخل بيت الصلاة في الجدار الغربي بمسجد عقبة بن نافع

لوحة26

عمل الطالب

ا

صورة ا: أعمدة ثلاثية ملتصقة تزين محراب مسجد عقبة بن نافع

ب

صورة ب: جزء من السقف الأصلي لمسجد عقبة بن نافع

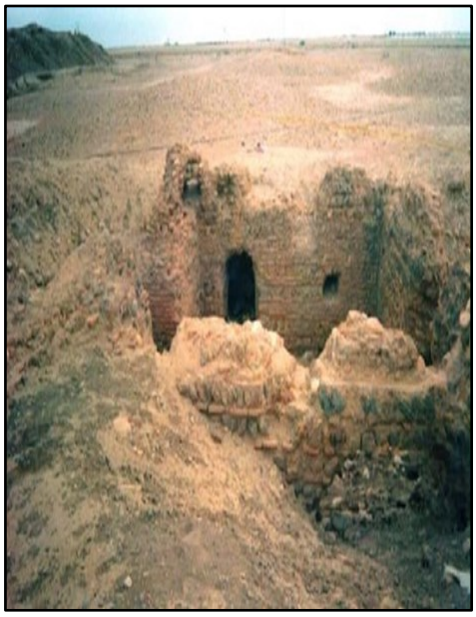

ج

صورة ج: تقنية البناء داخل بعض الاطلال الرومانية تهودة

د

و

صورة د،و: تقنية البناء داخل بعض الاطلال الرومانية -البناء بطريقة وتقنية السنبلة وتقنية المزج تهودة

ي

صورة ي: أحد بقايا المعسكر الأول حاليا يحيط به سور المدرسة

لوحة27 (عمل الطالب)

ا

صورة ا: المعسكر الثاني على الموقع تظهر قرية بادس القديمة

ب

صورة ب: باديـاس الرومانية البائدة

ج

صورة ج: بقايا مدينة باديـاس الرومانية

د

صورة د: صحن مسجد القصر به غرفة الضريح

و

صورة و: ضريح سيدي يحي بالقصر

ي

صورة ي:ضريح بالمسجد

لوحة28

عمل الطالب

ا

صورةا: محراب مسجد القصر

ب

صورة ب: بيت الصلاة لمسجد القصر

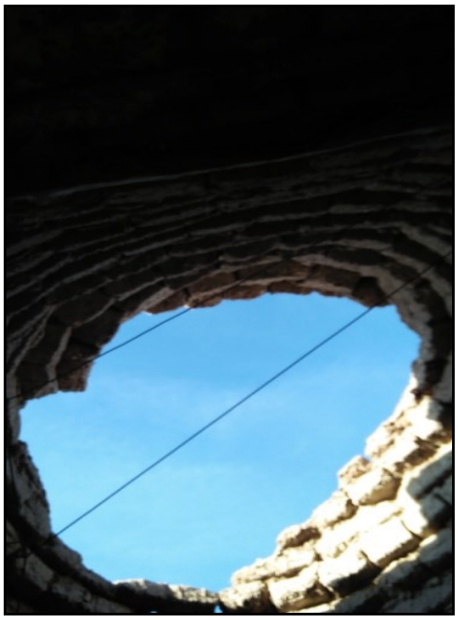

ج

صورة ج: قبة ضريح بمسجد سيدي يحي المنهارة

د

صورة د:مدخل مسجد القصر

و

صورة و:العوارض والروابظ الخشبية في بيت الصلاة بمسجد القصر

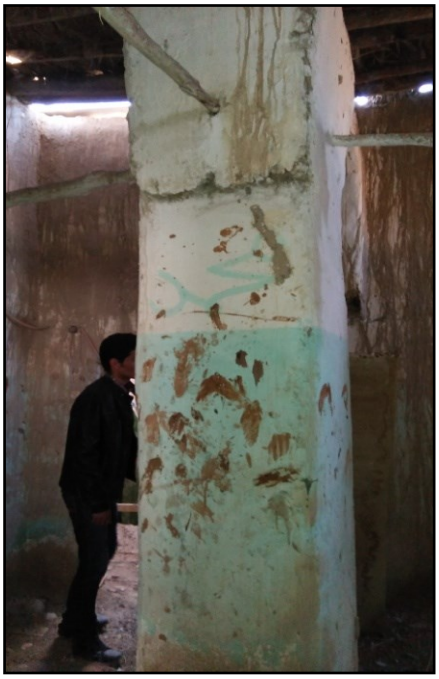

ي

صورة ي:أعمدة مربعة البدن الحاملة للسقف بمسجد القصر

لوحة29

عمل الطالب

ا

صورة ا: الواجهة الصماء لاحد المنازل ببادس

ب

ج

صورة ب،ج: استعمال أشجار السرو والعرعار في التسقيف بالقصر

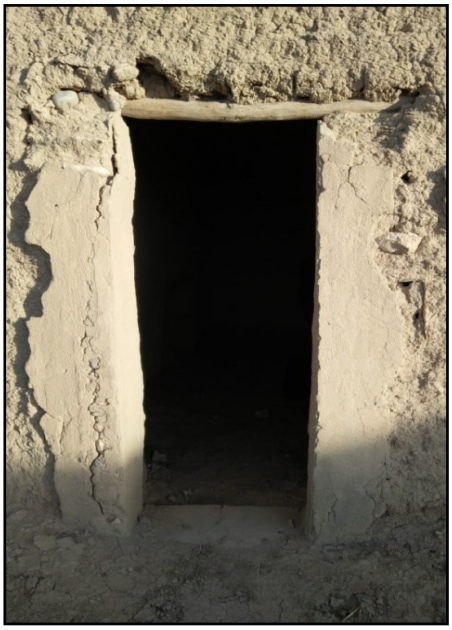

د

صورة د:مدخل منزل في قرية بادس

و

صورة و: صحن منزل ببلدة بادس

ي

صورة ي: تكسية االجدارن بعمارة بادس لاضفاء نوع من الجمالية على المبني

لوحة30

عمل الطالب

ا

صورة ا:السقيفة بأحد منازل قرية بادس

ب

صورة ب:مواد التسقيف بمنازل بادس

ج

صورة ج: عقود بسيطة تزين مداخل أبواب منازل بادس

د

صورة د: بلدية خنقة سيدي ناجي صورة جوية عن غوغل إيرث

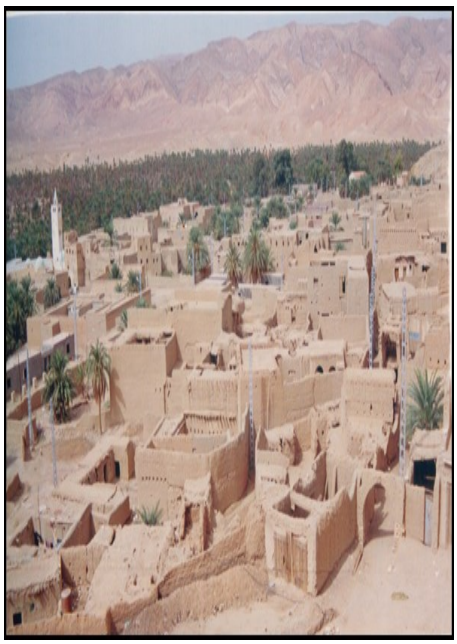

و

صورة و: منظر عام لخنقة سيدي ناجي

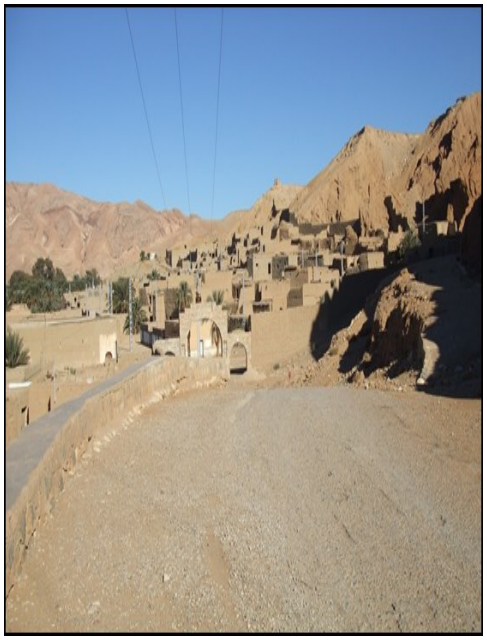

ي

صورة ي: منظر عام لخنقة سيدي ناجي تنحصر بين الجبال

لوحة31

عمل الطالب

ا

صورة ا: المدخل الرئيسي لخنقة سيدي ناجي بعد ترميمه وفق النمط الذي كان موجود في السابق

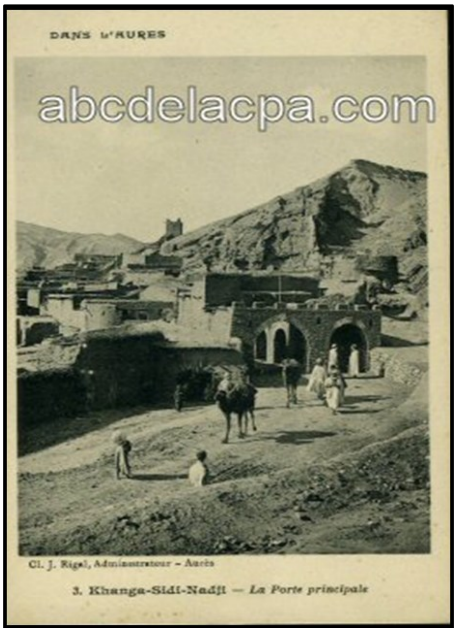

ب

صورة ب: خنقة سيدي ناجي في عشرينيات القرن الماضي

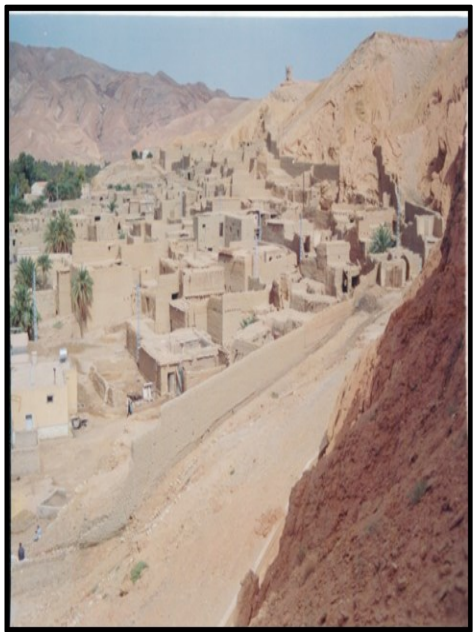

ج

صورة ج: رغم المرتفعات التي تحيط بالخنقة أحيطت بسور يحميها من هجمات الأعداء

د

صورة د: وادي العرب مصدر الحياة بالنسبة لخنقة سيدي ناجي وسكانها

و

صورة و: كتابة تأسيسية بخط مغربي على يسار المحراب بمسجد سيدي المبارك

ي

صورة ي: كتابة تأسيسية على ساكف باب المدرسة الناصرية مؤرخة بأواخر رجب من عام 1171هـ

لوحة 32

عمل الطالب

ا

صورة ا: الأسكوب المقابل للمحراب بمسجد سيدي المبارك

ب

صورة ب: صحن مسجد سيدي المبارك

ج

صورة ج: الرواق المقابل لجدار القبلة بصحن مسجد سيدي المبارك

د

صورة د: نموذج لأحد الأعمدة الاسطوانية يظهر فيها القاعدة والبدن

و

صورة و: البلاطة الموازية لجدار القبلة بمسجد سيدي المبارك

ي

صورة ي: قواعد السواري "الأعمدة" في الطابق الأول في المدرسة الناصرية

لوحة33

عمل الطالب

ا

صورة ا: قواعد الأعمدة مربعة الشكل في صحن المدرسة الناصرية

ب

صورة ب: تبين شكل أحد التيجان في بيت الصلاة مسجد سيدي المبارك

ج

صورة ج: تيجان كورنثية في صحن المدرسة الناصرية مزخرفة

د

صورة د: تيجان بسيطة مستعملة في صحن المدرسة الناصرية

و

صورة و: أنواع عقود بيت الصلاة بمسجد سيدي المبارك

ي

صورة ي: سارية ذات قاعدة مربعة استعملت لحمل العقود في الشرفة التي تعلو المئذنة في مسجد سيدي المبارك

لوحة34

عمل الطالب

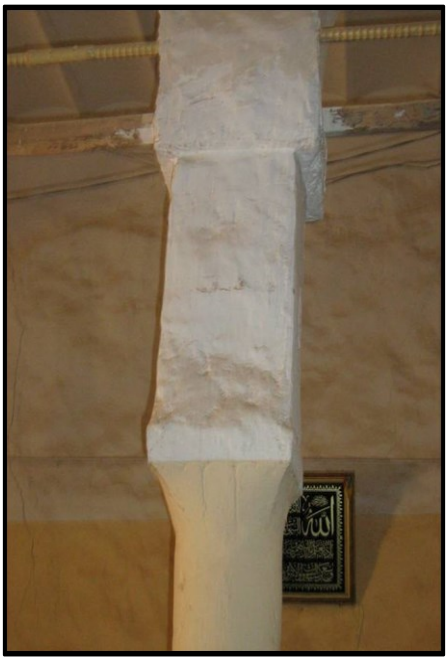

ا

صورة ا: الوسائل المستعملة في الانتقال بين العقود والتيجان بمسجد سيدي المبارك

ب

صورة ب: الروابط الخشبية بمسجد سيدي المبارك

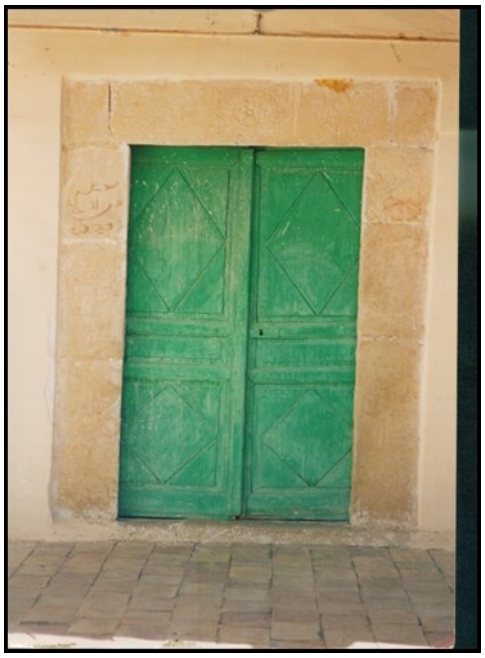

ج

صورة ج: الباب الذي يتوسط الجدار الشمالي لبيت الصلاة في مسجد سيدي المبارك المؤدي للمدرسة الناصرية

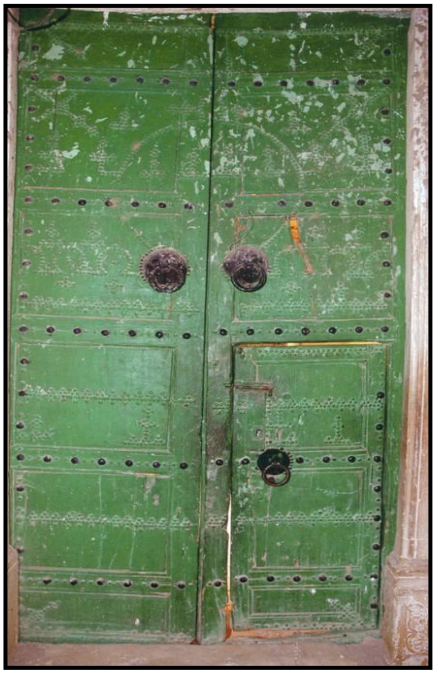

د

صورة د: الباب الغربي لمسجد سيدي لمبارك

و

صورة و: منظر خلفي لأحد الأبواب بمسجد سيدي المبارك مازال على حالته الأصلية

ي

صورة ي:باب المدرسة الناصرية

لوحة 35

عمل الطالب

ا

صورة ا: ضريح احمد بن ناصر

ب

صورة ب: زخارف كتابية تزين ساكف روضة الضريح بيت الصلاة بسيدي المبارك

ج

صورة ج: محراب مسجد سيدي المبارك

د

صورة د: مئذنة مسجد سيدي المبارك

و

صورة و: منظر جانبي لمنبر سيدي المبارك يبين أنواع العناصر الزخرفية

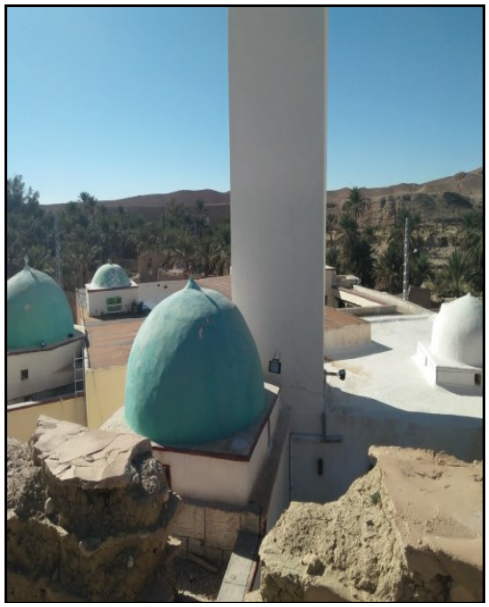

ي

صورة ي:منظر علوي للقباب التي استعملت في تسقيف مسجد سيدي المبارك والسرايا

لوحة36

عمل الطالب

ا

ب

ج

صورة ا،ب:زخارف كتابية تزين طره المحراب بمسجد سيدي المبارك

صورة ج: استعمال التناظر لملأ الفراغ في محراب مسجد سيدي المبارك

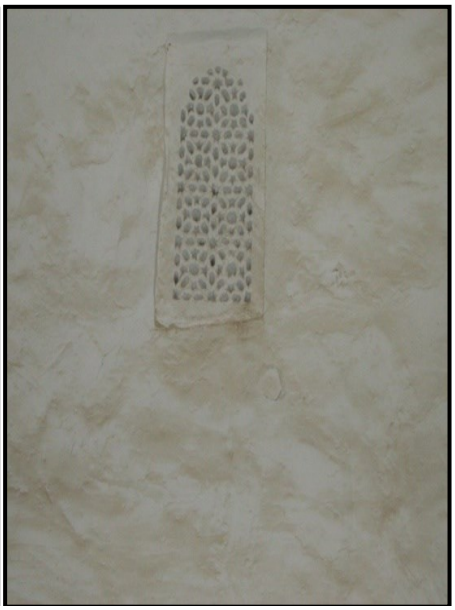

د

و

ي

صورة د: شمسيات استعملت في بيت الصلاة بجامع سيدي المبارك

صورة و: كتابة تأسيسية ثبتت فوق مدخل غرفة الضريح سيدي المبارك مؤرخة ب1171هـ

صورة ي: كتابة تخليدية منفذة بسائل الرصاص استعمل فيها التنقيط والاعجام

لوحة37

عمل الطالب

ا

صورة ا: زخارف نباتية وهندسية وفلكية قوامها الهلال والمراوح النخيلية والأزهار تزين تيجان أعمدة إطار محراب بيت الصلاة لمسجد سيدي المبارك

ب

صورة ب: العقد المستدير في صحن مسجد سيدي المبارك

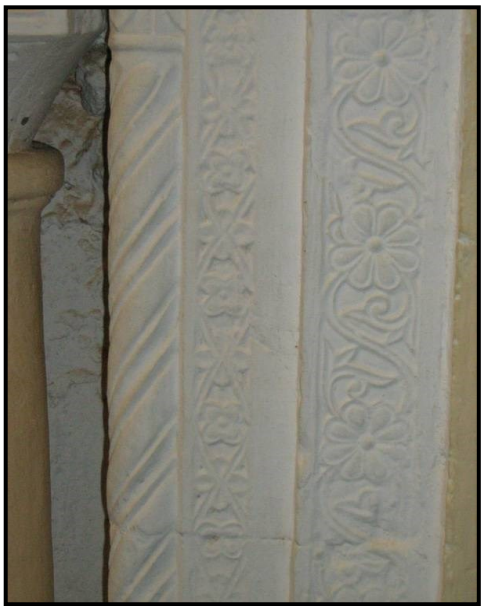

ج

صورة ج: إفريز من الزخارف النباتية تزين إطار محراب مسجد سيدي المبارك

د

صورة د: زخارف نباتية قوامها وردتان رباعيتا الفصوص تتوسطهما دائرة بها نجمة سداسية

و

صورة و: شكل أحد الأعمدة في فتحة محراب مسجد سيدي المبارك

ي

صورة ي: زخارف نباتية قوامها مزهرية تنبعث منها ورود ثمانية وخماسية الفصوص

لوحة38

عمل الطالب

ا

صورة ا: زخارف هندسية جصية تزين محراب مسجد سيدي المبارك من الداخل

ب

صورة ب: العارضة الجانبية للباب الغربي بمسجد سيدي المبارك عليها زخارف هندسية ونباتية المتمثلة الزهرة ذات الأربع فصوص وثماني فصوص

ج

صورة ج: زخارف نباتية وهندسية تزين إطار باب غرفة الإمام

د

صورة د: زخارف نباتية وهندسية تزين قاعدة إطار الباب الغربي بمسجد سيدي المبارك

و

صورة و: الزخرفة النباتية بطريقة الحفر الغائر قوامها زهرة القرنفل ومراوح نخيلية

ي

صورة ي: استعمال طريقة الحفر الغائر في نقش الأشكال الهندسية في أطر النوافذ والأبواب في مسجد سيدي المبارك والسرايا دائرة تنبع من مركزها أشعة على شكل مراوح "دائرة إشعاعية"

لوحة39

عمل الطالب

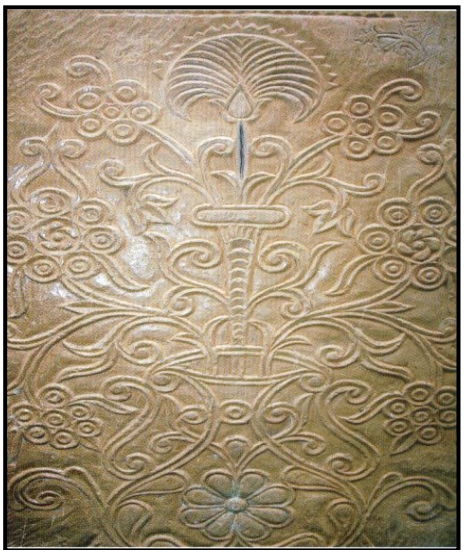

ا

صورة ا: زخارف نباتية تزين اطر البواب في مسجد سيدي المبارك

ب

صورة ب: زخارف نباتية قوامها أوراق نباتية متنوعة ثمانية ورباعية تتوضع داخل مثلثات بشكل دائري تشكل في مجملها طبق نجمي

ج

صورة ج: طريقة الحفر البارز وأسلوب تنفيذ الزخارف البارزة في أطر الأبواب بمسجد سيدي المبارك

د

صورة د: الزخرفة على ساكف الباب الغربي لمسجد سيدي المبارك قوامها نجمة ثمانية نتيجة تقاطع مربعين تتوسطها وردة عن طريق الحفر البارز وعلى جانبيها شجرتا سرو يعلوهما هلال تنبعث منه وريدات والتي يعلوها هلال تبرز دقة التناسق في ملأ الفراغ على الساكف

لوحة 40

و

صورة و: تبين الزخارف النباتية والهندسية المستعملة في تزيين إطار الباب الغربي المدخل بجامع سيدي المبارك

ي

صورة ي: ساكف الباب الغربي لمسجد سيدي المبارك منظر يبين والتناسق بين الأشكال الهندسية والنباتية

(عمل الطالب)

ا

صورة ا: زخارف كتابية بخط مغربي، وكذا هندسية ونباتية تزين نافذة ضريح بن حسين محمد بن حسين قوامها مزهرية تخرج منها أوراق نخيلية

ب

صورة ب:زخرفة نباتية قوامها شجرة السرو و هندسية قوامها الطبق الاشعاعي تزين إطار نافذة في السرايا

ج

صورة ج: استغلال الحجارة في زخرفة مسجد سيدي المبارك والسرايا

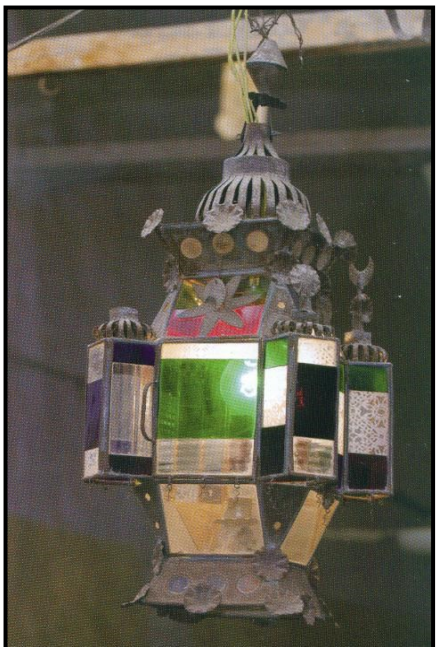

د

و

ي

صورة د،و: عناصر الإضاءة المستعملة في مسجد سيدي لمبارك والتي تعود إلى العهد العثماني مازالت تستعمل إلى يومنا هذا بينما نجدها اندثرت في مسجد سيدي عقبة

صورة ي: بيض النعام معلقة في بيت الصلاة بمسجد سيدي المبارك

لوحة 41

عمل الطالب

ا

صورة ا: رواق الطابق الأول

ب

صورة ب: الغرف في الطابق الأرضي والأول بالمدرسة الناصرية

ج

صورة ج: صحن المدرسة الناصرية المبلط بالآجر الأحمر

د

صورة د: محراب صحن مسجد سيدي المبارك الذي يستعمل في أوقات الحر

و

ي

صورة و،ي): محارات كانت تستعمل في المدرسة الناصرية من طرف الطلبة مصنوعة من الحجارة

لوحة 42

عمل الطالب

ا

صورة ا: استعمال الخشب في التسقيف في مسجد سيدي المبارك

ب

ج

صورة ب،ج:أجزاء من البدن المستعملة في عمارة الخنقة مازالت موضوعة في صحن المسجد

د

صورة د: المدخل الرئيسي للرحبة يعلوه عقد نصف دائري ويؤدي للسرايا والمسجد والمقبرة والدمس

لوحة 43

و

صورة و: منظر عام للرحبة أو الساحة العامة التي تفصل بين مسجد سيدي المبارك والسرايا

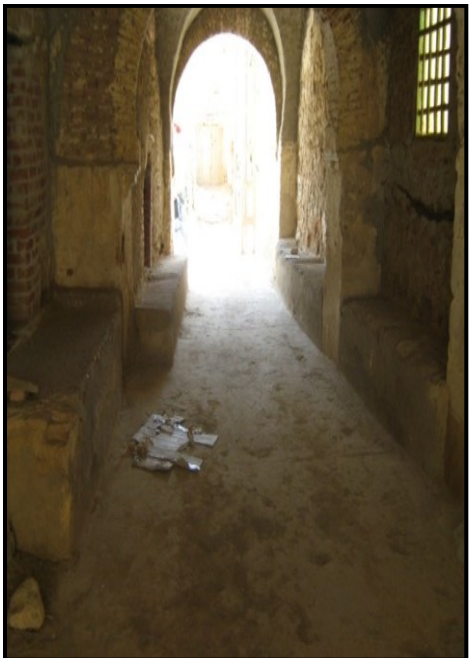

ي

صورة ي: المقاعد الحائطية (دكانات) ملاصقة لجدار المسجد وجدار السرايا تخصص للجلوس و الاجتماعات العامة

عمل الطالب

ا

صورة ا: مدخل السرايا عبارة عن رواق ذو عقود نصف دائرية على شكل حذوة الفرس مصنوعة من الحجارة

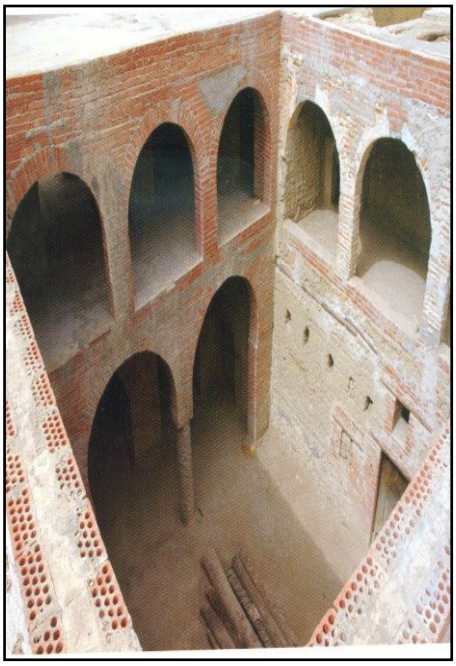

ب

صورة ب: تبين الصحن والأروقة المطلة على وسط الدار في سرايا الخنقة

ج

صورة ج: غرفة جانبية في الطابق الأرضي

د

صورة د: ترميم الاروقة داخل السرايا

و

صورة و: القبو الاسطواني(البرميلي) مخصص للجلوس داخل السقيفة بداخله مشكاة

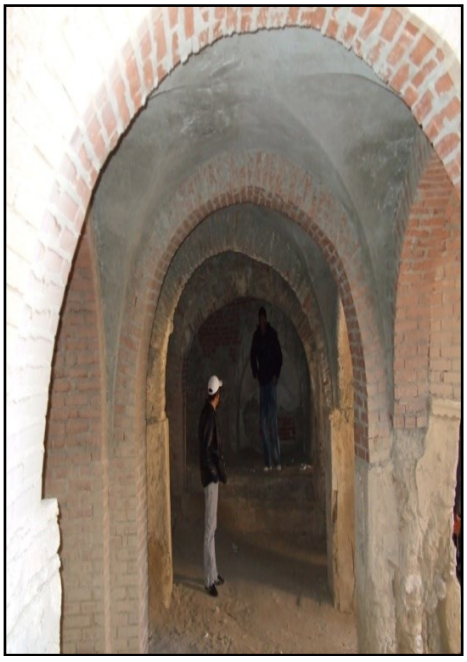

ي

صورة ي: رواق جانبي داخل الرحبة

لوحة 44

عمل الطالب

ا

صورة ا: العقود النصف دائرية المتجاوزة صماء داخل إحدى الغرف استعملت كمشكاوات

ب

صورة ب: منظر داخلي لأحدى الغرف في الطابق الأول من السرايا نلاحظ فيه وجود دكانة

ج

صورة ج: طريقة العقود المتشابكة التي استعملت في تسقيف السقيفة "الرحبة" داخل السرايا وهو نمط لم تعرفه عمارة الزاب جاء نتيجة لتأثيرات عثمانية

د

صورة د: الرواق المخصص للراجلين في الطابق الأول في السرايا

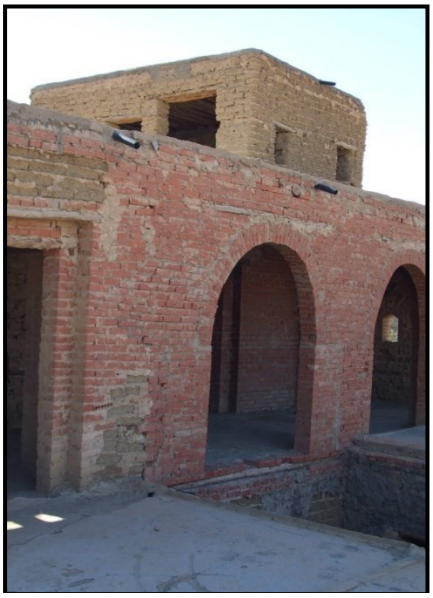

و

صورة و: منظر الطابق الثاني من قصر السرايا بعد الترميم

ي

صورة ي: العقود النصف دائرية التي كانت تزين السرايا قبل انهيار جزء منها وقد أعيد ترميمها وفق هذه العقود سنة 1995 من أرشيف البلدية

لوحة 45

عمل الطالب

ا

صورة ا: غرفة صغيرة من المحتمل أنها كانت تستعمل كمخزن داخل السرايا

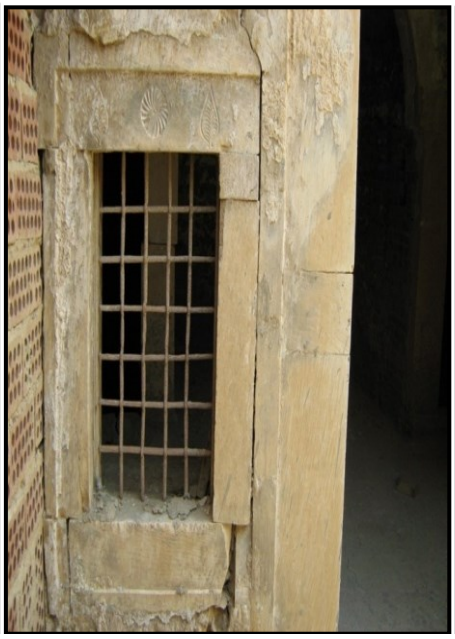

ب

صورة ب:نافذة على الجدار في الطابق الأول مقضبنة تزخرف خارف هندسية ونباتية

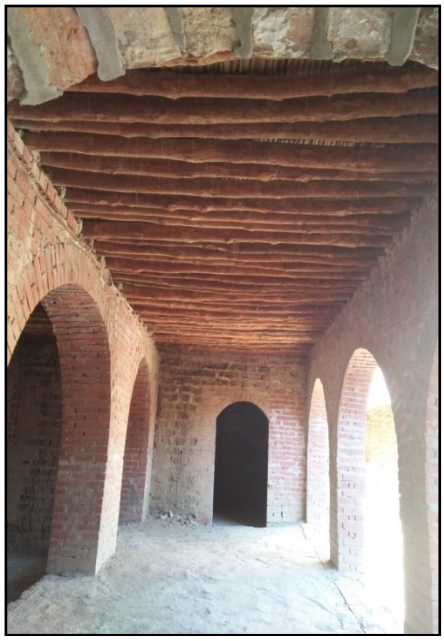

ج

صورة ج: رواق يتوسط الطابق الاول بالسرايا يقسم الجزء الغربي والجزء الشرقي بالسرايا

د

صورة د: مواد خشبية مستعملة في أرضية الرواق بالطابق الأول من السرايا

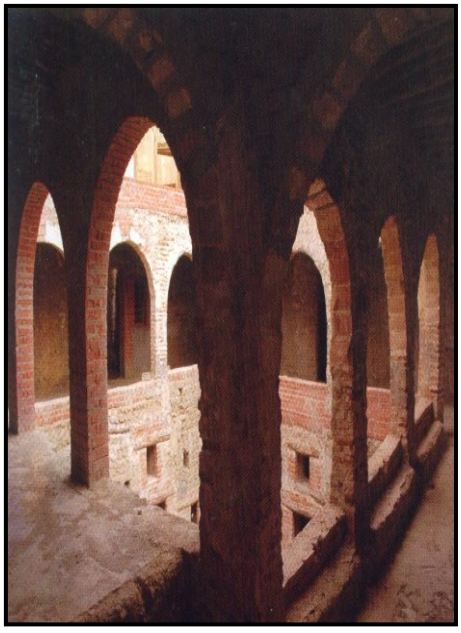

و

صورةو: الأروقة الجانبية في الطابق الأول المطلة على الصحن أو وسط الدار

ي

صورة ي: العقود المتجاوزة في الطابق الأول استعملت في الرواق الفاصل بين الجناح الشرقي من المنزل والجناح الغربي أعيد ترميمها مثلما كانت موجودة في المنزل الأصلي

عمل الطالب

لوحة 46

ا

صورة ا: بئر يتوسط صحن السرايا

ب

صورة ب: شارع يفصل السرايا والمنازل بالخنقة

ج

صورة ج: شارع يؤدي للدمس

د

صورة د: تبين السلم في الطابق الارضي من السرايا

و

صورة و: أحد السلالم الجانبية داخل السرايا

ي

صورة ي: السلم المؤدي للسطح بالسرايا

لوحة 47

عمل الطالب

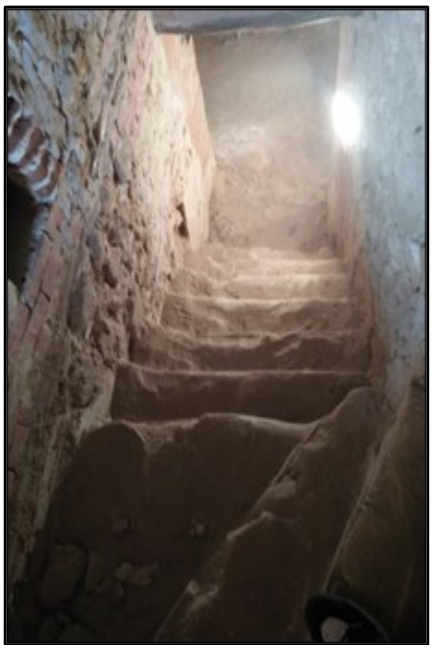

ا

صورة ا: السلم المؤدي الطابق الأول بالسرايا به نافذة صغيرة لتوفير الاضاءة

ب

صورة ب: سلم جانبي بالسرايا

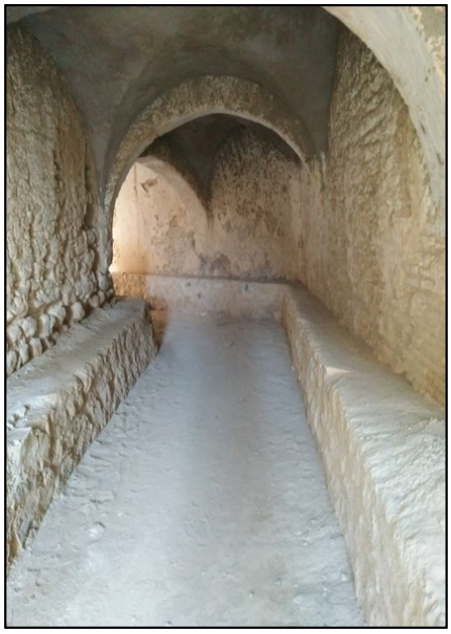

ج

صورة ج: الدمس حيث نلاحظ تقابل الدكنات داخله

د

صورة د: صحن منزل السرايا بالخنقة يتوسطه بئر

و

صورة و: السرايا قبل عملية الترميم سنة 1995 أرشيف البلدية

ي

صورة ي: منظر عام للسرايا أو منزل أسرة بن حسين بعد عمليات الترميم

لوحة48

عمل الطالب

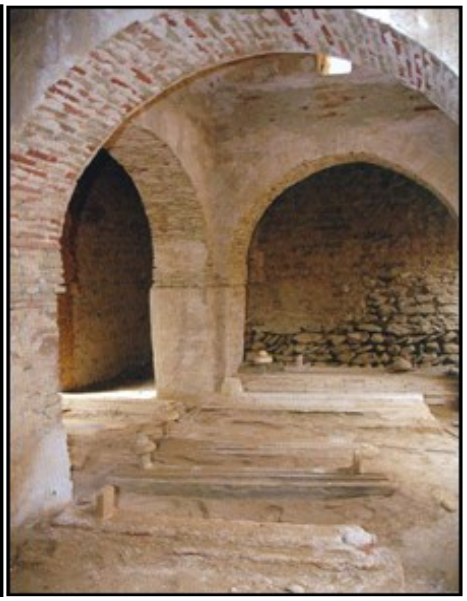

ا

صورة ا: المقبرة الملحقة بالمسجد أو ما تعرف بالتربة عند أهالي المنطقة تضم قبور أحفاد أسرة بناصر وبن حسين وهم أعيان وشيوخ خنقة سيدي ناجي

ب

صورة ب: شكل العقود التي تحمل القبة التي تعلو المقبرة

ج

صورة ج: العقود المتجاوزة في المقبرة الملحقة بمسجد سيدي المبارك "الخاصة بأسرة بن حسين" مازالت تحافظ على بنائها الأول وهي نفس الطريقة المستعملة في السرايا

د

صورة د: كتابة شاهدية غير متقنة على أحد القبور بالمقبرة

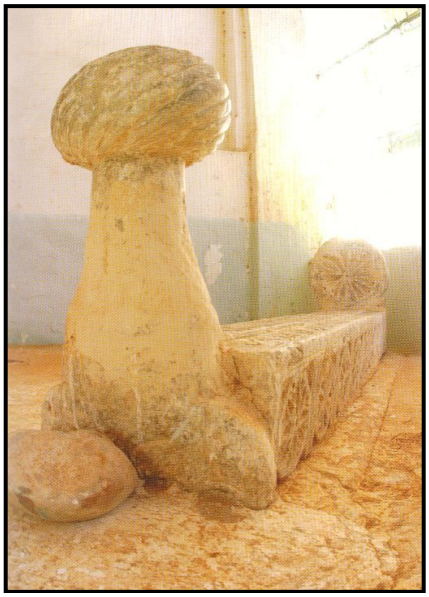

و

صورة و: نمط شواهد القبور العثمانية المعممة في مقبرة الكتانية بقسنطينة

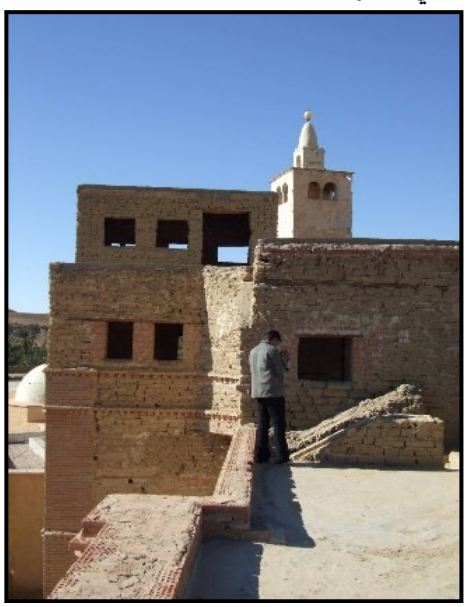

ي

السطح في السرايا بالخنقة

لوحة49

(عمل الطالب)

ا

ب

ج

صورةا، ب، ج: شواهد القبور موضوعة على القبور توضح التأثير العثماني في المنطقة فهي تماثل تلك التي توضع على قبور العثمانيين في كل من مقبرة صالح باي في قسنطينة والجزائر العاصمة

د

صورة د: استعمال الشمسيات فوق المداخل في المنازل في خنقة سيدي ناجي

و

صورة و:نافذة مقضبنة فتحت في غرفة فوق ممر مسقوف

ي

صورة ي:كوة حائطية في غرف بمنازل خنقة سيدي ناجي

لوحة50

عمل الطالب

ا

ب

ج

صورة(ا،ب،ج):الأبواب المستخدمة في عمارة الخنقة

د

صورة د:استغلال فضاء الشارع في بناء ساباطات بعمارة الخنقة دون المساس بحقوق المارة

و

صورة و:النوافذ المقضبنة بالمنازل بخنقة سيدي ناجي

ي

صورة ي:حجارة مصقولة مستعملة في عمارة الخنقة

لوحة51

عمل الطالب

ا

صورة ا:عقد يزين مدخل منزل بالخنقة

ب

صورة ب: قباضتان على باب المدرسة عليها زخارف هندسية

ج

صورة ج: استعمال المسامير الحديدية كعنصر زخرفي لتشكيل عقود حذوية ومثلثات على الباب الغربي لمسجد سيدي المبارك

د

و

ي

صورةد،و،ي الاقفال المستعملة في أبواب الخنقة

لوحة52

عمل الطالب

ا

صورة ا:كوة حائطيةفي إحدي الغرف

ب

صورة ب: منظر علوي للصحن بالمنزل الخنقي

ج

صورة ج: غرف الطابق الأول بمنزل في خنقة سيدي ناجي

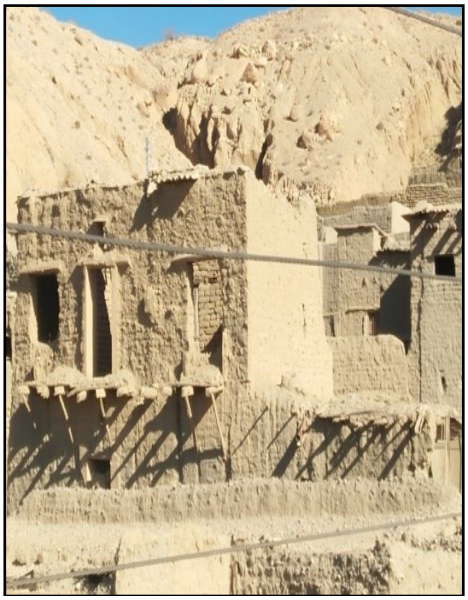

د

صورة د:شرفات لمنزل بالطابق الأول ترتكز على وسائل دعم خشيبة

و

صورة و: استعمال الحجارة كأساسات للمنازل بلغ عمقها المتر ونصف

ي

صورة ي: رواق الراجلين في الطابق الأول لمنزل خنقي

لوحة53

عمل الطالب

ا

صورة ا: باب فتح في احدى الغرف في الطابق الاول

ب

صورة ب: عقود نصف دائرية تزين الرواق المطل على صحن منزل بالخنقة

ج

صورة ج: السلم المؤدي للطابق الأول بالمنزل

د

و

ي

صورة د،و،ي: شكل المطابخ بمنازل الخنقة

لوحة54 عمل الطالب

ا

صورة ا،ب:مدفئة بأحد المنازل بالخنقة مازات تحافظ على شكلها الاول

ب

صورة ب:مدفئة بالسرايا أو"منزل اسرة بن حسين" بالخنقة

د

صورة د:استعمال الحجارة في الاساسات المنازل لمقاومة الرطوبة والسيول

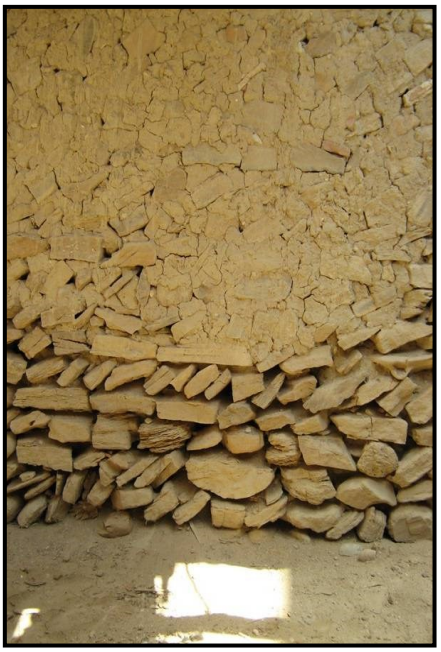

و

صورة و:استعمال الحجارة بطريقة غير منتظمة في جدران الخنقة

ي

صورة ي:المزج بين الحجارة المهذبة واللبن في بناء جدران المنازل بالخنقة

لوحة55

عمل الطالب

ا

ب

ج

صورةا،ب،ي:استعمال الحجارة غيرالمهذبة المنتظمة في البناء

د

صورة د:الدعامات الحاملة للسقف في السقيفة

و

صورة و:استعمال العوارض كدعامات افقية في الجدران

ي

صورة ي: شارع غير نافذ

لوحة56

عمل الطالب

أ

صورة أ:عقود نصف دائرية تزين صحن منزل بالخنقة

ب

صورة ب:سارية تزين زاوية منزل بالخنقة

ج

صورة ج: شارع نافذ

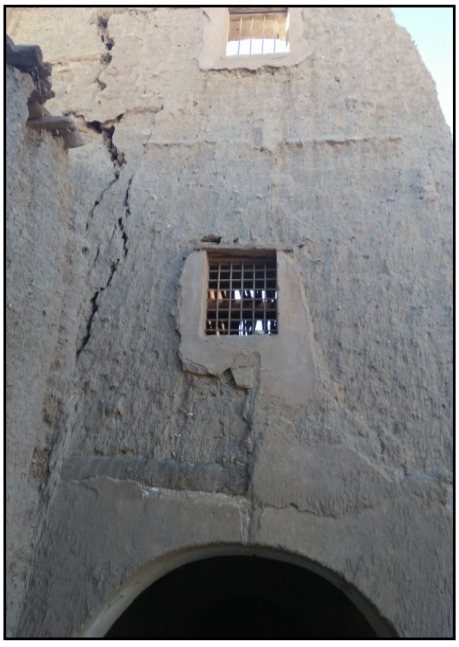

د

صورة د:نوافذ مقضبنة فتحت بالطابق الأول والثاني لتوفير الضوء للغرف

و

صورة و:ممر مسقوف لتوفير الظل

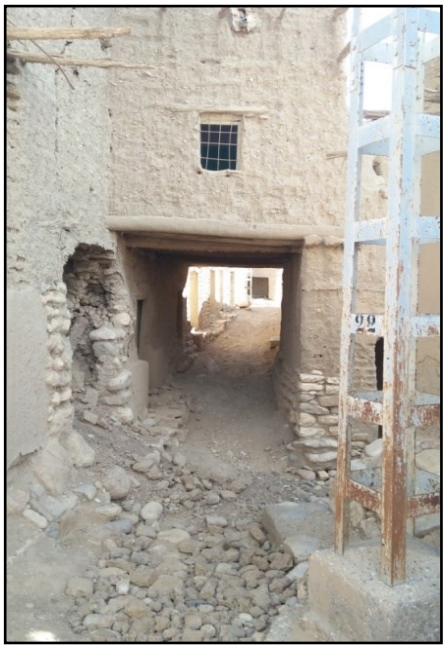

ي

صورة ي:استعمال الممر المسقوف في عمارة الخنقة

لوحة57

عمل الطالب

ا

صورة ا: منظر جانبي لسلم يدل على مدى تحكم السكان المحليين في طرق البناء

ب

صورة ب):استعمال جدوع النخيل في التسقيف

ج

صورة ج:تزيين اطر الأبواب بمنازل الخنقة

د

و

صورة د،و: ابار حفرت بداخل المنازل لتزويدها بالماء

لوحة58 عمل الطالب

ا

صورة ا:مدخل مسجد السوق بوسط خنقة سيدي ناجي

ب

صورة ب:البائكة المقابلة لجدار القبلة بمسجد السوق

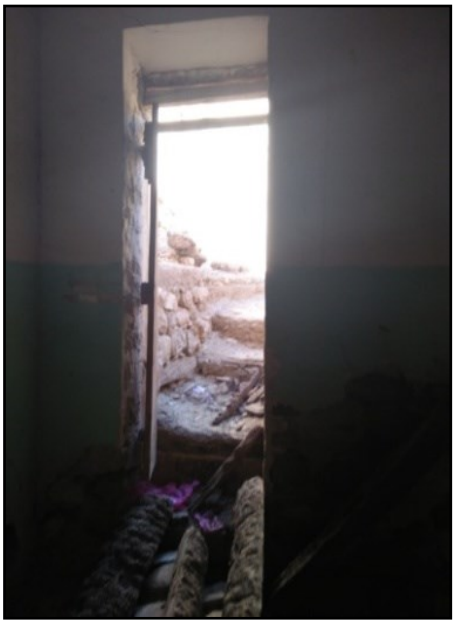

ج

صورة ج:مدخل جانبي لمسجد السوق يؤدي لشارع ثانوي

د

صورة د:محراب مسجد السوق بالخنقة

و

صورة و:كوات حائطية لوضع المصاحف

ي

صورة ي:سلم مئذنة مسجد السوق

لوحة59

عمل الطالب

ا

صورة أ:مئذنة مسجد السوق

ب

صورة ب:عقود تزين مدخل شارع مؤدي للسوق

ج

صورة ج:ساحة السوق الرئسية

د

صورة د: دكان لصناعة مادة القطران

و

ي

صورة و،ي:المحلات التي خصصت لها شوارع بعيدة عن المساكن

لوحة60

عمل الطالب

ا

صورة ا:شارع رئيسي بالخنقة

ب

ج

صورة ب، ج:منظر داخلي لمنزل الشيخ عبد الحفيظ الخنقي

د

صورة د:غرفة مخصصة لخلوة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي

و

صورة و: منزل من طابقين بالخنقة

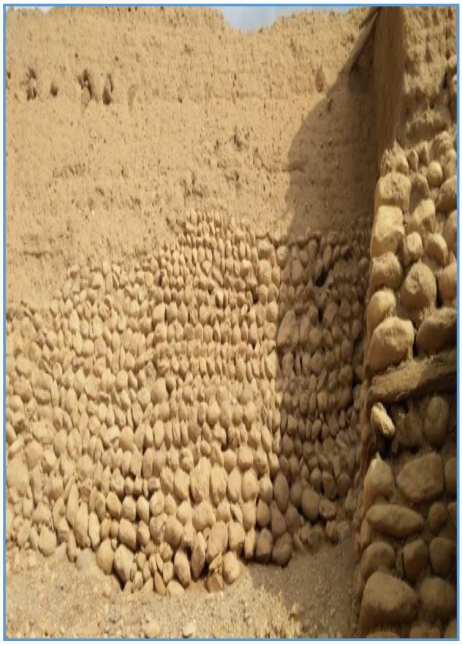

ي

صورة ي: استعمال الحجارة المجلوبة من وادي العرب في البناء

لوحة61

عمل الطالب

ا

صورة ا:محراب مسجد "حارة لواتة" بالخنقة

ب

صورة ب:أشجار السرو لتسقيف مسجد لواتة

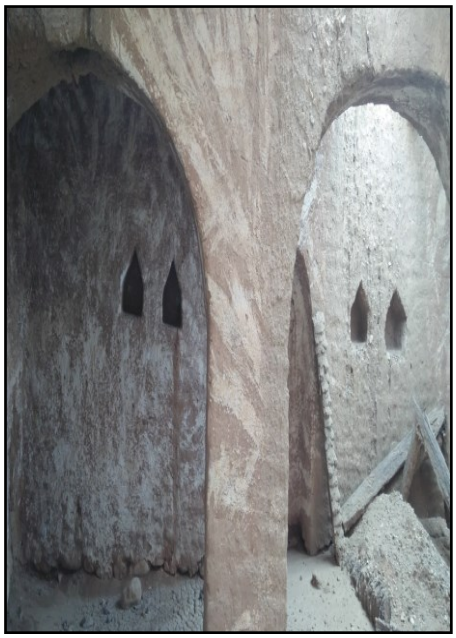

ج

صورة ج:العقود ببيت الصلاة بمسجد لواتة

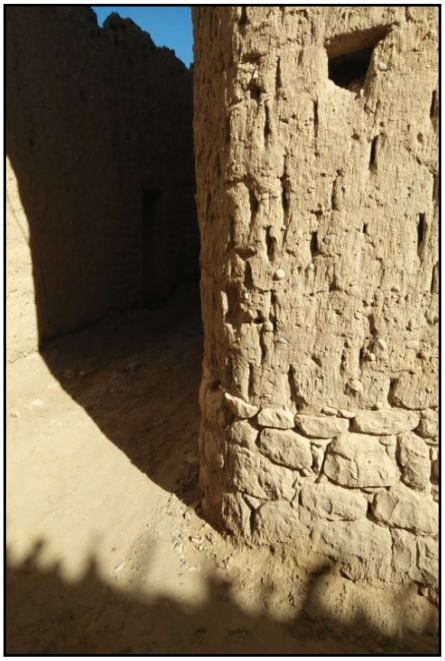

د

صورة د: شارع نافذ بالخنقة

و

صورة و:اتساع الشوارع واستقامتها لاعطاء افضل رؤية للمارة

ي

صورة ي:فتحات في جدار الغرف للاضاءة والتهوية في المنزل الخنقي

لوحة62

عمل الطالب

ا

صورة ا:المزج في البناء بين الحجارة والطين في عمارة الخنقة

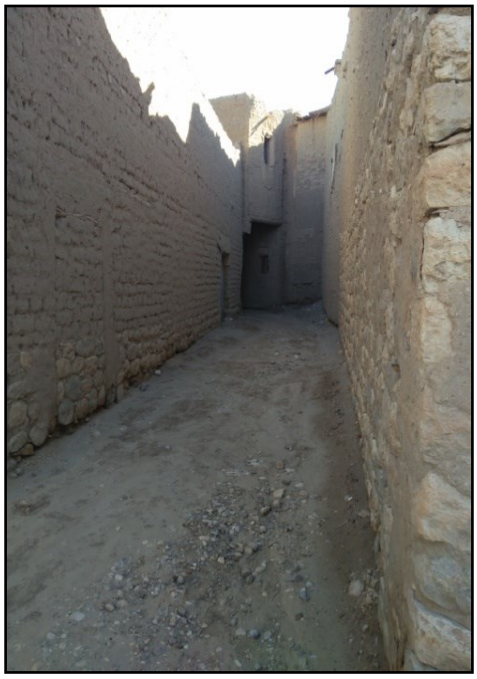

ب

صورة ب، ج:تعرج الشوارع في خنقة سيدي ناجي لتوفير الظل واعطاء نوع من الخصوصية للسكان

ج

د

صورة د:منظر عام لمسجد عبد الحفيظ الخنقي

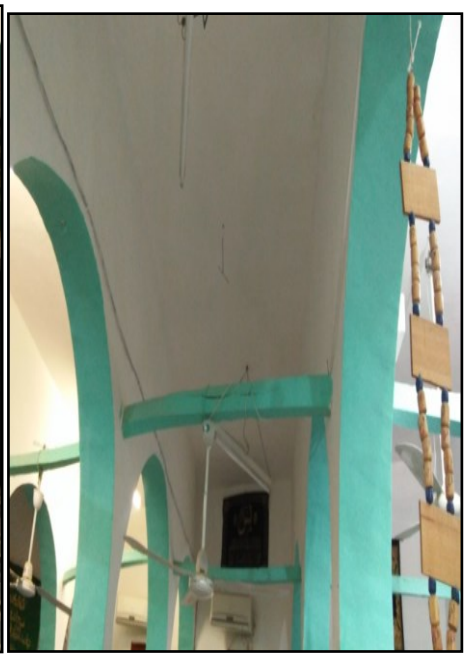

و

صورة و:استعمال العوارض بين العقود كداعامات

ي

صورة ي:عقود بيت الصلاة بمسجد عبد الحفيظ الخنقي

لوحة63

عمل الطالب

ا

صورة ا:محراب مسجد عبد الحفيظ الخنقي

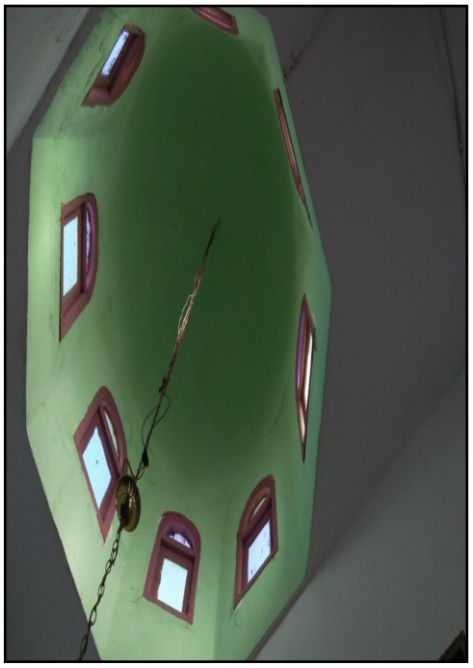

ب

صورة ب:قبة ثمانية الاضلاع فوق محراب مسجد عبد الحفيظ الخنقي

ج

صورة ج:بئر مازالت تستعمل لحد الان بالمسجد

صورة د: باب غرفة ضريح الحفيظ الخنقي

صورة و:ضريح الحفيظ الخنقي

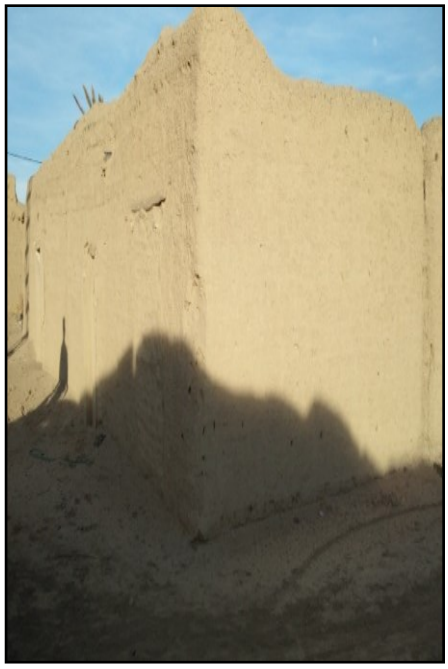

صورة ي: واجهات صماء بسيطة في عمارة لقصر

لوحة64

عمل الطالب

ا

ب

ج

صورة ا: الساقية الرئيسية او المصرف قرية ليانة

صورة ب: الخزان الروماني

صورة ج: السواقي المبنية ببلدة الخنقة

د

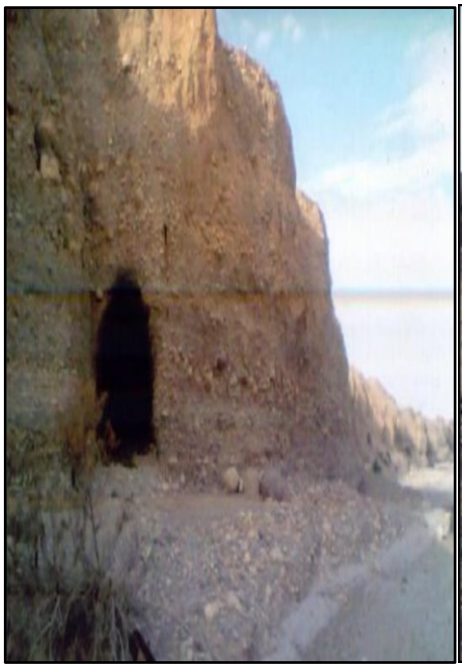

و

ي

صورة د: اثار موقع أحد مواجل بادس

صورة و: مدخل لأحد الفجوات الكبيرة للقناة على الضفة اليمنى لوادي العرب

صورة ي: المصرف المستعمل لتحويل المياه قرية بادس

لوحة65

عمل الطالب

فهرس الاعلام ، الأماكن والقبائل

أولا: فهـرس الأعـلام

الاسم واللقب	رقم الصفحة
احمد باي	228.238
إبراهيم بن أحمد	60 .41. 40
ابن غانية	43
أبوالعباس بن إبراهيم بن الأغلب	41
أبي عبد الله الشيعي	41
أبي يزيد مخلد بن كيداد	41
أبي الغرانيق	41
المعز لدين الله	42
أبا الحسن بن أبي يعلى	44
أبي الفضل	79
أبي خفاجة	77 . 41
المعز بن بلكين	43
أحمد بن عمر بن الشريف	.260 .257 .361
أحمد بن ناصر بن محمد	239 .259 .248
الحاج محمد السعي	361
الرسول صلى الله عليه وسلم	.362 .360 .179 .155 .81 .72 .71 .69 .66 .65 .49 .25 235 .234 .296

المستنصر	42
الكاهنة	183 .56
المختار	55. 82. 131. 132. 139. 142. 144. 145. 146. 147
أبي المهاجر	53.74
المعز بن باديس	183. 184. 203
اليازوري	42. 43
الحازمي	75
بركات	45. 77. 78. 130
بلكين بن محمد بن حماد	43
المختار	131.132.144
الزبيري	183
بن عاشور	237
جريجوريوس	51
بن عزوز	46. 74. 81. 82. 132. 138. 141. 144. 152. 154. 155. 156. 354
جعفر بن أبي رمان	43
خالد بن سنان العبسي	108
خلف بن أبي حيدر	43
حسين باي بوكمية	238
حسين	241

محمد بن خزر الزناتي	41
دومال	46
زهير بن قيس البلوى	55
زيادة الله بن عبد الله	41
زهير الزاهري	184
سعادة	164. 168
سليمان	82
عثمان بن عفان	74.233
عبد المجيد بن حبة	183
عطية	82
علي بن عثمان	155.156
مبارك	239,234
قاسم	233
مصطفى داي	238
مسعود	79. 211
معاوية بن حديج	51
عبد الحفيظ الخنقي	132. 144. 359. 334. 264. 281. 291. 259. 294
عبد الرحمان	26. 40. 65. 82. 88. 95. 111 . 132. 113. 114. 118. 121. 122. 124. 125
عبد الرحمان الأخضري	82. 112. 113. 114. 127. 128. 154
عبد الرحمان بن هشام	156
عبد القادر عثمان	155.3 157
عبد الله الشيعي	41
عقبة بن نافع الفهري	40. 49. 51. 52. 179. 183. 184
حسان بن النعمان	56

علي بن عثمان	ص. 154. 155. 157 . 158
علي بن عمر	82. 111. 131. 132. 144. 154. 155. 156. 157. 158
كسيلة	176
ليوا الأصغر	36
مارمول كاربخال	46
محمد الصالح	42. 211
محمد العيد بن محمد السوفي	37. 41. 77
محمد بن خزر الزناتي	41. 77
محمد بن عمر التونسي	/
موسى الخدري	45
مروان بن عبد الحكم	46
محمد باشا	236
محمد الطيب	237
لسان الدين بن الخطيب	45
يوسف باشا	236

ثانيا: الأماكن والمدن:

أسماء الأماكن والمدن	رقم الصفحات
أدنـة	42. 54
آسيا	36. 141
اقليم الزاب	322. 330. 331. 334. 335. 309. 318. 77. 58.56.59.60.61
إقليم توات	87. 148. 279
الأغواط	38. 260. 277. 306

الأوراس	27. 29. 31. 33. 37. 41. 75. 175. 180. 324. 326. 327. 328. 330. 331. 338. 345. 293 . 309. 75
إفريقية	46
الجزائر	31. 32
الاوراس	75.155
الحضنة	35 .59. 57. 37
الدوسن	234. 285. 28. 30. 58. 59. 66. 81. ض. 117. 451. 169. 170. 177
السودان	26. 48. 61. 212.
العباسية	41. 77. 29. 77
القنطرة	29. 33. 59. 209
القيروان	26 .38. 43. 493. 52. 53. 55. 74. 76. س. ض. 179. 181. 182. 182. 184
المدية	122
المسيلة	27. 33. 42. 54. 57. 59. 60. ط
المغرب	188. 194. 196. 207. 220. 221. 222. 352. 354. 355. 360.
الوادي	27. 33. 34. 78. 184. 323
أولاد جلال	326. 264. 81. 28. 30. 34. 160
أوماش	174.
باب الضرب	45
باديس	33. 42. 44. 58. 60.. 175. 176. 177. 178. 220. 221. 222. 223. 224.234. 360. 362. 326
بجاية	38. 39. 44. 59. 76. 170 . 76
برج بن عزوز	74. 81. 82. 138. 141. 144. 152
برقة	56

بسكرة	26. 27. 28. 29. 30. 32. 33. 34. 35. 36. 37. 38. 39. 40. 41. 42. 43. 44. 45. 46. 47 58. 59. 60. 61. 69. 74. 75. 89. 93. 106. 107. 328. 330. 334. 337. 339. 340. 342. 343. 342. 233. 244. 241.
بنزرت	51
تلمسان	122. 191. 192. 200 . 352. 253 . 258. 261. 262. 309. 236
تابويحمد	237
لوطاية	28. 29
قسنطينة	240
القيروان	52.74
قابس	51
تهودة	210. 220. 225. 363. 326. 327. 77. 37. 42. 58. 77.. 174. 175. 176. 177 . 188. 183. 185 .. 190. 209
تونس	32. 38. 39. 40. 49. 56. 58. 59. 74. 76. 82. 88. 93.. 102. 140. 151. 186. 187. 188
جمورة	29
جميلة	108. 115. 117. 128. 247. 238. 292. 243 . 238. 239
خنشلة	174. 221. 229. 27. 39
خنقة سيدي ناجي	139. 174. 220. 350. 351. 352. 353. 354. 360. 361. 362. 322. 326. 328. 330. 334. 338. 344. 345. 346. 347. 348. 247. 248. 249.
زريبة الوادي	30. 60. 174. 220. 323. 328. 337. 229. 235
زريبة حامد	326. 337. 435
قداشة	45
سجلماسة	26. 269
سبيطلة	51
سيدي خالد	28.. 108. 111. 112. 113. 114. 115. 117. 118. 122. 125. 127. 128
سيدي عقبة	28.30. 33. 36. 60. 81. 156. 174. 178. 180. 181. 182

سوسة	51
شتمة	174
شط الجريد	58
شط ملغيغ	27. 28. 32. 33. 60. 184. 211. 325. 326. 328. 329
صقلية	47
طولفة	28. 29. 37. 40. 58. 59. 60. 74. 75. 82. 111
طبنة	38. 42. 58. 175. 181. 184. 203. 208. 210.41
وادي النيل	63
واد ريغ	44

ثالثا: فهرس الشعوب والقبائل

أسماء القبائل الشعوب	أرقام الصفحات
أعراب أولاد سالم	171
البربر	36
اغموقات	235
أولاد جوين	235
بني كثير	235
الادارسة	56
بني هلال	61
بني كنانة	179
بني الأغلب	41. 77
بني بلطيط	41. 77
بني رمان	43. 44

بني زيري	42
بني سندي	43
بني مزني	83. 44. 45
رياح	232
زناتة	36. 45
زناتة	235
الذواودة	232
شمسات	235
صدراته	234
فهر	179
قريش	179
لواتة	263. 277. 293. 299. 36
مادغيس البتر	36
هزابرة	235
دريد	235
كلبة	235
الحفصيين	45
النمامشة	238
الحنانشة	237
مازيغ بن كنعان	36

ثبت بالمصادر والمراجع

- **ثبت المصادروالمراجع**

أولا. المصادر:

- **القرآن الكريم**. برواية ورش عن نافع، طباعة دار الفكر، توزيع شركة عالم الكتب، الجزائر، 2005.

- **الحديث النبوي الشريف**.

1. أحمد بن يحي بن جابر البلاذري(ت279هـ):

- **فتوح البلدان** تعليق ومراجعة رضوان محمد رضوان دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان، 1978م.

2. أبو عبيد الله البكري: (ت487 هـ)

- **المغرب في ذكربلاد إفريقية و المغرب وهو جزء من كتاب المسالك و الممالك**، (تح دي سلان) مكتبة الحكومة الجزائر 1857م .

3. اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح) (ت 284هـ)

- **البلدان**، نشر م.ج.جوية.ط2، بريل، ليدن 1892م

4. ابن عذارى المراكشي(ت**712**):

- **البيان المغرب في أخبارالأندلس والمغرب**، (تح ج.س .كولان وليفي بروفنسال) ط2، دار الثقافة بيروت لبنان،1980.

5. ابن سعيد المغربي علي بن موسى بن محمد:(ت685هـ)

- **كتاب الجغرافيا**، (تح إسماعيل العربي)، ديوان المطبوعات الجامعية الطبعة 2، الجزائر، 1982م.

6. الإدريسي أبو الحسن محمد بن إدريس الحموي(ت560هـ):

- **وصف إفريقيا الشمالية والصحراء** من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، (اعتني بتصحيحه ونشره هنري بيرس)، الجزائر، 1957م

7. ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد البر (ت 463 هـ):

- **القصد والأمم (في** التعريف بأصول أنساب العرب والعجم ومن تكلم بالعربية من الأمم)، مكتبة القدسي، القاهرة، 1350 هـ

8. محمد بن عبد المنعم الحميري (ت أواخر القرن 9هـ):

●**الروض المعطارفي خبرالأقطار**، (تح إحسان عباس)، مكتبة لبنان بيروت، ط2، 1984م.

9. أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ (ت 696 ه):

● **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي (839 ه) ،تعليق إبراهيم شبوح ،جزء1، ط2،مطبعة السنة المحمدية مصر ،1968م.

10. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(732ه)

●نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق أحمد كمال زكي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر1980

11. عبد الرحمن بن خلدون(808ه):

● كتاب العبر وديوان والمبتدأ الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، المقدمة، مجلد 06 القسم الثاني دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 2003م

12. السمهودي، نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الله بن احمد بن أبي الحسن الشافعي (ت911ه)

●**وفاء الوفاة بأخباردارالمصطفي** جزء1، بيروت، 1971م

13. ابن إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري (المعروف بالكرخي ت النصف الأول من القرن الرابع هجري):

●**المسالك والممالك** (تح محمد جابر عبد العالي الحبي)، مطابع دار القلم، القاهرة، 1981م.

14. الواقدي محمد:

● **فتوح إفريقية**، مطبعة ومكتبة المنار، ج2، 1966.

15. البر شوي محمد بن علي – الشهير بابن سباهى زاده (ت997 ه):

●**أوضح المسالك في معرفة البلدان والممالك**، (تح المهدي الرواضية) الطبعة 1، 2006م دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان.

16. ابن الحاج النميري:

● **فيض العباب**" وإضافة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب" دراسة وإعداد، محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط1، 1990،

17. محمد بن محمد بن عمر العدواني من أهل القرن (13 ه/17م):

•**كتاب في أخبار هجرة واستقرار بعض القبائل العربية مع ذكر أحوال والتقلبات السياسية و الاجتماعية لمنطقة المغرب العربي و أصول بعض المدن و القرى** ، تحقيق أبو القاسم سعد الله ،دار الغرب الإسلامي ،ط1 ،بيروت لبنان 1996م

18. مؤلف مجهول:

• **الاستبصارفي عجائب الأمصار**: تحقيق عبد الحميد زغلول، الدار البيضاء،1985م.

19. أبو العباس أحمد القلقشندى: (ت 821 ه):

•**نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب**، (تح إبراهيم الأبياري)، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ط3 ،1991م.

20. شهاب الدين ياقوت الحموي(628ه):

•**المشترك وضعا والمفترق صفعا**، دار عالم الكتب، بيروت لبنان ط 2، 1986م

21. محمد بن عبد الله الزركشي (ت794ه):

• **إعلام الساجد بأحكام المساجد**: تحقيق أبو الوفا مصطفي المراغي، دار الكتاب المصري القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت ط1989،2.

22. عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم (ت 257 ه):

فتوح إفريقية و الأندلس، (تح عبد الله أنيس الطباع)، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت ،لبنان،1964

23. ابن الأثير أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري(630ه):

• **الكامل في التاريخ**، تحقيق نخبة من العلماء، ط2، دار الكتاب العربي، بيروت 1967.

24. جلال الدين السيوطي(ت911ه):

• **لب اللباب في تحرير الأنساب**، تحقيق أحمد عبد العزيز وأشرف عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1 1991.

25. الحسن بن محمد الوزان الفاسي :(المعروف بليون الإفريقي 950ه):

●**وصف إفريقيا**، الجزء الأول والثاني، ترجمة، محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان ،1983م.

26. ابن بطوطة محمد بن عبد الله(ت779):

●**تحفة النظارفي غرائب الأمصار**، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت لبنان،1980.

27. العياشي عبد الله بن أبي بكر(1090ه):

●**الرحلة العياشية**، ماء الموائد، ج1، ج2 محمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط المغرب ط2، 1977م.

28. حسين الورتلاني(1765ت):

● **نزهة الأنظارفي فضل علم التاريخ والأخبار**، ط1، بيير فونتانا، الجزائر ،1908م.

29. عاشور بن محمد:

●منار الإشراف على فضل عصاة الأشراف ومواليهم من الأطراف، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ط1، 1914م.

30. النووي محي الدين أبي زكريا يحي بن شرف (ت676ه1277م)

- صحيح مسلم بشرح النووي، ج5، مكتبة الأيمان، القاهرة، ب ت.

ثانيا: المخطوطات

1. **العياشي أبي سالم (ت1090ه1679م)**

- مخطوط الرحلة العياشية، نسخ أحمد بن أحمد الونيس النابلي، 1198ه، موجود بمكتبة زاوية علي بن عمر طولقة.

2. **المطماطي الشيخ علي البوعناني**

- مخطوط " تنوير البصائر والأبصار في تحريض سلطان الجزائر على قتال الكفار"، زاوية علي بن عمر بطولقة.

3. **حبة عبد المجيد (ت1412ه1992م)**

- تذكرة أولي الألباب بتاريخ بسكرة و الزاب، مخطوط موجود بمكتبة زاوية علي بن عمر طولقة.

● **القواميس والمعاجم:**

31. أبي الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم ابن منظور (الإفريقي المصري):

- **لسان العرب**، المجلد 3، دار صادر بيروت لبنان.

32. الجوهري (عبد الله العلا يلي):

- **الصحاح في اللغة والعلوم** إعداد وتصنيف نديم مرعشلي وأسامة مرعشلي، المجلد 1 و2، ط1، دار الحضارة العربية، بيروت لبنان،1974م

33. الزر كلي (خير الدين):

- **قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء العرب والمستعربين والمستشرقين**، المجلد 5 ط2 دار العلم الملايين، بيروت لبنان، 1995م

34. ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله الرومي البغدادي):

- **معجم البلدان**، المجلد 3، دار صادر، ط2، بيروت لبنان 1995م

35. خور رشيد زكي وآخرون:

- **دائرة المعارف الإسلامية**، المجلد 13.

36. الفيروز آبادي (مجد الدين):

- **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، دار صادر، بيروت لبنان، ط 5، 1996م

- **المنجد في اللغة والإعلام**، ط21، دار المشرق، بيروت، لبنان، 1986م

ثانيا: المراجع:

باللغة العربية:

1. بلحميسي مولاي:

- **الجزائر من خلال رحالات المغاربة في العهد العثماني**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1979م.

2. عبد الكريم عزوق:

- **القباب والمآذن في العمارة الإسلامية**: ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية بن عكنون الجزائر 1994م.

3. بن قربة صالح:

- **عبد المؤمن بن علي مؤسس دولة الموحدين**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1991م.

4. بن قربة صالح:

- **المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطي** المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986م.

5. أحمد توفيق المدني:

- **كتاب الجزائر**، دار المعارف ودار الكتاب، الطبعة 2، البليدة، الجزائر، 1963م.

6. العربي إسماعيل:

- **الصحراء الكبرى وشواطئها**، الجزائر، 1983م.

7. أحمد بن أبي الضياف:

- **إتحاف أهل الزمان بأخبارملوك تونس وعهد الأمان**، تحقيق لجنة من كتابة الدولة للشؤون الثقافية والأخبار، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1963.

8. مسعود الخوند :

- **الموسوعة التاريخية الجغرافية**، الجزء 11، طبع لبنان، 1996م.

9. مرتاض محمد:

- **الخط العربي** وتاريخه، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1994م

10. كامل بابا:

- **روح الخط العربي**: دار العلم للملايين دار لبنان للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة 1994 .

11. ثروت عكاشة:

- **القيم الجمالية في العمارة الإسلامية**: دار المعارف، القاهرة، مصر، 1981م.

12. الشيخ الجيلالي (عبد الرحمن بن محمد):

- **تاريخ الجزائر العام** الجزء الرابع ط6، دار الثقافة للطبع والنشر، بيروت لبنان، 1983م.

13. سعد الله (أبو القاسم):

- **تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر هجري (16. 20م)** ج1وج2، ط2 المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م.
- **أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر**، المجلد الخامس، دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولي 2005م.
- **تجارب في الأدب والرحلة**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983م.

14. شافعي فريد:

- **العمارة العربية الإسلامية ماضيها، حاضرها، مستقبلها**، ط، 1982م، جامعة الملك سعود.

15. شافعي فريد:

- العمارة العربية في مصر الإسلامية، المجلد الأول، عصر الولاة، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، مصر، 1970م.

16. عقاب (محمد الطيب):

- **لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر**، ديوان المطبوعات الجامعية 1990م.

17. فكري أحمد:

- **مساجد القاهرة ومدارسها**، ج1. العصر الفاطمي، دار المعارف، مصر 1965م.

18. رشيد بورويبة وآخرون:

- **الجزائر في التاريخ العهد الإسلامي** من الفتح إلى بداية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

19. كارل بروكلمان:

- **تاريخ الشعوب الإسلامية** ترجمة نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1977م.

20. أحمد مختار العبادي:

- **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

21. موسى لقبال:

●**المغرب الإسلامي منذ بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج** (سياسة ونظم)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2، 1981م.

22. خطاب محمود شيت:

●**قادة فتح المغرب العربي**، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1966م.

23. حسين مؤنس:

●**تاريخ المغرب وحضارته**، من قبيل الفتح العربي إلى بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر (من القرن 6 ميلادي إلى القرن 19ميلادي) المجلد الأول، الجزء الأول، ط ₁. مطبعة العصر الحديث، بيروت لبنان.

24. حسين مؤنس:

●**أطلس تاريخ الإسلام**، القاهرة، ط1، م، مطابع تين واه، سنغافورة، 1987.

25. عبد الحليم صيد:

●**أبحاث في تاريخ زيبان بسكرة**، مطبعة سوف الوادي، ط2000،₁م.

26. محمد الخضري بك:

●**محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)**، الجزء 1، دار التحرير للطبع والنشر، 1969م.

27. ثيري جاك:

●**تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى**، (ترجمة جاد الله عزوز الطلحي)، مصراته، الدار الجماهيرية للنشر التوزيع و الإعلان، ط2004،₁م.

28. رابح بونار:

●**المغرب العربي تاريخه وثقافته**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، 1981م.

29. نور الدين عبد القادر:

صفحات في تاريخ الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، ط2، الجزائر، 1965م.

30. زكي محمد حسن:

●**الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي**، القاهرة، مصر، 1940م.

31. ناصر الدين سيعدوني والشيخ المهدي بوعبدلي:

●**الجزائر في التاريخ العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

32. محمد عبد العزيز مرزوق:

●**الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس**، دار الثقافة بيروت، لبنان.

33. آدم ميتز:

●**الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (أو عصر النهضة في الإسلام)** الجزء1(تحقيق عبد الهادي أبو ريدة)، الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب الجزائرط1، 1986م.

34. كمال أبو مصطفي:

● **جوانب من حضارة المغرب الإسلامي. من خلال نوازل الونشريسي**. مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية 1997م.

35. حسين أمين:

●**المدارس الإسلامية في العصر العباسي وأثرها في تطوير التعليم** "بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية في ندوة الحضارة الإسلامية في ذكري أحمد فكري 1986م) الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة 1983م.

36. رئيف مهنا وبن مجد:

●**نظريات العمارة**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

37. محمد الطيب عقاب:

●**قصور مدينة الجزائر "أواخر العهد العثماني"** دار الحكمة، الجزائر، 1999م.

38. مؤيد العقبي صلاح

● أ. أضواء على حياة خالد بن سنان العبسي، المطبوعات الجميلة الجزائر، ب ت.

● ب. الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البرق، بيروت، 2002.

39. عبد الله كامل موسى عبده:

●**المسلمون وآثارهم المعمارية حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين**، موسوعة العمارة الإسلامية، مجلد 1، دار الآفاق العربية.

40. حسن باشا:

●**موسوعة العمارة والآثاروالفنون الإسلامية**، مجلد1، ط1، دار أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1999م.

41. عبد الكريم عزوق:

●**القباب والمآذن في العمارة الإسلامية**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

42. صالح لمعي مصطفي:

●**القباب في العمارة الإسلامية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان.

43. صالح لمعي مصطفي:

- **الوثائق والعمارة** (دراسة في العمارة الإسلامية في العصر المملوكي الجركسي) الجامع الأبيض بالحوش السلطاني بقلعة القاهرة، دار النهضة العربية، بيروت لبنان.

44. عبد الحق معزوز ولخضر درياس:

- **جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر**، ج1 (كتابات الشرق الجزائري)، مطبعة ومر الجزائر 2000م.

45.- عبد الرحمان ابن الحاج علي بن عثمان

- الدر المكنوز ، مطبعة النجاح ، قسنطينة، د،ت ،

46. حمودة بن محمد بن عبد العزيز:

●**الكتاب الباشي** الجزء الأول، الدار التونسية للنشر 1970.

47. عثمان الكعاك:

- **موجز التاريخ العام للجزائر (من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي)** تقديم ومراجعة أبو القاسم سعد الله وآخرون، دار الغرب الإسلامي بيروت، لبنان، ط1 ،2003.

48. محمد هزاع الشهري:

- المسجد النبوي الشريف في العصر العثماني923هـ/1344هـ (دراسة معمارية حضارية) ط1، القاهرة، مصر2003م.

49. وجدان علي بن نايف:

- **سلسلة التعريف بالفن الإسلامي "الأمويين، العباسيين، الأندلسيين"** دار البشير للنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

50. وليام سميتيز:

- **أسس التصميم في العمارة**، (ترجمة محمد بن عبد الرحمن الحصين): النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، 1998.

51. الحسيني علي رضا

- زاوية علي بن عمر طولقة(الجزائر)، الدار الحسينية للكتاب بدمشق، 2002.

الدراجي بوزيان

- عبد الرحمان الأخضري، دار الأمل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، 2006.

52. الديمي أبي القاسم محمد الحفناوي

- تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيار فنتانة الشرقية، الجزائر، 1906.

53. بن الحاج عبد الرحمان بن علي بن عثمان

- الدر المكنوز في حياة سيدي علي بن أعمر وسيدي بن عزوز، مطبعة النجاح قسنطينة، 1350هـ.

54. حبة عبد المجيد

- علماء منطقة الزيبان، جمعية أضواء للثقافة والفنون، بسكرة، 1925.

55. حرز الله محمد العربي

- الظاهرة الثقافية في سيدي خالد أثناء الاحتلال الفرنسي، منشورات وزارة الثقافة، المؤسسة الوطنية للفنون الجميلة، رغاية، الجزائر، 2006.

56. أحمد شلبي:

- **كيف تكتب بحثا أورسالة**، دراسة منهجية، ط18، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة مصر، 1987.

57. بورويبة رشيد والدكالي:

- سلسلة الفن والثقافة، المساجد في الجزائر، وزارة الأخبار، مطبعة التاميرا روتوبريس م.م، اسبانيا، 1970.

58. حسن باشا:

- موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، المجلد الأول، الطبعة1، 1999.
- **الرسائل الجامعية**

1. شهي عبد العزيز:

- **"مساجد الزاب ووادي ريغ دراسة أثرية معمارية"** رسالة دكتوراه درجة ثالثة، جامعة الجزائر، 1984م.

2. الأمين عمر:

- **"مواد البناء وتقنياته بالمغرب الأوسط خلال القرنين(64هـ) الموافق لـ(1210م) للفترتين الزيرية والحمادية"**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية، كلية العلوم الإسلامية قسم الآثار، جامعة الجزائر السنة 2000م2001م.

3. سعاد سليماني:

- **"منشآت الري القديمة في منطقة الحضنة"**، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في الآثار معهد الآثار جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2004م/2005م.

4. جميلة معاشي:

- **"الأسر الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ إلي القرن13هـ"**دراسة اجتماعية سياسية،رسالة ماجستير ،جامعة قسنطينة،1992م.

5. مطروح أم الخير:

- **"تطور المحراب في عمارة المغرب الأوسط خلال العصر الإسلامي"**(دراسة تاريخية أثرية)السنة الجامعية 94/93 جامعة الجزائر معهد الآثار.

- **المجلات والمقالات**

1. مجلة التاريخ:

- أعمال الملتقى الوطني الأول لمراسلي مركز الدراسات التاريخية الصادرة عن المركز الوطني للدراسات التاريخية، الجزائر العاصمة، النصف الثاني من سنة 1985، رقم 19، ص ص 73-78

2. محمد محمد الكحلاوي:

- "المدارس المغربية دراسة أثرية و معمارية "مجلة العصور، المجلد6 ج1، (117/71) ص73/72 السنة1990م.

3. أبو القاسم سعد الله:

- زيارة إلي خنقة سيدي ناجي، مجلة سيرتا، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة قسنطينة، العدد3، 1980م ،ص116.

4. محمد موهوب بن أحمد بن حسين:

- قصة خنقة سيدي ناجي عبر أربعة قرون من تاريخها ،"الذكري المئوية الرابعة لتأسيس خنقة سيدي ناجي "،الجمعية الناصرية دار الهدي عين مليلة، ص ص 16-17 (من 7إلى52) الجزائر،2002.

5. كريمة بن حسين:

- خنقة سيدي ناجي إبان العهد العثماني،المجلة "التاريخية المغاربية"، منشورات التميمي، زغوان الجمهورية التونسية، العددان90/89، ماي 1998م.

6. كريمة بن حسين:

- خنقة سيدي ناجي إبان الحكم العثماني، معهد العلوم الاجتماعية جامعة قسنطينة

7. عبد الحليم صيد:

"علماء من الخنقة وليانة" الذكري المئوية الرابعة لتأسيس خنقة سيدي ناجي "1602م .2002م" (98إلي113) الجزائر.

8. خالد محمد مصطفي عزب:

- **كتاب الأمة** "تخطيط وعمارة المدن الإسلامية"، ط1 جويلية/ أوت ،1997، قطر العدد 87 السنة17، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامي، قطر.

9.غانم محمد الصغير

- (منطقة بسكرة بين الموقع الإستراتيجي والنصوص التاريخية)، مجلة الخلدونية، العدد 2، السنة 2003، مطبعة دار الهدى عين مليلة، ص ص17-24.

الدراسات:

- "المبادئ العامة لعملية إعادة الاعتبار للنواة القديمة لبلدية خنقة سيدي ناجي "مكتب الدراسات المعمارية والعمرانية، مديرية السياحة والصناعة التقليدية.
- تحديد وتهيئة منطقة التوسع السياحي خنقة سيدي ناجي "تقييم الوضع الحالي "مكتب الدراسات التقنية والاقتصادية باتنة، مديرية السياحة لولاية بسكرة.

المراجع باللغة الأجنبية:

1. M .(dallon): note sur la classification du pliocène supérieur de l'Afrique. Bullde le soc. Et de géo et archeol. D'Oran. T.L VXI. 1940.
2. p. (salama) : les voies romaines de l'Afrique du nord, Alger 1951.
3. Lucien (Golvin): la mosquée ses origines sa morphologie ses diverses fonctions sons rôle dans la vie musulman plus spécialement en Afrique du Nord)Alger ;imprimer ,la typo /litho et jules carbonel Réunies 2 Rue de Normandie,1960 .
4. Lucien (Golvin) : le Maghreb centrale à l'époque des Zirides.
5. G. (Camps) : la civilisation préhistorique de l'Afrique du nord et de Sahara, Ed. Doin, Paris 1974.
6. Gsell(Stéphane) : Atlas archéologique, de L'Algérie, Cartes au200 000 ème du service Géographique de1, Armée, paris- Alger. feuille48, 49, F/N37
7. Alzonne (clément): Algérie, Fernand Nathan, Paris.
8. Rachid (Bouruiba):
   - L'art religieux musulman en Algérie, S.N.E.D .2Edition, Alger, 1981.
   - Apport de L'Algérie a L'architecture religieuse Arabo - Islamique .O.P.U, Alger.1986.
   - Les inscriptions commémoratives des Mosquées D'Algérie, O.P.U, Alger, 1986.
   - Anecdotes, récits et contes Maghrébins et, Andalous, Entreprise Nationale du livre, Alger
   - Cites disparues "Tahert, sedrata, Achir, Kalaà des bèni-hammad", Ministère de L'information, Alger.
9. Dokali Rachid – Les mosquées de la période Turque a Alger, S.N.E.D, Alger1974.
10. Grandet Denis - Architecture et urbanisme Islamiques, OPU, Alger, 1992.
11. Ratereau (André) : Le Mzab, une leçon d'architecture précède, De l'implicite en architecture par Hassan Fekry , Sindibad , Paris,1981.
12. (Marçais)G : L'architecture musulman d'occident.
13. (Marçais)G : le Tombeau de Sidi Okba, Mélanges d'histoire et d'archéologie de musulman, tome 1, Imprimerie Officielle, Alger, 151-159.
14. (Marçais) G : L'Art Musulman, presses universitaires de France, paris, 1981.

15. Venture de paradis : Alger au 18emsiecle, Tunis.
16. la grande encyclopédie : article "cypies"
17. ..Marthe.et Edmond Gouvion: kitab Aayane el maghariba, imprimerie oriental Fontana frères, 1920
18. ..Grandet (D) : Architecture et urbanisme islamique, O.P.U, Alger, 1992
19. Baradaz j : fossatum **Africae** recherche Aérienne sur l'Organisation des confins Sahariens à l'Epoque Romaine Arts et Métiers Graphiques, paris.
20. Arseven celal esad:Les arts décoratifs turcs, Istanbul.
21. Syndicat Biskra et le Sahara Constantinois, imprimerie Algérienne. Alger 1921
22. Couvet (C), Les Marabouts, petits monuments jumeraires et votifs du nord de d'Afrique, Revue. Africaine, N°24. Paris.1923
23. 82 Seltzer. (P), le Climat de l'Algérie, PARIS 1946.
24. 92 Solognac (M). Recherches sur les installations Hydrauliques de Kairouan et des steppes tunisiennes du VII em au XI em siècles (J-C), Alger 1953
25. Despois.(j). la bordure saharienne de l'Algérie oriental, Revue Africaine, 1942 .
26. Maguelone. (M), Monographie géologique et historique de la tribu des Ziban, dans le Bulletin de la société Archéologique de Constantine en 1910, T 44
27. Touchard (M). Notes sur les Fouilles Faites A Thouda, Receil de Constantine, 4eme Serie, 35 volumes, Constantine.1901

Les Revue :

- Gustave. mercier :" Khanguet sidi nadji, quelques inscriptions arabes inédites" In Recueil des Notices et mémoires de la société archéologique Constantine, 1915,135-p165
- Simon;h :"Notes sur le mausolée de Sidi Okba" Revue Afriquane ,1909,vol,53pp27-40
- Jean.despoi: la bordure saharienne de lalgerie orientale" Revue Afriquane", 1942, pp97l_219
- Masqueray: Le Djebel Chachar "Revue Afriquane" ,TXXIII ,Alger ; 1879 .pp69-70.
- Bouruiba .r: note sur les plans des mosquées, pp78-35.

Les etudes:

- Etude sur la région du Zab-chergui.

- A.N.R.H. Annuaire Hydrologique de l'Algérie, Bassin du Chott Melghir, Année 1992- 1993
- Etudes et documents sur le patrimoine culturel, Conservation des sites et du mobilier archéologique principe et méthodes, UNESCO.
- Savornin. M. Etude sur les ressources du Zab Chergui, service de la carte géologique , Alger , 1925 .

فهرس الخرائط، الاشكال واللوحات

فهرس الموضوعات

- فهرس الخرائط، الاشكال واللوحات

1. فهرس الخرائط

الرقم	الخريطة	الصفحة
خريطة01	موقع بسكرة بالنسبة للجزائر	378
خريطة 02	: التقسيم الإداري لولاية بسكرة	378
خريطة 3:	تضاريس إقليم الزاب	378
خريطة4:	القلاع الرومانية التي أقيمت على مصبات الأودية في منطقة الأوراس	378
خريطة5:	الطرق والمسالك الرومانية	378
خريطة06:	توضح الفتح الإسلامي لأفريقية	378
خريطة 7:	حدود إقليم الزاب وبلاد المغرب والأندلس حسب النصوص التاريخية و الأوصاف الجغرافية	379
خريطة08:	خريطة توضح إقليم الزاب ضمن مملكة بجاية وتونس في الاغلبي	379
خريطة09:	إقليم الزاب في الوقت الحاضر	379
خريطة10:	تبين مسار رحلة الحج التي تمر بقرية سيدي عقبة وقرية سيدي ناجي	379
خريطة11:	موقع إقليمي الزاب الشرقي والغربي حاليا والقري التي تشكله	379
خريطة12:	توضح الموقع الإداري لبلديةسيدي عقبة	379
خريطة13	: المسلك الذي اتخذه الفاتح عقبة بن نافع من طبنة إلى تهودة	380
خريطة14:	الموقع الإداري لبلدية سيدي ناجي	380

2. فهرس الاشكال

شكل1	جـدول رقم (1،2،3)المتوسط الشهري لدرجة الحرارة لبسكرة ما بين سنة1863و 1865	382
شكل2	مخطط لمدينة بسكرة اثناء الحقبة العثمانية	383
شكل 3:	مخطط لمدينة بسكرة أثناء الحقبة الاستعمارية عن مديرية الثقافة بسكرة	383
شكل 4:	مخطط المسجد النبوي الشريف في بداياته الأولى	383
شكل5	خريطة تبين مدينة مكة ايام الرسول	383
شكل6	تخطيط مدينة دمشق يظهر تحولها عن التخطيط الشبكي إلى النمط العمراني المتضام	384
شكل 7	ضيق الشوارع ساعد على التضليل والحماية	384
شكل08	تخطيط مدينة بغداد الملقبة بالمدينة المدورة التي أسست في عهد العباسيين	384
شكل09	القرى السبع للنسيج التقليدي المكونة لمدينة بسكرة	384
شكل10	مخطط مسجد سيدي موسى الخدري	385
شكل11	مخطط مسجد أبي الفضل	385
شكل12	: مخطط ضريح سيدي موسى الخضري	385
شكل13	مخطط مسجد سيدي مسعود	385
شكل14	مخطط ضريح سيدي مسعود	385
شكل15	: مخطط لطابق أرضي يوضح مكونات المسكن التقليدي بمنطقة بسكرة	385
شكل16	مخطط ضريح خالد بن سنان	386

شكل17	مخطط ضريح خالد بن سنان عن:(Couvet)	386
شكل18	المخطط الحالي لضريح وزاوية سيدي خالد بن سنان العبسي	386
شكل19	مخطط مسجد خالد بن سنان العبسي	386
الشكل20	توضع الأعمدة في مسجد الزاوية المختارية	386
شكل21	شرافات ثلاثية الفصوص بضريح خالد بن سنان	386
شكل22	المخطط الحالي للزاوية المختارية	387
شكل23	مخطط زاوية الشيخ المختار	387
شكل25	مخطط ضريح العائلة المختارية	387
شكل26	مكونات مسكن شيخ الزاوية المختارية	387
شكل27	مخطط يوضح توضع الغرف في المسكن شيخ الزاوية المختارية	387
شكل28	مخطط قصبة أولاد جلال	387
شكل29	: مخطط المسجد العتيق بطولقة	388
شكل30	مخطط الطابق الأرضي والعلوي لملاحق زاوية الشيخ علي بن عمر	388
شكل31	مخطط ضريح علي بن عثمان	388
شكل32	مخطط قصر طولقة عن بلدية طولقة	388
شكل33	مخطط لمنزل من طابقين لمنزل بقصر طولقة	388
شكل34	مخطط مسكن من اوماش	389
شكل35	مخطط مسكن من فرفار	389
شكل36	مخطط يبن قصر ليشانةو بقايا القصر الروماني وقرية الزعاطشة	389
شكل37	مخطط لسجد سيدي سعادة الرياحي بقصر ليشانة	389
شكل38	مخطط مسجد سيدي لعروسي بقصر ليشانة	389
شكل39	مخطط قصر ليشانة	390
شكل40	مداخل بالقصر	390
شكل41	الساحات في قصر ليشانة	390
شكل42	شبكة الطرقات بقصر ليشانة	390
شكل43	مراحل التوسع العمراني لبلدية سيدي عقبة حسب الرواية المتداولة حاليا والبلديات المحيطة	391
الشكل44	عمليات الترميم التي تمت على مسجد سيدي عقبة عن أرشيف المسجد	391
شكل45	مسجد سيدي عقبة في سنة 1847 عن لويس بيس	391
شكل46	مخطط مسجد عقبة بن نافع عن هنري سيمون	391
شكل47	مخطط مسجد عقبة بن نافع	391
شكل48	مخطط مسجد عقبة عن الشهبي	391
شكل49	وسائل الدعم المستعملة بين التيجان وأقواس الرواق سيدي عقبة	392
شكل50	رسم تخطيطي للزخارف الجصية المستعملة في محراب مسجد عن بورويبة	392
شكل51	تركيب وزخرفة منبر المسجد	392

شكل52	رسم تخطيطي لمئذنة جامع سيدي عقبة مع مقطع للمئذنة	392
شكل53	باب (طبنة) بمسجد سيدي عقبة	392
شكل54	زخرفة تيجان سواري المحراب جامع سيدي عقبة	392
شكل55	مخطط ضريح سيدي عقبة	393
شكل56	قبر الفاتح عقبة بن نافع وقبر سيدي عسكر المجاور لمسجد سيدي عقبة	393
شكل57	مخطط لاحد المنزل بسيدي عقبة	393
شكل58	مخطط لاحد المنازل بسيدي عقبة	393
شكل59	مخطط لاحد المنازل بقصر تهودة	393
شكل60	شبكة الطرق والشوارع مدينة سيدي عقبة	394
شكل61	مخطط لمنزل بقرية بادس	394
شكل62 أ،ب	الهيكلة العمرانية النواة القديمة ببلدة خنقة سيدي ناجي	394
شكل63	خنقة سيدي ناجي: موقع النواة القديمة لخنقة سيدي ناجي (المعروفة بالقصر)	394
شكل64	القناة الرومانية التي استغلها سكان الخنقة في الزراعة	395
شكل65	توضع المسجد والسرايا بخنقة سيدي ناجي	395
شكل66	مخطط مسجد سيدي مبارك	395
الشكل67	يبين مسجد سيدي المبارك و المدرسة الناصرية والمقبرة الملحقة	395
شكل68	بيت الصلاة بمسجد سيدي المبارك	395
شكل69	صحن مسجد سيدي المبارك	395
شكل71	التيجان في مسجد سيدي لمبارك	396
شكل70	الاعمدة داخل بيت الصلاة سيدي المبارك	396
شكل72	يبين شكل العقد النصف دائري المتجاوز	396
شكل73	: الوسائل المستعملة بين التاج والعقد في عمارة الخنقة	396
شكل74	واجهة مسجد سيدي المبارك	397
شكل75	زخارف باب المدخل الرئيسي لجامع سيدي لمبارك	397
شكل76	رسم تخطيطي لزخارف باب صحن المدرسة الناصرية	397
شكل77	باب منبر بيت الصلاة مسجد سيدي لمبارك	397
شكل78	باب صحن مسجد سيدي لمبارك	397
شكل79	باب المدخل لفناء المدرسة الناصرية	398
شكل80	مدخل صحن مسجد سيدي المبارك	398
شكل81	زخرفة نوافذ مسجد سيدي لمبارك المبارك	
شكل82	المراوح النخيلية المستعملة في الزخارف علي أطر النوافذ والأبواب في مسجد سيدي المبارك	398
شكل83	شجرتا سرو يتوسطهما هلال استعملت في الزخرفة	398
شكل84	الشبابيك المقضبنة بنوافذ مسجد سيدي لمبارك المبارك	399
شكل85	رسم تخطيطي محراب بيت الصلاة جامع سيدي لمبارك	399

شكل86	محراب صحن مسجد سيدي لمبارك	399
شكل87	تاج وقاعدة سواري محراب بيت الصلاة	399
شكل88	القباب بجامع سيدي لمبارك القبة التي تعلو الضريح والمحراب	399
شكل89	مقطع طولي لمئذنة سيدي المبارك	400
شكل90	مخطط يبين المدرسة الناصرية	400
شكل62	طريقة وضع الحجارة في عقود عمارة الخنقة	400
شكل93	عقد نفقي استعمل في المدرسة الناصرية	400
شكل92	مخطط ضريح سيدي المبارك	400
شكل90	مخطط مسجد السوق خنقة سيدي ناجي	401
شكل83	مخطط لمسجد في حي لواتة ببلدة خنقة سيدي ناجي	401
شكل94	مخطط لاحد المنازل ببلدة خنقة سيدي ناجي	401
شكل95	مخطط لمنزل بخنقة سيدي ناجي	401
شكل97	احترام الخصوصية للجار (من عمل الطالب	402
شكل96	يبين الطابق الأرضي من السرايا(منزل أسرة بن حسين)	401
شكل99	يبين الطابق الأول من السرايا	402
شكل98	يبين الطابق الثاني من السرايا	402
شكل101	يبين الطابق الثالث من السرايا	403
الشكل103	العقود المتجاوزة في عمارة خنقة سيدي ناجي	403
الشكل106	طريقة بناء المنشآت المعمارية بإقليم الزاب	402
الشكل107	التقنيات والاسلوب المستعمل في وسائل الدعم والروافع ببيت صلاة مسجد سيدي لمبارك	403
الشكل105	البناء بالسعيدة	404
الشكل106	طريقة الأنثى البناء بصفين مختلفين	404
الشكل 104	طريقة وضع الأسس وبناء الجدران	405
الشكل107	طريقة البناء بالطوب	405
الشكل103	مكونات خشب النخيل	405

3. فهرس الصور واللوحات

لوحة 1	صورةأ	تصوير جوي لموقع بسكرة بالنسبة للجزائر	407
	صورةب	مثال لمدينة تيميمون بنيت على نظام التخطيط المدمج	407
	صورةج،د،و	تمثل بعض البقايا الرومانية التي عثر عليها في المنطقة	407
لوحة2	صورة ا	الواجهات الصماء في حي المسيد ببسكرة	408
	صورة ب	شارع غير نافذ درب تصوير جوي لواحة سيدي عقبة	408
	الصورة ج،د،و	الشوارع والدروب في بسكرة القديمة	408
لوحة3	صورة ا	الابراج التي استعملت في المنزل لبسكري	409
	صورة ب	تطريقة السنبلة في البناء	409
	صورة ج	الواجهة الصماء في المنزل البسكري	409
	صورة د	مدخل منزل باحد احياء بسكرة القديمة	409
	صورة و	الميزاب التقليدي لتصريف مياه الامطار بحي فلياش	409
	صورة ي	الفتحات في جدار المنزل بحي فلياش	409
لوحة4	صورة ا	بقايا منازل مهجورة وسط الغابات النخيل	410
	صورة ب	عقود حاملة لممر مسقوف	410
	صورة ج	طريقة التسقيف بالمنزل البسكري	410
	صورة د	تعدد الطوابق بالمنزل البسكري	410
	صورة و	نوافذ فتحت إلى الداخل	410
	صورة ي	الصحن بالمنزل االبسكري	410
لوحة5	صورة ا	السلم المنكسر بأحد المنازل	411
	صورة ب	الطابق الاول لمنزل ببلدية بسكرة القديمة	411
	صورة ج،د	شوارع نافذة باحد احياء بسكرة القديمة	411
	صورة و	اتساع وتعرج الشوارع لتوفير الظل و الخصوصية	411
لوحة6	صورة ا	الممرات المسقوفة لتوفير الظل في شوارع مدينة بسكرة	412
	صورة ب:	اتساع الاروقة داخل المنزل البسكري	412
	صورةج	مبدا التظام وسمك الجدران في غرف المنزل البسكري	412
	صورة د	الاروقة تمثل فضاء فاصل بين الغرف	412
لوحة7	صورةأ،ب،ج، د،و	استعمال تقنيةتدعيم السقف بواسطةالأعمدة الخشبية ورصف القواطع الخشبية مع بعض لتزيد قوة التحمل في المنزل البسكري	413
لوحة8	صورةأ	تبين شكل من أشكال قباب أضرحة الزاب ببلدية سيدي عقبة	414
	صورةب	تبين مئذنة مسجد سيدي الحافي ببلدية سيدي عقبة	414

	صورة ج	ضريح ومصلى سيدي عطية	414
لوحة8	صورة د	ضريح سيدي سليمان	414
لوحة9	صورة أ	ضريح خالد بن سينان حاليا	415
	صورة ب	ضريح خالد بن سينان قديما خلال القرن19م	415
	صورةج	تبين غرفة ضريح خالد بن سنان من الداخل	415
	صورة د	تبين سقف أروقه غرفة ضريح خالد بن سنان	415
	صورة و	تبين أعمدة ودعامات صحن ضريح خالد بن سنان	415
لوحة10	الصورةا،ب،ج	تبين أقواس ودعامات غرفة الضريح وكذا المحراب بمسجد ضريح خالد بن سنان	416
	صورة د	تبين القبة الوسطى والقباب الركنية في غرفة ضريح خالد بن سنان الأقواس، الزخرفة، القبة	416
	صورة و	مئذنة مسجد سيدي خالد	416
لوحة11	الصورة أ،ب،ج	تبين أقواس غرفة الضريح و السقف المقبب للزاوية المختارية	417
	الصورة د،	تبين قباب غرفة الضريح بالزاوية المختارية	417
	الصورة و	تبين زخرفة قبة المحرابمن الخارج في الجامع العتيق ببرج بن عزوز	417
	الصورة ي	بقايا قصبة أولاد جلال	417
لوحة12	صورة ا :	بقايا قصر الدوسن	418
	صورة ب	مئذنة مسجد بوشقرون	418
	صورة ج	مئذنة المسجد العتيق بطولقة	418
	صورة د	بيت الصلاة للمسجد العتيق بطولقة	418
لوحة13	صورة ا	زاوية الشيخ علي بن عمر	419
	صورة ب	الطابق الأرضي والعلوي	419
	صورة ج	زاوية الشيخ علي بن عمر قديما	419
	الصورة د،و،ي	مدخل القصر والساحات وتعرف بالرحبة وهي فضاء كبير يتوسط القصر ويعتبر مكان تلاقي العامة والخاصة	419
لوحة14	صورة ا:	وسائل الدعم في عمارة قصر ليشانة	420
	صورة ب	محراب مسجد سيدي لعروسي ليشانة	420
	صورة ج	اعمدة رخامية ترتكز عليها قبة مسجد سيدي لعروسي ليشانة	420
	صورة د	شارع رئيسي	420
	صورة و	مدخل لاحد المنازل بالقصر	420
	صورة ي	مشربية فتحت في جدار المنزل للتهوية والانارة	420
لوحة15	صورة ا	نوافذ فتحت في اعلي الجدار المنزل بالقصر	421
	صورة ب	بقايا السور الروماني بقصر ليشانة اعيد استعماله في جدران منازل القصر	421

	صورة ج	نوافذ ذات عقد على شكل حذوة الفرس	421
	صورة د	نوافذ فتحت في الطابق الأول في أحد المنازل	421
لوحة15	صورة و	:الطابق الاول في احد منازل القصر	421
	صورة ي	مسامير دقت في جدار المنزل لتعليق الاغراض والتمر	421
لوحة16	صورة ا	بعض الزخراف تزين جدران المنزل الليشاني	422
	صورة ب	مسجد سيدي سعادة الرياحي بقصر ليشانة	422
	صورة ج	بيت الصلاة بمسجد سيدي سعادة	422
	صورة د:	الاعمدة الحاملة للسقف في مسجد سيدي سعادة	422
	صورة و،ي	ابار رومانية قديمة داخل مسجد سيدي سعادة والقصر	422
لوحة17	صورة ا	السلم في المنزل الليشاني	423
	صورةب	تدهور حالة منازل قصر ليشانة	423
	صورة ج	الطابق الثاني في المنزل الليشاني	423
	صورة د	الروزنة في منزل القصر	423
	صورة و:	استعمال مواد خشبية للتسقيف	423
	صورة ي	السقيفة في منزل بقصر ليشانة	423
لوحة18	صورة ا	مدخل الباب الظهراوي	424
	صورة ب:	مدخل الباب القبلي	424
	صورةج	مدخل الباب الشرقي	424
	صورةد،و	ممرات مسقوفة بقصر ليشانة والمواد المستعملة في تسقيفه	424
	صورة ي	تصوير جوي لبلدية سيدي عقبة عن غوغل ايرث	424
لوحة19	صورة ا	تصوير جوي لمسجد سيدي عقبة والمركب الإسلاميالذي أقيم بجانبه	425
	صورة ب	تصوير جوي لبقايا مدينة تهودة الرومانية عن غوغل ايرث	425
	صورة ج	شاهد قبر عبد الرحمان بن حيوة المؤرخ بـ128هـ	425
	صورة د	لوحة شاهدية من الحجر كتب عليها بالخط الكوفي بدون التنقيط "هذا قبر عقبة بن نافع رحمه الله"	425
لوحة20	صورة ا	تبين مسجد مأتمي بمنطقة الزاب مظهر داخلي	426
	صورة ب	مظهر خارجي للمسجد المأتمي خلال القرن 19م	426
	صورة ج	شارع نافذ ببلدة سيدي عقبة	426
	صورة د:	توفير الظل بشوارع بلدة سيدي عقبة	426
	صورة و	تعرج الشوارع والازقة ببلدة سيدي عقبة	426
لوحة21	صورة ا	الواجهة الصماء في شوارع بلدة سيدي عقبة لاعطاء الخصوصية للساكنين	427
	صورة ب، ج	استعمال الفتحات ذات الاشكال المختلفة في الجدران للإضاءة والتهوية	427
	صورة د،و	استعمال جذوع النخيل كأعمدة حاملة للسقف كوسائل للتسقيف	427
	صورة ي	تقنية السنبلة المستعملة في البناء بسيدي عقبة المنازل بسيدي عقبة	427

لوحة22	صورة ا	استعمال جذوع النخل كحوامل يرتكز عليها السلم بمنازل ببلدية سيدي عقبة	428
	صورة ب	سلم في منزل ببلدية سيدي عقبة	428
	صورة ج	كوة في إحدى الغرف بمنزل ببلدية سيدي عقبة	428
	صورة د	الأبواب الخشبية المستعملة في منازل بلدية سيدي عقبة	428
	صورة و	تردي وضعية المساكن ببلدية سيدي عقبة	428
	صورة ي	حالة المنازل المتدهورة والتي تحتاج لتدخل عاجل لحمايتها	428
لوحة23	صورة ا	استعمال الحجارة في الاساسات بتهودة	429
	صورة ب	استعمال جذوع النخيل في تسقيف المنزل التهودي	429
	صورة ج	المواد المستعملة كدعامات وحوامل للسقف بمنازل تهودة	429
	صورة د	شارع نافذ في بلدة تهودة المهجورة	429
	صورة و،ي	تقنية البناء داخل بعض الأطلال الرومانية البناء بطريقة وتقنية السنبلة وتقنية المزج تهودة	429
لوحة24	صورة ا، ب	مواد البناء الاصلية المستعملة عبارة عن جذوع نخل سواري رخامية جلبت من مدينة تهودة من أرشيف مسجد سيدي عقبة	430
	صورة ج	غرفة ضريح عقبة بن نافع	430
	صورة د	ضريح سيدي عقبة داخل الروضة	430
	صورة و	منظر عام لبيت الصلاة بجامع عقبة	430
لوحة25	صورة ا،ب،ج	أنواع التيجان، العقود والروابط المستعملة في مسجد سيدي عقبة	431
	صورة د	العقود التي ترفع القبة تتقدم محراب مسجد عقبة بن نافع تزينها أخاديد	431
	صورة و	محراب مسجد عقبة بن نافع	431
	صورة ي	منبر مسجد عقبة بن نافع	431
لوحة26	صورة أ	قبة ضريح عقبة بن نافع	432
	صورة ب	مئذنة مسجد عقبة بن نافع	432
	صورة ج	باب طبنة بمسجد عقبة بن نافع	432
	صورة د	عمليات الترميم التي طالت مسجد عقبة والتي أثرت على المعالم الأثرية الأصلية للمسجد	432
	صورة و	بائكة تتوسط بيت الصلاة بمسجد عقبة بن نافع	432
	صورة ي	مداخل بيت الصلاة في الجدار الغربي بمسجد عقبة بن نافع	432
لوحة27	صورة أ	أعمدة ثلاثية ملتصقة تزين محراب مسجد عقبة بن نافع	433
	صورة ب	جزء من السقف الأصلي لمسجد عقبة بن نافع	433
	صورة ج	تقنية البناء داخل بعض الاطلال الرومانية تهودة	433
	صورة د،و	تقنية البناء داخل بعض الاطلال الرومانية -البناء بطريقة وتقنية السنبلة وتقنية	433

		المزج تهودة	
	صورة ي	أحد بقايا المعسكر الأول حاليا يحيط به سور المدرسة	434
لوحة28	صورة أ	المعسكر الثاني على الموقع تظهر قرية بادس القديمة	435
	صورة ب	بادياس الرومانية البائدة	435
	صورة ج	بقايا مدينة بادياس الرومانية	435
	صورة د	صحن مسجد القصر به غرفة الضريح	435
	صورة و	ضريح سيدي يحي بالقصر	435
	صورة ي	ضريح بالمسجد	435
لوحة29	صورةأ	محراب مسجد القصر	436
	صورة ب	بيت الصلاة لمسجد القصر	436
	صورة ج	قبة ضريح بمسجد سيدي يحي المنهارة	436
	صورة د	مدخل مسجد القصر	436
	صورة و	العوارض و الروابط الخشبية في بيت الصلاة بمسجد القصر	436
	صورة ي	أعمدة مربعة البدن الحاملة للسقف بمسجد القصر	436
لوحة30	صورة أ	الواجهة الصماء لاحد المنازل ببادس	437
	صورة ب،ج	استعمال أشجار السرو والعرعار في التسقيف بالقصر	437
	صورة د	مدخل منزل في قرية بادس	437
	صورة و	صحن منزل ببلدة بادس	437
	صورة ي	تكسية الجدران بعمارة بادس لإضفاء نوع من الجمالية على المبني	437
لوحة31	صورة ا	السقيفة بأحد منازل قرية بادس	438
	صورة ب	مواد التسقيف بمنازل بادس	438
	صورة ج	عقود بسيطة تزين مداخل أبواب منازل بادس	438
	صورة د	بلدية خنقة سيدي ناجي صورة جوية عن غوغل إيرث	438
	صورة و	منظر عام لخنقة سيدي ناجي	438
	صورة ي	منظر عام لخنقة سيدي ناجي تنحصر بين الجبال	438
لوحة32	صورة أ	المدخل الرئيسي لخنقة سيدي ناجي بعد ترميمه وفق النمط الذي كان موجود في السابق	439
	صورة ب	خنقة سيدي ناجي في عشرينيات القرن الماضي	439
	صورة ج	رغم المرتفعات التي تحيط بالخنقة أحيطت بسور يحميها من هجمات الأعداء	439
	صورة د	وادي العرب مصدر الحياة بالنسبة لخنقة سيدي ناجي وسكانها	439
	صورة و	كتابة تأسيسية بخط مغربي على يسار المحراب بمسجد سيدي المبارك	439
	صورة ي	كتابة تأسيسية على سأكف باب المدرسة الناصرية مؤرخة بأواخر رجب من عام 1171هـ	439

لوحة33	صورة أ	الأسكوب المقابل للمحراب بمسجد سيدي المبارك	440
	صورة ب	صحن مسجد سيدي المبارك	441
	صورة ج	الرواق المقابل لجدار القبلة بصحن مسجد سيدي المبارك	441
	صورة د	نموذج لأحد الأعمدة الاسطوانية يظهر فيها القاعدة والبدن	441
	صورة و	البلاطة الموازية لجدار القبلة بمسجد سيدي المبارك	441
	صورة ي	قواعد السواري "الأعمدة" في الطابق الأول في المدرسة الناصرية	441
لوحة34	صورة أ	قواعد الأعمدة مربعة الشكل في صحن المدرسة الناصرية	442
	صورة ب	تبين شكل أحد التيجان في بيت الصلاة مسجد سيدي المبارك	442
	صورة ج	تيجان كورنثية في صحن المدرسة الناصرية مزخرفة و	442
	صورة د:	تيجان بسيطة مستعملة في صحن المدرسة الناصرية	442
	صورة و	أنواع عقود بيت الصلاة بمسجد سيدي المبارك	442
	صورة ي:	سارية ذات قاعدة مربعة استعملت لحمل العقود في الشرفة التي تعلو المئذنة في مسجد سيدي المبارك	442
لوحة35	صورة أ	الوسائل المستعملة في الانتقال بين العقود والتيجان بمسجد سيدي المبارك	443
	صورة ب	الروابط الخشبية بمسجد سيدي المبارك	443
	صورة ج	الباب الذي يتوسط الجدار الشمالي لبيت الصلاة في مسجد سيدي المبارك المؤدي للمدرسة الناصرية	443
	صورة د	الباب الغربي لمسجد سيدي لمبارك	443
	صورة و	منظر خلفي لأحد الأبواب بمسجد سيدي المبارك مازال على حالته الأصلية	443
	صورة ي	باب المدرسة الناصرية	443
لوحة36	صورة أ	ضريح احمد بن ناصر	444
	صورة ب	زخارف كتابية تزين سأكف روضة الضريح بيت الصلاة بسيدي المبارك	444
	صورة ج	محراب مسجد سيدي المبارك	444
	صورة د	مئذنة مسجد سيدي المبارك	444
	صورة و	منظر جانبي لمنبر سيدي المبارك يبين أنواع العناصر الزخرفية	444
	صورة ي	منظر علوي للقباب التي استعملت في تسقيف مسجد سيدي المبارك والسرايا	444
لوحة37	صورة أ،ب	زخارف كتابية تزين طره المحراب بمسجد سيدي المبارك	445
	صورة ج	استعمال التناظر لملأ الفراغ في محراب مسجد سيدي المبارك	445
	صورة د	شمسيات استعملت في بيت الصلاة بجامع سيدي المبارك	445
	صورة و	كتابة تأسيسية ثبتت فوق مدخل غرفة الضريح سيدي المبارك مؤرخة ب1171هـ	445
	صورة ي	كتابة تخليدية منفذة بسائل الرصاص استعمل فيها التنقيط والاعجام	445
	صورة أ	زخارف نباتية وهندسية وفلكية قوامها الهلال والمراوح النخيلية والأزهار تزين تيجان أعمدة إطار محراب بيت الصلاة لمسجد سيدي المبارك	446

لوحة38	صورة ب	العقد المستدير في صحن مسجد سيدي المبارك	446
	صورة ج	إفريز من الزخارف النباتية تزين إطار محراب مسجد سيدي المبارك	446
	صورة د	زخارف نباتية قوامها وردتان رباعيتا الفصوص تتوسطهما دائرة بها نجمة سداسية	446
	صورة و	شكل أحد الأعمدة في فتحة محراب مسجد سيدي المبارك	446
	صورة ي	زخارف نباتية قوامها مزهرية تنبعث منها ورود ثمانية وخماسية الفصوص	446
لوحة39	صورة أ	زخارف هندسية جصية تزين محراب مسجد سيدي المبارك من الداخل	447
	صورة ب	العارضة الجانبية للباب الغربي بمسجد سيدي المبارك عليها زخارف هندسية ونباتية	447
	صورة ج	زخارف نباتية وهندسية تزين إطار باب غرفة الإمام	447
	صورة د:	زخارف نباتية وهندسية تزين قاعدة إطار الباب الغربي بمسجد سيدي المبارك	447
	صورة و	الزخرفة النباتية بطريقة الحفر الغائر قوامها زهرة القرنفل ومراوح نخيلية	447
	صورة ي	استعمال طريقة الحفر الغائر في نقش الأشكال الهندسية في أطر النوافذ والأبواب في مسجد سيدي المبارك والسرايا	447
لوحة40	صورة ا	زخارف نباتية تزين اطر البواب في مسجد سيدي المبارك	448
	صورة ب:	زخارف نباتية قوامها أوراق نباتية متنوعة ثمانية ورباعية تتوضع داخل مثلثات بشكل دائري تشكل في مجملها طبق نجمي	448
	صورة ج	طريقة الحفر البارز وأسلوب تنفيذ الزخارف البارزة في أطر الأبواب بمسجد سيدي المبارك	448
	صورة د	الزخرفة على ساكف الباب الغربي لمسجد سيدي المبارك	448
	صورة و:	تبين الزخارف النباتية والهندسية المستعملة في تزيين إطار الباب الغربي المدخل بجامع سيدي المبارك	448
	صورة ي	ساكف الباب الغربي لمسجد سيدي المبارك منظر يبين والتناسق بين الأشكال الهندسية والنباتية	448
لوحة41	صورة أ	زخارف كتابية بخط مغربي، وكذا هندسية ونباتية تزين نافذة ضريح بن حسين محمد بن حسين قوامها مزهرية تخرج منها أوراق نخيلية	449
	صورة ب:	زخرفة نباتية قوامها شجرة السرو و هندسية قوامها الطبق الاشعاعي تزين إطار نافذة في السرايا	449
	صورة ج	استغلال الحجارة في زخرفة مسجد سيدي المبارك والسرايا	449
	صورة د،و	عناصر الإضاءة المستعملة في مسجد سيدي لمبارك	449
	صورة ي	بيض النعام معلقة في بيت الصلاة بمسجد سيدي المبارك	449
لوحة42	صورة ا	رواق الطابق الأول	450
	صورة ب	الغرف في الطابق الأرضي والأول بالمدرسة الناصرية	450
	صورة ج	صحن المدرسة الناصرية المبلط بالآجر الأحمر	450

	صورة د	محراب صحن مسجد سيدي المبارك الذي يستعمل في أوقات الحر	450
	صورة و،ي	محارات كانت تستعمل في المدرسة الناصرية من طرف الطلبة	450
لوحة43	صورة أ	استعمال الخشب في التسقيف في مسجد سيدي المبارك	451
	صورة ب،ج	أجزاء من البدن المستعملة في عمارة الخنقة مازالت موضوعة في صحن المسجد	451
	صورة د	المدخل الرئيسي للرحبة يعلوه عقد نصف دائري ويؤدي للسرايا والمسجد والمقبرة والدمس	451
	صورة و	منظر عام للرحبة أو الساحة العامة التي تفصل بين مسجد سيدي المبارك والسرايا	451
	صورة ي	المقاعد الحائطية (دكانات) ملاصقة لجدار المسجد وجدار السرايا	451
لوحة44	صورة أ	مدخل السرايا عبارة عن رواق ذو عقود نصف دائرية على شكل حذوة الفرس	452
	صورة ب	تبين الصحن والأروقة المطلة على وسط الدار في سرايا الخنقة	452
	صورة ج	غرفة جانبية في الطابق الأرضي	452
	صورة د	ترميم الاروقة داخل السرايا	452
	صورة و	القبو الاسطواني(البرميلي) مخصص للجلوس داخل السقيفة بداخله مشكاة	452
	صورة ي	رواق جانبي داخل الرحبة	452
لوحة45	صورة أ	العقود النصف دائرية المتجاوزة صماء داخل إحدى الغرف استعملت كمشكاوات	453
	صورة ب	منظر داخلي لأحدى الغرف في الطابق الأول من السرايا نلاحظ فيه وجود دكانة	453
	صورة ج	طريقة العقود المتشابكة التي استعملت في تسقيف السقيفة "الرحبة" داخل السرايا وهو نمط لم تعرفه عمارة الزاب جاء نتيجة لتأثيرات عثمانية	453
	صورة د:	الرواق المخصص للراجلين في الطابق الأول في السرايا	453
	صورة و	منظر الطابق الثاني من قصر السرايا بعد الترميم	453
	صورة ي	العقود النصف دائرية التي كانت تزين السرايا قبل انهيار جزء منها وقد أعيد ترميمها وفق هذه العقود سنة 1995 من أرشيف البلدية	453
لوحة46	صورة ا	غرفة صغيرة من المحتمل أنها كانت تستعمل كمخزن داخل السرايا	454
	صورة ب	نافذة على الجدار في الطابق الأول مقضبنة تزخرف خارف هندسية ونباتية	454
	صورة ج	رواق يتوسط الطابق الاول بالسرايا يقسم الجزء الغربي والجزء الشرقي بالسرايا	454
	صورة و	الأروقة الجانبية في الطابق الأول المطلة على الصحن أو وسط الدار	454
	صورة ي	العقود المتجاوزة في الطابق الأول منزل السرايا	454
لوحة47	صورة أ	بئر يتوسط صحن السرايا	455
	صورة ب	شارع يفصل السرايا والمنازل بالخنقة	455
	صورة ج	شارع يؤدي للدمس	455
	صورة د	تبين السلم في الطابق الارضي من السرايا	455
	صورة و	أحد السلالم الجانبية داخل السرايا	455
	صورة ي	السلم المؤدي للسطح بالسرايا	455

لوحة48	صورة ا:	السلم المؤدي الطابق الأول بالسرايا به نافذة صغيرة لتوفير الاضاءة	456
	صورة ب	سلم جانبي بالسرايا	456
	صورة ج	الدمس حيث نلاحظ تقابل الدكنات داخله	456
	صورة د	صحن منزل السرايا بالخنقة يتوسطه بئر	456
	صورة و	السرايا قبل عملية الترميم سنة 1995 أرشيف البلدية	456
	صورة ي	منظر عام للسرايا أو منزل أسرة بن حسين بعد عمليات الترميم	456
لوحة49	صورة ا	المقبرة الملحقة بالمسجد أو ما تعرف بالتربة عند أهالي المنطقة	457
	صورة ب	شكل العقود التي تحمل القبة التي تعلو المقبرة	457
	صورة ج	العقود المتجاوزة في المقبرة الملحقة بمسجد سيدي المبارك "الخاصة بأسرة بن حسين"	457
	صورة د	كتابة شاهدية غير متقنة على أحد القبور بالمقبرة	457
	صورة و	نمط شواهد القبور العثمانية المعممة في مقبرة الكتانية بقسنطينة	457
	صورة ي	السطح في السرايا بالخنقة	457
لوحة50	صورةا، ب، ج	شواهد القبور موضوعة على القبور توضح التأثير العثماني في المنطقة	458
	صورة د	استعمال الشمسيات فوق المداخل في المنازل في خنقة سيدي ناجي	458
	صورة و	نافذة مقضبنة فتحت في في غرفة فوق ممر مسقوف	458
	صورة ي	كوة حائطية في غرف بمنازل خنقة سيدي ناجي	458
لوحة51	صورة ا،ب،ج	لأبواب المستخدمة في عمارة الخنقة	459
	صورة د	استغلال فضاء الشارع في بناء ساباطات بعمارة الخنقة	459
	صورة و	النوافذ المقضبنة بالمنازل بخنقة سيدي ناجي	459
	صورة ي	حجارة مصقولة مستعملة في عمارة الخنقة:	459
لوحة52	صورة ا	عقد يزين مدخل منزل بالخنقة	460
	صورة ب	قباضتان على باب المدرسة عليها زخارف هندسية	460
	صورة ج	استعمال المسامير الحديدية كعنصر زخرفي لتشكيل عقود حذويه ومثلثات على الباب الغربي لمسجد سيدي المبارك	460
	صورةد،و،ي	الاقفال المستعملة في أبواب الخنقة	460
لوحة53	صورة ا	كوة حائطية في إحدى الغرف	461
	صورة ب	منظر علوي للصحن بالمنزل الخنقي	461
	صورة ج	غرف الطابق الأول بمنزل في خنقة سيدي ناجي	461
	صورة د	شرفات لمنزل بالطابق الأول ترتكز على وسائل دعم خشيبة	461
	صورة و	استعمال الحجارة كأساسات للمنازل بلغ عمقها المتر ونصف	461
	صورة ي	رواق الراجلين في الطابق الأول لمنزل خنقي	461
لوحة54	صورة ا	باب فتح في احدى الغرف في الطابق الاول	462
	صورة ب	عقود نصف دائرية تزين الرواق المطل على صحن منزل بالخنقة	462

	صورة ج	السلم المؤدي للطابق الأول بالمنزل	462
	صورة د،و،ي:	شكل المطابخ بمنازل الخنقة	462
لوحة55	صورة ا،	مدفئة بأحد المنازل بالخنقة مازالت تحافظ على شكلها الاول	463
	صورة ب	مدفئة بالسرايا أو "منزل اسرة بن حسين" بالخنقة	463
	صورة د:	استعمال الحجارة في الاساسات المنازل لمقاومة الرطوبة والسيول	463
	صورة و	استعمال الحجارة بطريقة غير منتظمة في جدران الخنقة	463
	صورة ي	المزج بين الحجارة المهذبة واللبن في بناء جدران المنازل بالخنقة	463
لوحة56	صورةا،ب،ي	استعمال الحجارة غير المهذبة المنتظمة في البناء	464
	صورة د	الدعامات الحاملة للسقف في السقيفة	464
	صورة و:	استعمال العوارض كدعامات افقية في الجدران	464
	صورة ي	شارع غير نافذ	464
لوحة57	صورة أ	عقود نصف دائرية تزين صحن منزل بالخنقة	465
	صورة ب	سارية تزين زاوية منزل بالخنقة	465
	صورة ج	شارع نافذ	465
	صورة د	نوافذ مقضبنة فتحت بالطابق الأول والثاني لتوفير الضوء للغرف	465
	صورة و	ممر مسقوف لتوفير الظل	465
	صورة ي	استعمال الممر المسقوف في عمارة الخنقة	465
لوحة58	صورة ا:	منظر جانبي لسلم يدل على مدى تحكم السكان المحليين في طرق البناء	466
	صورة ب	استعمال جدوع النخيل في التسقيف	466
	صورة ج	تزيين اطر الأبواب بمنازل الخنقة	466
	صورةد،و:	ابار حفرت بداخل المنازل لتزويدها بالماء	466
لوحة59	صورة ا	مدخل مسجد السوق بوسط خنقة سيدي ناجي	467
	صورة ب	البائكة المقابلة لجدار القبلة بمسجد السوق	467
	صورة ج	مدخل جانبي لمسجد السوق يؤدي لشارع ثانوي	467
	صورة د	محراب مسجد السوق بالخنقة	467
	صورة و	كوات حائطية لوضع المصاحف	467
	صورة ي	سلم مئذنة مسجد السوق	467
لوحة60	صورة أ:	مئذنة مسجد السوق	468
	صورة ب	عقود تزين مدخل شارع مؤدي للسوق	468
	صورة ج	ساحة السوق الرئيسة	468
	صورة د:	دكان لصناعة مادة القطران	468
	صورة و،ي	المحلات التي خصصت لها شوارع بعيدة عن المساكن	468
لوحة61	صورة ا	شارع رئيسي بالخنقة	468
	صورة ب، ج:	منظر داخلي لمنزل الشيخ عبد الحفيظ الخنقي	468

	صورة د:	غرفة مخصصة لخلوة الشيخ عبد الحفيظ الخنقي	468
	صورة و	منزل من طابقين بالخنقة	468
لوحة61	صورة ي	استعمال الحجارة المجلوبة من وادي العرب في البناء	468
لوحة62	صورة ا:	محراب مسجد "حارة لواتة" بالخنقة	469
	صورة ب	أشجار السرو لتسقيف مسجد لواتة	469
	صورة ج	العقود ببيت الصلاة بمسجد لواتة	469
	صورة د:	شارع نافذ بالخنقة	469
	صورة ي	فتحات في جدار الغرف للإضاءة والتهوية في المنزل الخنقي	469
	صورة و	اتساع الشوارع واستقامتها لإعطاء أفضل رؤية للمارة	469
لوحة63	صورة ا	المزج في البناء بين الحجارة والطين في عمارة الخنقة	470
	صورة ب،ج:	تعرج الشوارع في خنقة سيدي ناجي لتوفير الظل واعطاء نوع من الخصوصية للسكان	470
	صورة د	منظر عام لمسجد عبد الحفيظ الخنقي	470
	صورة و	استعمال العوارض بين العقود كدعامات	470
	صورة ي	عقود بيت الصلاة بمسجد عبد الحفيظ الخنقي	470
لوحة64	صورة ا	محراب مسجد عبد الحفيظ الخنقي	471
	صورة ب	قبة ثمانية الاضلاع فوق محراب مسجد عبد الحفيظ الخنقي	471
	صورة ج	بئر مازالت تستعمل لحد الان بالمسجد	471
	صورة د:	باب غرفة ضريح الحفيظ الخنقي	471
	صورة و	ضريح الحفيظ الخنقي	4711
	صورة ي	واجهات صماء بسيطة في عمارة لقصر	471
لوحة65	صورة ا:	الساقية الرئيسية او المصرف قرية ليانة	472
	صورة ب	الخزان الروماني	472
	صورة ج	السواقي المبنية ببلدة الخنقة	472
	صورة د	اثار موقع أحد مواجل بادس	472
	صورة و:	مدخل لأحد الفجوات الكبيرة للقناة على الضفة اليمنى لوادي العرب	472
	صورة ي	المصرف المستعمل لتحويل المياه قرية بادس	472

فهرس الموضوعات

الفهرس العام

الشكر.....

الاهداء.....

قائمة المختصرات.....

مقدمــة.....أ-ك

البــاب الاول الدراسة النظرية (ولاية بسكرة)

الفصــل الاول: مدخل عام (تاريخي وجغرافي حول ولاية بسكرة)

تمهيد..... 25

أولا: الإطار الجغرافي. 26

1 . الموقع الفلكي 27

2 الحدود الجغرافية لولاية بسكرة.....27

3. التضاريس: 28

4 المناخ..... 28

5.المظاهر الاقتصادية. 29

- القسم الشمالي.....32
- القسم الجنوبي:..... 33

ثانيا: الإطار التاريخي: 34

.1 منطقة بسكرة فيما قبل التاريخ والعصر الروماني:... 34

2بسكرة في المصادر والنصوص التاريخية الإسلامية. 37

3 . بسكرة في العصر الإسلامي 40

ثالثا: الفتح الإسلامي لإفريقية والمغرب 46

1المغرب:..... 46

2 إفريقية:..... 48

رابعا: مصطلح الزاب ومدلوله الجغرافي. 56

خامسا. دور القبائل العربية من بني هلال في المنطقة 61

- خلاصة..... 61

الفصـل الثاني: نشأة العمران الاسلامي بولاية بسكرة

- تمهيد 63

أولا: نبذة تاريخية مختصرة عن مراحل تطور العمران الحضري 63

ثانيا: المنهج الإسلامي وأثره على العمران: 64

1 المسجد: 66

2. شبكةالشوارع 69

ثالثا.الاتجاهات التخطيطية المستقاة من تخطيط المدينة العربية الإسلامية: 71

1 الملكية العامة: 71

2 الخصوصية: 72

3 الجوار: 73

4 النظافة و الآمان: 73

رابعا: مظاهر العمران الإسلامي بمدينة بسكرة: 74

خامسا: العوامل المؤثرة في نشأةالعمران الإسلامي بولاية بسكرة: 82

أ. الوضع الجغرافي (المناخ والتكوين الطبوغرافي): 82

ب: الدين والتقاليد: 83

ج: الظروف السياسية: 83

د. الحالة الاقتصادية: 83

و. النواحي الإنشائية: 84

ن. وسائل النقل: 84

سادسا. العمارة الصحراوية: 85

1أنماط العمارة الصحراوية القديمة 86

أ -من حيث الشكل 86

- القصور 86
- المدن: 87
- البيوت المعزولة 89

ب من حيث الوظيفة 89

1 العمارة المدنية 90

2. العمارة العسكرية 91

- الأسوار..... 91
- المداخل..... 91
- الأبراج..... 92
- الخنادق..... 92
- القصبات..... 92

3 العمارة الدينية.....92

- المساجد.....92
- الزوايا: 93

2. خصائص العمارة الصحراوية.....95

- الطبيعة الصحراوية.....95
- الثقافة الإسلامية.....95
- الكثافة والتضام.....95
- تعرج والتواء المسالك والتقليل من الفراغات الخارجية.....96
- التدرج المجالي والوظيفي.....97
- الانفتاح نحو الداخل.....98.
- العضوية والوظيفية..... 98
- الاعتماد على مواد محلية واستغلال إمكاناتها.....99

ن- مواد البناء.....99

4.نشأة وتطور القصور الصحراوية.....100

5 النسق العمراني للقصور الصحراوية.....101

6 دور القوافل التجارية في نشوء القصور الصحراوية.....101

7موارد القصور الصحراوية.....102

8 العوامل المؤثرة في تخطيط القصور الصحراوية.....102

- الوضع الجغرافي.....102
- الدين والتقاليد.. 103
- الظروف السياسة.....103
- الحالة الاقتصادية.....103

- النواحي الإنشائية.....104
- وسائل النقل:.....104

9.الهيكل العام لتخطيط القصور الصحراوية.....104

- استعمالات الأرض.....104
- خلاصة..... 106

الفصـل الثالث: مظاهر العمران الاسلامي بمنطقة بسكرة الغربية

- تمهيد.....108

أولا: نشأة وتأسيس قرى الزاب الغربي.....108

1: قرية سيدي خالد..... 108

أ مظاهر العمارة الدينية.....108

- الأضرحة.....108

ضريح خالد بن سنان العبسي..... 108

- التعريف بصاحب الضريح..... 108

- موقع الضريح وتاريخ إنشائه..... 113
- الدراسة المعمارية..... 116
- الوصف الخارجي..... 116
- الوصف الداخلي.....119
- غرفة الضريح 119
- المسجد الملحق بالضريح.....120
- غرفة ضريح عبد الرحمان بن خليفة..... 121
- الدراسة الفنية..... 123
  - العناصر النباتية..... 123
  - العناصر الهندسية.....124
  - العناصر الخطية..... 125
- مسجد خالد بن سنان العبسي..... 125
  - الوصف العام للمسجد.....126
- زاوية سيد ي خالد..... 127

2.قرية أولاد جلال.....129
أ مظاهر العمارة الدينية: 130
- المساجد.....130
- المسجد الملحق بالزاوية المختارية.....130
- الزوايا. 131
- زاوية الشيخ المختار.....131
- مخطط الزاوية 131
- موقع الزاوية وتاريخ إنشائها.....131
- تاريخ إنشائها 132
- الدراسة المعمارية.....133
- الوصف الخارجي.....133
- . الوصف الداخلي.....135
- ضريح العائلة المختارية.....135
- الوصف العام.....136
- العناصر المعمارية.....137
- الدراسة الفنية.....140
- العناصر النباتية.....140
- العناصر الهندسية.....140
- العناصر الخطية 141
ب مظاهر العمارة المدنية.....143
- المساكن والشوارع.....143
- منزل الشيخ المختار 144
- الوصف المعماري للمنزل 144
- التكوينات المعمارية للمسكن 145
- قصبة أولاد جلال.....148
- وكالة أولاد جلال القديمة 149
- رحبة أولاد جلال القديمة 150

ثالثا. مدينة طولقة.....150
أ. النشأة والتأسيس.....150
1 مظاهر العمارة الدينية. 152
المساجد.....152
- المسجد العتيق 152
- الوصف العام للمسجد العتيق 153
- مسجد عبد الرحمان الأخضري 154
الزوايا 154
- زاوية الشيخ علي بن عمر.....154
- تاريخ إنشائها.....155
- الوصف الحالي للزاوية-.....156
-الدراسة المعمارية..... 158
.2 مظاهر العمارة المدنية:.....159
- أحياء القصر.....159
- المنازل..... 160
- حمام طولقة القديمة.....162
- سوق رحبة القمح في طولقة القديمة:.....163
3 عمران قرية ليشانة.....163
أ. النشأة والتأسيس. 163
مظاهر العمارة الدينية.....164
المساجد: 164
-مسجد سيدي سعادة.....164
- مسجد سيدي لعروسي.....164
- جامع سيدي يوسف 165
- جامع الباب القبلي 165
- مظاهر العمارة المدنية. 165
- أحياء قصر ليشانة..... 166
- تحصينات ومداخل القصر.....166

- المسالك والفضاءات العامة.....167
- مساكن القصر.....168
  - قرية الدوسن 169
  - قصر الدوسن.....169
- وصف القصر..... 171
  - خلاصة..... 172

الفصل الرابع: مظاهر العمران الاسلامي بمنطقة بسكرة الشرقية

أولا: بلدة سيدي عقبة.....174
1. الموقع الجغرافي 174
2 . النشأة والتطور 174
3.المظاهر الدينية.....178
أولا: المساجد: 178
جامع سيدي عقبة بن نافع 178
- . ظرفية التأسيس.....178
- الوصف العام للمسجد..... 185
- بيت الصلاة.....186
- الصحن..... 186
- ملاحق المسجد..... 187
- غرفة الضريح..... 188
- المداخل..... 188
- النوافذ.....189
- وسائل الدعم.....189
- الدعامات.....190
- العناصر المستعملة بين التيجان والعقود..... 191
- العناصر المعمارية..... 192
- المحراب..... 192

- -العناصر الزخرفية..... 193
  - الكتابات التذكارية التسجيلية 193
- المنبـر.....194
  - نظام التغطية..... 195
  - قبة الضريح..... 196
  - القبة التي تتقدم المحراب..... 196
  - المئذنـة 199
  - العناصر الزخرفية بالمسجد..... 202
- أنواع الزخارف الموجودة في المسجد.....203
  - الزخارف النباتية..... 204
  - الزخارف الهندسية 204
  - الزخارف الكتابية..... 205

ب الاضرحة..... 206

- ضريح عقبة بن نافع وإشكالية الموقع..... 207
  - قصة الكشف عن القبر.....209
- ضريح أبو المهاجر دينار..... 210

4المظاهر المدنية.....210

- مكونات المنزل المعمارية..... 210
- المداخل.....210
- السقيفة 211
- الفناء: 212
- المطبخ: 213
- الغرف.....213
- بيت الضياف.....213
- المخزن.....214
- السلالم 214
- الساحات: 214
- الشوارع..... 215

ثانيا: بلدتا بادس ولقصر 218
1. الموقع الجغرافي 218
2 . النشأة والتطور 218
أ.مظاهر العمران الدينية.....220
الأضرحة.....220
- المساجد.....221
ب. مظاهر العمران المدنية.....221
مكونات المنزل المعمارية.....221
المداخل.....221
السقيفة..... 222.
المطبخ.....222
الغرف.....222
بيت الضياف..... 222
المخزن..... 222
السلالم..... 222
وسط الدار أو الفناء.....222
الساحات..... 222
الشوارع..... 223
- خلاصة.....223

الباب الثاني الدراسة التطبيقية (عمران خنقة سيدي ناجي)

- تمهيد..... 225

مدخل عام. تاريخي وجغرافي حول خنقة سيدي ناجي

أولا: التعريف بالبلدية.....227
1. الموقع الجغرافي.....227
2 . الموقع الإداري: 227
. إشكالية التسمية: 228
أ. اسم الخنقة: 228
ب.طبيعة المنطقة جغرافيا: 229

- لمحة عن المناخ السائد في خنقة سيدي ناجي..... 229
- المناخ..... 229
- الحرارة: 230
- التساقط..... 230
- الرياح..... 230

ج. اختيار موقع الخنقة: 231
- ظرفية التأسيس: 232
- خلاصة..... 243

الفصل الخامس: عمارة خنقة سيدي ناجي الدينية

- تمهيد: 245

أولا: المظاهر الدينية.....245

1.المساجد:.....245

أ. مسجد سيدي المبارك بن ناجي.....245
- ظرفية التأسيس.....245
- الوصف العام للمسجد.....248

. بيت الصلاة:.....248

. الصحن: 249

.العقود:.....250
- . النوافذ:.....253
- . المئذنة:.....258
- .الصحن.....260

ب.مسجد السوق.....260
- الوصف العام للمسجد..... 261

2. الأضرحة: 262
- ضريح سيدي المبارك: 263
- ضريح أحمد بن ناصر..... 264
- ضريح بن حسين محمد بن حسين: 264

3-المدرسة الناصرية.....265
أ ظرفية التأسيس: 265
ب. الوصف العام للمدرسة. 267
- الوصف المعماري والأثري للمدرسة.....268
4المقابر (التربة).....268
- خلاصة.....270

الفصل السادس: عمارة خنقة سيدي ناجي المدنية

- تمهيد:.....272
أ. الوصف العام.....273
1. السور.....273
2.الأحياء والمنازل:.....274
أ.الأحياء: 275
ب المنازل.... 276
• المحيط الخارجي للمسكن.....277
• المحيط الداخلي للمسكن.....277
- المداخل.....278
- السقيفة.....279
- الصحن (الفناء) 279
- الأروقة.....281
- الغرف.....282
- المطبخ.....282
- المراحيض.....283
- السطح.....283
أولا: منزل أسرة بن حسين المعروف باسم السرايا.....284
1. الوصف العام للسرايا(المنزل).....284
• التصميمات العامة.....284
• السقيفة.....285

- الصحــن.....285

أقسام السرايا (المنزل).....286

- أقسامه المعمارية.....287
- الطابق الأرضي.....287
- الطابق الأول.....287
- السطح.....289
- الأبواب والنوافذ.....290

ثانيا: مسكن الشيخ عبد الحفيظ الخنقي.....291

1.الوصف العام.....292

3. الشوارع والأسواق.....293

أ. الشوارع.....293

•الـدمس.....295

ب. أسواق خنقة سيدي ناجي.....297

- المرافق العامة..... 298
- الساحات العامة.....298
  - خلاصة.....299

الفصل السابع: مواد الإنشاء وأساليب البناء

تمهيد:.....302

أولا: مواد البناء المستعملة في عمارة الخنقة.....303

ثانيا: عناصر الإنشاء ومواد البناء:.....306

أ-الكتل الحجرية:.....306

ب. الدبش:.....307

ج: الطابية:.....307

د. الخشب 309

ثالثا المواد اللاحمة.....310

4-الجص.....312

أ-تقنية آدية وشناوي.....313

ب- تقنية المداميك.....314

جـ-تقنية السنابل.....314
د-تقنية المزج 314
هـ-تقنية الدبش المكون من أحزمة تنفصل عن بعضها بألواح حجرية.....314
● خلاصة..... 315

الفصل الثامن: المنظومة المائية

تمهيد 317
أولا: مصادر المياه 318
1-المياه النازلة 318
2-المياه الصاعدة.....319.
أ-المياه الجوفية 320
•العيون والينابيع..... 321
•البرك المائية "الغدير..... 322
ب-الينابيع والأنهار.....322
- مياه الأودية.....322
- وادي العرب.....324
- المياه الجوفية.....326
ثانيا: طرق استعمال المياه وتطبيقاتها الميدانية:..... 327
. مياه الأودية وطرق جرها بخنقة سيدي ناجي.....327
2-التصرف في حيازة مياه الآبار:..... 331
ثالثا. طرق استعمال آلات السقي والري: 332
السانية.....333
الغرغاز.....333
-طرق استغلال مياه العيون.....334
رابعا-شبكة جلب الماء وتخزينه وتوزيعه:..... 335
أ -قنوات جلب المياه:..... 336
ب- منشآت التخزين.....337
1-المواجل و الصهاريج 337
القنوات والسواقي:..... 340

- الخلاصة: 344

الفصل التاسع: المجتمع الخنقي

تمهيد.....347

أولا: العناصر البشرية.....347

ثانيا: الأنشطة الاقتصادية بخنقة سيدي ناجي.....348

ا -الزراعة.....348

ب -الحركة التجارية..... 348

ثالثا-الحركة العلمية والفكرية بخنقة سيدي ناجي:.....350

أ-فنون العلم والمعرفة..... 351

ب. مناهج التعليم بقرية خنقة سيدي ناجي.....352

ج. طرق التعليم في المدرسة الناصرية.....353

د-الأدوات المستعملة في التدريس.....355-354

و. الدور الاجتماعي لزوايا الخنقة.....356

- خلاصة الباب الثاني.....361-357
- نتائج البحث.....375-363
- الملاحق.....376
- ملحق الخرائط.....380-377
- ملحق الاشكال..... 405-381
- الصور واللوحات.....471-406
- فهرس الاعلام والاماكن.....480-473
- قائمة المصادر والمراجع.....497-482
- الفهارس.....
- دليل الخرائط، الاشكال واللوحات.....498
- فهرس الخرائط.....499
- فهرس الأشكال.....502-499
- فهرس اللوحات والصور.....502-513

ملخص البحث باللغة العربية

الأنماط المعمارية على مر العصور كانت دائما انعكاسا صادقا لتطور البيئة الحضارية التي كانت تسود كل مرحلة من المراحل التاريخية لدى أي شعب من الشعوب مهما كان محيطها البيئي سواء في المنطقة المعتدلة، أو في المنطقة ذات المناخ الجاف المتميزبالتغيرعلى المدى القصير أي اليومي، حيث ساعدت البيئة الصحراوية الحارة إن بظروفها الطبيعية و الاجتماعية على إيجاد نمط عمراني معين يتلاءم معها، إذ عمل الإنسانعلى جعل مسكنه وحيه ومدينته يتوفرعلى عامل الحماية منالظروف الطبيعية القاسية والاجتماعية، ونظر اللعفوية والتلقائية التيعمدها الإنسان أوالفرد الصحراوي في بناء مسكنه بالدرجة الأولى ومدينته لتعدد المساكن جعلتها تنفرد بخصائص ومميزاتعمرانية جعل منها نمطا مميزا وخاصا يعبرعن تأقلم الإنسان مع أصعب الظروف الطبيعية والمتمثلة فيالحرارة والرياح المحملة بحبيباتالرمل "الزوابعالرملية " ، إذ عملعلى جعل مبانيه ملتحمة وشبه ملتحمة في نسيجعمراني متناسق .تعد ولاية بسكرة أرضا بكر اومجالاخصبا للباحثين الأثريين لما احتوته من تنوع في القرى و القصور، فينواح عدة من ربوع المنطقة : قري أولاد جلال ، سيدي خالد، قصرليشانة، وطولقة وفرفار، إضافة لقري منتشرة في الزاب الشرقي كقرى سيدي عقبة بادس، ولقصروليانة و تعد قصرخنقة سيدي ناجي من القصور الصحراوية التي تزخربها ولاية بسكرة حيث يعد إرثا حضاريا يمثل جزءا من تاريخ الجزائرعامة والمنطقة خاصة، فهي تشهدعلى فترات تاريخية مختلفة وطراز معماري متنوع، أنشى بمواد بنائية محلية، ورغم ذلك لا يزال البعض منها قائما ومحافظاعلى جل أجزائه، وعدم الوعي بهذا الإرث الحضاري ساعدعلى اندثارهذاالقصرولم يبق منه الا مباني مهجورة .هذا يدل على أن لقصورالصحراوية كباقي الآثارتعاني الإهمال واللامبالاة، خاصة أن أغلبها تم بناءها بمادة الطين مماعجل بزوال بعضها وتهدم البعض الآخرفي حين نجدجزءاقليلا منها لا يزاليحافظ على أجزاء تبقى الشاهد الوحيدعلى هذا النمط المميز منعمارة أصلية استجابت شروطها لمختلف الظروف الطبيعية والاجتماعية وعلىهذا الأساس تماختيار "قصر خنقة سيدي ناجي " بغرض إخراجه مندائرة النسيان و التعريف به، لعرض صورة واضحة عن أثارالمنطقة،و لفت الانتباه لهذا الإرث الثقافي والمعماري والحضاريالذي تحويه هذه القصوروقصر خنقة سيدي ناجي خاصة باعتباره سجل تاريخي وشاهد ماديعلىحضارة تحدتأصعب الظروف الطبيعية، دفع الدارسين في هذا المجال والبحث في القصورالصحراوية وجعلها أقطابا سياحية و تاريخية، وكذلك توعية أهل المنطقة بأهمية هذا الإرث الحضاري المهم.

كلمات مفتاحية : العمارة الصحراوية،العمران الاسلامي،بسكرة، خنقة سيدي ناجي ،سيدي المبارك، الصحراء.

Résumé de la recherche en français

Les styles architecturaux à travers les âges a toujours été un véritable reflet du développement de l'environnement culturel qui a prévalu dans toutes les étapes des étapes historiques ont des personnes quel que soit l'environnement de l'environnement aussi bien dans la zone tempérée, ou dans le même court distinctif du changement climatique sec d'une région terme quotidienne, L'environnement désertique est chaud dans ses conditions naturelles et sociales pour trouver un modèle urbain spécifique qui correspond à lui, car il a travaillé Pour un homme de faire sa maison et son quartier et sa ville est disponible sur le facteur de protection des conditions naturelles difficiles et sociales, en raison de la spontanée et automatique que les maires humains ou individuels du désert dans la construction de sa résidence avant sa ville de plusieurs logements ont rendu des caractéristiques uniques et avantages de urbain qui en fait un modèle distinctif et une adaptation humaine express spécial avec les plus difficiles Dans la chaleur et le vent chargé de grains de sable "tempêtes Le sable », comme le travail à rendre ses bâtiments conjonctives et semi-relutive dans le tissu urbain Mtnasag.tad Biskra territoire vierge et un terrain fertile pour les chercheurs d'archéologues, car il contenait une diversité des villages et des palais, à bien des égards, à travers la région: les villages des waled Djalal, Sidi Khaled, ksar Lichana , Tolga et Farfar, en plus du village s'étendant dans le Zab oriental comme les villages de Sidi oqba Badas, palais du désert qui abondent dans Biskra, où est l'héritage de la civilisation fait partie de l'histoire de l'Algérie publique en particulier la région, ils témoignent de différentes périodes de l'histoire et l'architecture du modèle varié, constructivisme local, bien que certains d'entre eux sont encore debout et de garder la majeure partie de ses parties Et le manque de prise de conscience de ce patrimoine culturel a contribué à la disparition de ce palais en restait des bâtiments abandonnés. Cela montre que les palais du désert comme les autres effets souffrent de négligence et de l'indifférence, surtout que la plupart d'entre eux ont été construits de boue de matériau, qui a précipité la disparition de chacun et détruit alors que nous trouvons une petite partie d'entre eux Il conserve encore des parties qui restent le seul témoin de ce style distinctif d'architecture originale dont les conditions ont rencontré diverses conditions naturelles et sociales La fondation a été choisi ksar Khenguet Sidi Nadji. afin de le faire sortir du cercle des balises de l'oubli et de méta, pour afficher une image claire a soulevé la région, il a attiré l'attention sur le patrimoine culturel, architectural et culturel que son contenu de ces palais et le palais Khenguet Sidi Nadji en particulier comme un record historique et témoin matériel d'une civilisation ont défié les circonstances les plus difficiles naturel, payer des chercheurs dans ce domaine et de la recherche dans les palais du désert et les rendre pôles touristiques et historiques, et les habitants de la région .la valeur Ce patrimoine culturel est important de faux.